



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة السليمانية
كلية العلوم الإسلامية
قسم الشريعة
دراسات العليا / دكتوراه

الإبادة الجماعية للكورد في العراق في ضوء الشريعة الإسلامية "دراسة تحليلية"

أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه
في تخصص (الفقه الإسلامي) المعدة من قبل الطالب: (سه ربه ست نادر عبدول)

بإشراف

الاستاذ الدكتور اسماعيل محمد جلال

م ٢٠٢٣

ك ٢٧٢٣

هـ ١٤٤٥

فهرس المحتويات

المحتويات	ر. ص
العنوان	
إقرار المشرف	
توصية أعضاء لجنة المناقشة	
صفحة البسمة	أ
صفحة الآية	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
المحتويات	هـ
المقدمة	٧-١
الفصل الأول: مقدمات في التعريف بمفردات العنوان وأساسياته	٤٨-٨
المبحث الأول: تعريف الإبادة الجماعية وأركانها وخصائصها	٢٣-٨
المطلب الأول: تعريف الإبادة الجماعية	١٤-٨
المطلب الثاني: التطور التاريخي لمصطلح (الإبادة الجماعية)	١٨-١٤
المطلب الثالث: أركان الإبادة الجماعية	٢١-١٨
المطلب الرابع: خصائص الإبادة الجماعية	٢٣-٢١
المبحث الثاني: نشأة الإبادة الجماعية وتطورها	٣٠-٢٣
المطلب الأول: الإبادة الجماعية في العصور القديمة	٢٥-٢٤
المطلب الثاني: الإبادة الجماعية في العصور الوسطى	٢٥-٢٦
المطلب الثالث: الإبادة الجماعية في التأريخ الحديث والمعاصر	٣٠-٢٦
المبحث الثالث: دوافع الإبادة الجماعية وأساليبها	٣٥-٣٠
المطلب الأول: دوافع الإبادة الجماعية	٣١-٣٠
المطلب الثاني: أساليب الإبادة الجماعية	٣٥-٣١

٤٨-٣٥	المبحث الرابع: التعريف بالكورد وعلاقة الشعب الكوردي بالإسلام
٣٨-٣٦	المطلب الأول: أصول الكورد وموطنهم الجغرافي
٤٠-٣٨	المطلب الثاني: اللغة الكوردية ومميزاتها
٤٣-٤٠	المطلب الثالث: علاقة الكورد بالدين الإسلامي
٤٥-٤٣	المطلب الرابع: إسهام الكورد في بناء الحضارة الإسلامية وتطويرها
٤٨-٤٥	المطلب الخامس: التعريف بكوردستان العراق وسبب تخصيصها بالمبحث
١٦٥-٥٠	الفصل الثاني: مسألة القتال في الإسلام وموقع الإبادة الجماعية منها
٥٨-٥٠	المبحث الأول: تعريف القتال وتأصيله وأنواعه وأسبابه في الفقه الإسلامي
٥٢-٥١	المطلب الأول: تعريف القتال
٥٥-٥٢	المطلب الثاني: التأصيل الشرعي للقتال
٥٨-٥٥	المطلب الثالث: أنواع القتال وأسبابه
١١٥-٥٨	المبحث الثاني: أهداف القتال وضوابطه وقواعده في الفقه الإسلامي
٦٥-٥٨	المطلب الأول: مراحل القتال وأهدافه في الفقه الإسلامي
٧٣-٦٥	المطلب الثاني: ضوابط القتال وقواعده في الفقه الإسلامي
٩١-٧٣	المطلب الثالث: حماية المدنيين وغير المقاتلين في الفقه الإسلامي
٩٥-٩١	المطلب الرابع: حماية البيئة والأماكن المقدسة
١١٥-٩٥	المطلب الخامس: حقوق الأسرى والجرحى والقتلى
١٤٤-١١٥	المبحث الثالث: الإبادة الجماعية في الشريعة الإسلامية
١٢٠-١١٥	المطلب الأول- الإبادة الجماعية في القرآن
١٤٠-١٢٠	المطلب الثاني: الإبادة الجماعية في السنة النبوية
١٤٤-١٤١	المطلب الثالث: الإبادة الجماعية في التراث الفقهي الإسلامي
١٦٥-١٤٥	المبحث الرابع: طبيعة المسؤولية الجنائية عن جريمة الإبادة الجماعية
١٤٧-١٤٥	المطلب الأول: تعريف المسؤولية الجنائية
١٤٩-١٤٧	المطلب الثاني: صور المسؤولية الجنائية

١٥٦-١٥٠	المطلب الثالث: عقوبة مرتكبي الإبادة الجماعية
١٦٥-١٥٦	المطلب الرابع: الأضرار المادية والمعنوية وتعويضها
٢٧٧-١٦٧	الفصل الثالث: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد في العراق
١٨٨-١٦٧	المبحث الأول: صور الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد وأسبابها وبيان أصناف المرتكبين
١٦٩-١٦٧	المطلب الأول: صور الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد
١٨٥-١٦٩	المطلب الثاني: أسباب ارتكاب الإبادة الجماعية بحق الكورد
١٨٨-١٨٥	المطلب الثالث: أصناف مرتكبي جريمة الإبادة الجماعية
٢٠٢-١٨٩	المبحث الثاني: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد الفيليين والبارزانيين
١٩٨-١٨٩	المطلب الأول: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد الفيليين
٢٠٢-١٩٨	المطلب الثاني: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق البارزانيين
٢١٦-٢٠٣	المبحث الثالث: الإبادة الجماعية بالأسلحة الكيميائية في مدينة حلبجة
٢٠٤-٢٠٣	المطلب الأول: التعريف بمدينة حلبجة
٢٠٥-٢٠٤	المطلب الثاني: تعريف الأسلحة الكيميائية
٢١٠-٢٠٥	المطلب الثالث: مقدمات الإبادة الجماعية في حلبجة
٢١٦-٢١٠	المطلب الرابع: الأضرار البشرية، والاقتصادية، والبيئية في الفقه الإسلامي
٢٥١-٢١٦	المبحث الرابع: الإبادة الجماعية في حملات الأنفال
٢٢٠-٢١٧	المطلب الأول: تعريف الأنفال
٢٢٥-٢٢٠	المطلب الثاني: عمليات الأنفال التعريف والتسمية
٢٣١-٢٢٥	المطلب الثالث: جذور ثقافة الأنفال عند العرب في الماضي وعند حزب البعث
٢٤١-٢٣١	المطلب الرابع: مراحل عمليات الأنفال ونتائجها الكارثية
٢٥١-٢٤١	المطلب الخامس: عمليات الأنفال في ميزان الشريعة الإسلامية
٢٦٤-٢٥١	المبحث الخامس: الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الأيزيديين
٢٥٤-٢٥٢	المطلب الأول: الأقليات في الفقه الإسلامي
٢٦١-٢٥٤	المطلب الثاني: التعايش مع غير المسلمين وحماية حقوقهم في الإسلام

٢٦٤-٢٦١	المطلب الثالث: إباداة الإيزيديين من منظور الفقه الاسلامي
٢٧٧-٢٦٤	المبحث السادس: المجازر المتفرقة في بعض المدن الكوردية
٢٧١-٢٦٥	المطلب الأول: المجازر التي وقعت في محافظة السليمانية
٢٧٣-٢٧١	المطلب الثاني: المجازر التي وقعت في محافظة كركوك
٢٧٥-٢٧٣	المطلب الثالث: المجازر التي وقعت في محافظة دهوك
٢٧٧-٢٧٥	المطلب الرابع: المجازر التي وقعت في محافظة أربيل
٣٢٥-٢٧٩	الفصل الرابع: الموقف الدولي والإقليمي والإسلامي حول القضية الكوردية
٢٩٧-٢٧٩	المبحث الأول: الموقف الدولي والإقليمي حول القضية الكوردية
٢٨٦-٢٧٩	المطلب الأول: موقف الدول الغربية والمنظمات العالمية حول القضية الكوردية
٢٩٧-٢٨٦	المطلب الثاني: موقف الدول العربية والدول المجاورة حول القضية الكوردية
٣٢٥-٢٩٧	المبحث الثاني: الموقف الإسلامي حول القضية الكوردية
٣٠٩-٢٩٨	المطلب الأول: المباديء الإسلامية والإباداة الجماعية المرتكبة بحق الكورد
٣١٦-٣٠٩	المطلب الثاني: موقف المؤسسات والأحزاب الإسلامية حول القضية الكوردية
٣٢٥-٣١٦	المطلب الثالث: موقف الشخصيات الإسلامية حول القضية الكوردية
٣٢٩-٣٢٦	الخاتمة
٣٦٩-٣٣٠	فهرس المصادر
٣٧٠	الملخص
٣٧٢-٣٧١	پوخته
٣٧٤-٣٧٣	ABSTRACT

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخير الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد.

منذ بزوغ الشمس على هذا الكوكب، وابتداء الحياة عليه، وإلى يومنا هذا، تصارعت مصالح المفسدين فيه فتحاربوا وأفسدوا فيه وسفكوا الدماء عليه، فكانت الحرب حدثاً لازم البشرية في العصور التي مرت بها، حتى لا نكاد نعثر على حقبة من الزمن وُضع فيها سلاح القتال، وأُخمدت فيها نيران الحرب.

ولقد أصابت الإنسانية من وراء تلك الحروب الشرسة والتي لا تزال تجتاح البلدان، وتنكب الشعوب، وتدمر معالم الحضارة، والثروات الوطنية، آلاماً مفرطة، وخسائر فادحة، وتزداد قسوتها جيلاً بعد جيل بفضل التطور الهائل الذي تشهده التكنولوجيا الحربية الحديثة، وتمتاز على إثرها بفداحة الخسائر، والتضخم الهائل في ازدياد عدد الضحايا والإبادة الجماعية ضد الإنسانية، والتأثير السلبي المدمر في الاقتصاد، ومواردها الطبيعية، وحتى البيئة الطبيعية لم تسلم من آثارها السلبية.

ولقد مرّ الشعب الكوردي خلال القرن الماضي بمأس إنسانية كبرى في جميع أجزاء كردستان المقسّمة بين الدول، بعد أن تشتت السلطة العثمانية، مما أدى إلى إهدار وهضم حقوقهم وجعلهم ضحايا الاستبداد والطغيان والقسوة على مرأى ومسمع العالم، وقد كان النصيب الأوفر لتلك المأس والكوارث لكوردستان العراق، لاسيما في العقود الخمسة الأخيرة من القرن المنصرم، متمثلة بالتهجير والتعريب والتبعيث والإبادة الجماعية في مظاهرها المتعددة التي مورست في كردستان مراراً وتكراراً.

فمنذ تشكيل الحكومة العراقية الحديثة وبعد أن ألحقت كردستان الجنوبية بهذه التشكيلة الجديدة، مارست الحكومة العراقية أنواع الوسائل المميّنة ضد هذا الشعب من قبل جميع الحكومات المتعاقبة حديثاً، وقد حرمت هذه الحكومات الشعب الكوردي من جميع الحقوق الأساسية والقومية والوطنية المشروعة، وتعرض لاعتداءات متكررة ذات النزعة الشوفينية والقومية المتطرفة، مستخدمة كافة الوسائل الحديثة المدمرة الفتاكة والطرق العسكرية المتنوعة، مما أدى إلى تدمير كردستان من النواحي المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والنفسية.

وتعرضت كردستان لهجمات شرسة ومعارك ضارية وإبادة جماعية لسكانها المدنيين، ومن ذلك تدمير قرى كردستان مرات عديدة، وتهجير أهلها وتعريب مناطقها، وغصب أموالها مع قتل مواطنيها أو إخفائهم مثل قتل آلاف من البرزانيين من الرجال، وقصف حلبجة والقرى والمناطق الأخرى بالسلاح الكيماوي المحرم دولياً، حتى وصل الأمر إلى استعمال مصطلحات دينية، وترتكب تلك الانتهاكات والجرائم والإبادة الجماعية باسم الدين الإسلامي الحنيف البريئة من هذه الأعمال.

تاريخ الكوردستان يشهد على تبني الأمة الكوردية للإسلام بعمق منذ دخوله إلى أراضيها. قد أسلمت وتبنت هذا الدين بإخلاص، وأظهرت تطورًا وتحسنًا في ممارساتها الدينية. ومن بين الكورد الذين أسهموا بشكل كبير في النهضة الدينية والثقافية في الإسلام، كان هناك العديد من العلماء والزعماء المسلمين البارزين. ساهموا في النهضة العلمية والتقدم الحضاري للإسلام. ولا يمكن تجاهل إسهام زعماء مثل صلاح الدين الأيوبي، الذي كان واحدًا من هؤلاء الزعماء الكبار، في تعزيز ونشر قيم الإسلام وتحقيق التقدم في العديد من المجالات.

يعتبر الشعب الكردي من الأمم الذين يحتفظون بالإسلام بقوة، وحتى اليوم، يصعب العثور على أي تجمع كردي في مناطقهم من إقامة مساجد لأغراض الصلاة والأنشطة الدينية والاجتماعية. وعادةً ما تكون هذه المساجد مزودة بمدارس تعليمية تهدف إلى نقل مبادئ الدين والشريعة الإسلامية إلى الأجيال الصاعدة، بناءً على حجم السكان واحتياجاتهم في القرى والمناطق الريفية والمدن.

وفي الوقت نفسه، يبدو أن شعوبًا مسلمة أخرى في المناطق المجاورة لم تكن مهتمة بنفس القدر من التفاني في بناء وصيانة المساجد وتعزيز التعليم الديني بنفس القدر. وللأسف، استخدموا القوة بدلاً من التعاون والأخوة مع الكورد، وذلك بسبب تطورهم إلى دول وقوى إقليمية.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

يحاول هذا البحث أن يجيب عن مجموعة من الأسئلة التي تعبر عن إشكالية البحث الأساسية وذلك كالآتي:

- ماهي الإبادة الجماعية؟ وما طبيعة هذه الجريمة؟ وما المبررات وراء ارتكابها؟
- ما هو موقف الشريعة الإسلامية من هذه الجريمة الفظيعة؟ وكيف حرمتها ومنعتها بقوة؟
- هناك آيات قرآنية تأمر بالقتال والجهاد في سبيل الله فهل أدى ذلك إلى حدوث الإبادة الجماعية في التاريخ الإسلامي؟

- هل وقعت الإبادة الجماعية في حياة النبي - ﷺ -؟
- هل هناك قوانين وظوابط شرعية للقتال في الإسلام؟
- هل يمكن لغير المسلم أن يعيش في المجتمع الإسلامي بسلام واستقرار وبحرية وكرامة؟
- ما هي الدوافع وراء ارتكاب المجازر والإبادة الجماعية في المجتمعات الإسلامية؟
- وما هي طبيعة تلك الدوافع والأسباب؟ هل دنية أم سياسية؟
- ماهي حقوق المدنيين؟ وما هي حقوق الأسرى في الشريعة الإسلامية؟ ما هي حقوق الأقليات غير المسلمة؟

- ماهي أنواع الإبادة الجماعية التي وقعت في اقليم كردستان؟

أهمية البحث

أهمية هذا البحث تكمن في أنه دراسة أكاديمية في موضوع الإبادة الجماعية في ضوء الشريعة الإسلامية عموماً، والتركيز على المجازر الكلية والإبادة الجماعية المرتكبة في كردستان الجنوبية على وجه خاص. ومن هنا فإن هذا البحث يسهم في التعريف بمعاناة الشعب الكوردي للأوساط الإسلامية والعربية والدولية.

ويؤكد أن الكورد شعب أصيل مسلم وعريق وقدم خدمات جليلة للإسلام والمسلمين على مر العصور والأزمان، على كافة الأصعدة، لذلك لا يحق لأي جهة أو حكومة أو دولة أن يظلم هذا الشعب باسم الدين والقرآن،.....

أهداف البحث

يرمي هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الاهداف وذلك كالاتي:

-موقف الإسلام وشريعته من الانتهاكات والجرائم التي يمارسه الدول والحكومات الظالمة بحق البشرية.
-الجرائم التي مورست بحق الشعب الكوردي بما في ذلك جريمة الإبادة الجماعية التي نُفذت على يد النظام البعثي الشوفيني، والتي وُصفت بعمليات الأنفال. تم تسويق هذه العمليات بتأثير سورة الأنفال في القرآن الكريم زوراً وبهتاناً، بهدف إيهام الحكومات والدول العربية والإسلامية بأن الشعب الكوردي ليس جزءاً من الإسلام.

-التركيز على عراقة الشعب الكوردي وعراقه تأريخه ولغته واعرافه والتأكيد على صلة القوية بالدين الإسلامي الحنيف أكثر من غيره من الشعوب.

-بيان الأحكام الفقهية التي تتعلق بنبذ انتهاكات حقوق الإنسان والإبادة الجماعية خصوصاً، وأن ما قام به الحكومات المتعاقبة في العراق ضد الشعب الكوردي المسلم المتماشح ينافي الشريعة الإسلامية تماماً.

أسباب اختيار الموضوع

فضلا عن الأهمية التي سبقت ذكرها، هناك عدة أسباب وراء اختيار الموضوع، منها:

- محاولة إبراز مظلومية الشعب الكوردي من بين شعوب المنطقة.
- قلة الدراسات العلمية الدقيقة الرصينة التي تعني بهذا الجانب الفقهي.
- رغبة الباحث بالكتابة في حقل الدراسات الفقهية المتعلقة بشعبه.

حدود البحث

في ضوء التحديد لموضوع البحث ودراسته يمكن تحديد الدراسة في الأبعاد الآتية:

- البعد الفقهي: يقتصر على الإبادة الجماعية في ضوء الشريعة الإسلامية.
- البعد الجغرافي والمكاني: يقتصر على كورد العراق، وبيان الإبادة الجماعية التي حدثت بحقهم.
- البعد الزمني: يقتصر على الفترة الزمنية الواقعة بين ١٩٥٠-٢٠١٨.

منهجية البحث

سلك الباحث لكتابة هذه الدراسة منهج الاستقراء التحليلي الوصفي بناءً على المحاور الآتية:

- استقراء مفاهيم ومصطلحات الدراسة.
- استخراج نصوص القتال من القرآن الكريم وآراء الفقهاء والمفسرين المشهورين القدامى والمعاصرين.
- استخراج حقوق المدنيين والأسرى والأقليات من بطون الكتب الفقهية المعتمدة .
- استظهار واستقراء أنواع الإبادة الجماعية ضد الكورد في العراق.

الدراسات السابقة

بعد البحث والنظر والعودة إلى المكتبات، ومراكز الأبحاث العلمية والمجلات والوثائق حول موضوع أطروحتي وجدت أن هناك دراسات قانونية، واجتماعية، وتاريخية، وأبحاث عن الإبادة الجماعية، ولكن لم يتطرق أية من هذه الدراسات إلى الإبادة الجماعية من منظور الفقه الإسلامي بحق كورد العراق، ومن تلك الدراسات والبحوث:

- ١- دراسة بعنوان (عمليات الأنفال في كوردستان العراق) وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في أصول الدين، مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الجنان في الجمهورية اللبنانية، لعلي نبي صالح دوسكي، فهذه الدراسة مختصة بالأنفال، كما تعرض من خلالها إلى موضوع دار الكفر والإسلام، وهي أخص من دراستي التي هي شاملة لعموم الإبادة الجماعية التي ارتكبت بحق الكورد في العراق.
- ٢- دراسة بعنوان (جريمة إبادة الجنس البشري - دراسة مقارنة تطبيقية - الحرب على غزة أمودجا) وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والقانون، مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، لمحمد جلول دواجي في سنة ٢٠١١، فهذه الدراسة تبحث عن جريمة الإبادة في الشريعة والقانون ويخص البحث بالإبادة في غزة، فدراستي تختلف عنها كونها عن الإبادة الجماعية بحق كورد العراق من منظور الفقه الإسلامي.

- ٣- دراسة بعنوان (الانحراف عن أحكام وقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية، الإبادة الجماعية أمودجاً) وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والقانون، مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء، لعبد المهدي جاسم محمد الخفاجي في سنة ٢٠١٦، فهذه الدراسة تبحث عن الانحراف والتطرف الديني وأثره في جرائم الإبادة الجماعية، فدراستي تختلف عنها كونها عن الإبادة الجماعية بحق كورد العراق من

منظور الفقه الإسلامي.

وهناك رسائل وكتب وبحوث كثيرة أخرى كتبت في هذا المجال واقتصرت على ما ذكرت مراعاة للاختصار.

الهيكل العام للبحث

الاكتفاء بذكر الفصول والمباحث ولا حاجة إلى عرض المطالب والمقاصد.

تتكون هذه الدراسة من مقدمة واربعة فصول وخاتمة.

وقد خصصت المقدمة لبيان اهداف البحث وأهميته وأسئلته والمنهج الذي سلكه البحث وذكر أهم دراسات السابقة.

أما الفصل الأول فقد خصص للتعريف بمفردات العنوان وأساسياته.

وذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإبادة الجماعية وأركانها وخصائصها.

وذلك في ثلاثة مطالب.

والمبحث الثاني: نشأة الإبادة الجماعية وتطورها

وذلك في ثلاثة مطالب.

والمبحث الثالث: دوافع الإبادة الجماعية وأساليبها.

وذلك في مطلبين

والمبحث الرابع: التعريف بالشعب الكوردي وعلاقته بالإسلام.

وذلك في خمسة مطالب.

وأما الفصل الثاني خصص للتعريف بالقتال وأهدافه والإبادة الجماعية في الفقه الإسلامي وطبيعة

المسؤولية الجنائية.

والمبحث الأول: تعريف القتال وتأصيله وأنواعه وأسبابه في الفقه الإسلامي.

وذلك في ثلاثة مطالب.

والمبحث الثاني: أهداف القتال وضوابطه وقواعده في الفقه الإسلامي.

وذلك في خمسة مطالب.

والمبحث الثالث: الإبادة الجماعية في الشريعة الإسلامية.

ذلك في ثلاثة مطالب.

والمبحث الرابع: طبيعة المسؤولية الجنائية عن جريمة الإبادة الجماعية.

وذلك في اربعة مطالب.

والفصل الثالث فقد خصص لصور الإبادة الجماعية وجريمة الإبادة الجماعية واستخدام الأسلحة الكيميائية وحملات الأنفال وإبادة الأيزيديين و المجازر المتفرقة في مدن الكوردية.

والمبحث الأول: صور الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد وأسبابها وبيان أصناف المرتكبين.
وذلك في ثلاثة مطالب.

والمبحث الثاني: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد الفيليين و البارزانيين
وذلك في مطلبين.

والمبحث الثالث: الإبادة الجماعية بالاسلح الكيمياوي في مدينة حلبجة.
وذلك في اربعة مطالب.

والمبحث الرابع: الإبادة الجماعية في حملات الأنفال.
وذلك في خمسة مطالب.

والمبحث الخامس: الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الأيزيديين.
وذلك في خمسة مطالب.

والمبحث السادس: المجازر المتفرقة في بعض المدن الكوردية.
وذلك في اربعة مطالب.

وقد خصص الفصل الرابع بالموقف الدولي والإقليمي والإسلامي حول القضية الكوردية.
والمبحث الأول: الموقف الدولي والإقليمي حول القضية الكوردية.

وذلك في مطلبين.

والمبحث الثاني: الموقف الإسلامي حول القضية الكوردية.
وذلك في ثلاثة مطالب.

والخاتمة وقد خصصت أهم الاستنتاجات والتوصيات.

وفهرس المصادر والمراجع.

ملخص البحث.

الفصل الأول: مقدمات في التعريف بمفردات العنوان وأساسيته

المبحث الأول: تعريف الإبادة الجماعية وأركانها وخصائصها

المبحث الثاني: نشأة الإبادة الجماعية وتطورها

المبحث الثالث: دوافع الإبادة الجماعية وأساليبها

المبحث الرابع: التعريف بالشعب الكوردي وعلاقته بالإسلام

الفصل الأول: مقدمات في التعريف بمفردات العنوان وأساسياته

في هذا الفصل، سنقوم بتقديم تعريف شامل لمفهوم الإبادة الجماعية، ونقدم أركانها وخصائصها. سنتناول أيضاً نشأة هذا المصطلح وتطوره عبر الزمن، مشيرين إلى السياق التاريخي الذي أدى إلى استحداث هذا المصطلح.

فضلاً عن ذلك، سنناقش دوافع الإبادة الجماعية والأساليب المستخدمة في تنفيذها. سنستعرض تحليلاً عميقاً للعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تسهم في حدوث الإبادة الجماعية. سنستعرض أيضاً معلومات حول الشعب الكوردي ونقدم لمحة عن علاقته بالإسلام، مع التركيز على الأحداث التاريخية والتفاعلات الثقافية التي شكلت هذه العلاقة على مر العصور.

المبحث الأول: تعريف الإبادة الجماعية وأركانها وخصائصها

تعتبر الإبادة الجماعية أحد أكثر الظواهر البشرية رعباً ووحشية، حيث تمثل تلك الجريمة البشرية البشعة محنة تاريخية تجتاح الضمائر وتهز القلوب. تعكس مفاهيم الإبادة الجماعية تجريم الإنسان للإنسان بأبشع صوره، وهي عملية تدمير همجي تستهدف فصيلاً أو مجتمعاً بأكمله استناداً إلى أسس عرقية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية.

سنستكشف في المبحث تفاصيل أكثر حول تعريف الإبادة الجماعية وأركانها وخصائصها، محاولين فهم جذور هذه الظاهرة الشنيعة والعوامل التي تدفع نحو حدوثها.

المطلب الأول: تعريف الإبادة الجماعية

تعريف الإبادة الجماعية

الإبادة الجماعية مركب وصفي مكون من الإبادة والجماعة، لذلك لا بد من تعريف اللفظين أولاً، ثم تعريف المصطلح المركب منهما:

أولاً: تعريف الإبادة :

مأخوذ من أبادَ يُبيد، أبادَ، إبادةً، فهو مُبيد، جمعه مبيدون، إبادة مفرد: مصدر أبادَ، وهو بمعنى أهلك أي: باد الشيء يُبيد بئداً ويباداً ويؤوداً ويؤودَةً انقطع وذهب. وبَادَ يَبِيدُ بَيْدًا إِذَا هَلَكَ. وبادت الشمسُ يُووداً : عَزَبَتْ. وأباده الله أي أهلكه^(١). وفي الحديث عن أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ يَقُولُ:

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ١/٣٢٥/المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت: ٤٥٨هـ، ت: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ٩/٤٠٦

((فإذا هم بديار باد أهلها وانقضوا وفنوا خاوية على عروشها))^(١) أي هلكوا وانقضوا. وفي حديث الحور العين: ((نحن الخالدات لا نبيد))^(٢) أي لا تهلك ولا نموت^(٣).

وهناك الفاظ مرادفة أو قريبة المعنى من لفظ الإبادة في اللغة العربية منها:

١- **الإهلاك**: الإبادة، أباده فباد، الأمم البائدة أي الهالكة^(٤) كما وردت في القرآن الكريم **قَالَ تَعَالَى:**

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]

أي: "تلك القرى من عاد، وثمود، وأصحاب الأيكة، أهلكتناهم لما ظلموا، فكفروا بآياتنا، وجعلنا لهلاكهم ميقاتاً، وأجلاً حين بلغوه جاءهم عذابنا فأهلكناهم به، وهكذا جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك الذين لا يؤمنون بك موعداً لهلاكهم، إذا جاء أهلكتناهم، كما هي سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من أضرابهم من سالفى الأمم، فليعتبروا بهم".^(٥)

٢- **الإزاحة**: "زاح الشيء يزح زحاً وهو زوال الشيء وتنحيه"^(٦).

٣- **الإزالة**: بمعنى هلك، كما يقولون زال الشخص: هلك، زال عن الوجود زال زواله: دعاء عليه

بالهلاك^(٧). وورد في القرآن الكريم مشتقات لها، **قَالَ تَعَالَى: ﴿...وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾** [إبراهيم: ٤٦] بمعنى: "اشتدّ مكرهم حتى زالت منه الجبال، أو كادت تزول منه"^(٨).

٤- **المحو**: مادة الميم والحاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الذهاب بالشيء، ومحى الريح

السحاب: ذهب به. وتسمى الشمال محوة، لأنها تمحو السحاب. ومحوت الكتاب أمحوه محواً. وامحى الشيء:

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٠٤)، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٩٤)، وابن الأثير (٩٢)، والهيثمي (١٠٥٤٦)، وقال الهيثمي:

رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ عَزَّ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْعَمِيَاءِ، وَهُوَ ثِقَّةٌ

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٦٤)، وأحمد في مسنده (١٣٤٢)، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩)، وقال الترمذي: هذا حديث

غريب

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٤٢/٧

(٤) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف

العثمانية-استنبول، ط: ٣، ١٩٦٧، ٢٣٧/١

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة-

بيروت، لبنان، ط: ١، ٢٠٠١، ٤١٩/١٦

(٦) معجم مقاييس اللغة: المصدر السابق، ٣٩/٣

(٧) ينظر: الإبانة في اللغة العربية: سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري، ت: د. عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي

والثقافة-مسقط، سلطنة عمان، ط ١، ١٩٩٩، ١٨٨/٣

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠،

ذهب أثره^(١).

٥- الاستئصال: استأصله بمعنى قلعه من أصله، استأصل الشجرة: اقتلعها من أصلها استأصل العلة: أزالها من الأساس - استأصل الله شأفتهم: أهلكهم وأزالهم من أصلهم^(٢).

٦- الإفناء: فني الشيء فناء أي: باد. وأفنى بعضهم بعضاً في الحرب، فني الشيء فناء، وأفناه غيره. وتفانوا، أي أفنى بعضهم بعضاً في الحرب^(٣).

٧- التهديم: مأخوذ من هدم يهدم، تهدمًا، هدم الحائط: هدمه، أسقطه بشدة، نقضه وخرّبه، الهدم: قلع المدر، يعني البيوت^(٤). قال تعالى: ﴿.. لَهْدِمَتَّ صَوْمِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوْتُ ..﴾ [الحج: ٤٠] معنى الآية: ولولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار، لفسدت وخربت الأرض ولهلكت بمن فيها^(٥).

٨- التدمير: دمر القوم يدمرون دماراً: هلكوا. ودمرهم الله، وفي التنزيل: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥] "وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ. وَرَجُلٌ دَامِرٌ: هَالِكٌ"^(٦).

ثانياً: تعريف الجماعة

الجماعة لغة: مأخوذة من مادة (جمع)، وهي تدور حول الجمع، والإجماع، والاجتماع، وهو ضد التفرق. ولفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين، من جمع المتفرق^(٧)، فإذا أردت جمع المتفرق، قلت:

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ٣٠٢/٥ / المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، ت: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي-بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦، ٨/٤

(٢) ينظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ١٨/١

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور، دار العلم، بيروت-لبنان، ط٤، ١٩٨٧، ٢٤٥٧/٦

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠١، ١٢٣/٦

(٥) ينظر: التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط٣، ٥١٩/٦

(٦) المحكم والمحيط الأعظم: المصدر السابق، ٣٢٦/٩

(٧) ينظر: المغرب: ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين، دار الكتب العربي بيروت-لبنان، ٨٩

جمعت القوم فهم مجموعون^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١١٣﴾ [هود: ١٠٣]

جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً، وجمعه وأجمعه فاجتمع، وكذلك تجتمع واستجمع. والمجموع: الذي جمع من هاهنا وهاهنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد. واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع. وجمعت الشيء إذا جئت به من هاهنا وهاهنا. وتجمع القوم: اجتمعوا أيضاً من هاهنا وهاهنا^(٢).

ثالثاً: تعريف الإبادة الجماعية

هي فكرة استئصال، وإبادة أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، أو جماعة من الجماعات، أو هي فكرة الطغاة والظالمين، التي يعد فرعون أول ما قام بها ابتداءً، حيث عمد إلى قتل كل مولود ذكر وذبحه، خشية أن يكون منهم من ينازعه و قتله، وقد حكى القرآن عن جريمة الإبادة الجماعية هذه في سورة القصص، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَدَّبْحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤]

وهذه النزعة الاستئنصالية التي تجنح ببعض عتاة الإجرام إلى ارتكاب جرائم إبادة جماعية في حق من يستضعفونهم، يرفضها الإسلام جملة وتفصيلاً ليس في البشر فحسب، بل حتى في الحيوانات أيضاً. فالإسلام لم يجز إبادة نوع أو أمة من العجماوات لسبب من الأسباب، وقال في ذلك رسول الإسلام - ﷺ -: ((لولا أن الكلاب أمة من الأمم، لأمرتُ بقتلها))^(٣). فلم يأمر بإبادتها وتخليص الناس من أذاها، ولكنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى الأمر نظرة أعمق، فرأى أن هذه الكلاب - بتعبير القرآن - (أمة) لها خصائصها وصفاتها التي ميّزتها عن غيرها من الأجناس التي خلقها الله، وإنما خلقها لحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

تعريف الإبادة الجماعية في الفقه الإسلامي

لم نطلع على تعريف واضح وبين للإبادة الجماعية لدى الفقهاء المتقدمين والمعاصرين، وربما يعود ذلك إلى وضوح المعنى أو التركيز على معناها اللغوي فحسب.

(١) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت، ٦٨١/١

(٢) المصدر نفسه، ٦٧٨/١

(٣) أخرجه ابو داود في سننه (٢٨٤٥)، واحمد في مسنده (١٦٧٨٨)، والترمذي في سننه (١٤٨٦)، وابن ماجه في سننه (٣٢٠٥)،

وقال الترمذي: هذا حديث حسن

مع ذلك هناك تعريفات للإبادة الجماعية في القواميس ودوائر المعارف ونصوص الإتفاقيات الدولية منها:

الإبادة الجماعية، هي "ما تتضمنه من معاني القتل والتدمير لجماعة معينة من الناس، كل ذنبهم أنهم ينتمون لدين معين، أو لعرق معين لن تجد حكماً واحداً في شرع الله يجيزها"^(١).

الإبادة الجماعية، هي "إن كل من يشترك أو يتآمر للقضاء على جماعة وطنية بسبب يتعلق بالجنس أو اللغة أو الدين أو يعمل على اخفائها، أو يتعدى على حياة أو حرية أو ملكية أعضاء الجماعة يعد مرتكباً لجريمة إبادة الجنس"^(٢).

وقد ورد تعريف آخر. "الإبادة الجماعية تعبير يُقصد به قيام جماعات منظّمة عادةً ما تكون حكومات وليست أفراداً بإبادة طائفة أو جماعة ما"^(٣).

إن هذين التعريفين ليس جامعين ولا مانعين، لأن كل شكل من أشكال الإبادة الجماعية يعد جريمة في الفقه الإسلامي، لأنه فيه نقصاً من حيث محتواه ومضمونه الفقهي أو الشرعي، ولذلك سنعرفها تعريفاً جامعاً ومانعاً بحسب اجتهادنا إن شاء الله.

يمكننا أن نقول في تعريفها:

هي القيام باستئصال أمة أو شعب أو طائفة أو مجموعة من الناس المحرم شرعاً بسبب اختلافهم في الدين أو المذهب أو السياسة أو العرق أو الرأي أو الجنس أو الإثنية، وتدمير بلدانهم وتهجيرهم منها.

تعريف الإبادة الجماعية في القوانين:

تمهيد

منذ النشأة الأولى للبشرية إلى يومنا هذا، شهد التاريخ وقوع إبادات جماعية لملايين الأرواح عمداً على يد جهات رسمية وغير رسمية مما تسيطر على حياة الناس ويتحكم بمصائرهم. هذه الجهات قد تكون حكومات، أو جماعات منظمة، أو سلطات محلية، والقتل الجماعي عادةً يرجع دوافعه لأسباب عدة، مثل العنصرية، أو الطائفية الدينية والمذهبية، أو القومية. أحياناً ويحدث هذا النوع من الجرائم بسبب اختلاف الأفراد المجرمين مع المجني عليهم، ورغبتهم في إزالة المجني عليهم من البيئة الاجتماعية نفسها التي يعيشون فيها داخل الدولة أو المنطقة. يُعزى هذا السلوك التدميري إما لاعتقاد المجرمين بوجود تهديد مباشر للنظام الحاكم الذي يديرونه،

(١) وكالة عمون الإخبارية: د. خالد رمزي الزبيعة، عنوان المقالة: إبادة الجنس البشري في ميزان الشريعة الإسلامية، ١٥ تأريخ الوضع: ٢٠١١/٣/١٨/تأريخ المراجعة ٢٠٢١/٢/٣

(٢) القضاء الجنائي الدولي: عبد القادر صابر جواده، دار النهضة، ٢٠٠٥، ص

(٣) الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ط٢، ١٩٩٩، ١/٤

أو لتفاقم مشاعر العداوة التي تثير مثل هذه الشكوك وتجعلهم يتبنون هذا النوع من الأفعال الدموية. يعد القرن العشرين فترة حاسمة لتحديد مفهوم الجينوسايد، حيث تختلف أصول هذا المفهوم من النواحي القانونية واللغوية والاجتماعية والإنسانية، ولكنها جميعها تتعامل مع فكرة التدمير الجماعي والقصد في تحقيقه. وعموماً، يعرف الجينوسايد من الناحية القانونية على أنه القتل والإيذاء الجسدي والنفسي المتعمد لإحدى المجموعات المستهدفة، وهو ما جاء محددًا في المادة الثانية من الاتفاقية الدولية لمنع جريمة الجينوسايد ومعاقبة مرتكبيها.

إن تعريف الجينوسايد قد أثار الكثير من الجدل والنقاش بين الباحثين والمختصين في القانون الدولي والسياسة الدولية. وقد تعرض هذا التعريف للعديد من الانتقادات من قِبَل علماء الاجتماع، والمختصين النفسيين، والمهتمين بالتاريخ. يهدف هؤلاء النقاد إلى إثراء التعريف وجعله أكثر شمولاً ليشمل المجموعات الأخرى التي قد تكون مستهدفة، ومن بين التعريفات المطروحة، سنختار ونستعرض التعريف الذي يتماشى مع نص الاتفاقية الدولية لمنع جريمة الجينوسايد. وهكذا يُصاغ التعريف كالآتي:

تعريف جريمة الجينوسايد في الإتفاقيات الدولية.

١- الإبادة الجماعية في المادة الثانية من اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لعام ١٩٤٨ إذ تُعرّف الإبادة الجماعية بأنها: "هي المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية، بصفتها هذه: أ- قتل أفراد الجماعة.

ب- إلحاق ضرر جسدي أو عقلي جسيم بأفراد الجماعة.

ت- إخضاع الجماعة عمداً لأحوال معيشية يقصد بها إهلاكها كلياً أو جزئياً.

ث- فرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة.

ج- نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى".

فهذا التعريف يعد تعريفاً مستقراً للإبادة منذ عقود خمسة أو يزيد، أي منذ اعتماد اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها (١٩٤٨)^(١).

٢- وتعرف المادة (٦)^(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام ١٩٩٨ الإبادة الجماعية أيضاً بالألفاظ نفسها التي جاءت بها اتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها على الرغم من مرور زمن طويل بين الاتفاقيتين.

(١) اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها: الأمم المتحدة، عام: ١٩٤٨، المادة: الثانية

(٢) النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام ١٩٩٨: الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة الدبلوماسي للمؤلفين المعني بإنشاء محكمة جنائية دولية، روما - إيطاليا، ١٧ تموز ١٩٩٨

المطلب الثاني: التطور التاريخي لمصطلح (الإبادة الجماعية)

فيما يأتي جدول زمني يوضح مراحل التقدم الكبير في تطور مصطلح "الإبادة الجماعية"، والذي يهدف إلى إيضاح أنه كيف أصبح المصطلح جزءاً من المعجم السياسي والقانوني والأخلاقي للتصدي للتهديدات الواسع انتشارها للعنف ضد المجموعات البشرية. في هذا الجدول تسليط الضوء على التواريخ ذات الأهمية لتطور هذا المصطلح، والجهات التي لها دور في تحديد هذا النهج وتعزيزه.

رافائيل ليمكين يُعتبر مبتكراً وصائغاً لمصطلح "الإبادة الجماعية".

"ولد رافائيل ليمكين، والذي صاغ فيما بعد مصطلح "الإبادة الجماعية"، في أسرة بولندية يهودية عام ١٩٠٠. وتشير مذكراته إلى أن التعرض لتأريخ الهجمات العثمانية ضد الأرمن (والتي تمثل في نظر الكثير من العلماء إبادة جماعية) والبرامج المضادة للسامية وحالات العنف ضد المجموعات، في المراحل المبكرة من حياته مما ساهم في تشكيل معتقداته حول الحاجة إلى الحماية القانونية للمجموعات"^(١).

١٩٣٣: صعود أدولف هتلر

"كان تولى أدولف هتلر لمنصب مستشار ألمانيا في ٣٠ يناير ١٩٣٣ إيذاناً بسيطرة الحزب النازي على مقاليد الحكم في ألمانيا. وفي أكتوبر من العام نفسه، انسحبت الوفود الألمانية من مباحثات نزع السلاح في جنيف وأعقب ذلك انسحاب ألمانيا النازية من عصبة الأمم المتحدة. وفي أكتوبر/تشرين الأول، وفي مؤتمر القانون الدولي بمديرد، اقترح رافائيل ليمكين (الذي صاغ مصطلح "الإبادة الجماعية" فيما بعد) تدابير قانونية لحماية المجموعات، غير أن اقتراحه لم يجد الدعم"^(٢).

١٩٣٩: الحرب العالمية الثانية

"نشبت الحرب العالمية الثانية في ١ سبتمبر ١٩٣٩ إثر قيام ألمانيا بغزو بولندا مؤدية إلى إعلان كل من إنجلترا وفرنسا بموجب معاهدة بينهما الحرب على ألمانيا. وفي ١٧ سبتمبر من عام ١٩٣٩، احتل الجيش السوفيتي النصف الشرقي من بولندا. فر ليمكين من بولندا عبر الاتحاد السوفيتي ليصل أخيراً إلى الولايات المتحدة"^(٣).

١٩٤١: جريمة بلا اسم

"في ٢٢ يونيو من عام ١٩٤١ غزت ألمانيا النازية الاتحاد السوفيتي. ومع تقدم القوات الألمانية باتجاه الشرق، نفذت القوات العسكرية والبوليس والقوات الخاصة أعمالاً وحشية دفعت رئيس الوزراء البريطاني في

(١) موقع مناطق نيت: ابادات جماعية للكاتب الهندي كليم (تجريبي)، تأريخ الوضع: يوليو ١٧، ٢٠١٧، تأريخ المراجعة ٢٧/٥/٢٠٢١

(٢) موقع evrybodywikiK: رافائيل ليمكين، ٢٢ تأريخ الوضع: ٦/٦/٢٠٢٠، تأريخ المراجعة ٢٨/٥/٢٠٢١

(٣) موسوعة الهولوكوست: مصطلح "الإبادة الجماعية"، تأريخ المراجعة: ١٠/٦/٢٠٢١

ذلك الوقت، (ونستون تشرشل)، إلى أن يصرح في أغسطس ١٩٤١ قائلاً: "نحن أمام جريمة لا أجد لها تسمية". وفي ديسمبر ١٩٤١، دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء. وقد سمع ليكنين الذي وصل في عام ١٩٤١ إلى الولايات المتحدة كلاجئ حديث تشرشل، وقال فيما بعد أن إدخاله لكلمة "إبادة جماعية" كان في جزء منه مدفوعاً بمقولة تشرشل^(١).

١٩٤٤: صياغة مصطلح الإبادة الجماعية

"لجأت القيادة النازية إلى مجموعة من السياسات المتعلقة بالكثافة السكانية والتي كانت تهدف إلى إعادة بناء التكوين العرقي لأوروبا بالقوة، وذلك باستخدام القتل الجماعي كأداة. وقد شملت هذه السياسات والتي من بينها القتل الجماعي محاولة قتل كافة اليهود الأوروبيين، وهو ما يشار إليه الآن بالهولوكوست، ومحاولة قتل غالبية العجر (روما) من سكان أوروبا، ومحاولة التصفية الجسدية للطبقات القيادية في بولندا والاتحاد السوفيتي السابق. كما تضمنت هذه السياسات العديد من سياسات إعادة التوطين محدودة النطاق، والتي اشتملت على الاستخدام الوحشي للقوة والقتل اللذين ينظر إليهما الآن كشكلين من أشكال التطهير العرقي. في عام ١٩٤٤، صاغ رافائيل ليكنين، والذي كان قد انتقل إلى واشنطن العاصمة وعمل مع وزارة الدفاع الأمريكية، مصطلح "الإبادة الجماعية" في مؤلفه حكم المحور في أوروبا المحتلة وقد سجل هذا المؤلف صور التدمير والاحتلال عبر المناطق التي استولت عليها ألمانيا"^(٢).

١٩٤٥-١٩٤٦: المحكمة العسكرية الدولية

قامت المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ في الفترة ما بين ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ و ١ أكتوبر ١٩٤٦ بمحاكمة ٢٢ من كبار القادة الألمان النازيين بتهمة الجرائم ضد السلام، وجرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، والتآمر لارتكاب كل واحدة من هذه الجرائم. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تُستخدم فيها المحاكم الدولية كآلية لما بعد الحرب تعمل على إحضار القادة الوطنيين أمام العدالة. وقد كانت كلمة "إبادة جماعية" ضمن عريضة الاتهام، لكنها كانت مصطلحاً وصفيًا وليس قانونيًا^(٣).

(١) موقع أرابيكا الموسوعة الحرة: الحرب العالمية الثانية: عبد العزيز الوفي، تأريخ الوضع: ٢٤ أغسطس ٢٠٢٠، تأريخ المراجعة:

٢٠٢١/٦/١٣

(٢) موقع BBC عربي: من استحدث مصطلح "الإبادة الجماعية" ومتى؟ تأريخ الوضع: ٢٥ أبريل/ نيسان ٢٠١٩، تأريخ المراجعة:

٢٠٢١/٦/١٣

(٣) موقع العربية: نورمبرغ، تعرّف على أكبر محاكمات في التاريخ: يورونيوز مع أ ف ب هولندا، تأريخ الوضع: ٢٠٢٠/١١/٩، تأريخ

المراجعة: ٢٠٢١/٦/١٥

١٩٤٧-١٩٤٨: إنشاء اتفاقية دولية حول الإبادة الجماعية

"كان لرافائيل ليماكين تأثيراً كبيراً في إدخال مصطلح "الإبادة الجماعية" أمام منظمة الأمم المتحدة المنشأة حديثاً في ذلك الوقت، حيث كانت الوفود من أرجاء العالم تناقش مصطلحات لقانون دولي حول الإبادة الجماعية. وفي ٨ ديسمبر ١٩٤٨، تم تبني النص النهائي بالإجماع. وقد أصبحت اتفاقية الأمم المتحدة بشأن منع الإبادة الجماعية ومعاقبة مرتكبيها سارية المفعول في ١٢ يناير ١٩٥١، بعد تصديق أكثر من ٢٠ بلداً حول العالم عليها"^(١).

١٩٤٥-١٩٩١: الحرب الباردة

"كانت الجرائم الشاملة ضد السكان المدنيين شائعة على نطاق واسع في الأعوام التي تلت الحرب العالمية الثانية وخلال الحرب الباردة. ونادراً ما كان يتم التطرق من قبل البلدان التي تعهدت بمنع هذه الجريمة ومعاقبتها من خلال انضمامها إلى اتفاقية الإبادة الجماعية إذا كانت هذه الجرائم تمثل إبادة جماعية"^(٢).

١٩٨٨: الولايات المتحدة الأمريكية توقع على اتفاقية الإبادة الجماعية

"في ٥ نوفمبر من عام ١٩٨٨، وقّع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان على اتفاقية الأمم المتحدة بشأن منع الإبادة الجماعية ومعاقبة مرتكبيها. وكان هناك معارضون لهذه الاتفاقية بزعم أنها تنتهك السيادة الوطنية الأمريكية كما كان لها مؤيدوها. وكان السيناتور وليام بروكسمير من ويسكونسن من المؤيدين للاتفاقية بشدة وقد ألقى ما يزيد على ٣,٠٠٠ خطاباً مناصراً للاتفاقية في الكونغرس في الفترة ١٩٦٨-١٩٨٧"^(٣).

١٩٩١-١٩٩٥: حروب يوغسلافيا السابقة

"اتسمت حروب يوغسلافيا السابقة بجرائم الحرب الشاملة وجرائم ضد الإنسانية. وقد أدى الصراع في البوسنة (١٩٩٢-١٩٩٥) إلى نشوب أعنف المعارك وأسوأ المذابح في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية. ففي إحدى المدن الصغيرة، (سيربيرنيتشا)، قتل ٧,٨٠٠ من الرجال والشباب البوسنيين على يد القوات الصربية"^(٤).

(١) موقع صحيفة الوقائع: الملاحقة القضائية لمرتكبي الإبادة الجماعية المحكمة الجنائية الدولية، تأريخ الوضع: ١/٣/٢٠٠٠، ١

(٢) الحرب الباردة دراسة تاريخية للعلاقات الأمريكية السوفيتية: الدكتورة ايناس سعدي عبدالله، العراق-بغداد، : اشورباغبال للكتاب، ط١، ٢٠١٥، ٣٩

(٣) موقع الجزيرة: محاكمة مجرمي الحروب العربية: حسناء القنغير، تأريخ الوضع: ٢٩ مايو ٢٠١٦م، تأريخ المراجعة: ٢٠٢١/٦/١٩

(٤) موقع العربي الجديد: يوغسلافيا السابقة... من جمهوريات المجازر إلى عهد العدالة: بيار عقيقي، تأريخ الوضع: ديسمبر ٢٠١٧، تأريخ المراجعة: ٢٠٢١/٦/٢٠

١٩٩٣: القرار ٨٢٧

"ردًا على الأعمال الوحشية التي ارتكبت في البوسنة، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم ٨٢٧، والذي يقضي بإنشاء المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة (ICTY) في لاهاي. وكانت هذه هي أول محكمة جنائية دولية منذ محكمة نورمبرج. والجرائم التي يمكن للمحكمة نظرها والبتّ فيها هي: الانتهاكات الخطيرة لاتفاقيات جنيف ١٩٤٩، وانتهاكات قوانين وأعراف الحرب، والإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية. ويقتصر نطاق سلطة الاختصاص القضائي لدى هذه المحكمة على الجرائم التي ارتكبت في منطقة يوغسلافيا السابقة"^(١).

١٩٩٤: الإبادة الجماعية في رواندا

"فيما بين أبريل ويوليو، قتل ما يصل إلى ٨٠٠,٠٠٠ شخصاً أغلبهم ينتمون إلى مجموعة التوتسي التي تمثل جماعة مسلحة هي أقلية في رواندا. لقد كان القتل يتم على مستوى ونطاق مدمرين وسرعة رهيبية. وفي أكتوبر، مدد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة تفويض المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة ليتضمن محكمة منفصلة لرواندا ذات صلة بالأمر نفسه، ألا وهي المحكمة الجنائية الدولية لرواندا (ICTR) في أروشا، تنزانيا"^(٢).

١٩٩٨: أول حكم إدانة بالإبادة الجماعية

"في ٢ سبتمبر من عام ١٩٩٨، أصدرت المحكمة الجنائية الدولية لرواندا أول حكم إدانة بالإبادة الجماعية في العالم يصدر عن محكمة دولية عندما توصلت المحكمة إلى أن جان بول أكاسيو يعد مذنباً بالإبادة الجماعية وجرائم ضد الإنسانية عن الأعمال التي شارك فيها وأشرف عليها كعمدة لبلدة تابا في رواندا. وعلى الرغم من أن هذه المحاكمات وإلى جانب المحكمة الجنائية الدولية الناشئة تساعد في إنشاء سوابق قانونية والتحقيق في القضايا التي تقع ضمن سلطة الاختصاص القضائي لها، إلا أن معاقبة مرتكبي الإبادة الجماعية تبقى مهمة صعبة. وربما الأصعب من ذلك هو التحدي المستمر المتمثل في منع الإبادة الجماعية"^(٣).

(١) الأمم المتحدة مجلس الأمن: القرار ٨٢٧، السنة ١٩٩٣، الذي اتخذته مجلس الأمن في جلسته ٣٢١٧، المعقودة في ٢٥ أيار/مايو ١٩٩٣

(٢) صراع القبائل والإبادة الجماعية روندا نموذجاً، مجلة -جامعة دهاوك- لعدد، ١، المجلد ٢٤ تاريخ القبول بالنشر: ١٠ كانون الثاني، ٢٠٢١، ٥

(٣) دور المحاكم الجنائية في تجديد الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها: زياد أحمد محمد العبادي، رسالة الماجستير في كلية الحقوق، جامعة شرق الأوسط، ٢٠١٦، ١١١

٢٠٠٤: الإبادة الجماعية في دارفور

"للمرة الأولى في تأريخ حكومة الولايات المتحدة، يشار إلى أزمة راهنة بأنها "إبادة جماعية". ففي ٩ سبتمبر ٢٠٠٤، أدلى وزير الخارجية الأمريكي كولين باول بشهادته أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ حول الوضع في دارفور قائلاً "لقد انتهينا - انتهيت - إلى أنه تم ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية في دارفور وأن حكومة السودان وجماعة الجنجويد يتحملون المسؤولية - وأن الإبادة الجماعية قد لا تزال مستمرة" فقد قام مجلس الأمن بإحالة ملف إقليم دارفور السوداني إلى المحكمة الجنائية الدولية بموجب القرار رقم (١٥٩٣) (١).

١٧ مارس ٢٠١٦ الإبادة الجماعية في العراق وسوريا

"أعلن وزير الخارجية الأميركية جون كيري أن الدولة الإسلامية (داعش) ارتكبت جرائم الإبادة الجماعية ضد اليزيديين والمسيحيين والسكان المسلمين الشيعيين في المناطق الخاضعة لسيطرتها في أنحاء سوريا والعراق جميعها. وهذه هي المرة الأولى منذ أكثر من عقد تعلن الولايات المتحدة أن (داعش) ارتكبت إبادة جماعية. فقد صرح الوزير كيري أن الدولة الإسلامية ارتكبت جرائم ضد الإنسانية والتطهير العرقي ضد هذه المجموعات نفسها، وكذلك في بعض الحالات ضد المسلمين من السنة والكورد والأقليات الأخرى" (٢).

المطلب الثالث: أركان جريمة الإبادة الجماعية

تعد الجرائم الدولية المتعلقة بالجنس البشري من أشدّ الجرائم خطورة ضد البشر، لأنها تنطوي على مساس بحياة أشخاص أو مجموعة من الإنسان أو بحريتهم أو حقوقهم أو آدميتهم، وتشكل تلك الجرائم في مجموعها ما يطلق عليه الجرائم ضد الإنسانية.

إن جريمة الإبادة الجماعية لها ثلاثة أركان، الركن المادي و الركن المعنوي و الركن الدولي، أما جرائم الإبادة الجماعية فهي إحدى صور الجرائم ضد الإنسانية، وبعد إقرار اتفاقية الأمم المتحدة للإبادة الجماعية عام ١٩٤٨ استقلت هذه الجريمة بأركانها الواجب توفرها، وقد أشار إليها النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية من بين الجرائم التي تختص المحكمة النظر فيها بعد أن تم تعريف جريمة الإبادة الجماعية. نستعرض أركان هذه الجريمة

(١) جريمة الإبادة الجماعية أمام محكمة الجنائية الدولية، صلاح سعود الرقاد، بحث منشو في مجلة منار، مجلد ٢١، العدد ٤، السنة ٢٠١٥

(٢) موسوعة الهولوكوست: الجدول الزمني لتطور مصطلح "الإبادة الجماعية"، تأريخ المراجعة: ٢٠٢١/٦/١٥

أركان جريمة الإبادة الجماعية

الأول: الركن المادي

يقصد بالركن المادي لجريمة إبادة الجنس البشري إقدام مرتكب هذه الجريمة على إتيان أحد الأفعال التي نصت عليها المادة الثانية من اتفاقية منع جريمة إبادة الجنس البشري أو المادة السادسة من نظام روما الأساسي وهي كالاتي:

١- قتل أفراد أو أعضاء الجماعة.

أي "قتل عدد معين من الجماعة وليس فرداً واحداً منها، وكذلك أن تستوي الإبادة جماعية أو جزئية، كما يستوي كذلك وقوع الفعل بصفة إيجابية أو سلبية"^(١).

٢- إلحاق أذى أو ضرر جسدي أو عقلي خطير أو جسيم بأعضاء الجماعة.

"أحكام هذه الفقرة تصف لنا الصورة الثانية لجريمة الإبادة الجماعية الجسدية، وتشمل نوعين من الضرر يمكن أن يلحقا بالفرد، وهما الضرر البدني الذي ينطوي على نوع من أنواع الإصابات البدنية، والضرر العقلي الذي ينطوي نوعاً من أنواع إعاقة القدرات العقلية"^(٢).

٣- إخضاع الجماعة عمداً لأحوال معيشية يقصد بها إهلاكها كلياً أو جزئياً.

أ- أن يفرض مرتكب الجريمة أحوالاً معيشية معينة على شخص أو أكثر.

ب- أن يكون الشخص أو الأشخاص منتمين إلى جماعة قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية معينة.

ت- أن ينوي مرتكب الجريمة إهلاك تلك الجماعة القومية أو الإثنية أو العرقية أو الدينية، كلياً أو جزئياً، بصفتها تلك.

ث - أن يُقصد بالأحوال المعيشية الإهلاك المادي لتلك الجماعة، كلياً أو جزئياً.

ج - أن يصدر هذا السلوك في سياق نمط سلوك مماثل واضح موجه ضد تلك الجماعة أو يكون من شأن السلوك أن يحدث بحد ذاته ذلك الإهلاك"^(٣).

والمثال على ذلك الإقامة في مكان خال من كل سبل الحياة حيث لا زرع ولا ماء، كمنطقة نكره سلمان في جنوب العراق أو في ظل ظروف مناخية قاسية تجلب الأمراض دون تقديم سبل للحياة"^(٤).

٤- فرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة.

(١) العدالة الجنائية الدولية: عبد القادر البقيرات، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-٢٠٠٥، ١٥٠.

(٢) تقرير لجنة القانون الدولي: الأمم المتحدة، سنة ١٩٩٦- دورتها-٤٨، ٧٤.

(٣) ينظر: المحكمة الجنائية الدولية أركان الجرائم: مكتبة حقوق الإنسان- جامعة منيوستا-نيويورك ٢٠٠٢.

(٤) ينظر: جرائم الإبادة الجماعية: أ.د.م.د. زياد ربيع، دراسات الدولية-العدد التاسع والخمسون، ١٠٥.

منع أو إعاقة النسل داخل الجماعة، أو فصل أبنائها عنها، يكون ذلك من خلال فرض تدابير ترمي إلى منع أو إعاقة النسل داخل الجماعة، أو نقل أطفالها أو صغارها قسراً وعنوة عن جماعتهم إلى جماعة أخرى كفرض تدابير ترمي إلى منع أو إعاقة النسل داخل الجماعة، وينطوي هذا الفعل على إبادة "بيولوجية". إذ يترتب عليه تحقيق فعل الإبادة البطيئة والتدرجية لأعضاء الجماعة بسبب منعها من التناسل والتكاثر والتوالد بين أعضائها مما يؤدي إلى حرمانها من التزايد والنمو والاستمرار، من خلال إخصاء الرجال أو تعقيم النساء بعقاقير تفقدن القدرة على الحمل والإنجاب، أو إكراههن على الإجهاض إذا ما وقع الحمل، أو استخدام طرق أو وسائل تقضي على خصوبة الذكور^(١).

٥- نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى.

ونقل أطفال أو صغار الجماعة قهراً وعنوة من جماعتهم إلى جماعة أخرى، وينطوي هذا الفعل على نوع من الإبادة الثقافية، والذي لا يقل جسامة عن مثيلاتها، إذ يمثل هؤلاء الصغار مستقبل الجماعة الثقافي واستمرارها الاجتماعي، وعليه فإن نقلهم إلى الجماعة المعادية من شأنه وقف الاستمرار الثقافي والاجتماعي لتلك الجماعة وتعريضها للانقراض^(٢).

الثاني: الركن المعنوي

يتخذ الركن المعنوي لجرمة الإبادة الجماعية صورة القصد الجنائي، إذ لا يختلف مفهوم القصد الجنائي في القانون الدولي عنه في القوانين الوطنية، إذ إنه يتكون من عنصرين العلم والإرادة، إلا أنه لا يكفي ويبقى مستنداً على القصد الخاص هو قصد الإبادة: أي التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة ذات عقيدة معينة دون غيرها، وعليه فالقتل الجماعي لا يعد جريمة إبادة إلا إذا كان بدافع عرقي أو ديني أو سياسي أو عنصري أو ثقافي أو بسبب الجنسية، وهذا ما يجعل القول قصداً جنائياً خاصاً، إذ أن الجاني لا يرتكب الجريمة لحسابه الخاص بل من توجيه سلطات الدولة، وإذا تأملنا في هذه الأفعال التي تعد جريمة إبادة الجنس البشري نجد أن جميعها ترتكب عن قصد وعمداً وبالتالي لا تعد ارتكابه على أساس الخطأ^(٣).

ويتمثل الركن المعنوي ضد الإنسانية في ذلك الجانب الشخصي، أو النفسي للجريمة، أي: لا تقوم هذه الأخيرة بمجرد حدوث الواقعة المادية، بل لابد من أن تصدر هذه الواقعة عن إرادة فاعلها، وترتبط به ارتباطاً

(١) ينظر: جريمة الإبادة الجماعية أمام المحكمة الجنائية الدولية إقليم دارفور أنموذجاً: صلاح صعود الرقاد، سودان-خرطوم، ٢٠١٥،

١٥

(٢) المصدر نفسه: ١٦

(٣) ينظر: مفهوم الجرائم ضد الإنسانية على ضوء القانون الدولي الجنائي و القوانين الوطنية: عبد القادر البقيرات، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، ٢٠١١، ٧٤ - ٧٥

معنوياً.

إذن فالركن المعنوي قوامه علاقة نفسية ترتبط بين ماديات الجريمة وشخصية الجاني وجوهر هذه العلاقة هي الإرادة، وبذلك يتخذ الركن المعنوي في الجرائم ضد الإنسانية في صورة القصد الجنائي، وهذا ما أكدته المادة (٣٠) من الفقرة (١) من نظام روما التي ركزت على عنصرين هما:

١ - عنصر الإرادة: "يعني أن يقصد هذا الشخص فيما يتعلق بسلوكه ارتكاب هذا السلوك.

٢ - عنصر العلم: يتطلب القانون الجنائي الداخلي وجوب علم الجاني بالوقائع الإجرامية لقيام القصد الجنائي" (١).

الثالث: الركن الدولي لجريمة الإبادة الجماعية

يقصد بالركن الدولي في جريمة الإبادة الجماعية ارتكاب هذه الجريمة بناءً على خطة مرسومة من الدولة ينفذها المسؤولون الكبار فيها، أو تشجيع على تنفيذها من قبل الأفراد العاديين ضد مجموعة أو جماعة يربط بين أفرادها روابط قومية إثنية أو عرقية أو دينية.

لذلك يمكن أن يرتكب هذه الجريمة طبقة الحكام والقادة والمسؤولين الكبار في الدولة، أو طبقة الموظفين العاديين أو طبقة الأفراد العاديين متى كان ذلك بتشجيع أو قبول من الدولة يعبر عنه الحكام، والمسؤولون الكبار بطبيعة الحال، وهذا يعني أنه لا يشترط صفة معينة في الجاني فلا يشترط مثلاً أن يكون من كبار القادة، أو المسؤولين، كما لا يشترط أن يكون المجني عليهم تابعين لدولة أخرى، إذ تقع الجريمة سواء كان المجني عليهم تابعين لدولة أخرى، أم تابعين لذات الدولة، وتمثل الحالة الأخيرة استثناءً على المفهوم الضيق للركن الدولي، وقد صادفنا هذا الاستثناء عندما تعرضنا للجريمة ضد الإنسانية كما يستوي أيضاً أن تقع الجريمة في زمن الحرب أو في زمن السلم (٢).

المطلب الرابع: خصائص الإبادة الجماعية

إنَّ خصائص الجريمة الدولية ومعرفتها يساعد ويقلل من صعوبة التعريف لها.

إنَّ الجريمة الدولية تتميز بعدة خصائص تعود في مجملها لطبيعة القانون الدولي، من حيث كونه حديث النشأة، وعليه فإنَّ الجريمة تتسم بأن ركنها الشرعي مستمد من العرف الدولي، إذ إنه لا يمكن أن يُستدل عليه في النصوص المكتوبة كما هو الوضع في القوانين العقابية الداخلية، وبسبب ذلك فهناك صعوبة كبيرة في التعرف على الجريمة الدولية، ومن هنا نادى فقهاء القانون الدولي بوجوب عودة الباحثين إلى القواعد التي يقوم

(١) نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية: المعتمد في روما في ١٧ تموز/ يولييه ١٩٩٨، المادة ٣٠، الفقرة ١

(٢) ينظر: القانون الدولي الجنائي - أهم الجرائم الدولية، المحاكم الدولية الجنائية: علي عبد القادر القهوجي، ط ١، منشورات الحلبي

الحقوقية، لبنان، ٢٠٠١، ١٣٨

عليها العرف الدولي مثل قواعد العدالة والأخلاق.

كما ويلزم الجريمة الدولية مبدأ عالمية حق العقاب، بمعنى أن لكل دولة الحق في عقاب مرتكبها دون النظر إلى جنسيته أو إلى مكان ارتكابه للجريمة، وظل هذا الاختصاص ممنوحاً للدول لحين إنشاء المحكمة الجنائية الدولية الدائمة.

يلزم الجريمة الدولية مبدأ عدم تقادم العقوبات الخاصة بها، إذ أقرت الأمم المتحدة في الاتفاقية الخاصة بعدم قابلية جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية للتقادم لعام ١٩٦٨ هذا المبدأ في مادتها الأولى أياً كان تاريخ ارتكاب هذه الجرائم، ومن الغريب في هذه الاتفاقية أنها لم تتضمن النص على الجرائم ضد السلام، على الرغم من أن ديباجتها قد نصت على كفالة حفظ السلم والأمن الدوليين، وهذا تناقض تجنبته كل المواثيق الدولية الأخرى كلها مما جعلت هذه الجرائم دوليةً حددت السلم والأمن الدوليين^(١).

من خصائص جريمة الإبادة الجماعية ما يأتي:

- ١ - إنها جريمة تتطور بتطور إنتاج الأسلحة ذات التدمير الشامل.
- ٢ - إنها جريمة تتسع يوماً بعد يوم بسبب انتشار الحروب الأهلية في العديد من الدول.
- ٣ - تعمل الدول الغنية على تزويد العصابات الإرهابية بالأموال والأسلحة لارتكاب جرائم الإبادة.
- ٤ - لم تتمكن المحكمة الجنائية الدولية من الحد من هذه الجرائم بسبب تسييس هذه المحكمة^(٢).
- ٥ - إنها جريمة ترتكب بحق جماعة أو مجموعة من الناس أو أقلية دينية أو عرقية.
- ٦ - إنها جريمة منظمة قبل الإرتكاب.
- ٧ - إنها جريمة ترتكب بدوافع سياسية أو دينية أو اجتماعية.
- ٨ - إن من أهم خصائص الجريمة الدولية هو حق الدول جميعها بمعاينة مرتكب الجريمة الدولية دون التقيد بالاختصاص الشخصي أو الإقليمي للدولة، أي: أن من حق أي دولة معاقبة الفرد دون النظر إلى جنسيته أو مكان ارتكابه جريمته في حالة انه ثبت ارتكابه جريمة دولية لا ترغب الدولة التي وقعت على إقليمها هذه الجريمة بمقاضاته، أو تتعمد عدم مقاضاته، أو عدم مقدرتها على ملاحقته، أو عندما توجد هناك بواعت اعتقاد موضوعية وقانونية أن المحاكمة ستجري بالشكل المصور سواء لتبرئته أو إصدار أحكام تعسفية بحقه، والشرط الدقيق أن جريمته كانت قد ألحقت الأضرار بالمجتمع الدولي.
- ٩ - إن من خصائصها أيضاً أنه لا عفو ولا إسقاط للجرائم الدولية، وهذه خصيصة من أوضح مميزات الجريمة الدولية على مستوى القانون الدولي وهي أنه لم يبق للمشرع مجال أو مدخل بالعفو عن مرتكب الجريمة

(١) ينظر: القانون الدولي لحقوق الإنسان: منى محمود مصطفى، دار النهضة العربية، القاهرة-، ط١، ٧١

(٢) جرائم الإبادة الجماعية: أ.م.د. زياد ربيع، دراسات دولية - العدد التاسع والخمسون، ١٠١

الدولية سواء من ناحية القانون الدولي، أو صدر عن نظام قانون محلي وطني ولعل الاستبعاد وعدم الاعتراف بالحصانة التي يتمتع بها الأفراد في حال ارتكابهم جريمة دولة هو أيضا تطبيق واضح لمواجهة مرتكبي هذا النوع من الجرائم. أما سقوط الجرائم الدولية بالتقادم فالمادة ٢٩ للنظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية واضحة جداً إذ تقول "لا تسقط الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة بالتقادم أيا كانت أحكامه" أما على مستوى الأمم المتحدة فقرار الأمم المتحدة كانون الأول ١٩٧١ واضح هو الآخر في "عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية" (١).

١٠- وتتميز الجرائم الدولية بكونها توجب تسليم المجرمين الدوليين، ويعد نظام تسليم المجرمين من أبرز صور التعاون الدولي في مجال المعاقبة على الجرائم الدولية التي يرتكبها الأفراد، وهو نظام الغرض منه كفالة عدم إفلات المجرم من العقاب إذا ما انتقل من منطقة إلى أخرى، أو إذا ما وجد نظاماً سياسياً يتستر على جرائمه أو يسعى لابعاد الطابع الدولي عنها (٢).

وهذا ما تؤكد معاهدة فرساي (١٩١٩)، وقرارات الأمم المتحدة، ومن ناحية أخرى لا تسري أحكام مرور الزمن على الجرائم الدولية فتبقى المسؤولية عنها قائمة مهما مرّ زمن على ارتكابها. وتعد الاتفاقية الخاصة بعدم تطبيق مبدأ مضي المدة على مجرمي الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٦٨ (في قرارها رقم ٢٣٩١) وثيقة أخرى تدخلاً في دائرة مصادر القانون الجنائي الدولي (٣).

المبحث الثاني: نشأة الإبادة الجماعية وتطورها

تمهيد

إن جريمة الإبادة الجماعية ليست حدثاً حديثاً، بل تمثل جزءاً من تاريخ الإنسانية قديماً وحديثاً. وقد انتشرت هذه الجرائم على مراحل مختلفة من التاريخ، وازدادت على وجه الخصوص بعد نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية، وفي العصور القديمة، كانت جرائم الإبادة الجماعية جزءاً لا يتجزأ من نتائج وآثار الحروب بين القبائل والدول والإمبراطوريات القديمة. هذه الجرائم كانت تُرتكب بهدف الحصول على الغنائم والثروات والنفوذ. قد أكد الفكر اليوناني القديم على أن الناس يلجؤون إلى الحرب لأنهم يرفضون العيش ضمن حدود الضرورة ويسعون دائماً إلى الحياة المنعمة، ويتسبب شجع الإنسان للسيطرة، وبالفعل، شهدت العصور القديمة

(١) ينظر: نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية: المادة ٢٩ عدم سقوط الجرائم بالتقادم، ٢٥

(٢) ينظر: تسليم المجرمين أو تقديمهم في الاتفاقيات الدولية والنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية: ياسر محمود الجبور، جامعة شرق الاوسط قسم القانون، ٢٠١١، ٤٠-٥٠

(٣) ينظر: الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٦٨ (في قرارها رقم ٢٣٩١)

والوسطى والحديثة وقوع جرائم الإبادة الجماعية.

المطلب الأول: الإبادة الجماعية في العصور القديمة

إن الحقائق الموجودة في الحروب في القديمة تشير إلى أنها لم تكن نظاماً ولا قانوناً، كانت تستعمل فيه أساليب القسوة و الوحشية تجاه الأعداء كلها، مثل الآشوريين والتي كانت قاعدتهم أن كل شيء مباح، وكانوا يدمرون المدن بأكملها، وكذلك الفراعنة، إلا أن الفراعنة كانوا أقل وحشية من الحضارة الآشورية نتيجة المدنية التي عاشوا فيها، إلا أن هذا لا يمنع وحشية العنف المذكور على نقوش المعابد، كإبادة الأسرى وتشويه جثث القتلى، وكذلك بأن اليونانيين والرومان كانوا يمارسون حروبهم بكل أساليب العنف والقسوة نتيجة القاعدة المتعارف عليها عندهم فلا نظام ولا قاعدة غير العنف والإبادة والقسوة، بعبارة أخرى كل شيء مباح^(١).

إن العدالة إن صح التعبير في الصور القديمة لم تكن عدالة قائمة على أساس الأخلاق بل كانت مبنية على المصلحة المادية المعززة بالقوة، فالقوي يأكل الضعيف و يستولي على أموال غيره، وترجع أسباب إبادة الحروب في العصور القديمة في اعتقادنا وما كان يقع فيها من مخالفات لقوانينها وإبادة الجنسين واسترقاق لهما، إذ حيث كانت بعض الشعوب مثل الإغريق والرومان والتي كانت تربطهم بالشعوب الأخرى علاقة حروب، على غرار ما ظهر في روما مجموعة من القواعد القانونية تحكم العلاقة التي تنشأ بين رعايا الرومان ورعايا الشعوب، وكان يطلق عليه ما يسمى بقانون الشعوب وهذا بناءً على أن الشعوب القديمة كانت لا تعترف بالمساواة بين الشعوب الأخرى^(٢).

فقد كانت القبائل قديماً لها الحق في إبادة الأسرى، لاسيما تلك القبائل المختلفة عنها في الجنس أو اللون، إذ وفي مرحلة لاحقة حرم المجتمع الدولي الإبادة في إتفاقية مكافحة إبادة الجنس البشري التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ و عدت إبادة الجنس البشري جريمة دولية، كما أقر المجتمع الدولي عقب أحكام محكمة نورمبرغ الدولية سنة ١٩٤٥، على كبار مجرمي الحرب من الألمان، أقرت أيضاً الجمعية العامة للأمم المتحدة التقسيم الثلاثي للجرائم الدولية في محاكمات نورمبرغ وهي الجرائم التي تدخل ضمن الجرائم ضد الإنسانية^(٣).

إلا أن التأريخ سجل العديد من الحروب المدمرة التي تضمنت انتهاكات في حق البشرية آنذاك، مما أهلكت النسل والحرف، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك فإن الشعوب في الوقت الحاضر تمجد قادتها القدامى

(١) ينظر: أحكام المسؤولية الجنائية الدولية: محمد نصر محمد، دار الراجحة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٣، ٣٣

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٣٥

(٣) المصدر نفسه: ٣

من تمكنوا من إبادة خصومهم وتدميرهم نهائياً ومن بين هذه القادة جنكيز خان^(١)، وهولاكو^(٢)، ونابليون^(٣)، فعلى الرغم من ارتكابهم جرائم الإبادة ضد تلك الشعوب، إلا أن شعوبهم تعدهم من القادة الأبطال والتأريخيين^(٤).

فإذا كان هذا شأن الحروب في تلك العصور، فقد كانت القوة هي القاعدة والنظام الأساس في المجتمع القديم، لأنها تخلق الحق وتحميه، إذ أن مفهوم العدالة كانت في تحقيق المصلحة والأخذ بمبدأ البقاء للأقوى، والنصر مهما كان الثمن من أجل الحصول على الثروات والاستيلاء على أراضٍ جديدة بالقوة، وهذا ما قام عليه معظم الإمبراطوريات القديمة، وهكذا استمر هذا المبدأ إلى يومنا الحاضر.

المطلب الثاني: الإبادة الجماعية في العصور الوسطى

لم يخلُ تاريخ المسيحية على مر الحقب الزمنية المتعاقبة، من نماذج عديدة للإبادة الجماعية، إذ يذكر التاريخ أنه وفي عهد الحروب الصليبية الأخيرة وسقوط الأندلس على أيدي الإسبان، وقعت مجازر وفضائع أدت إلى ارتكاب المسيحيين المتعصبين لمجازر رهيبة، كان هدفها الوحيد هو إبادة المسلمين واليهود في ذلك البلد، تحت دافع التمييز الديني، فبعد وفاة "فرناندو" الخامس ملك إسبانيا في ٢٣ جانفي ١٥١٦، أوصى حفيده "شارل الخامس" حماية الكاثوليكية والكنيسة، واختيار المحققين ذوي الضمائر ممن يخشون الله، ليعملوا

(١) جنكيز خان هو ملك منغوليا وقائد عسكري استطاع أن يوحد القبائل المنغولية وأنشأ الامبراطورية المنغولية، أكبر امبراطورية في العصر الوسيط، وذلك بغزوه معظم آسيا - بما في ذلك الصين، روسيا، فارس، الشرق الأوسط وشرق أوروبا. وهو جد كوبلاي خان أول امبراطور من أسرة يوان في الصين/جنكيز خان وصناعة العالم الحديث: جاك ويدرفورد، شركة جليس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٢، ٢٠.

(٢) هُولاكُو خان (١٢١٧ - ٨ فبراير ١٢٦٥) هو حفيد جنكيز خان وحاكم منغولي احتل معظم بلاد جنوب غرب آسيا بعد أن قتل الملايين من أهلها، وتوسع جيشه كثيراً بالجزء الجنوبي الغربي للإمبراطورية المغولية، مؤسساً سلالة الخانات بفارس، وتوالت السلالات بعد ذلك إلى أن انتهت إلى إيران الحديثة، وقد اجتاحت المغول تحت قيادته بغداد عاصمة الخلافة العباسية، كما تحول المؤرخون من الكتابة العربية للفارسية في عهده/البداية والنهائية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨، ١٠٧/١٠.

(٣) ولد نابليون عام ١٧٦٩ في مدينة أجاكسيو بجزيرة كورسيكا، عقب تسلّم فرنسا تلك الجزيرة من إمارة جنوة الإيطالية، وكان الرابع ضمن أبناء أسرته الكورسيكية قائد عسكري، وأول إمبراطور لفرنسا بعد الثورة التي أطاحت بالملكية عام ١٧٨٩، واستطاع توحيد أرجاء واسعة من أوروبا بالقوة، لكنه مُني بمزائم متوالية كانت آخرها معركة "واترلو" عام ١٨١٥، حيث لجأ عقبها إلى القوات البريطانية التي نفتته إلى جزيرة سانت هيلانة بالمحيط الأطلسي، ومات هناك بعد ستة أعوام، وهو في الـ ٥١ من عمره/حياة نابليون: حسن جلال، سلسلة المعارف العامة، ط١، ٢٠١٦، ٤٠.

(٤) ينظر: القانون الدولي الجنائي جرائم الإبادة الجماعية وجرائم ضد الإنسانية: سهيل حسين، دار الثقافة، عمان، ٢٠١١، ط١،

بعدل وإخلاص لخدمة الله وتوطيد الدين الكاثوليكي، كما يجب أن يسحقوا طائفة المسلمين والعرب وغيرهم من الأجناس الأخرى^(١).

"وقبل هذا لبث فرناندو في حياته زهاء ٢٠ عاماً بعد سقوط الأندلس ينزل عذاب الاضطهاد بمن بقي من الصليبيين في إسبانيا، وكانت أدواته في ذلك محاكم التحقيق، التي أنشئت بموجب مرسوم بابوي في عام (١٤٨٣)، فعين القس "توماس دب تركي ماد" محققاً عاماً لها، ووضع دستوراً لهذه المحاكم الجديدة، وعددًا من اللوائح والقرارات، وهي ما يعرف باسم وطأة التعذيب بدافع التمييز الديني، وبنت محاكم التفتيش منذ قيامها، جوا من الرهبة والخوف في قلوب الناس، مما أدى ببعض من السكان المسلمين ومنهم "الممورسكيين" إلى الفرار، أما الباقي فأبت الكنيسة الكاثوليكية أن تؤمن بتغيرهم لدينهم الذين أُجبروا على اعتناقه، لأنها لم تقتنع بتنصير المسلمين الظاهري، بل كانت ترمي إلى إبادة كلياً.

ففي عهد النهضة الأوروبية تذكر لنا شهادة مسيحية، أنه إذا كان "كولومبس" قد اكتشف لنا القارة الأمريكية فإن "برنولومي" هو الكاهن الشاهد المسيحي الوحيد، على أنه كان في القارة الأمريكية عشرات الملايين من البشر ممن أبادهم الغزاة المسيحيون بوحشية، وذلك عقب البداية التاريخية مع القارة الأمريكية وأهلها، ففي إحدى الجزر الكثيرة التي كانت أول بقعة اجتاحتها المسيحية وسموها "الجزيرة الإسبانية" وبدؤوا فيها حملة الفتك الكبرى بهذه الشعوب، حيث كانوا يدخلون على القرى، فلا يتركون طفلاً أو حاملاً أو امرأة تلد، إلا ويفقرون بطونهم و يقطعون أصولهم، كما كانوا يصبون مشانق طويلة ينظموها مجموعات، كل مجموعة تضم ١٣ مشنوقاً، ثم يشعلون النار تحتهم، فيُحرقونهم أحياءً وبهذه الطريقة أبيد أكثر من مليونين من سكان هذه الجزيرة، و هكذا جرت الحال بالنسبة إلى كل الجزر الأخرى التي صور فيها الكاتب الشاهد مشاهد مرعبة لمجازر بشرية أبيد سكانها، فذكر ما حدث في جزيرة "كوبا" وجزيرة "ماغو" وجزيرة "كزا رغوا" وجزيرة "هنغواي"، فطوال هذه السنوات الأربعين لاجتياح المسيحي لهذه الجزر، أبيد أكثر من ١٢ مليون من البشر ظلما وعنفا وقهرا وعدوانا تحت شعار نشر المسيحية^(٢).

المطلب الثالث: الإبادة الجماعية في التاريخ الحديث والمعاصر

تأريخ الإبادة الجماعية في العصور الحديثة والمعاصرة يمثل صفحة مؤلمة من تاريخ البشرية، حيث تتجلى أعمال العنف والتدمير بأشكالها الأكثر قسوة. تعد الإبادة الجماعية تصاعداً مخيفاً للعنف والكرهية، تستهدف جماعة معينة بنية ومبينة، سواء من خلال القتل الجماعي أو التشريد القسري أو خلق ظروف تؤدي إلى الهلاك

(١) الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان: بوجدره مخلوف، رسالة الماجستير - كلية الحقوق، جامعة مولود معمري تيزي وزو،

٢٠١٣، ٢٨

(٢) المصدر نفسه: ٢٨-٢٩

المجموعة. يشمل تاريخ الإبادة الجماعية العصور الحديثة والمعاصرة في حالات كثيرة منها:

١ - الإبادة الألمانية للهيرو والناما

شهد الجنوب الغربي للقارة الإفريقية أولى المذابح الجماعية التي حدثت في القرن العشرين، ذلك بين عامي ١٩٠٤-١٩٠٩، بعد أن أصدر الجنرال الألماني، لوثر فون تروثا، أمراً يقضي بمواجهة من يقف في وجه الاحتلال الألماني للمنطقة بشتى الوسائل، مما أدى إلى قتل نحو ٨٠% من شعب "أوفا هيرو"، ونحو ٥٠% من شعب "ناما"، ولم يتوقف الأمر عند ذلك؛ بل قامت ألمانيا بنقل الناجين من السكان إلى معسكرات الاعتقال، فيما قامت بنقل أجساد ما يزيد عن ١٠٠ ألف ممن قتلتهم إلى ألمانيا، وذلك بهدف استخدامها في مختبرات التجارب العرقية، أما المجموعات القليلة التي استطاعت الفرار من مصير المذابح الألمانية، فتركوا وسط صحراء كالاهايري، بلا طعام ولا شراب^(١).

٢ - الإبادة التركية للأرمن

أول إبادة جماعية في القرن العشرين. تشير الإبادة الجماعية للأرمن إلى الإبادة الجسدية للشعب المسيحي الأرمني الذي عاش زمن الإمبراطورية العثمانية استمرت الإبادة من ربيع ١٩١٥ وإلى خريف ١٩١٦. وفي عام ١٩١٥، كان هناك قرابة ١,٥ مليون أرمني يعيشون في الإمبراطورية العثمانية المتعددة الأعراق. وعلى الأقل كانت هناك ٦٦٤,٠٠٠ وربما ما يصل إلى ١,٢ مليون لقوا حتفهم أثناء الإبادة الجماعية، سواء في المذابح وعمليات القتل الفردية أو بسبب سوء المعاملة المنهجية وتعريضهم للمخاطر والتجويع^(٢).

٣ - الإبادة السوفيتية لأوكرانيا

هولودومور (بالأوكرانية)، وتعني "وباء الجوع"، وأحياناً تترجم إلى "القتل بالتجويع"، هي المجاعة التي ألحقت بأوكرانيا السوفيتية في الموسم الزراعي ١٩٣٢-١٩٣٣^(٣).

٤ - الإبادة اليابانية في الصين

في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٧، ذبح اليابانيون أبرياء من الرجال والنساء والأطفال، عندما غزا الجيش الإمبراطوري الياباني عاصمة الصين (نانجينغ)، وقد أمرت تلك القوات بقتل الرهائن جميعهم وذلك في

(١) ينظر: موقع الجزيرة: دماء ودموع في جنوب غرب أفريقيا.. ألمانيا وأول إبادة جماعية في القرن العشرين، تأريخ الوضع:

٢٠٢٢/١١/١٤، تأريخ المراجعة: ٢٥/٤/٢٠٢٢

(٢) ينظر: موقع موسوعة الهولوكوست: الإبادة الجماعية للأرمن (١٩١٥-١٩١٦): نظرة عامة، تأريخ الوضع: مجهول، تأريخ المراجعة:

٢٠٢٢/٩/٨

(٣) ينظر: موقع سكاي نيوز: تصف مجاعة "هولودومور" بأوكرانيا "إبادة جماعية"، تأريخ الوضع: ٢٩ مارس ٢٠٢٣، تأريخ

المراجعة: ٢٦/٤/٢٠٢٢

سنة أسابيع متتالية، فقتل نصف عدد سكان المدينة (من أصل ٦٠٠ ألف شخص)، عبر إطلاق النار والحرق والظعن والإغراق، ومن ٢٠ ألف إلى ٨٠ ألف من النساء الصينيات تعرضن للاغتصاب، ثم تمّ قتلهم على يد القوات اليابانية، أما بقية السكان (٣٠٠ ألف) فقد تمكنوا من النجاة بعد أن تمكن الدبلوماسيون الأجانب من خلق منطقة آمنة تتكون من ٢٥ فداناً، أنقذت بقية السكان من الإبادة^(١).

٥- الإبادة النازية لليهود

شكّلت الأقلية اليهودية نسبة ١% من أصل ٥٥ مليون ألماني، قبيل الحرب العالمية الثانية، وحين وصل (أدولف هتلر) إلى السلطة، عام ١٩٣٣، بدأت معاناة اليهود بالبروز. عام ١٩٣٥؛ على سبيل المثال، تمّ إلغاء جنسيتهم الألمانية، وعام ١٩٣٨؛ دُمّر أكثر من ٥٠٠ معبد ومئات من الشركات اليهودية، وعام ١٩٤٢؛ بدأت عمليات الإعدام في معسكرات الاعتقال النازية، وبحلول عام ١٩٤٥ تمّت إبادة مئات الآلاف منهم من قبل الحكومة النازية^(٢).

٦- الإبادة في أوغندا

استحوذ (عيدي أمين) على السلطة في أوغندا، منذ عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٩، وسرعان ما تدهور الوضع الاقتصادي نتيجة السياسات التي اتبعها أمين، لاسيما فيما يتعلق بطرد الهنود وتأميم الصناعة وتوسيع القطاع العام، وتمّ تخفيض رواتب الموظفين بنسبة ٩٠% خلال أقل من عقد من الزمن، في الواقع؛ ليس هناك إحصائية دقيقة عن عدد الضحايا التي وقعت على يد نظام عيدي أمين، لكنّ عدداً من المراقبين الدوليين ومنظمات حقوق الإنسان يقدرون ذلك العدد بـ (١٠٠٠٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠٠٠)^(٣).

٧- الإبادة في كمبوديا

بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٩، تمكّن (بول بوت) من حكم كمبوديا بعد إسقاط الحكومة الكمبودية، واتّسمت فترة حكمه بالرعب والعنف والإعدامات التي طالت مليونين من أعدائه المحليين، كان بوت يسعى إلى بناء مجتمع شيوعي فلاح، على غرار القفزة الصينية الكبيرة؛ لذلك أمر بتدمير المراكز الحضرية وتقليص عدد الذي يعيشون فيها، وكان الهدف من ذلك تصفية الثقافة الغربية في كمبوديا، بما في ذلك ثقافة الأقليات

(١) ينظر: موقع ميو: أول سجل وثائقي كامل لـ "مذابح نانجينغ" اليابانية ضد الصين، تأريخ الوضع: ٠٨/١٠/٢٠١٩، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٤/٢٥

(٢) ينظر: موقع BBC NEWS : الهولوكوست يشير إلى فترة من التاريخ شهدت قتل ملايين اليهود على أساس عرقي، تأريخ الوضع: ٢٣ يناير/كانون الثاني ٢٠٢٠، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٤/٢٥

(٣) ينظر: الإبادة الجماعية ضد الأقليات الإثنية في جمهورية أوغندا: دوزي وليد، مجلة الساور للدراسات الانسانية والاجتماعية، ٥٠١١-٢٠٢٢

الإثنية ورجال الدين البوذيين والمتقنين، وأعداء الحكومة السابقة^(١).

٨- إبادة الكورد في العراق

تطلق تسمية الأنفال على العملية العسكرية المنظمة التي قام بها نظام البعث في فترة حكم صدام حسين لإبادة الكورد الذين يعيشون في شمال العراق، تضمنت العملية استخدام الأسلحة الكيميائية وسجن الناس في معسكرات الاعتقال، واتّسمت بعمليات الإعدام الجماعي، واختفاء مئات الآلاف من العزل، بما في ذلك النساء والأطفال عام ١٩٨٨^(٢).

٩- إبادة التوتسي في رواندا ١٩٩٤

خلال العهد الاستعماري، وعندما كانت رواندا مستعمرة بلجيكية (كانت تتكون من نوعين من الجماعات الإثنية، هما: الهوتو: الذين يشكّلون الأغلبية، ويعمل أغلبهم بالزراعة. والتوتسي: الذين يعدون أقلية، وقد تمّ اختيارهم من قبل الاحتلال البلجيكي لشغل الوظائف الحكومية، فكانوا الأقلية الإثنية المفضّلة من قبل المستعمرين الأوروبيين^(٣).

١٠- الإبادة في البوسنة

في نيسان (أبريل) ١٩٩٢، أعلنت حكومة جمهورية البوسنة والهرسك استقلالها عن يوغوسلافيا، وعلى مدى الأعوام القليلة التالية، ارتكبت قوات صرب البوسنة، وبدعم من الجيش اليوغوسلافي، الذي كان يهيمن عليه الصرب، جرائم حرب ضدّ مدنيي البوسنة من المسلمين والكرواتيين^(٤).

١١- الإبادة في دارفور

كلمة "جنجويد" تتكون من شقين "جن" و"ويد"، وهي تعني جنياً يمتطي جواداً، في إشارة إلى مقاتلي تلك الميليشيات التي تكوّنت من القبائل العربية المتميزة في ركوب الخيل والجمال، الدواب التي تُعدّ رأس مالهم الاقتصادي، قامت ميليشيات الجنجويد، المدعومة من قبل الحكومة السودانية، منذ عام ٢٠٠٣، بعمليات إبادة واغتصاب وكذلك قامت بعمليات تهجير واسعة في إقليم دارفور غرب السودان. والنتيجة؛ أنّ حوالي

(١) ينظر: موقع شبكة النبا المعلوماتية: عمليات إبادة المسلمين في كمبوديا، تأريخ الوضع: محمد طاهر الصفار، تأريخ الوضع: السبت

٢٢ نيسان ٢٠١٧، تأريخ المراجعة: ٢٧/٤/٢٠٢٢

(٢) ينظر: موقع PUK MEDIA: الأنفال.. جريمة العصر بحق شعب كوردستان، تأريخ الوضع: ٢٠٢١-٠٤-١١، تأريخ

المراجعة: ٢٨/٤/٢٠٢٢

(٣) موقع BBC NEWS: سؤال وجواب: كيف حدثت الإبادة الجماعية في رواندا؟، تأريخ الوضع: ٧ أبريل/ نيسان ٢٠١٤،

تأريخ المراجعة: ٢٨/٤/٢٠٢٢

(٤) ينظر: البوسنة والهرسك الحرب الصليبية الجديدة ضد المسلمين ومعه ملحق البوسة والهرسك أمة تذيب وشعب يباد: دار الدعوة،

المكتبة المكية، ط١، ٢٠٠٨، ٥-٢٠

٤٠٠٠٠٠ شخص لقوا حتفهم نتيجة أعمال الحكومة وميليشياتها الإجرامية، وما يقارب من ثلاثة ملايين أُجبروا على مغادرة قراهم، وأكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ غادروا البلد باتجاه دولة تشاد المجاورة^(١).

المبحث الثالث: دوافع الإبادة الجماعية وأساليبها

تمهيد

تُعدُّ الإبادة الجماعية ظاهرةً تاريخيةً مأساويةً إنسانيةً، تتضمن القتل الجماعي الهمجي والمنهجي لمجموعةٍ من الأفراد بناءً على عواملٍ معينة كالعرق والدين والانتماء السياسي أو الاجتماعي. يُعدُّ القرن العشرين شاهداً على بعض أبشع حالات الإبادة الجماعية، مما يُسلط الضوء على دوافعها وأساليب تنفيذها في هذا المبحث.

المطلب الأول: دوافع الإبادة الجماعية

تشكل الإبادة الجماعية واحدة من أكثر الجرائم البشعة التي تهز ضمير الإنسانية، إذ تنطوي على القصف المنهجي والوحشي لمجموعة من الأفراد بناءً على عواملٍ محددة. يشكل هذا الموضوع مصدر قلقٍ واسع النطاق، إذ يتعين على المجتمع الدولي فهم أسباب هذه الجريمة والتعامل معها بشكل جدي وفعال. سيتناول هذا المطلب دوافع الإبادة الجماعية، محاولاً تسليط الضوء على العوامل التاريخية والاجتماعية والهوية الثقافية والدينية التي تقف وراء هذه الأفعال البشعة. من خلال فهم هذه الدوافع، يمكن أن نساهم في الحد من حدوث مثل هذه الجرائم المرعبة في المستقبل والعمل نحو تعزيز قيم حقوق الإنسان والتسامح والسلام. وفيما يأتي يتم استعراض أهم الدوافع التي تؤدي إلى الإبادة الجماعية، والتي يجب التركيز عليها مختصراً:

١- الانحياز لفئات معينة: يمكن أن يؤدي الانحياز العنصري والديني والثقافي إلى تفريق المجتمعات وتأجيج الصراعات. على سبيل المثال، قد أدت الانحيازات بين الهوتو والتوتسي في رواندا إلى حدوث الإبادة الجماعية.

٢- الطمع: قد يحفز الطمع والرغبة في السيطرة على الموارد المحلية المتوفرة في إرجاء المجتمعات وإنشاء صراعات دائمة وعنيفة.

٣- السياسة: قد يؤدي سوء الإدارة الحكومية والفساد إلى تدهور الأوضاع في المجتمع وتشجيع النزاعات المسلحة والعنف.

٤- الدين: قد يستغل بعض الزعماء الدينيين الصراعات الدينية لتحقيق أجندتهم السياسية

^(١) ينظر: جريمة الإبادة الجماعية أمام المحكمة الجنائية الدولية إقليم دارفور أمودجا: صلاح سعود الرقاد، مجلة المنارة للبحوث و الدراسات، المجلد ٢١، العدد ٤، (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٥)، ٣٦١-٣٩١، ٣١

والاجتماعية، مما يؤدي إلى تنامي التوترات وحدوث أعمال عنف.

٥- **التأثير الخارجي:** يمكن أن يؤدي التأثير الخارجي إلى إثارة الصراعات والتحريض على المجتمعات، ونشر الشائعات والأكاذيب لتحقيق أهداف خبيثة.

٦- **المؤامرات السياسية:** قد تتلف الحروب الداخلية والانقلابات العسكرية الاقتصاد وحياة ديمقراطية المجتمع وتؤدي إلى الإبادة الجماعية.

٧- **عدم وجود قواعد وأنظمة رصد الأزمات:** يمكن أن يؤدي عدم وجود برامج رصد ونظم تنبيه مبكر للأزمات إلى عدم الكشف عن الأعمال الإجرامية وإدانة أعمال الاغتصاب والتعذيب والإبادة الجماعية.

٨- **الثقافة السائدة:** سوء التعليم والثقافة السائدة والتقاليد المتبعة قد تؤدي إلى عدم احترام حقوق الإنسان وإرساء الثقافة العنيفة^(١).

المطلب الثاني: أساليب الإبادة الجماعية

أساليب الإبادة الجماعية:

القتل الجماعي: تُستخدم عادة القتل بوسائل مختلفة مثل إطلاق النار، واستخدام الأسلحة البيولوجية أو الكيميائية، والتعذيب الشديد، والإعدامات الجماعية.

التطهير الإثني أو الديني: يتضمن هذا الأسلوب تهجير أو طرد المجموعات المستهدفة من مناطقهم وتدمير ممتلكاتهم ومقدراتهم.

الاعتقال والإبادة: يقوم المرتكبون بالقبض على أفراد المجموعة المستهدفة ويقومون بإجراءات تعذيب وإذلال، تؤدي في النهاية إلى موتهم.

الإبعاد القسري والجوع: تستخدم هذه الأساليب لقمع المجموعات المستهدفة من خلال منعهم من الحصول على الإمدادات الأساسية كالغذاء والماء.

الترويع والتحريض: يتم استخدام وسائل الترويع والتحريض لخلق جو من الرعب والهلع بين المجموعة المستهدفة.

أما أساليب جريمة الإبادة الجماعية تتم من خلال أمرين:

الأول: إلحاق أضرار جسيمة، وتتم عبر الأساليب الآتية:

١- قتل أفراد الجماعة ٢- إلحاق ضرر جسدي أو عقلي جسيم بأفراد الجماعة ٣- إخضاع الجماعة عمداً لأحوال معيشية يقصد بها إهلاكها الفعلي كلياً أو جزئياً.

(١) ينظر: موقع LAW HOUSE: جريمة الإبادة الجماعية، تأريخ الوضع: ٨ مارس، ٢٠٢٢، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٥/٤

الثاني: فرض تدابير تستهدف النسل، وذلك من خلال:

١- فرض تدابير تستهدف منع الإنجاب داخل الجماعة .

٢- نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى من أجل قتل أعضاء الجماعة وتدميرها^(١).

تبنت الدول التي ارتكبت جرائم إبادة جماعية بشكل كبير أساليب مشابهة للتصدي لأعدائها، ونجد هذه الأساليب متشابهة في كثير من الحالات. سيتم هنا تسليط الضوء على بعض من هذه الأساليب، مصحوبة بأمثلة على الإبادة الجماعية التي تم تنفيذها باستخدام هذه الأساليب.

١- أسلوب المذبحة والمجزرة

استخدم العثمانيون ضد الإغريق البونتين مذابح مسيرات الموت وطردهم بدون محاكمة والإعدامات التعسفية والإغتصاب والتجنيد القسري في الكتائب العمالية^(٢)، وقامت السلطات البعثية في العراق باستخدام طريقة المذابح والمجازر كوسيلة للقضاء على الشعب الكوردي وسكان كردستان وإبادته.

٢- أسلوب الترحيل والتدمير

تم تنفيذ السياسة التركية الخاصة بإبادة الأرمن تحت ستار الترحيل. ونفذت مذابح من خلال عمليات حرق جماعية: تم إحراق ٨٠ ألف أرمني في ٩٠ قرية في إسطنبول ومحازن التبن. قُتل الآلاف من جراء الغرق ثم وضع النساء والأطفال على قوارب انقلبت في البحر الأسود. كما ساهم الأطباء الأتراك في تخطيط وتنفيذ للإبادة الجماعية وتنفيذها. وبشكل عام، ثم إعدام ما يقرب من ١,٥ مليون أرمني^(٣) وقد قامت السلطات البعثية في العراق بتنفيذ استراتيجية تدمير المدن والقرى في منطقة كردستان، وأجرت عمليات نزوح قسري لسكانها بنية القضاء على هويتهم وممارسة الاضطهاد ضدهم.

ورافقت الجهود التي بذلها الجيش الصربي لإعادة فرض سيطرته على المنطقة فظائع مثل تدمير أكثر من ٥٠٠ قرية وقتل ما يقدر بنحو ١٥٣٠٠ مدني. تم اغتصاب عشرين ألف امرأة واختفت الآلاف. كان رد صربيا على تدخل الناتو هو طرد ألبان كوسوفو جميعهم، فدفعوا ما يقرب من ١,٢ مليون لاجئ إلى ألبانيا ومقدونيا والجبل الأسود المجاورة^(٤).

(١) اتفاقية الأمم المتحدة لمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها والصادرة بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٤٨

(٢) ينظر: موقع العربية: القصة الكاملة لمذابح الأرمن.. أفضع جرائم الإنسانية، أشرف عبد الحميد، تأريخ الوضع: ٢٤ أبريل، ٢٠٢١،

تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/٢

(٣) ينظر: موقع موسوعة هولوسكوت: الإبادة الجماعية للأرمن (١٩١٥-١٩١٦): نظرة عامة، تأريخ الوضع مجهول، تأريخ المراجعة:

٢٠٢٢/٨/٣

(٤) ينظر: دروس وعبر من سنوات الحرب وإعادة السلم في البوسنة والهرسك: سامان نوح، مطبعة هاولاتي، السليمانية، ط١،

٥٠-١٢، ٢٠١٨

٤- أسلوب الدفن في الحفر

وفي ألمانيا بدأت إبادة اليهود عن طريق "الحل النهائي" ، بمجموعات قتل متنقلة تسمى . هؤلاء قاموا بتجميع اليهود من بلدة إلى أخرى وساروا بهم إلى حفر ضخمة وجردوهم من ملابسهم واصطفوهم ثم أطلقوا عليهم النار بالأسلحة الآلية. ومباشرة بعد مؤتمر وانسي في عام ١٩٤٢ تم قتل الرجال والنساء والأطفال اليهود بشكل منهجي بالغازات السامة. لقد قُتل أكثر من ستة ملايين يهودي على مدار أربع سنوات^(١)، وقد نفذ نظام البعث العراقي جريمة قتل بشعة، حينما قام بإبادة آلاف المدنيين الكورد بطريقة مروعة داخل حفر في صحراء العراق الجنوبية، وتركهم يموتون وهم أحياء.

٥- استخدام الميليشيا

وفي رواندا تم حشد جماعات ميليشيا غير رسمية تسمى إنترهاموي. وفي ذروتها كانت هذه المجموعة تعدّ ٣٠٠٠٠. فضلا عن عمليات القتل الجماعي الوحشية استخدم الاغتصاب المنهجي كسلاح حرب أثناء الإبادة الجماعية.

بدأت الإبادة الجماعية دارفور في عام ٢٠٠٣ بالقتل الجماعي والإغتصاب للأشخاص الذين كانوا يعيشون في غرب السودان ونفذتها جماعة الجنجويد، وهي مجموعة كانت تمولها الحكومة وواصلت هجماتها إلى عام ٢٠١٠. الجنجويد هي مجموعات ميليشيا عربية عرقية كانت تنفذ هجمات حكومية من الجوّ بحملات الأرض المحروقة وتحرق القرى وتسمم الآبار^(٢).

ولتحقيق هدفهم في الإبادة الجماعية للكورد استخدمت السلطات البعثية مجموعات ميليشيا غير نظامية مثل الجاش^(٣) والجيش الشعبي^(٤) والفدائيين^(٥)، وغيرهم من المجموعات، بهدف تنفيذ عمليات القتل والتصفية.

(١) ينظر: موقع صوت العراق: لا تقدّم العصرية والحضارة درعا وفاقياً ضد الإبادة الجماعية في المستقبل: ألون بن مئير، تأريخ الوضع: ٢٠١٩-٢٠٦-٠٥، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/١٢

(٢) ينظر: موقع الأمم المتحدة: برنامج التوعية المعني بالإبادة الجماعية ضد التوتسي لعام ١٩٩٤ في رواندا والأمم المتحدة: الأمم المتحدة، تأريخ الوضع: ١٩٩٤، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/١٥

(٣) يسمون بالافواج الخفيفة يقدر عدد الافواج الخفيفة ب ٥٠٠ فوج بقيادة رؤساء العشائر وضمت في صفوفها أكثر من ٤٨٠ الف مرتزق (ججش) .. وفق افادة المجرم سلطان هاشم(بطل) جريمة الانفال ... وقد شارك هؤلاء الجحوش مع العسكريين وقوات المغاوير والوية القوات الخاصة والفيالق في قتل وحرق ونهب شعب كوردستان قبل واثنا وبعد مجازر . الانفال . الاكثر من سيئة الصيت . ينظر: موقع الناس: افواج الدفاع الوطني (الجحوش) ودورهم في تدمير كوردستان: شه مال عادل سليم، تأريخ الوضع: ٢٠٠٨/٤/١٠، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٢

(٤) كان الجيش الشعبي العراقي المعروف أيضا باسم الجيش الشعبي أو الميليشيا الشعبية منظمة شبه عسكرية مؤلفة من متطوعين مدنيين لحماية نظام البعث ضد المعارضة الداخلية وليكون بمثابة توازن مقابل أية محاولة انقلاب يقوم بها الجيش العراقي النظامي/ موقع وكبيديا الموسعة الحرة: تأريخ الوضع: ٢٠٠٨/٤/٢٤، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٣

(٥) فدائيو صدام هي قوة عسكرية تابعة لحزب البعث والرئيس العراقي السابق صدام حسين، لم تكن جزءاً من الجيش العراقي بل ترتبط برئاسة الجمهورية مباشرة، وكانت قياداتها يتبعون أوامر من الرئيس صدام حسين بواسطة ابنه عدي صدام حسين المشرف على هذه القوات، كانوا يعتبرون أنهم

٧- حملات الإعلامية

بدأت الدعاية القوية للعموم التركي والإسلامي في الظهور في الصحافة العثمانية في أوائل أغسطس ١٩١٤ ، وهذه الدعوات عزلت غير المسلمين واخافتهم، اعتقد العثمانيون أن الإغريق المسيحيين البونتيك كانوا يفسدون السكان ويهددون سلامة الدولة القومية ذات الأغلبية المسلمة. وأنشأت السلطات العثمانية حملة دعائية مدعية أن الأرمن كانوا يشكلون تهديدًا للأمن القومي ويرجع ذلك جزئيًا إلى دعم بعض الأرمن لروسيا في الحرب العالمية الأولى التي كانت ما تزال متأججة. ونظرًا لأن معظم الأتراك كانوا أميين ، فقد تم نشر الدعاية المعادية للأرمن في المقام الأول في وعظ الملاي المسلمين ومن قبل المنادين والبائعين المتجولين في المدن ممن وصفوا الأرمن بأنهم جواسيس وكفار وخونة. كان الترويج للإسلام أمرًا بالغ الأهمية ، لأنه كان الأيديولوجية المركزية وراء الإبادة الجماعية للأرمن واليونانيين^(١).

كانت إحدى الصحف الرئيسية للدعاية النازية جريدة أسبوعية تسمى "المهاجم" (Der Stürmer)، والتي كانت تعلن في الجزء السفلي من الصفحة الأولى من كل عدد ، "اليهود هم محتتنا!" كانت هذه الصحيفة تصور اليهود بشكلٍ منتظم برسوم كاريكاتيرية كأنف مدمن مخدرات وشبه قردة. واستخدمت وزارة التنوير والدعاية العامة برئاسة جوزيف غوبلز لهذا الغرض الفن والموسيقى والمسرح والأفلام والكتب والإذاعة والمواد التعليمية والصحافة. وشجعت دعاية اللامبالاة وقبول القوانين العاملة ضد اليهود. وصورت الأفلام النازية اليهود على أنهم طفيليات طائشة دون البشر تحترق المجتمع الآري^(٢).
استندت حملة دعاية ميلوسيفيتش على تقنيات النازيين مضافاً لها قوة المحطات التلفازية. ولتعاقد السكان معاً استندت الدعاية الرسمية على مصادر اللغز الصربي، أي تلك الخاصة بالشعب الذي كان ضحايا وشهداء التاريخ الذين تعرضوا لسوء المعاملة، ولصربيا الكبرى المرتبطة ارتباطاً لا ينفصم بالدين الأرثوذكسي. وأصبح الاستخدام المتكرر للتلفاز والإذاعة الصربية للأوصاف التحقيرية ضد الكروات والبوسنيين والألبانيين جزءاً من الاستخدام الشائع^(٣).

موالون بشدة للرئيس العراقي صدام حسين وقد تطوع فيها كثير من العراقيين والعرب/موقع وكبيديا: فدايو صدام، تأريخ الوضع: ٢٠١٨/٥/١٧،

تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٤

(١) ينظر: موقع صوت العراق: لا تقدّم العصرية والحضارة درعا واقياً ضد الإبادة الجماعية في المستقبل: ألون بن مئير، تأريخ

الوضع: ٢٠١٩-٢٠١٦-٠٥، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/٢٠

(٢) ينظر: الإعلام الحربي ودوره في التجربة الألمانية: مقاتل من الصحراء ، تأريخ الوضع: ٠٥ يوليو ٢٠١٧، تأريخ المراجعة:

٨٢٠٢٢/٢٣

(٣) ينظر: وكالة الأنباء العراقية: دور الاعلام في فترة الحرب واعادة بناء السلام في البوسنة والهرسك: سامان نوح، تأريخ الوضع:

٢٠١٨-١١-١٢، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/٢٥

واستخدم متطرفو الهوتو في رواندا أيضاً وسائل الإعلام لصالحهم. دعا المسؤولون المحليون والمحطات الإذاعية التي ترعاها الحكومة المدنيين الروانديين العاديين إلى قتل جيرانهم. وتم استخدام الراديو لبيان مواقع التوتسي ل يتم استهدافهم. كما تم استخدام الراديو لتبرير الإبادة الجماعية. وأخذ مضيفو الإذاعة يناقشون التمييز الذي عانى منه الهوتو في عهد التوتسي^(١).

في أوائل الستينيات، بدأت حملات الدعاية القوية تظهر بشكل ملحوظ في وسائل الإعلام العراقية، سواء كانت الصحافة أو التلفزيون الرسمي. تميزت هذه الحملات بتوجيه اتهامات خطيرة للعموم الكوردي، حيث تم اتهامهم بالردة عن الإسلام ووصفهم بالخونة والمتمردين، واتهموا أيضاً بمساعدة إيران في الحرب ضد العراق. تم نشر العديد من الأخبار والدعاية الملققة بهدف تشويه سمعة العموم الكوردي وتشويه صورتهم في عيون الجمهور^(٢).

وفي جبال النوبة وجنوب السودان تم تبرير الجرائم ضد الإنسانية من خلال وصف الضحايا، وهم عموماً مسيحيون، على أنهم كفار، وفي دارفور، ذات الغالبية المسلمة، كان هناك حاجة إلى نوع مختلف من الترشيد للذبح، فقد صنف النظام أهالي دارفور على أنهم كفار من خلال ربطهم باليهودية، وأكد أن الفور والزغاوة والمساليات هم من غير العرب وتم تصوير قبيلة الزغاوة بشكل خاص على أنها ذات أصول يهودية. كانت تُعد جميع القبائل عموماً غير مسلمة، وبالتالي فهي شريرة ودون الإنسانية ولا يمكن الوثوق بها^(٣).

المبحث الرابع: التعريف بالكورد وعلاقة الشعب الكوردي بالإسلام

الكورد هم شعب ذو أصول تاريخية عميقة ومتنوعة، ويعيشون في مناطق مختلفة بالشرق الأوسط. لديهم موطن جغرافي يمتد من تركيا وإيران والعراق إلى سوريا. اللغة الكوردية تشكل جزءاً هاماً من هويتهم، حيث تتميز بثناء لغوي وتعبير ثقافي فريد. وعلاقة الكورد بالإسلام متنوعة، حيث اعتنق الكورد الدين الإسلامي وتبنوه، وتجدر الإشارة إلى تنوع المعتقدات الدينية بينهم. الكورد أسهموا بشكل كبير في بناء الحضارة الإسلامية وتطويرها عبر التاريخ من خلال مساهماتهم في المجالات الثقافية والعلمية والفنية.

(١) ينظر: موقع الجزيرة: كيف استخدم إعلام الكراهية في التحريض على الإبادة في رواندا؟: محمد صالح عمر، تأريخ الوضع:

٢٠٢٢/١٠/١، تأريخ المراجعة: ٢٧/٨/٢٠٢٢

(٢) ينظر: موقع الحيوار المتدن: هل أنصف الاعلام العربي القضية الكوردية؟: كوردة أمين، تأريخ الوضع: ٢٥/٩/٢٠٠٣، تأريخ

المراجعة: ٢٩/٨/٢٠٢٢

(٣) ينظر: موقع صوت العراق: لا تقدّم العصرية والحضارة درعا واقياً ضد الإبادة الجماعية في المستقبل: ألون بن مئير، تأريخ

الوضع: يونيو ٥، ٢٠١٩، تأريخ المراجعة: ١/٩/٢٠٢٢

المطلب الأول: أصول الكورد وموطنهم الجغرافي

تمهيد

الكُورْد (بالكوردية: كورد، Kurd) مجموعة عرقية وشعوب تتركز في قلب آسيا، شمال بلاد الرافدين وجنوب شرق الأناضول بمحاذاة جبال زاغروس في منطقة كوردستان، وهي اليوم عبارة عن أجزاء من شمال العراق وشمال غرب إيران وشمال سوريا وجنوب شرق تركيا. يعد الكورد من العرق الآري. تعيش منه أقليات في جنوب غرب أرمينيا وقره باغ (كوردستان الحمراء) ولبنان وخراسان في إيران وهناك مجاميع في الدول الأوروبية وأمريك وكندا... ويتحدثون اللغة الكوردية وتفرعاتها، التي تنتمي إلى اللغات الهندو أوروبية^(١).

الفرع الأول: أصل الكورد

عندما ينظر الباحث إلى مسألة أصول الشعب الكوردي يرى أن هوية الشعب الكوردي تعرضت لكثير من التغيير والتزيف، ولعل العامل الأهم وراء ذلك هو افتقار هذا الشعب منذ حوالي سنة (٥٥٠ ق.م) إلى حكومة كوردية تبسط نفوذها على جميع أنحاء كوردستان، وتقيم المؤسسات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعنى بتدوين الوثائق التاريخية وحفظها، وتتيح للآخرين معرفة الشعب الكوردي على حقيقته^(٢).

ومن ناحية الأصول الإثنية والقومية فقد اختلف العلماء في أصل الكورد فذهب طائفة من علماء الأجناس البشرية (إثنولوجيا) إلى أن الكورد من حيث السلالة قبائل آرية سكنت في فجر التاريخ بكاردوكيا (منطقة وان، بدليس) واعتصمت بالجبال المطلة على آشوري القديمة، حرصا على الحرية والاستقلال مما يعشقها هؤلاء الجبليون بالفطرة^(٣).

وتوجد نظريات أخرى كثيرة في هذا المضمار، ولكن هناك فكرة أخرى أحدث من الأولى، وهي أن الكورد ليسوا هؤلاء الكوردوكيين فقط، بل أقدم منهم ومن اليونان بكثير وذلك لأن البحث العلمي الحديث وصل إلى أنه كان يوجد في فجر التاريخ في الجبال المشرفة على آشورية وفي ميديا القديمة أمة تدعى بالجوتو ومعناها المحارب، فنقلها الآشوريون إلى لغاتهم بلفظ جاردو أو كادو، وهو الاسم نفسه الذي استعمله استرابون الجغرافي القديم لتوضيح اسم كارداسيس، وإنه وإن كانت هذه الأمة في الأصل تورانية إلا أنها اندمجت في فجر التاريخ في الأمم الآرية المحيطة بها، فأصبحت من أقدم الآريين الذين كانت لهم مدنات وآثار امتازت بين

(١) Oct ٢٠١٩. Archived from ١٥ (بالإنجليزية البريطانية). "Who are the Kurds?". BBC News (١) .the original on ٢٠٢٠-٠٩-٢٤. Retrieved ٢٠٢٠-٠٩-٢٧

(٢) ينظر تأريخ الكورد في الحضارة الإسلامية: أحمد خليل، لبنان-بيروت ٢٠٠٧، ط١، ١٣

(٣) ينظر: شرفنامه: الأمير شرفخان البدليسي، اربيل- كوردستان، ط٢، ٢٠٠١، ٨٥

سائر المدنات الآسيوية الغربية، كمدنات الآشوريين والحيثيين و العيلاميين و البابليين^(١).

وفي معرض ذكره لمنشأ الكورد وأصلهم توصل (محمد أمين زكي)^(٢) المؤرخ الكوردي المشهور إلى: أن كوردستان هو الموطن الأول للسلافة البشرية الثانية وموضع انتشارها إلى جهات أخرى حسب الحوادث التاريخية، وكان يسكنها في فجر التاريخ شعوب جبال (زاغروس)، وتتألف من شعوب (لولو) و (كوتى-جوتى) و (خالدي-كالدي) و (سوربارو-هوري)، و كان شعب العيلامي يقيم في منتهى الشرق الجنوبي منه... فهذه كلها ما عدا الشعب العيلامي هي الأصل القديم جدا للشعب الكوردي، وقد أبدت نشاطاً سياسياً كبيراً في عهد كل من السومريين والأكديين وفي أوائل عهد الآشوريين.

وإن سيول هجرات العنصر الآري (هندو-أوروبي) كان إلى جبال (زاغروس) أولاً، وإلى شرقها وغربها أخيراً، ويُظن أن هذه الهجرات بدأت من القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد، وهناك رأي آخر يقول: بأن وقوع هذه الهجرات حدث الميلاد بعشرين قرناً وقد أوقعت بقايا السكان الأصليين لمنطقة جبال (زاغروس) وبلاد كوردستان تحت سلطان هؤلاء الوافدين الجدد فجعلتهم آريين^(٣). فحسب استنتاج أمين زكي بك أن الأصل الكوردي يعود لطبقتين:

الطبقة الأولى: شعوب زاغروس: فشعوب زاغروس عبارة عن (لولو أو لولو بوم) وكوتى (جوتى-جودي) و(كساي-كوسي-كوشو) و(خالدي-اورارتو) و(سوباري)

الطبقة الثانية: عبارة عن الميديين وتوابعهم من (نايري-نھري) والكاردوخيين...^(٤) وبعد الطوفان المشهور لقوم نوح- عليه السلام- والذي نعت بالأب الثاني للبشرية، والذي أنقذه الله ومن معه من الغرق، وذكر ذلك في الكتاب المقدس وكذلك في القرآن الكريم، من أن سفينة نوح رست على جبال آارات وبالتحديد على قمة الجودي شمال غربي كوردستان^(٥)، ولهذا يعد كوردستان الموطن الأول للسلافة البشرية الثانية وهاجرت المجموعات من مواطنها الأصلية إلى مواطن جديدة، إذ كانت تقطنها مجموعة شعوب زاغروس

(١) المصدر السابق، ٨٥-٨٦

(٢) محمد أمين زكي (١٨٨٠ - ١٩٤٨) مؤرخ كُردي من العراق من مواليد مدينة السليمانية يعتبر أول مؤرخ في العصر الحديث حاول وبصورة علمية دراسة الجذور التاريخية للشعب الكُردي. قام في ١٥ مارس ١٩٣١ بطبع كتابه المشهور «خلاصة تاريخ الكرد وكوردستان» والذي يعتبر من قبل الكثير من الباحثين ثاني أهم مرجع في تاريخ الكُردي بعد كتاب الشرفنامه للمؤرخ شرف الدين البديسي الذي يعتبر أول كتاب عن تاريخ الإمارات الكوردية/تاريخ السليمانية: محمد أمين زكي بك، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، ٢٠١٨، ١٢

(٣) ينظر: تاريخ السليمانية: المصدر السابق: ٥٣-٥٤

(٤) ينظر: لكورد: باسيل نيكتين، ترجمة نوري طالباني، ٥٤-٥٥

(٥) ينظر: صفحات من تأريخ الكورد وكوردستان: حازم هاجاني، كوردستان- أبريل، ط١، ٢٠٠٣، ١٩

المتكونة من الكوتيين واللولو والسوباري والكالدي وغيرهم، والتي تشترك جميعاً بوشائج الرحم و القرابة، إذ أن هذه الشعوب بنظر البعض ما هي في الحقيقة سوى قبائل متعددة من شعب واحد لا تختلف في الأصل، وإن اختلفت فصيرت في بوتقة واحدة عدا مجموعات صغيرة مقارنة بالأغلبية الساحقة، وهم ينتسبون إلى مجموعة الشعوب (الهندو- أوروبية)، على الأرجح وإن هذه القبائل مجتمعة تكون الأصل الأول والقديم للشعب الكوردي، الأمر الذي يعكس لنا تعدد اللهجات في اللغة الكوردية إلى يومنا هذا^(١).

وصفوة القول أن الكورد هم أحفاد الأقوام الآرية التي كانت تسكن كوردستان منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد (اللولو، الكوتيون، الكاشو، الميتانيون، السوباري، النايري، الأوراتو)، وامتنح هؤلاء بأقوام آخرين كانوا يفدون إلى كوردستان من الشمال الشرقي، ومن أبرز هؤلاء الأقوام: الميديون الذين أسسوا المملكة الميدية، وأسقطوا الإمبراطورية الآشورية بالتعاون مع الدولة البابلية سنة (٢١٦ ق- م)^(٢).

الفرع الثاني: جغرافية كوردستان

إذا اردنا تحديد خارطة كوردستان الكبرى كمساحة جغرافية يمكن القول بأن كوردستان تقع ضمن الخارطة الآتية" من الشمال، جمهورية أرمينية الخاضعة لروسيا، ومقاطعات أرضروم وقارص وطرابزون التابعة لتركيا، ومن الشرق، ولاية آذربيجان الإيرانية والعراق العجمي ومقاطعة فارس، ومن الجنوب، ولاية خوزستان الإيرانية والعراق العربي وبادية الشام لواء دير الزور، ومن الغرب نهر فرات وبعض الولايات الشرقية من الأناضول"^(٣) وتقع هذه الخريطة الآن ضمن حدود الاتحاد السوفيتي السابق وتركيا وإيران وسوريا والعراق. تقع مساحة كوردستان حوالي مئتي ألف ميل مربع، أي ما يساوي مساحة فرنسا في أوروبا، ومساحة كاليفورنيا في أمريكا، وكوردستان أرض الجبال والهضاب والأنهار والممرات، والثمار والأنعام والحيوانات الأليفة والوحشية، والمعادن المتنوعة والنفط^(٤).

المطلب الثاني: اللغة الكوردية ومميزاتها

الفرع الأول: لغة الكورد

إن كوردستان كانت مهد الحضارات وابتكار الكتابة والأرقام. والحضارات السومرية والإيلامية والميدية والساسانية التي أقامها أسلاف الكورد، وتشهد على عراقية الشعب الكوردي ومساهمته الكبيرة في بناء صرح الإنسانية على كوكبنا الأرضي. واللغة التي هي وسيلة التفاهم و التواصل الإنساني، واللغة الكوردية بدورها تم

(١)صفحات من تأريخ الكورد وكوردستا: المصدر نفسه: ٢٦٧

(٢)المصدر نفسه: ١٧

(٣) ينظر: شرف نامه : الأمير شرفخان البدليسي، ٨٢

(٤)ينظر: تأريخ الكورد في الحضارة الإسلامية: أحمد خليل، ٣٨-٤١

تطويرها منذ آلاف السنين من قبل أسلاف الكورد، وحصلت فيها تغييرات كبيرة عبر التاريخ نتيجة تطوّر حياة الإنسان والظروف التي عاشها أسلاف الكورد ووطنهم، من غزوات وحروب واحتلال وانتصارات وهزائم وهجرات، وجوع ومرض ومدى توفر مصادر العيش من مياه وصيد و زراعة.

مع تطور اللغة، تطورت الكتابة بدورها لتواكب التطور الذي شهدته اللغة. منذ سقوط الدولة الميديّة الكوردية عام ٥٦٠ قبل الميلاد، أي منذ حوالي ٢٦ قرناً لم يتم تأسيس دولة كوردية تضم كافة أنحاء كوردستان، على الرغم من أنها ظهرت خلال هذه الفترة دويلات و إمارات كوردية عديدة، إلا أنها لم يمتد حُكم أي منها إلى كامل الرقعة الجغرافية لكوردستان الكبرى. كما أنه تم احتلال كوردستان وتقسيمها بين عدة دول استلم فيها الحكم أناس عنصريون وشموليون حاولوا أن يُبيدوا الشعب الكوردي بمختلف الوسائل ويقضوا على معالم وجود هذا الشعب وآثار الشعب الذي هو أحد أعرق شعوب العالم، سرق وطنه ونهب خيراته بلا ده.

كما هو معروف فإن اللغة هي إحدى أهم معالم الشعب، ولذلك حاول ويحاول محتلو كوردستان والسياسيون والكتّاب العنصريون طمس التاريخ الكوردي وتشويهه، وإظهار الشعب الكوردي وكأنه شعب طارئ على المنطقة وبلا تاريخ ومفتقر إلى اللغة.

اللغة البهلوية أصل اللغة الكوردية الحالية المتشعبة إلى اللهجات الأربع وهي الكرمانجية والكورانية واللورية والكلهورية، وأقرب هذه اللهجات إلى البهلوية هي اللورية نظراً لقرب مكان اللور من مركز البهلوية الأولى، ولعدم تأثر اللور كثيراً بالكلدانيين والآشوريين، تليها الكلهورية فالكورانية والكرمانجية^(١).

ومن حيث الانتماء إلى المجموعات اللغوية تنتمي اللغة الكوردية إلى فصيلة اللغات الهندو أوروبية التي هي قسم من اللغات الهندو إيرانية، أما الصلة التي تربط اللغة الكوردية بهذه المجموعة اللغوية، فهي فضلاً عن وجود آلاف من المفردات الأستية والبهلوية والفارسية القديمة في اللغة الكوردية، هي وجود القواعد اللغوية المتقاربة من حيث تصريف الأفعال وتركيب الجمل، وكذلك من حيث التغيرات الدلالية وعلم الأصوات اللغوية وحتى من ناحية تقسيم الكلام إلى مقاطع. إلا أن هذا الانتماء إلى هذه المجموعة اللغوية لا تعني بأي حال من الأحوال عدم استقلالية اللغة الكوردية بين لغات العالم الحية، إذ وعلى الرغم من وجود التشابهات الكثيرة بينها وبين لغات هذه المجموعة من النواحي المذكورة، إلا أن لها أصولها وقواعدها وتطوراتها ودلالاتها واشتقاقاتها الخاصة، وهي ليست فرعاً من أية لغة أخرى^(٢).

(١) ينظر: شرف نامه: المصدر السابق، ٨٧

(٢) ينظر: تاريخ الكورد في الحضارة الإسلامية: احمد خليل، ١٠٥-١٠٦

الفرع الثاني: مميزات اللغة الكوردية

من حيث مكانة اللغة الكوردية السائدة في كردستان العراق يمكن القول بأن اللغة الكوردية في إقليم كردستان العراق في ازدهار أكثر، لأسباب تعود إلى الأرضية الأدبية لشعراء الكورد، وكذلك لظروف مؤاتية منذ زمن الاحتلال البريطاني ولإتفاقية سنة ١٩٧٠، التي تم فيها إقرار اللغة الكوردية كلغة ثانية في العراق وتم تدريسها في المدارس، فضلا عن التطورات التي حدثت في كردستان العراق بعد انتفاضة ١٩٩١ و بعد تشكيل حكومة إقليم كردستان^(١).

تحتوي اللغة الكوردية على أكثر من ٧٣٥,٣٢٠ تقريبا كلمة رئيسة، بذلك تكون ثالث أكثر لغة تحتوي على كلمات بعد الفنلندية والكورية، وتحتوي اللغة الكوردية بجميع لهجاتها على مجموعة ١,٢٠٠,٠٠٠ مليون كلمة عدا التعابير والعبارات. واللهجات الكوردية الرئيسية هي الكوردية الشمالية (كرمانجي)، الكوردية المركزية (سوراني)^(٢).

المطلب الثالث: علاقة الكورد بالدين الإسلامي

الفرع الأول: ديانة الكورد

إنَّ أجداد الكورد ينتمون إلى كتلة الشعوب الآرية، فلا ريب أنهم كانوا في العهود الغابرة جداً من أتباع ديانة (ميثرا)^(٣) شأنهم في ذلك شأن الشعوب الآرية حينذاك، ويبدو أن الميثرائية أصبحت أكثر اقتراباً من التوحيدية في الألف الأول قبل الميلاد، حينما تجلت في صيغة (الأزدائية)، وتسمى (دينكورد)، نسبة إلى إله (أزدان-يزدان-الخالق)^(٤).

وغالبية الكورد كانوا من معتنقي الزردشتية إبان الدعوة والفتح الإسلامي، واليزدية يرجع جذورها إلى الأديان القديمة للكورد من الميثرائية وشابته معتقدات زردشتية، وخالطتها مؤثرات نصرانية نسطورية، وأخرى إسلامية^(٥).

(١) ينظر: اللغة واللهجات الكردية دراسة جغرافية: فؤاد حمه خورشيد، دار الثقافة والنشر الكوردية، ٢٠٠٥، ١٠-٢٠

(٢) موقع ويكيبيديا: اللغة الكوردية، تأريخ الوضع: ٢٠١٨-١١-١٦، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٩/٣

(٣) الميثرائية (المثراسية) أو الأسرار الميثرائية هي طائفة باطنية انتشرت في العالم الروماني، عبد أتباعها الإله الهندو-إيراني «ميثرا» باعتباره إله الصداقة والعقود والنظام/موقع الميثرائية: تعريف، Al-Hussain Al-Tahir، تأريخ الوضع: ١٠ / June

٢٠١٥/٢/٨/٥/٨، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/٥

(٤) ينظر: تأريخ الكورد في الحضارة الإسلامية: المصدر السابق، ١١٣

(٥) المصدر نفسه: ص ١٢١-١٢٢

الفرع الثاني: اتصال الكورد بالإسلام

الواضح أن منطقة كوردستان في الغالب كان مسرحاً لمعارك كبيرة بين القوى الكبرى للأمم الموجودة آنذاك، وكذلك مع الشعوب الكوردية المتواجدة من لولو وكوتي وكاشي والخالدي والسوباري والميديين وغيرهم، مع الأكديين والسومريين والبابليين والآشوريين وغيرهم، وكان لهم دويلات ودول أعظمهم الإمبراطورية الميديية الكوبرى سنة (٧٠١ ق.م) التي أسسها (كياخسار هووخ شتر)^(١) وبلغت هذه البلاد أوج مجدها في عهدها الزاهر وامتدت فيه حدودها من (باخترانه- بخارى) شرقاً إلى نهر(قزىل إيرماق) غرباً، ومن بحر(قزوين) شمالاً إلى الخليج الفارسي جنوباً، وقضى على هذه الإمبراطورية الواسعة سنة(٥٥٠ ق.م) في عهد ملكها (استياغ - ايختوويكر) الميدي الملك الأخميني المدعو (كورش) أي كيخسرو الكبير^(٢).

وبعد ذلك خضعت جميع بلاد كوردستان والبلاد الميديية للحكومة الأخمينية وبعد سقوط الدولة الأخمينية على يد الإسكندر المقدوني الذي استولى على البلاد الإيرانية، كانت البلاد الكوردية "ميديا، كوردئين، وغيرها من المقاطعات" بطبيعة الحال واقعة بين هذا الميراث الكبير^(٣).

وبالرجوع إلى الوقائع التاريخية يتبين أن كوردستان قبل الفتح الإسلامي كانت في الغالب تابعة للدولة الساسانية، وإن استطاع الرومان بسط نفوذهم على مناطق منها ولا سيما ما يعرف حالياً بكوردستان تركيا، ولم يكن للكورد أية دولة حين ظهور الإسلام والفتوحات الإسلامية وإنما كان تحت وطأة الساسانيين والرومان، فقبل أن يدخل الكورد في الإسلام وكانت لديهم ديانات قديمة مشتركة مع الآريين والهندو أوروبيين وسكان المنطقة آنذاك، وعاش نوح بعد الطوفان وكذلك إبراهيم -عليه السلام- في المنطقة التي تقع ضمن كوردستان، ولكن ليس لدينا ما يثبت بالقطع مدى انتشار معتقداتهم في تلك الأقوام بما فيهم أسلاف الكورد، ومن بعد ذلك انتشرت فيهم الزرادشتية فاعتنقته غالبيتهم قبل الإسلام، مع وجود معتنقي بعض الأديان الأخرى من

(١) كي خسرو - هو ثالث ملوك مملكة ماد (ميديا) الكوردية التي ظهرت ما بين الاعوام ٧٠٠ ق م - ٥٤٩ ق م) وهو ابن الملك الكردي الميدي فره هاوه رد (فراورتس) الذي قتل في العام ٦٥٢ ق م - على يد الاسكيتيين الغزاة الذين نزحوا من الشمال نحو الاراضي الكوردية بعد تحالفهم مع الاشوريين - وفرهاورد(فراورتس) هو ابن مؤسس مملكة ماد الملك (ديوك=ديوكو=دياكو) - وسيطروا الاسكيتيين على بلاد الكرد الميديين مدة ٢٥ سنة الى ان اعاد كيخسرو ابن الملك فرهاورد (فراورتس) الحكم الكردي من الاسكيتيين عام ٦٢٥ ق م وطاردهم الى ان اخرجهم من الاراضي الكوردية - ثم شكل كيخسرو جيشاً نظامياً قوياً مسلحاً بعد ان وحد القبائل الكوردية للتصدي لغزوا الاشوريين وتحالف مع ملك بابل ودخل عاصمة الاشوريين نينوى ودمرها عام ٦١٢ قبل الميلاد - ثم زحف نحو الجنوب واخضع الفرس وجعلهم تابعاً لمملكة ماد(ميديا)/ التعرف على كي خسرو: شمشاد أميري خراساني، دار العلم طهران، ط١، ١٠

(٢) ينظر: شرف نامه: المصدر السابق، ٨٣

(٣) المصدر نفسه: ٨٤

عباد الشمس وبقايا الأديان القديمة، وهناك إشارات بأن قسماً ضئيلاً منهم اعتنق المسيحية^(١) ولما ظهر الإسلام واتصل الكورد بالمسلمين الأوائل، وأخذوا يفكرون في مبادئ هذا الدين الجديد وتعاليمه السمحة، وجدوا أن هذه المبادئ القوية والتعاليم العامة تتفق وما جُلبوا عليه من أخلاق وسجايا، فأقبلوا على هذا الدين بكليتهم^(٢) - كما يقول السير مارك سايكس^(٣)، واعتنقوه بكل سهولة على مدى الأيام وأخلصوا له كل الإخلاص.

وهذا لا ينفي أن الكورد اعتنق الدين الإسلامي حرباً تارة وسلاماً تارة أخرى، إلا أن أوجه التماثل في الأصول العقديّة بين الأزدائية ودينكورد والزرذشتية من جانب والدين الإسلامي من جانب آخر قربت الإسلام إلى عقول الكورد وقلوبهم^(٤).

ويمكن القول بأن أول احتكاك بين الكورد والإسلام يرجع إلى سنة ١٤ هـ في معركة القادسية أو ما بعده بقليل ولكن بالنسبة للكورد كجنود في الجيش الفارسي لا كشعب، وهذه المعركة تعد كبرى المعارك مع المسلم، وقد احتشد جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص أيام الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - في موقع القادسية^(٥).

مع ذلك هناك ثلاث روايات مختلفة في المصادر الإسلامية حول تحديد تأريخ الفتح الإسلامي لبلاد الكورد، وهي:

- ١ - اعتبار سنة (١٦) من الهجرة تأريخاً للفتح^(٦).
- ٢ - اعتبار سنة (١٧) هجرية تأريخاً للفتح^(٧).
- ٣ - اعتبار سنة (١٩) من الهجرة سنة للفتح^(٨).

(١) ينظر: ميزوى كه لى كورد: صالح قفتان، سليمانى - كوردستان ٢٠٠٤، ط٢، ٩٤

(٢) ينظر: شرفنامه: المصدر السابق، ٩٣

(٣) ينظر: مارك سايكس مستشار سياسي ودبلوماسي وعسكري ورحالة بريطاني، مثل بلاده في محادثات سرية لاقتسام أراضي الإمبراطورية العثمانية في المشرق والأناضول مع فرنسا وروسيا، ووقع الاتفاقية المعروفة بـ"سايكس بيكو"، وكان له دور بارز في صنع "وعد بلفور". توفي عام ١٩١٩. /موقع الجزيرة: تأريخ الوضع: ٢٠١٦/٥/١٨، تأريخ المراجعة: ٢٠٢١/٨/١١

(٤) ينظر: تأريخ الكورد في الحضارة الإسلامية: المصدر السابق، ١١٣

(٥) ينظر: موسوعة الحروب: هشام هلال، دار المعرفة - بيروت، لوبنان ٢٠٠٦، ط١، ١٧٢-١٧٤

(٦) ينظر: فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاءذري، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٨، ٣٢٥/تأريخ الرسل والملوك: الطبري، ٤، ٢٤

(٧) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ت: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٦

(٨) ينظر: البلدان: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٧٣-٧٤

بعد أن فُتحت كوردستان من قبل المسلمين القدامى وبعد التتبع التاريخي نرى أن الكورد دخلوا الإسلام تدريجياً وبمرور الوقت، وحسُنَ إسلامهم، وشاركوا بعد ذلك في الفتوحات الإسلامية للبلاد الأخرى وخدموا الإسلام والمسلمين، وعدوا جزءاً من هذا التاريخ مع بقاء خصوصياتهم، وشكلوا في طول التاريخ الإسلامي حتى العصر الحديث عدداً كبيراً من الدول والأمارات، وظهر فيهم قادة وعلماء أجلاء خدموا الإسلام والمسلمين، وشاركوا كباقي الشعوب الإسلامية في الثورات التي نشبت وحدثت طول هذا التاريخ في العهد الأموي والعباسي وصولاً إلى زمن الصفويين والعثمانيين^(١). واستمر الكورد في عطائهم داخل الحضارة الإسلامية وعلى مرّ الأزمنة المتعددة، ومع ذلك حُرِمَ هذا الشعب من حقوق كثيرة ولاسيما في العصور المتأخرة والحديثة.

المطلب الرابع: إسهام الكورد في بناء الحضارة الإسلامية وتطويرها

إن الكورد قدّموا إسهامات كبيرة في بناء الحضارة الإسلامية وتطويرها عبر العصور المختلفة، منذ عصر النبي محمد - ﷺ - وإلى العصر الحديث. وعلى غرار بقية الشعوب التي تأثرت بقيم الإسلام، أسهم الكورد بجدارة في تشييد الحضارة الإسلامية وإثرائها على نحوٍ حضاري. إذ تراوحت مساهماتهم عبر مختلف المجالات: العلمية، الثقافية، الإدارية، الاقتصادية، الاجتماعية، والعمرانية.

فليس ثمة حلقة من حلقات الإبداع الحضاري الإسلامي، إلا وتجدد للكورد إسهاماً فاعلاً فيه. لقد تحوّلت البيئات الكوردستانية في العصور الإسلامية إلى بيئات متحضرة بكل معنى الكلمة.. ولكن دور الكورد الحضاري لم يقتصر على ديارهم، وإنما تعدّاهم إلى سائر البيئات الإسلامية من خلال الدول والإمارات التي شكلوها هناك أو عبر الرحلات العلمية التي كان علماء الكورد ينتقلون خلالها من بلد إلى بلد، ومن مكان إلى مكان، ناشرين ما في جعبتهم من علم ومعرفة، متزوّدين منهما بالمزيد.

إذا عدنا إلى ما معنى من تاريخ الدول والإمارات الكوردية عبر تاريخنا الإسلامي، وأضفنا إليها جولة دقيقة في كتب التراجم، سنكتشف بأمر أعيننا الدور المبرز الذي لعبه الكورد في نسيج الحضارة الإسلامية. سنجد أمامنا مساحة واسعة امتدّت فيها إسهاماتهم الكوردي، وتفردتهم بمواقع ذات أهمية، وكذلك سنُدْهِش من العدد الكبير والمذهل من العلماء الذين برعوا وتألقوا في مختلف المعارف والتخصصات^(٢).

تحت سقف الإسلام، أسهم الكورد في بناء مدن وعمائر على امتداد ربوع الأرض، وشهدت نشاطهم الاقتصادي زخماً لافتاً، فقط ازدهروا في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة. عاشوا تطوراً ملحوظاً وتقدّماً،

(١) ينظر: شرف نامه: المصدر السابق، ص ١٦٥

(٢) ينظر: موقع الحوار: الشعب الكردي في ظلال العصر الإسلامي، أ. د. عماد الدين خليل، تأريخ الوضع: ٢٠١١/٠٤/٠٧، تأريخ

المراجعة: ٢٠٢٢/٧/٧

ورقيّت نظم إداريتهم، فتنامت حياتهم الاجتماعية وتنوّعت خبراتهم، ما جعلها تزخر بالخصوبة والإثراء. كانت البيئات الكوردية مصدرًا لجلب حشود من العلماء والمختصين في مختلف الميادين، ما أضفى على هذه الحضارة تعمقًا وتنوعًا لافتًا.

ومن العجب أن نجد كبار المتضلعين في اللغة العربية هم من الكورد، وجهابذة الفقه الإسلامي هم من الكورد أيضاً. لقد كان عشقهم لهذا الدين، ومحاولة سبر غوره، والإلمام بمطالبه، والتمكن من العلوم المساعدة الموصلة إلى حقائقه وبخاصة اللغة، وراء هذه الظاهرة الحاضرة حتى في اللحظات الراهنة متمثلة بأساطين الأكاديميين المنتشرين في الجامعات العراقية والعربية والإسلامية، ممن بلغوا شأواً بعيداً في الدراسات اللغوية والفقهية، فضلاً عن التخصصات الأخرى^(١).

في مخضبات العصور الإسلامية، كانت كوردستان كالمنجم الذي ينبعث منه ضياء العلماء والفقهاء والقضاة والأدباء. تبقى وتستمر كمورد يمد العالم الإسلامي والفكر الإسلامي بأعلام الدعوة والأدب والفكر. وعلى صعيديّ العالم الإسلامي المعاصر، يتبادر إلى الذهن أسماء مثل بديع الزمان سعيد النورسي، صاحب المئة والثلاثين رسالة الشهيرة، الذي أسس لأحد أهم الحركات الإسلامية في تركيا، وأحمد شوقي، الأمير بين الشعراء، والعقاد، العملاق في الأدب والفكر، اللذان يشترقان من أصول كوردية. كما نجد محمد سعيد رمضان البوطي، الفقيه والمفكر الكبير. وعلى نطاق العراق، نذكر شيوخًا وأكاديميين بارزين في مجال اللغة والفقه، مثل الزلمي ومحمد رمضان والمدرس وأحمد الزهاوي والقره داغي والبنجويني ومحمد النقشبندي، وجمع آخرون يشتركون في هذا المشهد العريق^(٢).

لقد سجل الكورد سجلاً ثرياً لنوابغ الأمة الكوردية التي أنجبت المئات من المقامات والمشاهير على مدى التاريخ وبرزوا في ميادين السياسة والفكر والعلم والأدب، وقدموا خدمات لا تقدر بثمن إلى الحضارة الإسلامية، وإلى الأقاليم ممن عاشوا معهم وجاوروهم على مر التاريخ من العرب والفرس والترك. وساهموا في خدمة الحضارة الإنسانية، والدين الإسلامي الحنيف، وآداب العرب والترك والفرس، وجدير أن تكتب أسماؤهم بمداد من الذهب على صفحات أسفار التاريخ الإسلامي، ومنهم على سبيل الذكر بطل الإسلام الخالد صلاح الدين الأيوبي، ومحرم المرأة العربية قاسم أمين، والشاعران معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي، والإمام المصلح الشيخ محمد عبده، والقارئ الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد، والمجاهد الكبير إبراهيم

(١) ينظر: المصدر نفسه، تاريخ الوضع: ٢٠١١/٠٤/٠٧، تاريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٧/٥

(٢) ينظر: إسهامات العلماء الكورد في بناء الحضارة الإسلامية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين: تريفية البرزنخي، دار الكتب

هنانو، والعلامة محمد كرد علي، والشيخ احمد كفتاروا^(١).

فإذا ما عدنا إلى الوراء، باتجاه العصور الإسلامية السابقة، فانا سنجد حشداً آخر من علماء الكورد الكبار وأدبائهم، كانت لهم أعظم الأدوار في إغناء الحضارة الإسلامية في مجالاتها ومعارفها كافة، ويكفي أن نتذكر بعضاً منهم: أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى الهكاري (ت ٥٨٥)، مجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦)، الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣)، ابن الخباز الإربلي الموصلبي النحوي (ت ٦٣٩)، عثمان بن عمر بن يونس جمال الدين أبو عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦)، شهاب الدين السهروردي (ت ٥٨٦) وحشوداً أخرى لا تعد ولا تحصى^(٢).

المطلب الخامس: التعريف بكوردستان العراق وسبب تخصيصها بالبحث

الفرع الأول: تعريف كوردستان

أولاً: مصطلح كوردستان

التسمية:

تعرض موطن الكورد الجغرافي إلى تفسيرات عديدة، ويطلق اسم كوردستان على موطن الكورد، فالتعبير العرقي لكلمة كوردستان يعني بصورة عامة البلاد التي يسكنها الكورد، وقديماً أطلق اليونانيون والرومانيون على كوردستان، كوردونس أو كوردياي، وسماه السريانيون باسم (كاردو)، أما الكتاب العرب القدماء فلم يستخدموا الأسماء اليونانية في الحديث عن بلاد الكورد بل كانوا يسمونها باسم (إقليم الجبال)

تاريخ التسمية:

عرفت هذه المنطقة باسم كوردستان لأول مرة في القرن السادس الهجري القرن الثاني عشر الميلادي - في عهد السلاجقة، وبالتحديد في عهد السلطان سنجر السلجوقي (٥١١ هـ - ٥٥١ هـ / ١١١٧ - ١١٥٦ م) عندما اقتطع هذا القسم من إقليم الجبال وسماه كوردستان وولي عليه ابن أخيه سليمان شاه^(٣). وشاع بين أوساط بعض المؤرخين والباحثين، أن المؤرخ والبلداني المعروف حمد الله المستوفي القزويني المتوفي عام (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)، هو أول من أورد اسم كوردستان في كتابه (نزهة القلوب) الذي ألفه باللغة

(١) الموسوعة الكبرى لمشاهير الكرد عبر التاريخ: د. محمد علي الصويركي الكردي، دار العربية للموسوعات - بيروت، ط١، ٢٠٠٨،

٥

(٢) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط١، ١٩٨٢، ٤٧/الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك، ت: أحمد الأرنؤوط، دار إحياء التراث -

بيروت، ٢٠٠٠، ٢٢٣/٦

(٣) ينظر: تأريخ الشعوب الإسلامية مادة كورد: دكتور حسان حلاق، دار المعرفة: ط٣، ٢٠١٧، ٢٣٤

الفارسية سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م)، لكن المؤرخ الإنكليزي ديفيد مكحول يقول: إن من الأخطاء الشائعة في الكتابات الكوردية أن حمد الله المستوفي القزويني هو أول من ذكره في كتابه نزهة القلوب. لكن الحقيقة أن كتاب مرصدا الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، لمؤلفه صفي الدين البغدادي ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م قد ذكر مصطلح كوردستان قبله بأربعة عقود.

كما وجد في كتب بعض المؤرخين والرحالة من الذين سبقوا حمد الله المستوفي بعشرات السنين، فالرحالة الإيطالي ماركو بولو Marco Polo المتوفي سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) والذي بدأ بزيارة أقاليم المشرق سنة (٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م)، ذكر اسم كوردستان في رحلته، كما ذكر مؤرخ المغول رشيد الدين فضل الله الهمذاني المتوفي سنة (٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) اسم كوردستان أكثر من مرة في كتابه عن تاريخ المغول، ففي حوادث بدايات العصر المغولي، يذكر في " همذان بالقرب من خانة آباد التي هي عبارة عن مرعى من كوردستان"، وفي حوادث سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) أورد عبارة " جبل هكار بكوردستان، أما معاصره شهاب الدين عبد الله الشيرازي المتوفي بعد سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م) فذكر هو الآخر الاسم نفسه. وخلال العهد الجلائري (٧٣٨ - ٨١٣ هـ / ١٣٣٨ - ١٤١٠ م) حلت تسمية كوردستان تماماً محل التسميات الأخرى، وغدت الاسم الرسمي للبلاد الكوردية في سجلات الدولة الجلائرية ودواوينها، وأخذت تتردد بكثرة في المصادر الفارسية والأوروبية^(١).

ثانياً: مصطلح إقليم كوردستان

كوردستان العراق أو إقليم كوردستان (بالكوردية: ههريمى كوردستانى عيراق) إقليم كُورديّ يقع شمال العراق ويتمتع بحكم فدرالي، تحده إيران من جهة الشرق وتركيا من جهة الشمال، وسوريا من جهة الغرب ويقع شمال العراق. عاصمتها أربيل بحكم الواقع، تُعرف بـ (هولير) باللغة الكوردية، بينما كركوك العاصمة بحكم القانون. تخضع المنطقة لحكومة إقليم كوردستان رسمياً.

يعود إنشاء إقليم كوردستان العراق إلى معاهدة الحكم الذاتي في آذار/ مارس ١٩٧٠ بعد الاتفاق بين الحكومة العراقية والمعارضة الكوردية عقب سنوات من المعارك. ولقد دمرت المنطقة خلال الحرب بين إيران والعراق في عقد الثمانينيات، وكذلك خلال حملة الإبادة الجماعية (الأنفال) التي شنّها الجيش العراقي على القرى الكوردية، إلا أنه بعد انتفاضة الشعب العراقي عام ١٩٩١ ضد نظام حكم صدام حسين^(٢)، اضطر

(١) ينظر: قناة مؤسسة الحوار المتمدن على اليوتيوب، مصطلح إقليم كوردستان في تاريخ الشرق: رسم محمد حسن تأريخ الوضع: ٢٠٢٠ / ٢ / ١٣ - ١٩:١١ تأريخ المراجعة: ٢٠٢١/٨/٧

(٢) صدام حسين المجيد (٢٨ نيسان ١٩٣٧ - ٣٠ كانون الأول ٢٠٠٦) خامس رئيس لجمهورية العراق والأمين القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي والقائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية في الفترة ما بين عام ١٩٧٩م وحتى ٩ أبريل عام ٢٠٠٣م، ونائب

الكثير من الكورد إلى الفرار والنزوح من البلاد ليصبحوا لاجئين في المناطق الحدودية مع إيران وتركيا. وفي عام ١٩٩١ أنشئت في كوردستان منطقة حظر الطيران بعد حرب الخليج الثانية، مما شكل ملاذًا آمنًا سهل عودة اللاجئيين الكورد، كما واصل الكورد فيما بعد محاربة القوات الحكومية، ولقد غادرت القوات العراقية منطقة كوردستان في نهاية المطاف في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩١، وغدت المنطقة مستقلة ذاتيًا بحكم الواقع، إلا أن أيًا من الحزبين الكورديين الرئيسيين لم يعلن الاستقلال في ذلك الوقت، ولا تزال منطقة كوردستان العراق تعد نفسها جزءًا من العراق. ولقد أدى غزو العراق في عام ٢٠٠٣ والتغيرات السياسية اللاحقة للتصديق على دستور جديد للعراق في عام ٢٠٠٥، إلى تحديد الدستور العراقي الجديد لمنطقة كوردستان العراق ككيان اتحادي ضمن العراق، وجعل اللغة العربية واللغة الكوردية لغتان رسميتان مشتركان في العراق^(١).

ويتمتع إقليم كوردستان العراق بحكم ديمقراطي برلماني مع حكم برلمان إقليمي يتكون من ١١١ مقعدًا. والرئيس الأول للإقليم كان السيد مسعود البرزاني، والذي انتخب في بداية عام ٢٠٠٥ وأعيد انتخابه في عام ٢٠٠٩. فيما انتخب الرئيس الجديد لإقليم كوردستان السيد نيجيرفان بارزاني في حزيران / يونيو ٢٠١٩ وتبلغ مساحة المحافظات الأربعة دهوك وأربيل والسليمانية وحلبجة حوالي ٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربع (١٥,٠٠٠ ميل مربع)، بينما يبلغ عدد سكانها حوالي ٥ ملايين نسمة.

كوردستان تعني حرفيًا "بلاد الكورد"، ويشار إليها في الدستور العراقي باسم إقليم كوردستان. والاسم الكامل للحكومة هو "حكومة إقليم كوردستان". ويشار إلى المنطقة في أدبيات كثير من المنظمات السياسية الكوردية، والسكان المحليين باسم "باشووري كوردستان" (جنوب كوردستان) أو "كوردستاني باشوور" (كوردستان الجنوبية) في إشارة إلى موقعها الجغرافي في كامل منطقة كوردستان. وكانت المنطقة مسماة خلال إدارة حكومة حزب البعث في عقد السبعينات والثمانينات "بمنطقة الحكم الذاتي الكوردية"^(٢).

الفرع الثاني: سبب تخصيص البحث

أسباب تخصيص البحث حول قضية إبادة الكورد في العراق من منظور الفقه الإسلامي يمكن أن يكون هناك عدة أسباب ذات أهمية منها:

١- الأخلاق والقيم الدينية: الفقه الإسلامي يعد القيم والأخلاق الدينية أمورًا ذات أهمية. من خلال تحليل إبادة الكورد من منظور الفقه الإسلامي، يمكن الوصول إلى تقويم ديني لهذه الجريمة وتقويم رؤية دينية

رئيس جمهورية العراق عضو القيادة القطرية ورئيس مكتب الأمن القومي العراقي بحزب البعث العربي الاشتراكي بين ١٩٧٥ و١٩٧٩/ عالم صدام حسين: مهدي حيدر، منشورات الجمل، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٥، ١٥

(١) ينظر: دستور العراق عام ٢٠٠٥، المادة: الرابعة، الفقرة: الأولى

(٢) ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة: مقالة كوردستان العراق، تأريخ المراجعة: ٢٠٢١/٨/٨

للأخلاق والمبادئ التي انتهكت.

٢- **التقدير الديني للعدالة:** الفقه الإسلامي يدعو ويشجع على العدالة ويتبنى جميع حقوق الإنسان،

وبالتالي يمكن استخدام الفقه الإسلامي لتقديم تقويم ديني للظلم والانتهاكات التي تعرض لها الكورد.

٣- **تشجيع التوعية الدينية:** البحث حول هذا الموضوع من منظور الفقه الإسلامي يمكن أن يساهم

في زيادة التوعية الدينية بين المجتمعات المسلمة حول الإبادة الجماعية بحق الشعب الكوردي، وبيان الظلم الذي تعرض له الكورد باسم الدين وبيان الواقع الذي يعيش فيه الكورد من حيث صلته القومي بالإسلام.

٤- **المشاركة الدينية في حل النزاعات:** الفقه الإسلامي يمكن أن يوجه كيفية التعامل مع النزاعات

والتحكيم فيها، ويمكن أن يلعب دورًا في تشجيع الحوار وحل النزاعات المماثلة في المستقبل.

٥- **التأثير على السياسة واتخاذ القرار:** في بعض المجتمعات الإسلامية، يكون للفقه الإسلامي تأثير

كبير على صياغة السياسة واتخاذ القرارات، وبالتالي، يمكن أن يلعب البحث دورًا في توجيه السياسات الحكومية نحو تحقيق العدالة ومنع تكرار مثل هذه الجرائم.

٦- **زيادة الوعي والتفاهم الديني:** يمكن للبحث أن يساهم في زيادة الوعي بين الناس حول القضايا

الدينية المتعلقة بحقوق الإنسان والعدالة.

٧- **رد تحريضات أعداء الدين:** بأن الإسلام يجذب القتل والإبادة بدليل إن عمليات الأنفال باسم

سورة الأنفال.

الفصل الثاني: مسألة القتال في الإسلام وموقع الإبادة الجماعية منها

المبحث الأول: تعريف القتال وتأصيله وأنواعه وأسبابه في الفقه الإسلامي

المبحث الثاني: أهداف القتال وضوابطه وقواعده في الفقه الإسلامي

المبحث الثالث: الإبادة الجماعية في الشريعة الإسلامية

المبحث الرابع: طبيعة المسؤولية الجنائية عن جريمة الإبادة الجماعية.

الفصل الثاني: مسألة القتال في الإسلام وموقع الإبادة الجماعية منها

مسألة القتال في الإسلام هي موضوع معقد يتطرق إلى الجوانب الدينية والتاريخية والسياسية. يتعين أن نفهم أن الإسلام كدين يسمح بالقتال في مواقف محددة وبشروط معينة، وهذا القتال يمكن أن يكون دفاعيًا أو جهاديًا للدفاع عن المسلمين والدين. ومن بين مفاهيم القتال في الإسلام، يمكننا أن نجد مرتبطًا بهذا العنوان موضوع الإبادة الجماعية. الإبادة الجماعية تعد ظاهرة مستنكرة بشدة في الإسلام وتتعارض بشكل قاطع مع تعاليم الدين. الإسلام يعزز قيم العدالة والرحمة ويندد بالقتل الجماعي للأبرياء بغض النظر عن أي اعتبارات عرقية أو دينية. على الرغم من ذلك، للأسف، شهد التاريخ الإسلامي بعض الحالات التي يمكن وصفها بأنها إبادات جماعية أو تطهير عرقي. ولكن يجب أن نفهم أن مثل هذه الأعمال الوحشية لا تمثل الإسلام نفسه بل هي نتاج أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية. فمسألة القتال في الإسلام تتعامل مع السلوك الإنساني والأخلاق والقيم الدينية، ويجب الفصل بين القتال الشرعي والإبادة الجماعية التي تعبر عن إنتهاكات خطيرة للقوانين والقيم الإسلامية.

المبحث الأول: تعريف القتال وتأصيله وأنواعه وأسبابه في الفقه الإسلامي

تمهيد

القتال في سبيل الله يظهر بفارق كبير في الفرائض والتشريعات الإسلامية مقارنة بالحروب التي كانت تشهدها العصور الجاهلية. هذا الاختلاف يشمل الأهداف المتميزة، والوسائل المستخدمة، والقوانين المحكمة لهذا النوع من الصراعات. فرائض الإسلام، بما في ذلك القتال في سبيل الله، تتميز بطابعها الروحي والديني الذي ينبع من إرادة الله تعالى، بينما كانت الحروب في العصور الجاهلية تعتمد على مبادرة البشر وتخلو من الأسس الروحية العليا. تقوم الشريعة الإسلامية تأسس على مبادئ إلهية وقيم أخلاقية عالية الرفع، تهدف إلى تحقيق العدالة والسلام وحماية الحقوق. الاختلاف البارز بين شريعة الله وقوانين البشر يُمثّل الفارق الجوهرى بين الخالق والمخلوق. الله يعتبر مصدرًا للحكمة والرحمة والعدل التام، في حين أن البشر غالبًا ما يكونون مقيدين بالمصالح الشخصية والدوافع الدنيوية، مما ينتج عنه قوانين تتبع أغلب الأوقات هذه المصالح الشخصية بدلاً من تحقيق العدالة والرحمة الشاملة لذلك، الفرق الواضح يتجلى بين القتال في سبيل الله والحروب الجاهلية من خلال الإطار الشرعي الإسلامي وتنظيمه القائم على قيم دينية وأخلاقية صارمة، بينما كانت الحروب الجاهلية تُقاد بوساطة مصالح شخصية وأهداف ذاتية. هذه الأخيرة كانت تعتمد على وسائل وأساليب تنافي القيم الأخلاقية السامية وكانت تتسبب في الفوضى والظلم.

والدين الوحيد الذي ألزم أتباعه بآداب القتال هو الإسلام الذي جاء من عند الله تعالى، ﴿إِنَّ الدِّينَ

عند الله الإسلام^٥ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم^٦
ومن يكفر بآيات الله فإت الله سريع الحساب ﴿ [آل عمران: ١٩]

وقد فصلها خاتم الرسل - ﷺ - أيما تفصيل، والذي قال عنه رب العزة: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً
للعالمين ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

لقد جاء الإسلام لتحقيق المساواة أمام القضاء والقوانين بين جميع البشر، بينما كانت المجتمعات تقسم
الناس إلى طبقات وتمنح كل طبقة نظاماً قانونياً خاصاً بها. في عهود الرق والإقطاع، كانت إرادة السيد تسيطر
على الأوامر. كان ذلك المنهج الذي قدمه الإسلام في ذلك الزمن يُعتبر غير تقليدياً بالنسبة للبشرية وكان
يُعتبر غريباً على ضمير الإنسانية أن يؤكد على مبدأ المساواة التامة أمام القضاء، ولكن ها نحن نلاحظ تدريجياً
محاولات التقارب النظري نحو مبادئ الإسلام وتطبيقاتها على أرض الواقع، على الرغم من مرور أكثر من
أربعة عشر قرناً على بداية انتشار الرسالة الإسلامية. إن الإسلام لعب دوراً كبيراً في تشجيع قيم العدالة
والرحمة والتسامح في العالم، حيث يُعتقد أن الرسول محمد - ﷺ - تم إرساله كرحمة للعالمين. يظهر هذا التأثير
في الناس بغض النظر عن اعتقاداتهم، وقد تأثرت البشرية بشكل عام بالمنهج الإسلامي سواء كانوا يعتقدونه
أو لا، وبصور متنوعة وبطرق مختلفة، وما تزال ظلال هذه الرحمة والرأفة لمن يريد أن يستظل بها ويستروح فيها
نسائم السماء الرخية، في هجير الأرض المحرقة وبخاصة في هذه الأيام، وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى
حس هذه الرحمة ونداها. وهي قلقة حائرة، شاردة في متاهات المادية، وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح
والقلوب^(١).

وسنبين في هذا المبحث معنى القتال وآيات القتال وسبب نزول الآيات و زمن نزولها ومراحل القتال
وعلة الإذن بالقتال وبيان هدف القتال.

المطلب الأول: تعريف القتال

أولاً: التعريف اللغوي

القتال: مصدر قاتل الفعل الرباعي، هو بمعنى المشاركة أي المدافعة والمحاربة بين اثنين، قاتل يقاتل
مقاتلة وقتالا، إذا حارب ودافع^(٢). أي يقاتل ما قاتله وهذه هي المشاركة.

(١) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين، دار الشروق بيروت-، ط١٧، ١٤١٢، ٢٤٠٤

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: المصدر السابق، ٩/٦٢/ النكملة: الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، ت: عبد العليم الطحاوي وآخرون،

مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩، ٤٨٠/٥

ثانياً: التعريف الاصطلاحي

تستعمل كلمة: (القتال) اصطلاحاً بمعنى كلمة: (الجهاد) في اصطلاح الفقهاء، وتعددت عبارات الفقهاء في تعريف الجهاد، وأذكر بعضاً منها فيما يأتي:

١- تعريف الحنفية: "بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة، أو معاونة بمال، أو رأي، أو تكتير سواد، أو غير ذلك" (١).

٢- تعريف المالكية: هو: "قتال مسلم كافراً غير ذي عهد، لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخول أرضه" (٢).

٣- تعريف الشافعية: هو: "القتال في سبيل الله" (٣).

٤- تعريف الحنابلة: هو: "قتال الكفار خاصة" (٤).

مصطلح الجهاد عام يدخل فيه القتال وهو قسم من أقسام الجهاد، فالجهاد يكون باللسان، ويكون بالسنان - وهو القتال الفعلي والعملي -، ويكون بالمال، وتحت كل مرتبة مراتب متعددة، وأما القتال فلا يكون إلا بالسنان، فمنه قتال الكفار، ومنه قتال البغاة (٥) أي: المحاربين وقطاع الطرق.

المطلب الثاني: التأصيل الشرعي للقتال

الفرع الأول: آية القتال وسبب نزولها

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠]

سبب نزول الآية: ورد في سبب نزول هذه الآية أكثر من رواية، فمنها ما تشير إلى أنها نزلت في عامة

(١) الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار: محمد بن علي بن محمد الحصكفي، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢، ٣٢٩

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر - بيروت، ط٣، ١٩٩٢، ٣٤٧/٣

(٣) حاشية البجيرمي على الخطيب: سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المتوفى: ١٢٢١، دار الفكر بيروت - ١٩٩٥، ٢٥٠/٤

(٤) كشف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ت: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٢، ٣٢/٣

(٥) ينظر: الإسلام، سؤال وجواب: الشيخ محمد صالح المنجد، دار المعرفة، ٢٠٠٩، ٣٤١/٥

المهاجرين ومنها ما يخصص نزولها في أشخاص معينين وهي:

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ - ﷺ - مِنْ مَكَّةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ لِيُهْلِكُنَّ، فَنَزَلَتْ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقِتَالِ" (١).

٢- عن معمر، عن قتادة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] قال قتادة: "وهي أول آية نزلت في القتال، فأذن لهم أن يقاتلوا" (٢).

٣- حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد ابن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلي "وكان رسول الله - ﷺ - قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء إنما كان يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوسهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم ومن بين هارب في البلاد فرارا منهم، منهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفي كل وجه، فلما عنت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه - ﷺ - وعدبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه، أذن الله عز وجل لرسوله - ﷺ - في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله الدماء والقتال لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] أي إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا" (٣).

٤- ذهب مجاهد إلى أنها نزلت في أشخاص معينين أرادوا الهجرة فمنعوا فأذن لهم في القتال، روى عنه ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] قال: "خرج ناس مؤمنون مهاجرون من مكة إلى المدينة فاتبعهم كفار قريش فأذن الله لهم في قتالهم فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩] فقاتلوهم" (٤).

(١) أخرجه النسائي في سننه (٤٢٧٨)، وأحمد في مسنده (١٨٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٧٧)، والحاكم في المستدرک (٢٣٧٦)، وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يجره.

(٢) جامع البيان: المصدر السابق، ١٦/٥٧٦، أبو بكر عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت:

د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩/٢، ٤٠٨.

(٣) السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت لوبنان ١٤١١، ٣١٣/٢.

(٤) تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي، ت: عبدالرحمن الطاهر محمد، المنشورات العلمية-بيروت لوبنان، ٤٢٦/٢.

الفرع الثاني: زمن نزول الآية

زمن نزول الآية: لقد حصل خلاف حول زمن نزول الآية بحسب الروايات الواردة في سبب نزولها كالآتي:

١- يستفاد من رواية ابن عباس -رضي الله عنهما- أنها نزلت بعد أن خرج النبي -ﷺ- من مكة، فيحتمل أنها نزلت في الطريق أثناء الهجرة، أو بعد وصوله إلى المدينة مباشرة.

٢- ذهب ابن إسحاق إلى أنها نزلت بعد بيعة العقبة الثانية، ويتفق معه ابن أبي زيد في قوله أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين.

٣- يستفاد من رواية مجاهد أنها نزلت في المدينة المنورة بعد هجرة النبي -ﷺ- لأن الحادثة التي ذكرها على أنها كانت السبب في نزول آية الإذن بالقتال وقعت متأخرة عن هجرته -ﷺ- إلى المدينة، وقال آخرون: بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة، وتحلفوا عن الهجرة، والفتنة التي فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء، هي الهجرة التي امتحنوا بها.

ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن مطر، عن الشعبي، قال: "إنها نزلت، يعني قوله تعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٥﴾ [العنكبوت: ١ - ٣] الآيتين في أناس كانوا بمكة أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب محمد نبي الله -ﷺ- من المدينة: إنه لا يقبل منكم إقراراً بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون، فردّوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم: إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه، قال: فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثمّ، فمنهم من قتل، ومنهم من نجا، فأنزله الله فيهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]"^(١).

هذه الروايات التي ذكرت عن زمن نزول هذه الآية وإن اختلفت في تحديد الفترة التي نزلت فيها، إلا أنها جميعاً لا تخرج عن نطاق مرحلة واحدة من عمر الدعوة الإسلامية هي السنوات التي أعقبت عام الحزن إلى أن استقر النبي -ﷺ- في المدينة. ولم يسبق هذا التاريخ قتال فعلي بين المسلمين مجتمعين وبين المشركين،

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: المصدر السابق، ٩/١٩

وبناء على هذا ذهب جمهور المفسرين إلى " أنها أول آية نزلت في القتال و هو مروى عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة وعروة بن الزبير وقادة وسعيد بن جبير والأعمش -رضى الله عنهم- "(١).

المطلب الثالث: أنواع القتال وأسبابه

الفرع الأول: أنواع القتال

الجهاد نوعان: جهاد الطلب وجهاد الدفع.

النوع الأول: جهاد الطلب

والمراد به: ابتداء قتال الكفار بديارهم عند القدرة عليهم ليكونوا مسلمين أو مسلمين. وتُقَلَّ الإجماع على أن جهاد الطلب فرض كفاية إذا قام به من به كفاية سقط الإثم عن الباقيين (٢)، والهدف منه: فتح باب الدعوة إلى الإسلام كي يصل إلى الناس كافة، وإزالة العوائق التي يضعها رؤوس الكفار للحيلولة دون وصولها إلى مرؤوسيههم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ قَانٍ أَنْتَهُمْ فَلَا عُذُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وليس الهدف منه إجبار الناس على الدخول في دين الله، لأن الله قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

النوع الثاني: جهاد الدفع

وهو أن يدهم العدو بلاد المسلمين فيدفعونه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

إذ يتعين فرضُ الجهاد، فهو إذا أظَلَّ العدوُّ بلدًا، أو جانبًا من ثغور المسلمين مُقاتلاً لهم، فيتعين فرض الجهاد حينئذٍ على كل واحد مِّنْ هنالك من المسلمين في خاصَّته، وعلى قدرِ طاقته، إلى أن تقع الكفاية، ويحصل الاستقلال بقتال العدو ودفعه، فإن قَصَّرَ عددٌ من هنالك، أو قَوَّتهم عن دفاعهم، وجب كذلك على كل من سابقهم وقرب منهم من المسلمين إعانتهم والنفير إليهم، ثم كذلك أبدأً إن غَارَهم العدوُّ، حتى يُعَمَّ الفرض جميع المسلمين، أو يقع الاستغناء من دون ذلك بمقاومتهم ودفعهم (٣).

(١) تفسير سفيان الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ بيروت -لبنان، ١/٢١٤ / الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات -بيروت، لبنان، ٧/٢٥ / تفسير الجلالين:

جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، دار الحديث - القاهرة، ط ١، ٤٣٩

(٢) ينظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي: د. صالح بن عبيد الحربي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع بالرياض، ط ١، ٢٠٢١،

٣٧/٦

(٣) ينظر: الإنجاد في أبواب الجهاد: محمد بن عيسى بن محمد الأزدي القرطبي، ت: مشهور بن حسن، دار الإمام مالك، ٤٥

والأدلة على ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنَ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [النساء: ٧٥]

وجهاد الدفع أصعب من جهاد الطلب، قال الإمام ابن القيم^(١) رحمه الله: "وجهاد الدفع أصعب من جهاد الطلب، فإن جهاد الدفع يشبهه باب دفع الصائل، ولهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظالموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿٣٦﴾ [الحج: ٣٩] وقال النبي - ﷺ -: ((من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد))^(٢)، ولأن دفع الصائل^(٣) على الدين جهاد وقربة، ودفع الصائل على المال والنفس مباح ورخصة، فإن قُتل فيه فهو شهيد، فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوباً... ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون، فإنهم كانوا يوم أحد والخذق أضعاف المسلمين، فكان الجهاد واجباً عليهم، لأنه حينئذٍ جهاد ضرورة ودفع لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع^(٤)."

(١) مُحَمَّد بن أَبِي بكر بن أَيُوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ولد سنة ٦٩١ إحدى وتَسعين وسِتْمائة وسمع من ابن تَيْمِيَّة ودرس بالصدرية وأم بالجوزية وأخذ الفُرَائِضَ عَنْ أَبِيهِ وَأَخَذَ الْأُصُولَ عَنِ الصَّفِيِّ الهندي وابن تَيْمِيَّة وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وغلب عليه حب ابن تَيْمِيَّة حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك وهو الذي نشر علمه بما صنفه من التصانيف الحسنة المقبولة واعتقل مع ابن تَيْمِيَّة وأهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرّة فلَمَّا مات ابن تَيْمِيَّة أفرج عنه وامتحن محنة أخرى بسبب فتاوى ابن تَيْمِيَّة وكان ينال من علماء عصره وينالون منه وله من التصانيف الهُدَى وأعلام الموقعين وبدائع الفوائد وطرق السعادتين / البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة - بيروت، ١٤٣/٢ - ١٤٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المظالم، باب من قتل دون ماله، رقم (٢٤٨٠)، والمسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على من قصد أخذ مال غيره بغير حق، رقم (٢٢٦)

(٣) الصائل: وهو: الاستطالة والثوب والاستعلاء على الغير/ الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، دارالسلاسل - الكويت، ط٢، ١٠٣/٢٨

(٤) الفروسية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مشهور بن حسن، دار الأندلس - السعودية، ط١،

الفرع الثاني: أسباب القتال في جهاد الدفع

أسباب القتال في الشريعة الإسلامية كثيرة منها:

١- دفع الاعتداء الواقع على الدين أو النفس أو الديار ومتعلقاتها:

وهذا العدوان إما أن يكون واقعاً حقيقة كما في غزوة الخندق^(١)، حيث حاصر الأحزاب من المشركين المدينة شهراً، وحصل قتال بينهم وبين المسلمين، أو أنه على وشك الوقوع وذلك كما في غزوة حُنين^(٢)، إذ علم النبي - ﷺ - أن الروم ستغزوه فسير إليهم جيشاً، ولا يشترط أن يكون هذا العدوان واقعاً على جماعة كبيرة من الأمة، بل يمكن أن يكون نازلاً على فرد واحد كما في غزوة مؤتة^(٣)، فقد قتل عامل قيصر: شرحبيل بن عمرو الغساني رسول رسول الله - ﷺ - الحارث بن عمير الأردني - رضي الله عنه -، فجهز النبي - ﷺ - جيشاً لقتالهم^(٤).

ويلحق في هذا الاعتداء على أي ممن هم في عهد ورعاية الدولة المسلمة حتى وإن كانوا ذميين، ذلك أن لهم على الدولة حق الحماية والرعاية، وليس مشروطاً أن يكون الاعتداء واقعاً على النفس بل قد يكون واقعاً على المال كما في قتال الصائل الذي لم يندفع إلا بذلك، وقد يكون اعتداء على الدين كما في قتال المرتدين.

٢- نقض العهود والمواثيق:

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرَانِهِمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [١٣] أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [التوبة: ١٢ - ١٣] "ومن ذلك قتال النبي - ﷺ - بني قريظة، لنقضهم العهد، ومعاونتهم المشركين في غزوة الأحزاب، وتحريضهم على قتال المسلمين"^(٥).

(١) ينظر: المغازي الواقدي، ٢/٤٤٠

(٢) المصدر نفسه: ٣/٨٨٥-٨٨٦

(٣) ينظر: السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، (ت ٢١٣هـ) ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار

الجيل - بيروت، لبنان - سنة النشر ١٤١١، ٢/٣٧٣-٣٧٤

(٤) ينظر: المغازي الواقدي، ٢/٧٥٥

(٥) ينظر: السيرة النبوية: المصدر السابق، ٢/٢٣٣-٢٣٥

٣- الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية:

مما لا شك فيه أن المسلمين مكلفون بتبليغ هذا الدين، وفي ذلك يقول النبي -ﷺ-: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً.....)(^١). فأمة الإسلام مُكَلَّفَةٌ بدعوة الناس، فإن تصدى لها متصدٍ، ووقف في طريق وصولها إلى الناس، لم يكن هناك سبيلٌ إلا مواجهته. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] ثم ذكر -تعالى- المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به سفك دماء الكفار وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن {يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} تعالى، فيظهر دين الله -تعالى- على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال(^٢).

المبحث الثاني: أهداف القتال وضوابطه وقواعده في الفقه الإسلامي

في الفقه الإسلامي، يتم تناول موضوع القتال بعمق، ويتضمن تصنيف مختلف لأهداف القتال وضوابطه وقواعده. الأهداف الرئيسية للقتال في الإسلام تتضمن الدفاع عن الدين، والدفاع عن النفس والأموال، والقتال لإقامة العدالة وحماية الضعفاء. ومع ذلك، تفرض ضوابط وقواعد دقيقة على ممارسة القتال. يجب أن يكون القتال مقتصرًا على الحد الأدنى من العنف اللازم لتحقيق الهدف المحدد، ويجب أن يتم الحفاظ على حقوق الأبرياء والمدنيين. يتوجب أن يتم القتال وفقًا للأحكام والقوانين الشرعية، ويجب أن يتم بإشراف أهل العلم والقضاء المختص. هذه الضوابط تضمن أن القتال يكون مشروعًا ومنضبطًا ويتفق مع القيم والمبادئ الإسلامية.

المطلب الأول: مراحل القتال وأهدافه في الفقه الإسلامي

الفرع الأول: مراحل القتال

لم يسمح الله للمسلمين في مكة باللجوء إلى القوة للتصدي للظلم والتصدي للعدوان أو صده بالقوة، وعلى الرغم من أن كثيرًا من المسلمين كانوا قادرين على مقاومة الظلم والاعتداء، ولم يكونوا ضعفاء أو مستضعفين، ولم يكونوا عاجزين عن التصدي لأي تحدي، وهذا في وقت كانت أعداد المسلمين فيها قليلة. أما الحكمة والغاية وراء هذا الأمر بالكف عن القتال، والدعوة لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والتحلي بالصبر والاحتمال، فهي في تعزيز القيم والأخلاق الإسلامية. يتعين على المسلمين أن يظهروا صبرًا واحتسابًا

(^١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١)

(^٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة

في وجه الأذى والعذاب، حتى وإن تعرض بعضهم لمعاناة لا يمكن تحملها، وحتى وإن تجاوز البعض الحد الذي يمكنهم تحمله دون تأثير على إيمانهم.

أما بخصوص الحكمة والغاية وراء هذا الأمر، فإننا لا نستطيع التأكيد عليها بقطعان. ذلك لأننا، عندما نتأمل في تنفيذ أوامر الله، نفعل ذلك بالرغم من عدم معرفتنا بكل تفاصيل حكمته. نحن نتبع ونطيع أوامر الله ونمارس العبادة دون الحصول على تفسير دقيق للأسباب والعلل وراء هذه الأوامر. قد يكون هناك أسباب وعلل حقيقية نعرف بعضها وقد لا نعرف البعض الآخر، وربما تكون هناك أسباب وعلل أخرى لم يتم الكشف عنها لنا.

الإسلام لم يعمد إلى القتال كوسيلة من وسائل نشره، وإنما كان ذلك تطورا طبيعيا تقتضيه طبيعة الدعوة، وهيئة ظروفها، وملابساتها وموقف الكفار منها.

وقد اتبع الرسول - ﷺ - في جهاد الكفار خطة موحى بها من عند الله سبحانه، وقام بتنفيذها في جميع مراحلها. وكانت هذه الخطة على النحو الآتي:

١- مرحلة التربية والإعداد

وقد استغرقت هذه المرحلة جميع الفترة التي قضها الرسول - ﷺ - في مكة من بعد بعثته إلى بداية هجرته إلى المدينة المنورة، وكانت هذه المرحلة تعد مرحلة تربية للنفوس، وإعداد للعقيدة والفكر ورسوخ للأخلاق، وجهاد الدعوة بالحكمة والبيان.

ففي بدء البعثة أمر الله عز وجل رسول الله - ﷺ - والذين آمنوا معه بتربية أنفسهم بالعبادة المتصلة، والتفكير في عظمة الله عز وجل، وأخذ النفس على الخضوع له وتوطينها على الصبر، واعدادها لحمل الدعوة.

وقد دل على ذلك كثير من الآيات المكية منها: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ أَن مَّهَلَهُمْ رُؤُودًا﴾

[الطارق: ١٧] قَالَ تَعَالَى: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢٢]

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِّ إِبْرَاهِيمَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ

﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٨ - ٨٩]

وبعد ذلك أمر الله عز وجل بأن يجاهد بالدعوة والإنذار قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر:

١ - ٢]

وقام النبي - ﷺ - وأصحابه يندرون وييشرون ويصبرون على ما يلاقون من الأذى، ويؤمر بالكف والصبر والصفح طوال ثلاث عشرة سنة في مكة، ومن خلال ذلك كان النبي - ﷺ - ومن معه من الصحابة يتعهدون

أنفسهم بتوثيق الصلة بالله، وجهادها وإلزامها بالصبر وتطهير أنفسهم من أدران الجاهلية وأخلاقها^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل: ١٢٧ - ١٢٨]

٢- مرحلة الهجرة

"لما اشتد الأذى، وتتابع الاضطهاد إلى أن وصل قمته وتم، وتدبير المؤامرة لاغتيال النبي-صلى عليه وسلم- اضطر أن يهاجر من مكة إلى المدينة، ويأمر أصحابه بالهجرة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة"^(٢).

هذه المرحلة الانتقالية من مكة إلى المدينة، لها مميزات كثيرة منها:

أ- تعد مرحلة التميز والتغلب على الصعاب، فيها انتقل المسلمون إلى مرحلة التميز من الناحية المادية مرحلة الهجرة هي مرحلة التحدي، والتغلب على الصعاب ولم تكن هروبا من الواقع.

ب- تهدف لإنشاء واقع جديد متمثل فيه كمال الإسلام على أرضه، وقد كانت قريش تنظر إلى هذا

التحول وكانت تخشاه، و تسعى للحيلولة دونه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِحُوا وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]

ج- الهجرة تمثل حالة انتصار على من يترصص بالإسلام، وقد وصف القرآن هجرة الرسول-صلى

عليه وسلم- بأنها كانت بنصر من الله قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ

اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]

(١) ينظر: المبسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، ت: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ٢/١٠، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة-بيروت-لبنان، ١٠٠/ زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٩٩٤، ٣/١٤٣، بحر المذهب: الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد، ت: طارق فتحي

السيد، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٩، ١٣/١٨٢

(٢) فقه السنة: سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٧٧، ٢/٦٢٠

د- الانتقال إلى المدينة يمثل حالة صراع جديدة، لأن الهجرة التاريخية إلى يثرب، لم تكن بذلا واحتمالا فحسب، بل كانت كذلك تحركا إلى موقع خطير على حافة الحرب، فقد أذن الله في القتال للمسلمين الذين أودوا وظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

٣- مرحلة القتال للدفع

أي مرحلة الدفاع المباح بالقوة المادية، وفي هذه المرحلة أباح الله عز وجل للمؤمنين أن يستعملوا السلاح والقوة المادية في دفع أذى المشركين، ولم يوجب القتال عليهم، وإنما تركهم لظروفهم وإمكاناتهم. بدأت هذه المرحلة بالتجمع والتكوين والإعداد، والمحافظة على المؤمنين وعلى الدعوة والوطن، بعد ربطهم جميعا برباط القرآن الكريم، وانتهت بتكوين الأمة المسلمة والوطن الإسلامي، وأول حكومة في الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٢٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

وصف ابن القيم هذه المرحلة فقال: "فلما استقر رسول الله - ﷺ - بالمدينة، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار، وألف بين قلوبهم بعد العداوة التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعتق والصفح حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال، ولم يفرضه عليهم"^(١).

٤- مرحلة الدفاع الواجب لمن قاتل المسلمين

"لما مضت لرسول الله - ﷺ - مدة من هجرته أنعم الله تعالى فيها على جماعة باتباعه، حدثت لهم بما مع عون الله قوة بالعدد لم تكن قبلها، ففرض الله تعالى عليهم الجهاد بعد إذ كان إباحة لا فرضاً"^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، ٦٢/٣

(٢) الأم: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، دار المعرفة - بيروت، ١٩٩٠، ١٧٠/٤

وكان النبي - ﷺ - "يقاتل من قاتله ويكف عن من كف عنه" (١).

٥- وجوب القتال مطلقا

هذه المرحلة من مراحل الجهاد هي التي فرض الله تعالى فيها قتال المشركين كافة قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]

"بعد أن استقرت الدولة الإسلامية وظهرت معالم الدولة القائمة بكل عناصرها، وتكاملت عناصر القوة الضاربة فيها ومقوماتها، والتي تجاوزت رد العدوان، وقال بعضهم ليس من اللازم لشرعية قتال طائفة أن يعتدوا بالفعل، بل قد يكون المبرر هو الحماية من الاعتداء إذا كان متوقعا، وقامت الأدلة على إرادته، كما فعل كسرى عندما أرسل إليه النبي - ﷺ - يدعو إلى الإسلام، فأرسل إلى النبي من يقتله، ويأتيه برأسه الكريم، وبذلك قام الدليل على الشر المتوقع كبرهان واضح، فما كان لأصحاب محمد - ﷺ - أن ينتظروا إلى أن ينقض عليهم كسرى من الشرق وهرقل من الغرب، كما بدا من أفعال هرقل أيضا، بل لا بد من دفع الاعتداء قبل أن يستحل الدفع، وقد يتعين الهجوم سبيلا للدفاع وكذلك كان الأمر" (٢). قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ذكرت باختصار مراحل الجهاد والقتال، لأن المجتمع الحاضر بحاجة إلى إعادة قراءة واقعه وإعادة تشكيله ضمن معطيات وانعكاسات المرحلة التدريجية للتشريع الجهادي بمفهومه الشامل.

الفرع الثاني: أهداف القتال

لم يشرع الجهاد عبثا، ولا لتحقيق أهداف شخصية، أو مطامع مادية، أو مكاسب سياسية، أو لبسط النفوذ و توسيع الرقعة، ولا لإزهاق النفوس وسفك الدماء، والتسلط على الناس واستعبادهم، و إنما شرع لأهداف جليلة، وغايات نبيلة، نذكر أهمها:

الهدف الأول: العبودية لله سبحانه:

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ٢، ١٩٦٤، ٣٤٨/٢ / أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الجصاص، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١، ١٩٩٤، ٣١٢/١

(٢) ينظر: العلاقات الدولية في الإسلام: محمد بن احمد بن مصطفى المعروف بالإمام أبو زهرة، دار الفكر العربي-القاهرة، ٢٠٠٧

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ أُنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾ [الأنفال: ٣٩ - ٤٠]

الهدف الثاني: رد اعتداء المعتدين على المسلمين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [التوبة: ١٣]

الهدف الثالث: إزالة الفتنة عن الناس من ممارسة الكفار من تعذيب المستضعفين من المؤمنين والتضييق عليهم ليرتدوا عن دينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [النساء: ٧٥]

الهدف الرابع: حماية الدولة وكيانها: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠]

ومن أجل ذلك شرع الرباط على الثغور لحماية دولة الإسلام من المتربصين بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

الهدف الخامس: تأديب المتمردين والناكثين للعهود المنتهزين لسماحة الإسلام وأهله: قال تعالى في حق من نقضوا العهود والمواثيق: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢ - ١٣﴾ [التوبة: ١٢ - ١٣]

وكذلك من كان بينه وبين المسلمين عهد وتوجس المسلمون منه شراً وحرماً، فإنه ينبذ إليه عهده، ويكشف له حقيقة الأمر ثم يقاتل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨] وكذلك البغاة من المسلمين وهم الذين يخرجون على الإمام العادل بتأويل، فيقاتلون حتى تذهب ريجهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن

على قوم من الكفار، بينكم و بينهم ميثاق أي مداينة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم" (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [النساء: ٧٥]

"والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان أي: في سبيل المستضعفين، أو وأخص من سبيل الله إنقاذ المستضعفين من ظلم الأقوياء الجبارين، وهم إخوانكم في الدين، وقد استذلهم أهل مكة ونالوا منهم بالعذاب والقهر، ومنعواهم من الهجرة ليفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم" (٢).

الهدف الثامن: حماية الأمن الاجتماعي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣]

البغاة "هم الذين يخرجون على الإمام ييغون خلعه أو منع الدخول في طاعته، أو منع حق واجب بتأويل في ذلك كله، من اتفق المسلمون على إمامته وبيعته ثبتت إمامته ووجببت معونته" (٣).

المطلب الثاني: ضوابط القتال وقواعده في الفقه الإسلامي

بعد نشوب الحرب ودخول المقاتلين في النزاع المسلح، يجب مراعاة القتال وقواعد السلوك والامتنال لضوابطه التي تنص عليها الشريعة الإسلامية. مما تتعلق هذه الحقوق والواجبات بالمعاملة القتالية والحماية المقدمة للمدنيين والأشخاص غير المتورطين في النزاع. يمكن تقسيم هذه الضوابط والقواعد وفقاً للتقسيم الآتي:

الفرع الأول: الحق في تجنب الآلام غير المبررة كالاغتصاب

عندما يخوض المتنازعون غمار الحروب يحاول كل طرف إنهاءها لمصلحته فيستعين بما يتاح له من الوسائل والأساليب، إلا أن هذه الاستعانة ليست مطلقة بأن يستعمل المقاتل جميع أنواع الأسلحة، بل إن

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩، ٩٧/٤

(٢) ينظر: تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا، ٢١١/٥

(٣) انظر: لموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ط ٢، دارالسلاسل - الكويت، ١٤٢٧،

استعمال أساليب القتال مقيد باجتتاب الآلام غير المسوغة من المقاتلين، وإن اهتمام الفقه الإسلامي بضبط النزاعات المسلحة واستعمال القوة، وفق قيود من شأنه التزام الضرورة القصوى، باعتبار مخلفات الحروب والنزاعات دماراً على الإنسانية، لم يشرع القتال في الإسلام إلا دفعاً للظلم، وعندما تتعذر الوسائل السلمية، لا يترك للمقاتلين حرية التصرف حسب أهوائهم.

إنَّ الاغتصاب جريمة قبيحة محرمة في كافة الشرائع، وعند جميع العقلاء وأصحاب الفطرة السوية، وجميع النظم والقوانين الأرضية تقبح هذه الفعلية وتوقع عليها أشد العقوبات، باستثناء بعض الدول التي ترفع العقوبة عن المعتصب، إذا تزوج من ضحيته، وهذا يدل على انتكاس الفطرة واختلال العقل فضلاً عن قلة الدين أو انعدامه عند هؤلاء من عادوا الله تعالى في التشريع، ولا ندري أي مودة ورحمة ستكون بين الجلاد وضحيته، وخاصة إن ألم الاغتصاب لا يزيله الأيام ولا يمحوه الزمن - كما يقال - ولذا حاول كثير من المعتصبات الانتحار، وحصل من عدد كثير منهن ما أوردن، وقد ثبت فشل هذه الزيجات، ولم يصاحبها إلا الذل والهوان للمرأة .

يعد الاغتصاب في الفقه الإسلامي: "وطء حرة أو أمة جبراً على غير وجه شرعي"^(١).

ولا يخفى على كل ذي عقل حكمه، إذ هو إكراه على الزنا قوة وقهراً، والزنا مما علم حرمة، وإذا كان مجرد الزنا حراماً، فالإكراه عليه بالقهر والغلبة أشد حرمة، وفيه من الشرور والمفاسد ما فيه، يجمع خلاله الشر كلها من قلة الدين وذهاب الورع وفساد المروءة وقلة الغيرة، فلا تجد زانيا معه ورع ولا وفاء بعهد ولا صدق في حديث ولا محافظة على صديق ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وذهاب الغيرة من القلب، من موجباته غضب الرب بانتهاك حرمة وعباله، ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة ومنها سواد الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين ومنها ظلمة القلب وطمس نوره، وهو الذي أوجب طمس نور الوجه وغشيان الظلمة له ومنها الفقر اللازم، وورد في أثر أن الله تعالى قائل ((أنا الله مهلك الطغاة ومفقر الزناة))^(٢) ومنها أنه يذهب حرمة فاعله ويسقطه من عين ربه ومن أعين عباده ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة والبر والعدالة ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفسق والزاني والخائن ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن^(٣).

(١) ينظر: البهجة في شرح التحفة: علي بن عبد السلام بن علي، ت: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية - لبنان بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ٥٨٦/٢.

(٢) ينظر: روضة المحبين: ابن قيم الجوزية، محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم-رياض، ط ٤، ٢٠١٩، ٤٩٤، بحثت عنها في الكتب الأحاديث ولم أجد لها.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٦/البهجة في شرح التحفة: علي بن عبد السلام، ٥٨٦/٢.

وأما عقوبة الاغتصاب في الشرع: فعلى المعتصب حد الزنا، وهو الرجم إن كان محصناً، وجلد مائة وتغريب عام إن كان غير محصن، ويوجب عليه بعض العلماء أن يدفع مهر المرأة.

فعلى الرجل الذي يغتصب امرأة بكرةً كانت أو ثيباً: أنها إن كانت حرة فعليه صداق مثلها، وإن كانت أمة فعليه ما نقص من ثمنها، والعقوبة في ذلك على المعتصب، ولا عقوبة على المعتصبة في ذلك كله^(١).

وقد أجمع العلماء على أن على المستكره المعتصب الحد إن شهدت البينة عليه بما يوجب الحد، أو أقر بذلك، فإن لم يكن: فعليه العقوبة، يعني: إذا لم يثبت عليه حد الزنا لعدم اعترافه، وعدم وجود أربعة شهود، فإن الحاكم يعاقبه ويعززه العقوبة التي تردعه وأمثاله ولا عقوبة عليها إذا صح أنه استكرهها وغلبها على نفسها، وذلك يعلم بصراخها، واستغاثتها، وصياحها. وكون المعتصب عليه حد الزنا، هذا ما لم يكن اغتصابه بتهديد السلاح، فإن كان بتهديد السلاح، فإنه يكون محارباً وينطبق عليه الحد المذكور في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣]

الفرع الثاني: حظر الغدر والخيانة

حافظت الشريعة الإسلامية على حق المقاتلين ولو من غير المسلمين بعدم الغدر والخيانة أثناء سير النزاعات المسلحة، وقد تداول الفقهاء المسلمون حظر الغدر والخيانة في الجهاد كأحد المبادئ الأساسية في كتبهم^(٢)، ومثلوا لصورة الغدر المحذور - في القتال، بأن يؤمن الحربي ثم يقتل وهذا لا يحل بإجماع^(٣)، وبأن ينقض المسلمون عهدهم مع غيرهم ويهاجمونهم دون إعلامهم نقض العهد معهم^(٤)، ومهاجمة الذين لم تبلغهم الدعوة ولم يبدأوا بمعاودة المسلمين.

واستدلوا في حكمهم هذا بأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاْنَبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨]

أمر الله في الآية المسلمين بنذ العهد عند ظهور بوادر الخيانة من معاهديهم، فتكون مهاجمتهم بدون

(١) ينظر: الموطأ: مالك، ٤/٨٨٧

(٢) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، دار الكتاب

الإسلامي، ٥/٨٦/شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: الزرقاني، ٣/٢٠

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، ٢٤/٢٣٣

(٤) ينظر: رد المختار على الدر المختار: ابن العابد، ٤/١٣٣

النبذ من الغدر المحظور في الآية.

ومن السنة: عن أبي الفيض قال سمعت سليم بن عامر يقول: كان بين معاوية وبين أهل الروم عهد وكان يسير في بلادهم إلا إذا انقضى العهد أغار عليهم فإذا رجل على دابة أو على فرس وهو يقول الله أكبر وفاء لا غدر وإذا هو عمرو بن عبسة فسأله معاوية عن ذلك فقال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يُجلن عهداً ولا يشدنه، حتى يمضي أمده، أو ينبذ إليهم عهدهم على سواي))^(١)، فأمره - ﷺ - بنبذ العهد، ونهاه عن القيام بأي عمل قبل انقضاء مدة العهد أو النبذ وفيه دليل واضح على تحريم الغدر.

وقوله - ﷺ -: ((لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة))^(٢)، بين رسول الله - ﷺ - هنا أن الغادر يشتهر يوم القيامة بصفة الغدر ليدمه أهل الموقف، وهذا دليل واضح على غلظة تحريم الغدر ولا سيما إذا كان من صاحب الولاية العامة أو الرئيس لما في ذلك من المفسدة، لأنهم إذا غدروا لم يأمنهم العدو على عهد أو صلح فتشدد شوكته، ويعظم ضرره، ويكون ذلك وسيلة لابتعاد الناس عن الدخول في الدين، وموجبا لدم أئمة المسلمين^(٣). ما روي أنه بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أن محاربا مسلماً قال لمقاتل فارسي: ((لا تخف)) ثم قتله، فكتب عمر إلى قائد الجيش: ((إنه بلغني أن رجالا منكم يطلبون العليج^(٤)، حتى إذا أسند في الجبل وامتنع، قال رجل مطرس يقول: لا تخف، فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده لا أعلم مكان واحد فعل ذلك إلا ضربت عنقه))^(٥). وأخيراً اجتمعت الأمة الإسلامية على تحريم الغدر والخيانة، لذا لا يجوز القيام به في أي طرف وتحت أي غطاء كان^(٦).

-
- (١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٧٥٩)، وأخرجه الترمذي في سننه، (١٥٨٠)، وأحمد في مسنده (١٧٠٢٥)، والبيهقي في سنن الكبرى (٨٨٤٧)، وابو داود الطيالسي في مسنده (١٢٥١)، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح
- (٢) أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب: تحريم الغدر، رقم (١٧٣٥)، والبخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب اثم الغادر، رقم (٣١٨٧)
- (٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: المصدر السابق، ٨/ ٣٣
- (٤) العليج: الرجل القوي الضخم. غريب الحديث: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: الدكتور عبد المعطي أمين، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٥، ١٢٢/٢
- (٥) أخرجه المالك في موطأ (١٦٣٠)، وابن الأثير في جامع الأصول (١١٤٢)، والهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١١٤٤٨)، وقال المالك: ليس هذا الحديث بالمتجمع عليه.
- (٦) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: القرطبي، ٢٤/٢٣٣/سبل السلام: محمد بن إسماعيل بن صالح بن محمد الحسين، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٩٦٠، ٨٠/٣

الفرع الثالث: عدم قتل الأبرياء وإتلاف أموالهم

إن شريعة الإسلام هي شريعة الرحمة للعالمين، وهي شريعة العدل والسماحة في الميادين كلها، من أجل ذلك لم يكن عجباً أن تجد هذه الشريعة تأتي في مسائل القتال والجهاد بقواعد أخلاقية، ومبادئ أدبية لا يملك أى منصف إلا أن يعبر عن شدة احترامه وإجلاله لهذه الشريعة، والجزم بأنه لا يمكن لكل ذاك المكنون الأخلاقي إلا أن ينبثق من نور الوحي الإلهي.

ومن القواعد الأخلاقية العظيمة قاعدة: عدم قتال من لم يقاتل، وهي تابعة في الأساس لقاعدة عظمى، وهي قاعدة تحريم الاعتداء على الآخرين بغير حق، أو التعدي على الأبرياء بغير ذنب اقترفوه. هذا ومن أجل ذلك قررت الشريعة الإسلامية: أن قتال الذين لا يشتركون في القتال ولا يقدر عليهم هو نوع من الاعتداء الذي نهى الإسلام عنه، وحرّمه، وعدّه من الجرائم الحربية. هذا ومن الأدلة على ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

لا يجوز أن يقصد بالقتال من ليسوا بأهل له، كالنساء والأطفال والشيخوخ، والزمنى والأعمى والعجزة، والذين لا يباشرونه عادة، كالرهبان والفلاحين، إلا إذا اشترك هؤلاء في القتال وبدؤوا هم بالاعتداء، فعندها يجوز قتالهم.

هذا ولم يقتصر النهي عن الاعتداء على بني البشر فحسب، وإنما تجاوز ذلك ليشمل النهي عن الإتلاف، وقطع الشجر، وقتل الحيوانات، وتخريب الممتلكات بغير مصلحة، أو ضرورة تقتضي الإقدام على ذلك، وهذا سمو أخلاقي لم تعرف له البشرية مثلها في تاريخها قديماً وحديثاً^(١). قال رسول الله -ﷺ-: ((لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هَرَمًا، ولا تقطعن شجرة مثمرًا، ولا تُخربن عامراً، ولا تعقرن شاةً ولا بغيراً إلا لماكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تغرقنه، ولا تغلّلن، ولا تجبنن))^(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]

(١) موقع طريق الإسلام: قتل الأبرياء بين سماحة الإسلام وشرائع الإجرام: ايهاب كمال احمد، تأريخ الوضع: ٢٠٢٣/٨/٣٠ تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٣

(٢) أخرجه المالك في الموطأ (١٦٢٧)، أبو داود في المراسيل (٣١٥) بلفظ آخر (إذا غزوت فلقيت العدو فلا تجبن، ووجدت فلا تغلّلن، ولا تؤذين مؤمناً، ولا تعصي ذا أمر، ولا تحرق نخلاً، ولا تغرقنه)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١٢١)، والبيهقي في سنن الكبرى (١٨١٩٩)، وتعقبه الذهبي بقوله: " قلت: مرسل " ، يعني أن ابن المسيب لم يسمع من أبي بكر/الجامع الصحيح للسنن والمسنايد: صهيب عبد الجبار، ٤١٧/١٧

وإن هذا ينسجم تماما مع الهدف السامي للحرب في الإسلام، فإنها وسيلة لاصلاح الناس وإرشادهم، وإزالة العوائق التي تحول دون اطلاعهم على الدين الصحيح، ولذلك فلا يجوز في دين الإسلام أن يقاتل المسلمون رغبة في التدمير، أو إذلالا للناس أو تعذيبا لهم، كما كانت تفعل جيوش الأمم الأخرى.

الفرع الرابع: عدم استخدام أسلحة الدمار الشامل

حدثت الحروب بين الناس وما زال تحدث، ولن تنتهي ما دامت الحياة، فالشيطان عدو لبني آدم وهو يؤزهم إلى الباطل أزا، والمواجهة بين الحق والباطل مستمرة، والباطل يستخدم ما يتاح له من الوسائل في سبيل هزيمة الحق، وهو لا يتورع عن شيء منها يرى فيه تحقيقا لهدفه.

كانت الأسلحة المستخدمة قديماً محدودة من حيث قدرتها على القتل، ومن حيث امتداد تأثيرها بعد استخدامها، فكان السيف هو السلاح الذي يعتمد على المواجهة بين المقاتلين، وهو لا يقتل بضربة واحدة إلا فرداً فرداً ولا يقتل جماعة، وكانت الحربة والسهم وهو سلاح لا يعتمد عليه في المواجهة، ويمكن له أن يحقق أثره ولو على البعد، وكان المنجنيق وهو الآلة المعدة لقفذ بعض الأحجار ونحوها على البعد التي يمكن أن تخدم بعض البنين أو تحدث فيه فجوة، وأما المركبات العسكرية التي تستخدم في القتال فكان أقواها وأمضاها الخيل، وما زال السلاح يتطور وينتقل من طور إلى طور إلى أن ظهرت أنواع متعددة من الأسلحة ذات الامكانيات المختلفة من حيث القدرة على الإصابة الدقيقة، ومن حيث القوة التدميرية الهائلة، ومن حيث مدى الرمي المديد جدا، فظهرت البندقية والمدفع والصاروخ والدبابة والطائرة والسفن الحربية ذات الطرازات المتعددة، وقد ظهر في العقود الأخيرة أخطر ما يمكن تصوره من الأسلحة، وهي التي توصف بأسلحة الدمار الشامل، ويظهر من اسمها أنها أسلحة تعتمد التخريب والتدمير الممتد بلا ضوابط أو حدود تقريبا، ويشمل تخريبها وتدميرها للبيئة كلها بجميع مكوناتها من الإنسان والحيوان والنبات والهواء والماء والتربة^(١). نركز في هذا الفرع على نقطتين هما تعريف أسلحة الدمار الشامل وموقف الإسلام من استخدامها.

مفهوم أسلحة الدمار الشامل

لم يتفق خبراء القانون الدولي العام على تعريف محدد لمصطلح أسلحة الدمار الشامل، ولم تظهر مشكلة التعريف بهذه الأسلحة إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد عند مناقشة الأمم المتحدة لموضوع نزع السلاح، فقد تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية في ٨ سبتمبر ١٩٤٧م بمشروع قرار تحدث فيه عن أسلحة التدمير الجماعي (الأسلحة النووية، والأسلحة البيولوجية، والأسلحة الكيماوية) وأية أسلحة يتم تطويرها

(١) موقع صيد الفوائد: أسلحة الدمار الشامل بين المنع والوجوب: محمد بن شاعر الشريف، تأريخ الوضع: غير موجود، تأريخ

مستقبلاً تحمل ذات الخصائص التدميرية للقنابل الذرية^(١).

ومع ظهور الاجتهادات في محاولة إيجاد مفهوم دقيق، لهذا النوع من الأسلحة أي ما تتضمنه من خصائص يجعلها تفوق غيرها من حيث المخاطر، وضعت لجنة الأسلحة غير التقليدية في مجلس الأمن عام ١٩٤٨ تعريفاً لأسلحة الدمار الشامل، حيث عرفتها بأنها: تلك الأسلحة التي تشمل الأسلحة الذرية المتفجرة وأسلحة المواد المشعة، والأسلحة البيولوجية والكيميائية الفتاكة، وأية أسلحة أخرى تستحدث في المستقبل، تكون لها خصائص مماثلة للأثر التدميري للأسلحة المذكورة سابقاً^(٢).

موقف الإسلام من استخدام أسلحة الدمار الشامل :

إن الأسلحة التقليدية التي استخدمها المسلمون في العصور الأولى يمكن تقسيمها إلى قسمين بالنظر إلى الضرر المتحقق من جراء استخدامها :

القسم الأول: أسلحة يقتصر ضررها المباشر على المقاتلين فقط، وهي الرماح والسهام، وكذلك المنجنق. القسم الثاني: أسلحة يتعدى ضررها إلى الغير، وهذا النوع من الأسلحة قد يصيب الأشخاص غير المقاتلين، كالرمي بالنار، والإغراق بالماء، فهذا النوع من الأسلحة قد يصيب من ليس لهم دخل في القتال، وقد يصيب كذلك مظاهر الحياة الطبيعية من تلويث الماء والهواء وحرق الأشجار وهدم البيوت وقتل الحيوانات وغير ذلك .

أما أسلحة الدمار الشامل فإنها تؤدي إلى إحداث أضرار عامة جسيمة، ولا تفرق في ذلك بين المقاتلين وغيرهم، كما أن تدميرها لمظاهر الطبيعة يكون على نطاق واسع، فضلاً عن إحداثها لأضرار مستقبلية على المدى البعيد وتستمر آثارها مئات السنين، وليس أدل على ذلك من الآثار المدمرة التي نتجت عن إلقاء القنبلتين الذريتين على مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين، وما تبعه من آثار خطيرة مدمرة لا تزال بعضها ظاهرة واضحة للعيان إلى اليوم، لذلك فإن تسميتها بأسلحة الدمار الشامل أصدق برهان على الآثار التي تحدثها وتؤدي إلى شل مظاهر الحياة.

ومع أن الأسلحة التي استخدمها المسلمون في الماضي أقل بكثير جداً من حيث الخطورة من أسلحة الدمار الشامل الحديثة، فإن الفقهاء قد اختلفوا في استعمالها، ولهم تفصيلات كثيرة تبعا لنوع السلاح المراد استخدامه .

(١) ينظر: أسلحة الدمار الشامل في القانون الدولي العام: دكتور خليل حسن، ط١، ١، ٢٠٠٩، ٢

(٢) ينظر: حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح: الصادرة عن إدارة الشؤون السياسية وشؤون مجلس الأمن مركز الأمم المتحدة لنزع

السلاح، ١٩٨٠، ٣/٣٣٤

ب- ألا يكون بينهم مسلمون^(١).

بعد دراسة أقوال الفقهاء في استعمال الأسلحة الدمار الشامل، يرى الباحث أن المسألة تحتاج إلى شيء من التفصيل على النحو الآتي:

١- إن إطلاق القول في هذه المسألة بالجواز أو عدمه لا يستقيم، نظراً لخطورتها وارتباطها بالعديد من نواحي الحياة.

٢- إن القول بالجواز على الإطلاق يمنح صورة غير مرضية عن المسلمين وعن تعاليم الإسلام، لاسيما وأن القتال هو الحل الأخير الذي يلجأ إليه المسلمون في البلاد التي يقدمون على فتحها .

٣- إن الموازنة بين المصالح والمفاسد لها أهمية كبيرة في المجال الحربي، لاسيما في ظل التطور الذي بات سريعاً ومذهلاً في هذا المضمار .

٤- تختلف الأسلحة المستخدمة قديماً عن أسلحة الدمار الشامل الحديثة من حيث نطاق التدمير ومداهها، فالأسلحة القديمة نطاقها ضيق محدود بمكان محدد، أما أسلحة الدمار الشامل الحديثة فقد فاقت في مداها ونطاقها التوقعات التي لا يمكن أن يتصورها بشر كلها إذ بإمكانها أن تدمر مدناً بأسرها، بل إن شئت قلت إن بإمكانها أن تدمر دولة بكاملها.

٥- أجاز الفقهاء استخدام كافة أنواع الأسلحة على وفق إمكانات الأسلحة التي وجدت لهم، ولكن في العصر الحديث يجب النظر إلى حقيقة الأسلحة المستخدمة ومدى تأثيرها، ثم إعطاء الحكم الشرعي، ولا ينبغي الوقوف عند حرفية النصوص، بل يجب النظر إلى مآلاتها وما ترمي إليه.

٦- يجوز للمسلمين استخدام جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل ضد الأعداء إذا قاموا باستخدامها ضد المسلمين من باب المعاملة بالمثل، و يحرم استخدام أي نوع من أنواع أسلحة الدمار الشامل ضد الأعداء ما داموا لم يستخدموها، لما في ذلك من وقوع الأضرار الجسيمة التي لا يمكن توقعها^(٢).

المطلب الثالث: حماية المدنيين غير المقاتلين في الفقه الإسلامي

يهدف هذا المطلب إلى إجراء دراسة شاملة وتحليل دقيق لأصناف المدنيين في إطار الفقه الإسلامي، مع التركيز على حماية حقوقهم وضمان حياتهم وكرامتهم، ويُعدُّ هذا المطلب مسعىً للتأكيد على عدم تعرض المدنيين للتعذيب أو أي أشكال من شكل المعاملة القاسية وغير الإنسانية، وفضلاً عن ذلك، يجب ضمان حق المدنيين في الحرية والأمن الشخصي، والسعي لتوفير محاكمة عادلة لهم في حالات

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي بريوت ١٩٨٢، ٧/١٠٠/ الحاوي: أبي طالب، ٦٦٧.

(٢) استخدام أسلحة الدمار الشامل في الفقه الإسلامي: دكتور أحمد محمد لطفي، كلية الشريعة والقانون جامعة الدقهلية، ٨٤-٨٥.

النزاعات المسلحة.

هذا ويجب تأمين حقوقهم في الملكية والحفاظ على عرضهم من أي أذى أو ضرر، وإلى جانب ذلك، ينبغي تأمين حق المدنيين في الغذاء والرعاية الصحية، إذ تعدُّ هذه الحقوق جزءاً أساسياً من حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية.

فضلاً عما تقدم، يجب مراعاة حفظ البيئة والحفاظ عليها لتكون ملائمة للمدنيين، وتتضمن هذا المطلب أيضاً مبادئ حماية البيئة من أي ضرر قد يلحق بالبيئة نتيجة لأنشطة المدنيين.

الفرع الأول: تعريف المدنيين وأصنافهم

أولاً: تعريف المدنيين في اصطلاح الفقهاء

نظراً لحداثة مصطلح المدنيين، لم يرد عن فقهاء الإسلام هذا الاصطلاح، وإنما يعبرون عنه بألفاظ ومصطلحات أخرى متقاربة المعنى، مثل: غير المحاربين^(١)، من لا يحل قتله من الكفرة^(٢)، غير المقاتلين^(٣)، أو يذكرون من لم يكن من أهل القتال مباشرة^(٤)، وبعد هذا نجد أن الفقهاء لم يصطلحوا على لفظ معين للمدنيين.

ثانياً: أصناف المدنيين في الفقه الاسلامي

انقسم الفقهاء حول تصنيف المدنيين في هذا السياق إلى اتجاهين مختلفين.

الاتجاه الأول: يذهب ابن حزم الظاهري^(٥) إلى أن المدنيين يصنفون إلى النساء والأطفال ولا يشمل لفظ المدنيين غير هذين الصنفين^(٦).

الاتجاه الثاني: بأن المدنيين هم لا ينحصرون فقط في النساء والأطفال بل يشملهم ويشمل غيرهم كالشيوخ ورجال الدين والرسول والسفراء والمستأمنين والمرضى والأعمى والمجانين وخنثى المشكل والأطباء

(١) الكافي في فقه أهل المدينة: المصدر السابق، ١ / ٤٨٨

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: المصدر السابق، ١٠١/٧

(٣) حاشيتان. قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - لبنان بيروت ١٩٩٨، ١٧٣/٤

(٤) فتح القدير: كمال الدين ابن الهمام، دار الفكر - بيروت لبنان، ٥/٤٥٢ / الذخيرة: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ت: محمد حجي - سعيد أعراب - محمد أبو خيزرة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٩٩٩ / ٣٩٧/٣

(٥) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي (ولد ٣٨٤ هـ / وتوفي ٤٥٦ هـ /)، يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفاً وتالياً بعد الطبري، وهو إمام حافظ. فقيه، ومجدد القول به، بل محيي المذهب بعد زواله في الشرق. وعالم برجال الحديث وناقد محلل، وله مصنوعات كثيرة منها المحلي شرح المجلي، الإحكام في أصول الأحكام، مراتب الإجماع، الإمامة والمفاضلة، النبذ في أصول الفقه الظاهري / ينظر: سير أعلام النبلاء: المصدر السابق، ١٨/١٨٤ / الأعلام: المصدر السابق، ٤/١٧٩

(٦) ينظر: المحلي بالاثار: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الفكر بيروت - لبنان، ٥/٣٤٨

والفلاحون والتجار^(١)، وإلى هذا رأي ذهب المالكية^(٢)، والشافعية^(٣)، والحنابلة^(٤).

الفرع الثاني: المدنيون وحماية حق حياتهم في الفقه الإسلامي

وضعت الشريعة الإسلامية أحكامًا يجب على المسلمين اتباعها واحترامها أثناء القتال، ومن بين هذه الأحكام ما يتعلق بالمدنيين وحماية حقوقهم وكيفية معاملتهم، وحظيت حماية تلك الحقوق في هذه الحالة الاستثنائية باهتمام كبير وقد عمل علماء الشريعة على تحليل النصوص الشرعية الخاصة بذلك واستنباط الأحكام الشرعية منها الخاصة بهذه الفئات من المدنيين، بهدف قطع هذه المرحلة الحساسة على الإنسانية والعودة لبناء الحياة من جديد.

يقوم الباحث بتفصيل كل صنف من أصناف المدنيين وحقوقهم المدونة في الفقه الإسلامي في فقرات مستقلة تهدف إلى حمايتهم وضمان معاملتهم بشكل إنساني خلال الظروف الاستثنائية للقتال.

أولاً: النساء والصبيان

تعد حماية حقوق النساء والأطفال في الحياة أحد أسس مبادئ الفقه الإسلامي الإنساني، إذ يتجلى التركيز الكبير على الحفاظ على كرامة وهذين الصنفين وسلامتهما. ينظر الإسلام إلى النساء والأطفال كأفراد محتاجين إلى الحماية والرعاية الخاصة، ويتضح هذا الاهتمام من خلال الأحكام والتوجيهات المتعددة الموجودة في الفقه الإسلامي.

يأخذ الفقه الإسلامي بعين الاعتبار التفرقة الواضحة بين القوات المسلحة وبين المدنيين، ويؤكد على حقوق النساء والأطفال في الحصانة والسلامة، حتى وإن كانوا ضمن مناطق القتال، وتكمن القيمة الإنسانية للإسلام في الاهتمام بالضعفاء والمحتاجين، وتقديم الحماية والرعاية لهم، حتى في أوقات الصراع والصراعات المسلحة.

وإذا كانت النساء جزءًا من أعضاء الجيش، فيجب معاملتهن بنفس الطريقة التي يتم معاملة الرجال.

(١) ينظر: السير: أبو عبد الله محمد بن اسن بن فرقد، ت: جميد خدوري، دار المتحدة للنشر - بيروت، ط١، ١٩٧٥، ٢٩٤ / التجريد: أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن الحسن القدوري، ت: أ. د محمد أحمد سرج... أ. د علي مجعة محمد، دار اللام، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦، ١٣٦/٨

(٢) ينظر: المدونة الكبرى: مالك بن أنس، دار صادر - بيروت - لبنان، ٦/٣-٧/شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، ت: طه عبد الرووف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ١٨/٢-١٩

(٣) ينظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: شمس الدين، محمد بن أحمد، دارالكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤، ٢٩/٦-٣١

(٤) ينظر: المغني: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير ابن قدامة المقدسي، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن الرنكي، والدكتور عبد الفتاح محمد احللو، عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط٣، ١٩٩٧، ١٣/١٧٧

وهناك أدلة عديدة على عدم جواز قتل النساء والأطفال، فمن الكتاب قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

والقتال لا يكون في النساء ولا في الصبيان ومن أشبههم ، كالرهبان والزمنى والشيوخ والأجراء فلا يقتلون^(١).

الأدلة من السنة:

١- ما روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: ((وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه و سلم فنهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قتل النساء والصبيان))^(٢).

٢- ما ثبت أن رسول الله - ﷺ - بعث سرية يوم حنين فقاتلوا المشركين فأفضى بهم القتل إلى الذرية فلما جاؤوا قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم-: ((ما حملكم على قتل الذرية؟)) قالوا يا رسول الله إنما كانوا أولاد المشركين قال: ((أو هل خياركم إلا أولاد المشركين والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها))^(٣).

٣- قوله -ﷺ- حين بلغه قتل بعض الأطفال: ((ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية، ألا إن خياركم أبناء المشركين، ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا تقتلوا ذرية، كل نسمة تولد على الفطرة فما تزال عليها حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها))^(٤).

الإجماع:

أجمع الفقهاء على حرمة قتل النساء والأطفال أثناء القتال والنزاعات المسلحة^(٥).

إن شريعة الإسلام حفظت للمرأة حياتها وكرامتها، وحميت عفتها وطهارتها، فمنعت الاعتداء على شرفها، أو اغتصابها، وهكذا فإن الإسلام قد سبق بسماحته ورحمته بالمدينين بصفة عامة، والنساء والأطفال

(١) الجامع لأحكام القرآن: المصدر السابق، ٢/٣٤٧، تفسير القرآن العظيم: لإبن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣ - ١٤١٩، ١/٣٢٥

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسرياء، باب قتل النساء في الحرب، رقم(٢٨٥٢)، والمسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، رقم(١٧٤٤)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٥٨٨)، والبيهقي في سنن الكبرى (١٨٣٣٤)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢٥٢٢)، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٥٨٩)، وابن الجوزي في جامع المساند (١٠٩)، والطبراني في معجم الكبير (٨٢٩)، والدارمي في سننه (٢٥٠٦) وقال ابن عبد البر هو حديث بصرى صحيح/ التمهيد: ابن عبد البر، ١٨/٦٨

(٥) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: الزرقاني، ٣/١٨، تحتفة الأحوذى بشرح جامع الترمذی: أبو العلا محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٥٨/٥-١٦٠

بصفة خاصة .

ثانياً: الشيخ

إنّ حماية حق الشيخ في الحياة تعد من القضايا الأساسية التي تُظهر الرحمة والاهتمام الكبير في الفقه الإسلامي نحو فئة المسنين، ويعكس الإسلام في هذا الصدد ترتيباً إنسانياً عظيماً لحياة الشيخوخة ويؤكد على حق الشيخ في العيش بكرامة وأمان، ويشتمل هذا الفهم الإسلامي على مجموعة من القوانين والتوجيهات التي تهدف إلى حماية الحقوق والحياة الكريمة للشيخ.

ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز التعرض لحياة الشيخ والمسنين أثناء سير العمليات الحربية وأوجبوا على الأطراف المتنازعة حفظ حياتهم أثناءها، قال بذلك كبار الصحابة^(١)، الحنفية^(٢)، والمالكية^(٣)، والحنابلة^(٤)، والشافعية^(٥)، والزيدية^(٦).

الأدلة من القرآن:

احتج العلماء بقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

"إذ نهى الله سبحانه تعالى عن الاعتداء بقتل الشيخ"^(٧).

الأدلة من السنة :

ومن السنة احتجوا بما روي عن أنس بن مالك، أن رسول الله - ﷺ - يقول: ((انطلقوا بسم الله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً....))^(٨).

(١) ينظر: المغني: ابن القدامة، ١٣/١٧٧-١٧٨

(٢) ينظر: التنف في الفتاوى: أبو الحسن علي بن الحسين، ت: الدكتور صالح الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة - عمان الأردن، ط٢، ١٩٨٤، ١٩١

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب-عام النشر: ١٣٨٧، ١٦/١٣٩-١٤٠

(٤) ينظر: المبدع في شرح المقنع: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، دارعالم الكتب، الرياض ٢٠٠٣، ٣/٢٣٩

(٥) ينظر: كشف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس بن إدريس البهوت، ت: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر-بيروت، ١٤٠٢، ٣/٥٠

(٦) ينظر: التاج المذهب لأحكام المذهب شرح متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار: القاضي العلامة أحمد بن قاسم العنسي اليميني الصنعاني، دار الحكمة اليمانية-الصنعاء-١٩٩٣، ٤/٣٠

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: المصدر السابق، ٢/٣٤٩

(٨) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١١٨)، والبيهقي في سنن الكبرى (١٨١٥٣)، وابن الأثير

ومن آثار الصحابة - رضي الله عنهم - هناك أدلة كثيرة منها قول أبي بكر - رضي الله عنه - (لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرمًا...)^(١).

وعن عمر - رضي الله عنه - (... ولا تقتلوا امرأة، ولا صبياً، ولا شيخاً هرمًا...)^(٢).

وقد سار بعد النبي - ﷺ - الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على منهجه كلهم فأوصوا أمراء جيوشهم بعدم قتل الكبير الهرم.

ثالثاً: رجال الدين

ضمنت حماية حق الرهبان في الحياة في الفقه الإسلامي ويستنطق القيم الإنسانية والتعاليم الدينية السامية التي تسعى إلى توفير الحياة الكريمة والأمانة لجميع أفراد المجتمع. يعد الإسلام حماية حقوق الرهبان وتوفير مساحة آمنة لممارستهم الدينية من الأمور ذات الأهمية التي تبرز روح التسامح والاحترام المتبادل. تُعدّ حماية حق الرهبان في الحياة جزءاً من التزام الإسلام بضمان حقوق غير المسلمين الدينية والثقافية. إذ يُعظّم الإسلام أهمية احترام المعتقدات والتقاليد المختلفة ويشجع على التعايش السلمي بين مختلف الطوائف والأديان. هنا يناقش كيفية تحقيق تلك الحماية في ضوء الفقه الإسلامي وكيفية توجيه الاهتمام نحو تقديم الدعم والاحترام لحقوق الرهبان وحرمتهم في ممارسة عبادتهم وتعاليمهم الدينية. فقد اختلف الفقهاء في قتل الرهبان، يقول البعض يقتلون وقال الجمهور لا يقتلون إذا لم يخالطوا الناس ولم يشاركوا الحرب^(٣).

الأدلة من القرآن قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ البقرة: ١٩٠

الأدلة من السنة:

عن ابن عباس أن النبي - ﷺ - كان إذا بعث جيوشه قال: ((اخرُجُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تُعَدِرُوا، وَلَا تُمْتَلُوا، وَلَا تُعْلُوا، وَلَا تُقْتَلُوا الْوِلْدَانَ، وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ))^(٤).

في جامع الأصول (١٠٧٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره

(١) التخريج في صفحة: ٦٩

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١١٩)، والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٨٧٩٦)، سعيد بن منصور في سننه (٢٤٧٦)

(٣) ينظر: المبسوط: المصدر السابق، ١٠/٢٣٦/المدونة الكبرى: مالك بن أنس، ٣/٦/الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل: ابن قدامة، ٤/٢٦٧/الأم: الشافعي، ٤/٢٥٣

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٢٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٤٩)، والبيهقي في سنن الكبرى (١٨١٥٤)، وقال البيهقي: في

هذا الإسناد إرسالٌ وضعفٌ، وهو بشواهده مع ما فيه من الآثار يقوى

رابعاً: الرسل والسفراء

تعد حماية حق الرسل والسفراء في الحياة في الفقه الإسلامي أمراً من الأمور العظيمة وذات الأهمية، حيث يتعين على المجتمعات والدول التحلي بأقصى درجات الاحترام والرعاية تجاه الشخصيات الدبلوماسية والمبعوثين بما تعكس حماية حقوق الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي قيم العدالة والتعايش والاحترام الدولي والتقاليد الإنسانية.

تُعَدُّ حماية الرسل والسفراء جزءاً من سياسة العلاقات الدبلوماسية الإسلامية، وهي تعبر عن التزام الإسلام بتعزيز السلام والتفاهم بين الدول والشعوب. وتجسد هذه الحماية قوانين وتوجيهات تهدف إلى توفير الحماية والأمان للرسل والسفراء أثناء أداء مهامهم الدبلوماسية.

حق الرسل والسفراء في الحفاظ على حياتهم:

أقرت الشريعة الإسلامية حق حفظ الحياة للرسل والسفراء، وأوجبت على المسلمين حماية هذا الحق لهم مما يعرف اليوم بالحصانة الدبلوماسية^(١)، وكان تأكيد فقهاء - الشريعة على حماية هذا الحق موضع إهتمام بالغ إذ لم يعرف اختلافهم حوله وهو بمثابة إجماع منهم على ذلك^(٢).

الأدلة من القرآن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦]

هنا أمر الله تعالى نبيه - ﷺ - بإجابة طلب الذين يستأجرونه في أداء رسالة، أو تجارة، أو طلب صلح، أو مداينة، وألزم عليهم الحفاظ على سلامتهم إلى أن يؤدوا مهامهم ويرجعوا إلى بلادهم، ولهذا كان رسول الله - ﷺ - يعطي أماناً لمن جاءه مسترشداً أو في رسالة^(٣).

الأدلة من السنة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - للرسولين اللذين أرسلهما مسيلمة الكذاب برسالة إليه: ((فما تقولان أنتما))، قالوا: نقول كما قال، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((والله

(١) ينظر: شرح السير الكبير: محمد بن الحسن الشيباني، ت: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ط١،

١٩٩٧، ٧٢/٢/نهاية المحتاج إل شرح المنهاج: شمس الدين محمد بن أيب العباس أحمد، دار الفكر، بيروت-١٩٨٤، ٨٧/٨

(٢) ينظر: المغني: ابن القدامة، ١٣/٨٠/السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن حزم، ط١، ١/٩٦٨/الكافي في فقه الإمام أحمد: أبو محمد موفق الدين بن قدامة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤، ٤/١٦٣

(٣) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، ت: د.حمود مطرجي، دار الفكر-بيروت-

الزمني: جمع زمن وهو: "الإنسان المبتلى بعاهة أو آفة أو مرض مستمر"^(١).

ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم جواز قتل الزمنى وأشباهه مثل: المجنون، المعتوه، ومختل العقل، والمقعد، والأشل، والمفلوج، والمجزوم، والأعمى، والأعرج^(٢).

ألحق الجمهور الزمنى في عدم جواز قتله بالشيخ الكبير واحتجوا على ذلك بالأدلة التي ذكرها حين الحديث عن عدم جواز قتله.

سادسا: الأجراء

حماية حق الأجراء في الحياة في الفقه الإسلامي مسألة ذات أهمية كبيرة، حيث ترتبط بحقوق الإنسان واحترام الكرامة البشرية. يُعنى بالأجراء هنا الأفراد الذين يعملون في مجموعة متنوعة من الوظائف والمهن، وهم جزء لا يتجزأ من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع. لفهم كيفية حماية حق الأجراء في الحياة في الفقه الإسلامي ندرسه فيما يأتي.

الأجراء: جمع أجير، من أجر يؤجر، وهو الإنسان الذي يعمل لحساب الغير مقابل مبلغ معين^(٣). والرسول استعمل مصطلح العسيف^(٤)، حين نهي عن قتل هذا الصنف من المدنيين أثناء العمليات الحربية، والفقهاء فسروا العسيف بالأجير^(٥)، و صنفوا ضمن العسيف الذي لا يقتل: الفادحون، والحراث، والأجراء، والضعفاء، والعيبد، والسائل، وأرباب الصنائع، والمحترف المشغول بحرفته، والسوقة، والزراع، وأحيانا

(١) العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت: د مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، ٣٧٥/٧/مختار الصحاح: المصدر السابق، ١١٦

(٢) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المصدر السابق، ١٠١/٧/منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله سكي، دار الفكر - بيروت، ١٩٨٩، ١٤٦/٣

(٣) ينظر: لسان العرب: المصدر السابق، ٣١/١/معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٨، ٤٥

(٤) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْمُرْقَعِ بْنِ صَيْفِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّهِ رِيَّاحِ بْنِ رَبِيعٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي غَزْوَةٍ، فَرَأَى النَّاسَ مَجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَجُلًا، فَقَالَ: ((انظُرْ عَلَامَةَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ)) فَجَاءَ، فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلَةٍ. فَقَالَ: "مَا كَانَتْ هَذِهِ لِقَاتِلٍ"، قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَ رَجُلًا، فَقَالَ: "قُلْ لِحَالِدٍ: لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا))، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سننه (٢٦٦٩)، والنسائي في سنن الكبرى (٨٥٧١)، والحاكم في المستدرک (٢٥٦٥)، وقال الحاكم: الْحَدِيثُ صَحِيحًا عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَمَنْ يُجَرِّجَاهُ

(٥) ينظر: أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، ٢٠٠٣، ٤٦٤/١

أطلقوا على هؤلاء جميعا الضعفاء^(١)، وذلك لأن الفادح في أرضه عسيف، والعامل في مصنعه عسيف، والطبيب في مستشفاه عسيف^(٢)، والباقي مثلهم.

سابعا: الموظفون

حماية حق موظفي الخدمات الإنسانية في الحياة تمثل موضوعاً ذات أهمية ودقيق في الفقه الإسلامي. حيث يتعلق الأمر بالتعامل مع الأفراد الذين يقدمون الخدمات الإنسانية والاجتماعية، ومن يسعون لتحسين الظروف المعيشية والصحية والاجتماعية للآخرين. تأتي هذه الرعاية والحماية ضمن سياق احترام الحقوق وتعزيز القيم الإنسانية في الإسلام. لفهم كيفية حماية حق موظفي الخدمات الإنسانية في الحياة في الفقه الإسلامي نقول.

إن موظفي الخدمات الإنسانية هم: الأشخاص الذين لا يشاركون أو لم يعد بإمكانهم المشاركة في العمليات العدائية ويجب أن تحترم حياتهم وسلامتهم البدنية والعقلية. وكما يجب أن يحمي هؤلاء الأشخاص ويعاملوا في جميع الأحوال معاملة إنسانية وبدون أي تمييز مجحف^(٣).

لم يكن فقهاء الشريعة الإسلامية يستخدمون المصطلحات الحديثة التي تُطلق على الأفراد الذين يرافقون القوات المسلحة بهدف تقديم الخدمات الإنسانية للمتضررين في النزاعات المسلحة. ولم يتم التفصيل في هذا الموضوع عندما تناولوا قضية المدنيين المشمولين بالحماية أثناء سير العمليات القتالية. يُرجع ذلك إلى عدم وجود هذه المصطلحات الحديثة والهيئات الراعية لتلك المهمة في ذلك الزمن.

إن الشريعة الإسلامية أكدت بشدة على أهمية الحفاظ على حياة الأشخاص الذين يعملون بتفانٍ وإخلاص في تقديم الخدمات الإنسانية لضحايا النزاعات المسلحة. ويدل على ذلك ما ورد في النصوص الشرعية والتعاليم الإسلامية التي تحث على التعاون وتقديم المساعدة للمحتاجين والمتأثرين بالنزاعات، ويكدها على قيمة حياة الإنسان وأهمية حمايتها بكل السبل الممكنة. ما يأتي:

أ- هؤلاء الأشخاص لا يتأتى منهم الحرب، فلا يجوز التعرض لهم قياساً على النساء والصبيان.

ب- قتل هؤلاء اعتداء واضح، نهى الله عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠]

(١) ينظر: فتح القدير: ابن همام، ٥/٤٥٣/القوانين الفقهية: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ٢٤٩،

(٢) ينظر: جرائم الحرب في الفقه الإسلامي والقانون الدولي: خالد رمزي سامل كري، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية،

٢٠٠٥، ١٠٩

(٣) ينظر: مسلسل قانون الدولي الإنساني رقم ١: القانون الدولي الإنساني تطوره ومحتواه، ٢٠٠٨، ٩

ت- لا يجوز قتل الإنسان إلا بحق: قَالَ تَعَالَى: ﴿ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَالِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١]

ثامننا: الخنثى والمجانين

حماية حق الخنثى والمجانين من الإعتداء عليهم في سياق القتال هي مسألة ذات أهمية كبيرة في الفقه الإسلامي. في حروب والصراعات المسلحة، يجب على المسلمين التعامل مع هذه الفئات الضعيفة والمحتاجة برعاية خاصة فينبغي احترام حقوقهم الإنسانية. لفهم كيفية حماية حق الحياة للخنثى والمجانين في هذا السياق، يجب النظر في بعض المفاهيم والمبادئ الأساسية في الفقه الإسلامي:

مفهوم الحرب العادلة (الجهاد): الإسلام يقر بفكرة الحرب العادلة، وهي حرب تُشن للدفاع عن النفس وحقوق الإنسان وليس للعدوان، وفي هذا السياق، يجب على المسلمين احترام حقوق الأفراد، بما في ذلك الخنثى والمجانين، وعدم استهدافهم بشكل مباشر. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٣﴾ وَقَاتِلُوهُمْ

حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٢ - ١٩٣]

وتكرر الآية سبب القتال: بأنه وضع حد للعدوان والفتنة. إن "عبادة الله" تعني أن عدالة الله راسخة وأن الحقوق الطبيعية محمية للجميع. ولا تقتضي هذه العدالة اعتناق الناس الإسلام كل على حدة، بل عليهم تطبيق العدالة الاجتماعية بما يتفق مع القيم الإسلامية والإنسانية.

منع الظلم والإيذاء غير المبرر: تمنع القواعد الإسلامية بشدة إلحاق الأذى غير المبرر بأي شخص، لا سيما في زمن الحرب. ويجب أن يتمتع الخنثى والمجانين بحماية إضافية لمنع تعرضهم للإيذاء أثناء القتال^(١).

الرعاية الصحية والإغاثة الإنسانية: يجب على الجيش الإسلامي توفير الرعاية الصحية والإغاثة الإنسانية للخنثى والمجانين الذين يتأثرون بالنزاع. وهذا يشمل توفير العناية الطبية الضرورية والمأكل والمشرب والإسكان^(٢).

احترام الكرامة الإنسانية: يتعين على المسلمين احترام كرامة الإنسان في جميع الأوقات وفي جميع الظروف، حتى في حالات القتال. وهذا يتضمن منع الإهانة والاستخدام غير الإنساني للقوة ضد الخنثى والمجانين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

(١) ينظر: أحكام القرآن: جصاص، ١، ٣١٤/

(٢) ينظر: الرحمة والتسامح مع مدنيي الدول المحاربة: د. عبدالله بن فهد الشريف، ٥٩٧

عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]، وبعض أهل العلم لا يذكرهما، لكونهما داخلين في معنى النساء والصبيان، إذ أن الخنثى ربما يكون امرأة، والمجنون زائل العقل فهو غير مكلف وفي حكم الصبي^(١).

تاسعا: المرضى والأعمى

حماية حق الحياة للمرضى والعميان أثناء القتال تعد مسألة ذات أهمية ودقيقة في الفقه الإسلامي وتدخل تحت مفهوم حقوق الإنسان في زمن الحرب. في سياق القتال والنزاعات المسلحة، يجب على المسلمين التعامل بعناية خاصة مع هذه الفئات الضعيفة والمحتاجة.

وهكذا فإن القرآن والسنة يقران حماية غير المقاتلين أثناء الحرب حماية كاملة. فلا يجوز بأي شكل من الأشكال استهداف المدنيين عمدًا. ويؤكد القرآن هذه القاعدة بالقول: "وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ". وبعبارة أخرى، يقتصر القتال على المقاتلين فحسب - ممن يشاركون في القتال، ويجرم قتل أي شخص إلى جانبهم لأن ذلك يمقته الله وفقًا للشريعة الإسلامية. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١] "ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق، ولا على الأعرج ضيق، ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها"^(٢). وقد أكد الفقهاء أن الأعمى والمقعّد والمريض لا يقتلون^(٣).

عاشرا: التجار والفلاحون

حماية حق الحياة للتاجر والفلاح أثناء القتال تُعدّ موضوعًا ذا أهمية كبيرة في الفقه الإسلامي. في زمن النزاعات والحروب، فيجب على المسلمين التعامل بعناية واهتمام خاص مع هاتين الفئتين المهمتين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. تلك الرعاية تأتي ضمن سياق الحفاظ على حقوق الإنسان واحترام القيم والأخلاقيات الإسلامية.

(١) موقع المسلم: حماية المدنيين في الفقه الإسلامي، عماد بن صالح الغامدي، تأريخ الوضع: ٢٣ محرم ١٤٣٠، تأريخ

المراجعة: ٢٠٢٢/٨/٧

(٢) جامع البيان: المصدر السابق، ٢٢٢/٢٢

(٣) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، ت: د.

أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات، ط١، ٢٠٠٨، ٤٢٩/٣

فلفلاحون الذين يقومون بفلاحة الأرض وزراعتها واعمارها، ولا يشاركون في القتال، فهؤلاء لا ينبغي قتالهم، وهو قول أكثر أهل العلم. ووجه قولهم أنهم نشطوا في أعمالهم من فلاحة الأرض وعسف الطرقات، فهم لم ينصبوا أنفسهم للقتال^(١).

والأصل عند الحنفية أن كل من كان من "أهل القتال" يحل قتله سواء قاتل أو لم يقاتل، وكل من لم يكن من أهل القتال لا يحل قتله إلا إذا قاتل حقيقةً أو معنى بالرأي والطاعة والتحريض وأشباه ذلك^(٢).

وبناءً على هذا المبدأ، فالفلاحون والحراثون ليسوا من أهل القتال، فلا يحل قتلهم إلا إذا قاتلوا. وقال مالك: "لا يقتل الصناع ولا الفلاحون"^(٣).

ومما رآه الحنابلة أن الفلاح الذي لا يقاتل ينبغي أن لا يقتل^(٤).

وأما التجار: فقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض الظاهرية إلى عدم جواز قتال تجار المشركين الذين شغلوا أنفسهم بالتجارة ولم يقوموا بأية خدمة قتالية ضد المسلمين، فهؤلاء يتركون على ما هم فيه.

ف عند فقهاء الحنفية لا يجوز الاعتداء على التجار، إذ قالوا: "لا يجعل الواطئ موطئ العدو على قصد الحرب بمنزلة النيل منهم لما فيه من الكبت والغیظ لهم، ولا يدخل على التجار وأهل السوق"^(٥).

وعند المالكية لا يقتل وأمره موكول إلى الإمام، وقالوا: "من وجد بساحلنا من العدو وقالوا نحن تجار ونحوه فلا يقتلون ويرى فهم الإمام برأيه"^(٦).

ولا يجوز قتله عند الحنابلة وقالوا: "من دخل دار الإسلام بغير أمان فادعى أنه رسول أو تاجر ومعه متاع يبيعه قبل منه"^(٧).

(١) ينظر: تفسير آيات الأحكام: عبد العزيز، ٢٣٠/٢٢٩

(٢) بدائع الصنائع: الكساني، ١٠١/٧

(٣) الذخيرة: القرافي، ٣/٣٩٩

(٤) ينظر: المغني: المصدر السابق، ١٨٠/١٣

(٥) ينظر: المسوط: المصدر السابق، ٣٦/٣٥/١٠

(٦) ينظر: الذخيرة: القرافي، ٤٠٠/٣

(٧) ينظر: الشرح الكبير على متن المقنع: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين

(ت ٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٥

الفرع الثاني: الحقوق الجديدة بالحماية للمدنيين

أولاً: تحريم التعرض للتعذيب:

إن واحدة من أهم حقوق المدنيين التي حافظت الشريعة الإسلامية عليها أثناء السلم والحرب معا، هو حقهم في عدم تعرضهم للتعذيب أو المعاملة اللاإنسانية القاسية، فلا يجوز للإنسان وتحت أي مبرر كان، سواء كان الإنسان أسيراً أو سجيناً أو متهماً أو غير متهم. فالتعذيب للإنسان محرم، سواء كان بجرح، أو صعق، أو ضرب وصفع، أو منع من طعام أو شراب، أو بتجريد من الثياب، أو تعذيب بالإغراق، أو إدخال الوحوش عليه أو الهوام كالأفاعي والعقارب ونحوها، أو مساومته بعرضه وتهديده بنسائه وأطفاله وماله، أو التبريد والتسخين، أو التعذيب بمنعه من النوم، أو بمنع زيارة الأهل له، أو جعله في وضعية تعذيبية كتعليق أو مد أو مط، أو جرح بمحدد، أو تقطيع شيء منه، أو إتلاف عضو منه، أو ثقبه بثقاب مسمار أو حديد، أو مثقاب أو غيره، أو تعذيبه بالضوضاء الشديدة الصوتية أو شدة إضاءة.

وتدل على ذلك، الأدلة من القرآن والسنة، فمن الكتاب: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَّفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ**

مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ..﴾ [البقرة: ١٩١]

يعني كفرهم وتعذيبهم المؤمنين في البلد الحرام وفي الشهر الحرام أشد وأعظم مآثماً من القتل في الشهر الحرام^(١). ليعلم المؤمنين شنيعة هذه الجريمة وخطورة القيام بها.

ومن السنة احتجوا :

أ- قوله -ﷺ- ((إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا))^(٢) في الحديث وعيد شديد لمن يقومون

بتعذيب الناس في الدنيا بغير حق بأن الله يعذبهم في الآخرة جزاء لما فعلوه في الدنيا.

ب- عن أبي هريرة قال قال رسول الله -ﷺ- ((صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ

كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ...))^(٣) في الحديث بيان مصير الذين يقومون بتعذيب الناس في الآخرة بأثم من أصحاب النار.

ثانياً: الحق في الحرية

اتسمت الشريعة الإسلامية بحماية حق المدنيين في الحرية كجزء أساس من الحقوق المصونة لهم أثناء

سير العمليات الحربية، وتتضمن حق الحرية هذه:

١- الحرية المدنية:

(١) ينظر: أحكام القرآن: جصاص، ١/ ٣١٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب الوعيد الشديد لمن يعذب الناس، رقم (٢٦١٣)

(٣) المصدر نفسه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلوها الجبارون، رقم (٢١٢٨)

إن حماية المدنيين من الاسترقاق أثناء القتال هو حق مقرر لهم في الشريعة الإسلامية بدليل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ

كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]

قرر الله سبحانه تكريم البشرية مطلقاً، بحيث تجب المحافظة على كرامة الإنسان في جميع الأوقات،

واسترقاق المدنيين بتحويلهم إلى هوان العبودية لبيعوا ويشترى ويتناقض مع ما قرره الله في هذه الآية. قَالَ تَعَالَى: ﴿

مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥]

استدل بهذه الآية على أنه لا عقوبة إلا بذنب، وأنه لا تجوز عقوبة أحد بسبب فعل غيره، واسترقاق

المدنيين الذين لا يتأتى منهم حرب، ما هو إلا عقاب لهم بسبب ذنب المقاتلين الساكنين بينهم من محاربة المسلمين.

الأدلة من السنة

وقد ورد في السنة أحاديث دالة على عدم جواز استرقاق المدنيين مثل:

أ- قوله -ﷺ- لأحد جيوشه توصية لهم في الحرب: ((وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين))^(١).

هنا أمر رسول الله -ﷺ- أصحابه الذين أرسلهم لفتح البلدان أن يتقيدوا بالمعاملة الصالحة والحسنة مع من يقابلهم في الحرب، واسترقاق المدنيين ليدوقوا مطرقة العبودية من أشد أنواع التنكيل وهو مناف تماماً مع ما في الحديث المذكور.

ب- قوله -ﷺ- لأهل مكة: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))^(٢). فالنبي -ﷺ- لم يفرض نظام السبايا على

أهل مكة عند فتحها عنوة، بل حفظ لهم حريتهم المدنية.

٢- حرية العقيدة:

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦١٤)، والبيهقي في سنن الكبرى (١٨١٥٣)، وابن الأثير في جامع الأصول (١٠٧٦)، والسويطي في جامع الأحاديث (٥٨٤٥)، قال الأزهري: وخالد بن الفزّز لم يرو عنه غير الحسن بن صالح قال ابن معين: ليس بذاك وقال أبو حاتم: شيخ وذكره ابن حبان في الثقات/ الهداية في تخريج أحاديث البداية: أحمد بن محمد، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤٢٨، ١٩٨٧، ٢٣/٦.

(٢) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١٨٢٣١)، والبيهقي في سنن الكبرى (١٨٧٣٩)، والذهبي في المهذب (١٤٢٢٨) وقال الألباني: هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت وهو عند ابن هشام معضل وقد ضعفه الحافظ العراقي كما بينته في (تخريج فقه السيرة) (ص ٤١٥) / دفاع عن الحديث النبوي والسيرة: محمد ناصر الدين الألباني، ٣٢ وقال المحقق حديث مرسل

تتسم الحروب الإسلامية بكفالة حرية عقيدة المدنيين، وكان حفظ هذه الحرية من الغايات التي شرع من أجلها الجهاد، وهناك أدلة كثيرة تؤكد هذه الحقيقة، فمن الكتاب: أكد القرآن الكريم في مواضع كثيرة على حرية الناس في اختيار دينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩]

ثالثا: الحق في الأمن الشخصي و المحاكمة العادلة:

ضمن سلسلة حقوق المدنيين أثناء النزاعات المسلحة يوجد حقهم في الأمن الشخصي والمحاكمة العادلة، لقد امتن الله تعالى بنعمة الأمن على قريش حين أعرضوا عن دين محمد - ﷺ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهَدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص: ٥٧]

وبها دعاهم إلى الإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٣ - ٤]

لا يجوز في شرع الله تعالى ترويع الأمنين سواء كان ذلك عن طريق الإيذاء الحسي أو المعنوي، وسواء كان هذا الترويع بالقول أو بالفعل، وسواء كان على سبيل الجد أو اللعب، لأن ترويع الإنسان ظلم وتعدٍ سافر على حقه، وأن ترويع المسلم في الدنيا يستوجب معاملة فاعله بالمثل يوم القيامة، فلا يأمن من فرع هذا اليوم، فقد روي عن عامر بن ربيعة أن رسول الله - ﷺ - قال: ((لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم))^(١).

عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((مَنْ أَحَافَ مُؤْمِنًا بَعِيرٍ حَقِّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٠٤)، وأحمد في مسنده (٢٣٠٦٤)، والبخاري في مسنده (٣٨١٦)، وابن كثير في جامع المسانيد (٥٦٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠٥٢٥)، والسيوطي في جامع الأحاديث (١٦٣٤٥)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

أَنْ لَا يُؤْمِنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))^(١).

لقد أكدت الشريعة الإسلامية على مبدأ العدل في التعامل مع الناس مطلقاً دون تمييز على أساس الجنس أو اللون أو العرف أو الدين، فالكل أمام القضاء الحق سواء، لذا لا يجوز لجنود المسلمين إلقاء القبض على مواطني الدول المحاربة أو حبسهم أو اعتقالهم بغير حق، وإذا ارتكبوا ذنباً وخالفوا القانون الإسلامي فإن من الواجب على القضاء محاكمتهم بالعدل، ومن حقهم الدفاع عن أنفسهم، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]

ومن السنة: وردت أحاديث كثيرة دالة على تحريم الظلم ووجوب تطبيق العدل على الجميع، منها:

أ- قوله -ﷺ- ((النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، وَإِنَّمَا يَتَفَاوَضُونَ بِالْعَافِيَةِ))^(٢).

ب- وجاء في حديث قدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا

تظالموا...))^(٣).

رابعاً: الحق في العرض:

إن حق المدنيين في المحافظة على شرفهم من جميع الاعتداءات أو الانتهاكات أثناء سير العمليات القتالية من الحقوق التي حافظت الشريعة الإسلامية عليها، فحذرت المؤمنين المجاهدين من القيام باغتصاب نساء المدنيين والاعتداء عليهن، والأدلة على ذلك كثيرة، فمن الكتاب: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَاَ إِنَّهُ كَانَ فَجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٣٥٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢٧)، والسيوطي في جامع الأحاديث

(٢) (٤٣٧٠٤)، والهندي في كنز العمال (٤٣٧٠٤)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث (٤٥٣٩) عن سلمة بن العيار عن عاصم

ابن محمد عن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عبد الله بن عمر مرفوعاً

(٢) أخرجه عبد الله الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي (١٦٦)، وابن حجر العسقلاني في زهر الفردوس

(٢٥٧٩) والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٤٩٢٧) وهو مرسل/زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة: خلدون الأحذب، دار

القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٩٦، ٤٠٩/٥

(٣) أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٥٥)

قَالَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [النور: ٢]

ومن السنة:

أ- إن رسول الله - ﷺ - قال: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن))^(١).

ب- قال رسول الله - ﷺ - : ((إذا زنى العبدُ خرجَ منه الإيمانُ، فكانَ فوقَ رأسِهِ كالظِّلَّةِ، فإذا خرجَ من ذلكَ العملِ رجعَ إليه الإيمانُ))^(٢).

وفي ضوء الأدلة التي ذكرنا، تبين أن المسلمين ملتزمون بحماية عرض نساء الكفار، وصون حق المدنيين في الحفاظ على عرضهم، أثناء سير العمليات القتالية.

خامسا: الحق في الملكية:

إنَّ حق المدنيين في الملكية أثناء النزاعات المسلحة من جملة الحقوق التي حافظت الشريعة الإسلامية عليه، فصان حقهم في التملك والحفاظ عليها.

والمراد بحقهم في الملكية هنا حقهم في الأموال التي ليست على صلة مباشرة بالعمليات العسكرية، ولا تحول دون الوصول إلى المحاربين، من أفراد العدو، وهي في الغالب ذات طابع اقتصادي ووظيفة معيشية مدنية لا عسكرية، ومن الأمثلة القديمة لذلك: الزرع، والشجر، والدور، والآبار، والغنم، والبقر، والإبل، والخيل التي لا يحارب عليها. ومن - الأمثلة الحديثة لذلك: خزانات المياه، ومنشآت النفط ومستودعاته، ومحازن الأغذية، والموانئ البحرية والجوية غير العسكرية، وما يتبعها من السفن، والطائرات، والجسور، ومحطات القطارات^(٣).

الأدلة على ذلك:

من الكتاب: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥]

بين الله في الآية أن إتلاف الأموال فساد، والله لا يحب الفساد، والقيام بالتخريب والتدمير في دار الحرب من الفساد المنهي عنه في الآية^(٤).

(١) أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي

كماله، رقم (١٠٠)، والبخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب اثم الزناة، رقم (٦٨١٠)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٩٠)، الترمذي في سننه (٢٦٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٨١)، الحاكم في المستدرک

على الصحيحين (٥٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بهروايته وله شاهد على شرط مسلم

(٣) ينظر: قضايا فقهية في العلاقات الدولية حال الحرب: د. حسن أبو غدة، مكتبة العبيكان - رياض - السعودية، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٧

(٤) ينظر: شرح السير الكبير: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس، الشركة الشرقية للإعلانات، ١/٤٣

ومن السنة استدلو بالآتي:

أ- قوله -ﷺ-: ((من قتل صغيراً أو كبيراً أو أحرق نخلاً أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهاجها لم يرجع كفافاً))^(١).

ب- ما ثبت: أن رسول الله -ﷺ-: ((نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قتل النحلة والنملة والصدرد والهدهد))^(٢).

فقد حذر النبي -ﷺ- في الحديث الأول الذين يتلفون أموال الناس بأنهم لا يرجعون إلا مثقلاً بالذنوب نتيجة عملهم هذا، ونهى في الثاني عن الإتلاف.

وقال أبو بكر-رضى الله عنه- لأحد قواد جيوشه: (لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً، إلا للمأكلة ولا تحرقن نخلاً ولا تفرقنه ولا تغلل ولا تجبن)^(٣).

سادسا: الحق في الغذاء والصحة:

حافظت الشريعة الإسلامية على حق المدنيين في الغذاء والصحة أثناء النزاعات المسلحة، بما أن المدنيين لا دخل لهم في الحرب فلا يجوز تجويعهم بفرض الحصار عليهم، ليموتوا جوعاً، بل يجب رفع الحصار إذا كانت مفروضة عليهم تأسيساً بالرسول -ﷺ- حينما علم بوجود حصار على مكة وهم كانوا في حرب مع المسلمين، ووصله استغاثات المدنيين من آثارها السلبية، وأمر بفك الحصار المفروض عليهم من قبل أهل اليمامة، فرفعوه تلبية لأمر الرسول -ﷺ-^(٤).

وكذلك لا تجوز الهجمات العشوائية على العدو عامة، ويؤكد الفقه على ضرورة وجوب التمييز بين الأهداف العسكرية والأعيان المدنية، وبهذا لا يجوز توجيه الضربات العسكرية إلى المرافق الاقتصادية وخزانات المياه ومواد الأغذية حماية لحق المدنيين في الغذاء، وكذلك لا يجوز توجيه هذه الضربات إلى المنشآت الطبية حماية لحقهم في الصحة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٤٢٢)، وابن الجوزي في جامع المسانيد (٧٩٥)، وابن الكثير في جامع المسانيد والسُّنن (١٣٩٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦١٢)، وقال الهيثمي: وفيه راو لم يسم وابن لهيعة فيه ضعف، والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٣٣٢٠)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٤٢)، قال: شعيب الأرنؤوط حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، والقطيعي في جزء الألف دينار (٥٨)، وضياء الدين في الأحاديث المختارة (١٣٣)

(٣) التخريج في صفحة: ٦٩

(٤) أخرجه المسلم في صحيحه، باب ربط الأسري وحبسه، وجواز المن عليه، رقم (١٧٦٤)، والبخاري في صحيحه، كتاب الأشخاص والخصومات، باب التوثق ممن تخشى معرفته (٢٤٢٢)

ومع ذلك أمر الله عباده بأن يعاملوا معاملة حسنة مع الناس جميعاً، وأن يلتزموا بالبر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]

ومداواة مرضى المدنيين وتقديم الرعاية الصحية لهؤلاء، بسد احتياجاتهم الغذائية والصحية وتوفير ضرورات العيش لهم، من قبل البر والإحسان المأمور به في الآية (١).

المطلب الرابع: حماية البيئة والأماكن المقدسة

الفرع الأول: حماية البيئة

للبيئة مكانة مروقة في تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويمكننا القول بأن البيئة تحظى بمكانة عالية ورعاية متوالية في رحاب عقيدة التوحيد التي تربط الدنيا بالآخرة، وتجعل من الجزاء الأخروي ثمرة من ثمرات العمل الديني، كما تجعل من أنشطة حماية البيئة ورعايتها عملاً فيه صلاح البلاد ورضا رب العباد، وفي هذا السياق عدّ الحفاظ على البيئة أمراً تعبدياً يقول تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [القصص: ٧٧]

قَالَ تَعَالَى: ﴿... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿... وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥]

يضع الإسلام القواعد ذات الأهمية لحماية البيئة من أهمها:

١- تحريم التلوث البيئي وإذا كان القرآن لم يستعمل لفظ التلوث بالذات، فإن ذلك لا يعني أنه لم يشر إلى حقيقته بالمرّة، لأنه قد تناول مضمونه وأوضحه في سياقات آيات عديدة، فقد عبر القرآن الكريم عن التلوث بتعابير أخرى، وأقربه إلى أداء معنى التلوث استعماله لكلمة الفساد بمعناه العام، واستعمال القرآن الفساد بمعنى الاختلال والاضطراب الذي يحدثه الإنسان في نظام الأشياء متكرر في آيات عديدة، منها قول الله تعالى عن فعل الإنسان الذي يبئد النسل ويهلك الحرث: ﴿وَمَنْ أَلْطَمَ مَنْ يُعِجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿٩٦﴾ وَإِذَا

(١) ينظر: الرحمة والتسامح مع مدنيي الدول المحاربة: د. عبدالله بن فهد الشريف، ٥٩٧

تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥]

ومن الآيات التي استعملت فيها كلمة الفساد مرادفة للإخلال بالتوازن البيئي قولُ الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]

٢ - محاربة التصحر، وذلك بالحث على تعمير الأرض وإحيائها واستصلاحها وتشجيرها حتى لا تظل جرداء قاحلة، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: ((مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ قَالَ عُرْوَةُ: فَضَى بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ))^(١)، وحث على المزارعة حتى لئلا الأرض بورا لا ينتفع بها أحد.

٣ - نهى عن قطع الشجر، لأن قطعه يؤثر في جمال البيئة من جهة، ويحرم الناس والحيوان من الاستفادة منه، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أُخْبِرْتُ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: ((لَا تَقْطَعُوا الشَّجَرَ، فَإِنَّهُ عِصْمَةٌ لِلْمَوَاشِي فِي الْجُدْبِ))^(٢).

٤ - أمر عليه الصلاة والسلام بإماطة الأذى، كالأوساخ والقاذورات وكل ما فيه أذى عن الطريق لتظل الأرض نظيفة جميلة تسر الناظرين إليها، وموقف الإسلام من هذا التلوث واضح بين، فإنه يحرم شرعا إلقاء النفايات في المياه أو التربة الزراعية كما تفعل بعض الدول الصناعية، فالتخلص من النفايات ومعالجتها دون إلحاق الضرر بمصالح الناس واجب شرعي، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قَالَ: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))^(٣).

٥ - الحث على النظافة في الساحات والبيوت والمنازل والطرقات وسائر الأماكن، فقد ذكر أهل العلم أن المروءة في النظافة وطيب الرائحة. عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: ((إِنَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرض مواتا، رقم (٢٣٣٥)

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: كتاب المناسك، باب من يكره حجارة الحرم وقطع الغصن، رقم (٩٢٠٩)

(٣) أخرجه المسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان: رقم (٣٥)، والبخاري بلفظ آخر ((يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ

صَدَقَةً))، كتاب المظالم، باب اماطة الأذى

اللَّهُ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظَّفُوا أَفْئِيتَكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، بَجَمْعِ الْأَكْبَاءِ فِي دُورِهِمْ))^(١).

٦- أمر بالمحافظة على المياه، فحرم هدرها أو الإسراف فيها لغير حاجة؛ لأن شحها يؤثر في حياة الإنسان والنبات والحيوان، وهذا من شأنه أن يؤثر في البيئة بشكل عام، حيث ينشر الجفاف فيه أو تقل الخضرة. عن عبد الله بن عمرو بن العاصي: أن النبي -صلي الله عليه وسلم- مرَّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: ((ما هذا السرف يا سعد؟"، قال: أفي الوضوء سرف؟، قال: "نعم، وإن كنت على كهر جار))^(٢).

٧- تحريم الصيد في أزمنا معينة وفي أماكن محددة، وهذا من شأنه أن يتيح الفرصة للحيوانات والطيور للتكاثر والتناسل.

الفرع الثاني: حماية الأماكن المقدسة

لمعرفة مدى اهتمام القرآن الكريم بالأماكن الدينية المقدسة كان لا بد أن نرجع إلى الآيات القرآنية الكريم المتعلقة بالأماكن المقدسة، التي تتحدث عنها مما تبلغ (٥٣) آية. نذكر بعض منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ١١٤]

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ اللَّيْلِ كَانُوا عَلَيَّاهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢]

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٩٩)، والبزار (١١١٤)، وأبي يعلى (٧٩٠)، وقال الترمذي هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف.
(٢) أخرجه أحمد (٧٠٦٥)، وابن ماجه (٤٢٥)، وابن الجوزي (٣٨٧٥)، وقال البصري هذا إسناد ضعيف لضعف حبي بن عبد الله وعبد الله بن لهيعة/ مصباح الزجاجه في زوائد ابن ماجه: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر، محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، ط٢، ١٤٠٣، ١/٦٢/ قال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح، وكان الشيخ الألباني رحمه الله قد ضعفه في "إرواء الغليل" ثم حسنه في سلسلة الأحاديث الصحيحة، وقد ضعف الحديث جماعة من العلماء لأن فيه ابن لهيعة، لكن ذكر الألباني رحمه الله أن الحديث من رواية قتيبة بن سعيد عنه وروايته عنه صحيحة، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٩٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ^ط فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨]

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ^ط وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ ^ط كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ^{٤٠} إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠]

من ناحية أخرى، يُعتبر المواقع المقدسة تجسيداً للثقافة والتنوع الإنساني المشرف. تؤكد الاتفاقيات الدولية والأعراف الثابتة أن هذه المواقع ليست فقط جزءاً لا يتجزأ من تراث الإنسانية، بل أيضاً أن حمايتها تمثل ضرورة أخلاقية قبل أن تكون واجباً دينياً أو قانونياً. يجب على الناس الاعتراف بحرية الدين والعقيدة للآخرين وحقهم في ممارسة ذلك، وهذا لا يقلل من أهمية ديانة أو عقيدة أخرى بل يعزز من قيمة جميع الأديان والعقائد. يساهم ذلك في تعزيز التسامح والعيش المشترك بين الأفراد الذين يختلفون في آرائهم ومعتقداتهم.

بالإضافة إلى ذلك، تظهر احترام الدول للحريات على جميع الأصعدة، وعلى وجه الخصوص حرية الدين والعقيدة، كإشارة إلى احترامها للكرامة الإنسانية. في هذه الدول، يعتبر الإنسان هو الهدف الرئيسي وليس وسيلة للحفاظ على هياكل السلطة. يُصنف نظام الحكم في هذه الدول عادة بأنه ديمقراطي أو يستند إلى مبدأ "دولة المواطن والقانون". يُظهر تفاعل رجال الدين مع الآخرين الذين يمتلكون آراءً مغايرة روحاً من التفهم والقبول والتسامح، وهذا يعكس ثقمتهم في صحة المعتقدات التي يعتنقونها. على الجانب الآخر، يمكن أن يشير الرفض والتخوف من التأثيرات الثقافية والدينية للآخرين إلى مخاوف بشأن استمرارية السلطة الروحية لتلك الجماعات. لماذا يتم التشدد والاضطهاد ومنعهم من ممارسة عقائدهم بحرية؟ ولماذا يتم قمعهم وإلحاق الأذى بهم ومنعهم من التعبير عن معتقداتهم بحرية؟

المطلب الخامس: حقوق الأسرى والجرحى والقتلى

الفرع الأول: حقوق الأسرى

أولاً: حق الأسرى في الحياة وعدم تعرضهم للأذى

على الرغم من أن الأسرى ما هم إلا محاربون، فإن النبي - ﷺ - أمر بالإحسان إليهم، وتلك صورة الإسلام الحقيقية أمامهم، ويدركون عندها أنه ما جاء إلا رحمة للعالمين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولم يأمر الإسلام بالإحسان إلى الأسرى فحسب، بل وضع أسساً في كيفية معاملتهم، وقرر لهم واجبات وحقوقاً على المسلمين، منها الحق في الطعام، والكسوة، والمعاملة الحسنة، وكل ذلك له شواهد في سنة النبي - ﷺ - وحضارة المسلمين.

الإبانة من المفصل ولا يقدر على ذلك حال القتال، بل يكون ذلك بمقدورهم بعد الأسر^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧]

ففي الآية عتاب للنبي -ﷺ- على أخذه برأي أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- بأخذ الفدية من أسارى بدر، وعدم الأخذ برأي عمر-رضي الله عنه- حينما أشار بقتلهم، مما يدل على أن قتلهم كان أفضل من إطلاق سراحهم مقابل الفداء^(٢).

نوقش هؤلاء بأن قوله تعالى ﴿ ... فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال:

[١٢

تكليف مختص بوقت اشتعال الكفار بالحرب، وأما بعده فلا تتناول الآية، واستشارة الرسول -ﷺ- لأصحابه دليل على ذلك، إذ لو كان النص مشتملاً لما بعد الحرب لما استشار الرسول -ﷺ- أصحابه، لأنه يكون في تلك الحالة تاركاً لحكمه وهو محال منه، (فاضربوا فوق الأعناق) أمر والأمر لا يفيد إلا مرة واحدة، وثبت بالإجماع أن هذا المعنى كان واجبا حال المحاربة فلا تدل على ما بعدها^(٣).

ونوقش استدلالهم بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧] بنقاط منها:

١- كان هذا قبل نزول تحليل الغنائم، ولما أحل الله الغنائم نزل قوله تعالى ﴿ .. فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ...

﴿ [محمد: ٤]

٢- كان هذا بسبب قلة المسلمين وكثرة المشركين، ولما ازداد أتباع الإسلام وكثر المسلمون أمر الله بإطلاق سراحهم إما مناً أو فداء.

٣- كان هذا لإعلام الكفار بأن المسلمين ليس في قلوبهم مودة لهم، وبعد استقرار شوكة الدين وإعلاء كلمته لا مانع من أخذ الفدية^(٤).

٤- المراد بالاثخان حث المسلمين على القتال أثناء المعركة دون الاهتمام بالأسر لعرض الدنيا، وذلك

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: المصدر السابق، ١١٩/٧

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، ت: د. محمود مطرجي، دار الفكر-بيروت-لبنان، ٣١/٢-٣٢

(٣) ينظر: التفسير الكبير: المصدر السابق، ٥١٠/١٥

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: المصدر السابق، ١٨/٤

خشية اخزام المسلمين، وهو المقصود بالآية دون القتل، ولا يعني إفناء الأعداء لانهم أعداء، لانه لو كان القتل مقصوداً لطبقه النبي -ﷺ- (١).

٥- وما ورد بأن الآية تؤيد رأي عمر-رضي الله عنه- في قتل الأسرى فليس كذلك، لأن التأييد لم يرد في قتلهم، وإنما ورد في صرامته مع الأعداء وشدته عليهم دون النظر إلى فديتهم، وبدل على هذا قول الفاروق نفسه في الاستشارة السابقة: يعلم الله أن ليس في قلوبنا مودة للمشركين فالتأييد له خاص بهذه الفقرة وليس عاماً (٢).

٦- كانت لأنها الامتنان على الناس بعدم قتلهم مع أنهم كانوا يستحقون القتل، أو أنها مجرد العتاب على الأسر نفسه (٣).

ومن السنة احتجوا:

أ- ماروي عن عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه- أنه قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى، قال رسول الله -ﷺ-: ((لا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق)) (٤).

ب- عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: ((أن جبريل عليه السلام هبط إليه فقال له: خيرهم — يعني أصحابه - في أسارى بدر : القتل أو الفداء على أن يقتل منكم قابلاً مثلهم)). قالوا : الفداء ويقتل منا (٥).

ت- صح عن النبي -ﷺ- أنه قتل ثلاثة من أسرى بدر، وواحد في أحد، وأمر بقتل أربعة يوم فتح مكة (٦)، ففي الأحاديث والوقائع السابقة، بين النبي -ﷺ- قولاً وفعلاً جواز قتل الأسرى (٧).

نوقشت بأن ما ورد عن أمره -ﷺ- بأنه قتل بعض الأسرى في غزواته، لم يكن لمجرد أنهم أسرى الحرب،

(١) ينظر: جبهة اللغة: الأزدي، ١/٤١٨/١ / أساس البلاغة: زخمشري، ١/١٠٥/١

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: المصدر السابق، ٣/ ١٥٥٢/

(٣) آثار الحرب: وهبة الزحيلي، ٤٣٨

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٠٨٤)، وقال هذا حديث حسن، واحمد في مسنده (٣٦٣٢)، وابن أبي شيبة في مسنده (٣٦٦)، والبيهقي فس سنن الكبرى (١٢٨٤٤)،

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (١٥٦٧)، وقال هذا حديث حسن، والبغوي في مصابيح السنة (٣٠٢٢)، وابن الخراط في الأحكام الوسطى (٥٧/٣)، والمناوي في كشف المنهاج (٣٠٤٨)

(٦) فقتل يوم بدر من الأسرى عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وطعيمة بن عدي، ينظر: زاد المعاد في هدي خري العباد: ابن القيم، ٥/٦٠/ وفي أحد أمر بقتل أبو عزة الجحمي/ ينظر: إنسان العيون في سرية الأمين المأمون: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤٢٧، ٢/ ٢٩٦/

(٧) منهم: عبد الله بن سعد، عبد الله بن خطل، الحويرث بن نقيذ، ينظر: السرية النبوية: المصدر السابق، ٢/ ٤١٠/

الحديث الأول إطلاق سراح الأسرى منا وفدائه تطبيق للآية، وفي الثاني تبرؤه -ﷺ- من فعل خالد وهو قتل الأسرى، دليل واضح على عدم جوازه، وفي الثالث نهى عن قتل الأسير، والنهي يقتضي التحريم.
الإجماع:

قد "حكى إجماع الصحابة على تحريم قتل الأسير" (١).

فسر هؤلاء قول الجمهور القائلين بالقتل ضمن خيارات الإمام بأنه يجب أن يفهم في ضوء الكتاب والسنة، وقد سبق بيان جواز قتل الأسير جزاء على جرائمه قبل بدء النزاع المسلح، مما يعني أن التخيير ليس مطلقاً، بل مقيد بأن له ذلك عند اقتضاء المصلحة وتحقيق العدالة، وهو المفهوم من كلامهم، فعلى هذا إن التخيير المذكور له مفهوم معين وهو خاص بحالات معينة (٢).
الترجيح:

بعد سرد القولين وأدلتهم ومناقشتها يبدو للباحث أن القول الثاني هو الأرجح، لورود الأدلة الصريحة على تحريم قتل الأسير، وماورد من قتله -ﷺ- لبعض الأسرى كان بسبب جرائمهم الشنيعة التي ارتكبوها قبل الوقوع في الأسر فاستحقوا القتل، إذاً فليس للإمام قتل الأسرى مطلقاً.
٢- عدم تعرض الأسير للتعذيب

إن الإسلام يحافظ على كرامة الإنسان في الحرب، كما يحافظ عليها في السلم، ولذلك كان رقيقاً بالأسرى ولا يهدر آدميتهم، ولم يعرف التأريخ أن رقيقاً بالأسرى غير المسلمين. فالقرآن الكريم اعد أبر القربات التي تكون من المؤمن وأخص أوصاف المؤمنين أنهم يطعمون الطعام للمسكين والأسير قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨]
وقال النبي -ﷺ-: ((استوصوا بالأسارى خيراً...)) (٣).

فالإسلام حث على إكرام الأسير منعا لتلك الروح الانتقامية الغليظة، وقد كان النبي -ﷺ- يوصى بأسرى بدر، وكأنهم في ضيافة وليسوا في أسر، حتى إن بعض الذين نزل هؤلاء في ديارهم كانوا يؤثرونهم بالطعام على أولادهم.

ثانياً: توفير الحاجات الأساسية للأسرى

أقرت الشريعة الإسلامية في حق الأسرى توفير الحاجات الأساسية لهم من طعام وشراب ومكان وكسوة والعمل والشرف والأسرة.

(١) الأموال: أبو عبيد القاسم بن سالم، ٨٢

(٢) ينظر: بداية المجتهد: ابن رشد، ٢٧٩/١

(٣) ينظر: تعقيب: د. نظام الدين عبد الحميد، أسرى الحرب في الإسلام، ٧٥-٧٩

١- الغداء:

إطعام الأسير: الطعام ضرورة من ضرورات الحياة، على الرغم من أن المسلمين الأوائل كانوا في ضيق من العيش، إلا أن ذلك لم يمنعهم من إثارة أسراهم، بما لم يتخذ به المسلمون أنفسهم.

وردت أدلة من الكتاب والسنة تبين حقهم في تقديم الطعام والشراب لهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ

عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴾ [الإنسان: ٨]

بين الله هنا أن إطعام الأسير من أوجه البر في الإسلام، والمسلمون مطالبون به، سواء أكان هذ الأسير مسلماً أو مشركاً فلا فرق في ذلك بينهما، ومن السنة وردت أحاديث دالة على حق الأسرى في تقديم الطعام والشراب لهم، منها: إجابته - ﷺ - للأسير الذي ناداه: يا محمد يا محمد، فأثابه فقال: ((ماشأنك))، قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني، قال: ((هذه حاجتك))^(١)، وهذا الحديث دليل على القيام بما يحتاج إليه الأسير من طعام وشراب^(٢).

٢- المكان:

الحق في تهيئة أماكن مناسبة للأسرى كحق من الحقوق ذات الأهمية لهم أثناء الاعتقال، وعند قراءة التأريخ الإسلامي يرى المتابعون أن المسلمين لم يكن لهم في صدر الإسلام أماكن مخصصة للإعتقال أو الحبس، وذلك بسبب بساطة الأوضاع حينذاك، وكلما وقع في أيديهم أسرى يضعونه في المسجد أو يضعونهم عند أفراد المسلمين بوصفهم متعاونين مع حكومتهم، وقصة وجود ثمامة بن أثال في المسجد^(٣)، دليل صريح على عناية الرسول - ﷺ - والمسلمين بالأماكن التي توضع فيها الأسرى، لتكون لائقة بهم، لأن المسجد له أهمية بالغة في الإسلام، ثم إن وضع الأسرى في بيت النبي - ﷺ - الشخصي وبيوت المسلمين ليعيشوا معهم موضع عناية ورعاية. ثم إن أمر الرسول - ﷺ - بالإحسان إلى الأسرى في قوله: ((استوصوا بالأسارى خيراً))^(٤)، أمر واجب العموم، والعموم يتناول جميع الأمكنة والأزمنة، وبهذا يقرر الإسلام تأمين أوجه العناية بالأسرى كلها

(١) أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، رقم (١٦٤١)

(٢) ينظر: تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي، ت: لأسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١، ١٩٩٧، ١١٦/٦ / إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٧٢/٩

(٣) أخرجه المسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ربط الأسير وحبسه، رقم (١٧٦٤)، والبخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة و حديث أثال بن ثمامة، رقم (٤٣٧٢)

(٤) أخرجه الطبراني في معجم الأوسط (٦٦١٤) هذا الحديث حسن المتن، وأبو القاسم الشاره زوروي من حديث الفقيه (١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٦٤٩)، والهندي في كنز العمال (٨٣٩٩)

الأسرى بالحسنى وعدم إذلالهم أو إهانتهم أو مس كرامتهم وشرفهم الإنساني وهذا يدخل في قوله - ﷺ - في الأسرى (استوصوا بهم خيراً) ومما يدل على احترام الإسلام لشرف الأسرى وصون كرامتهم أن ابنة حاتم الطائي وقعت في أيدي المسلمين أسيرة وأنزلت بمكان يمر به الرسول - ﷺ - فتعرضت له وقالت: هلك الولد الرافد فأمن علي من الله عليك فقال: قد فعلت فلا تعجلي بالخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، وأقامت حتى قدم رهط من قومها فكساها - ﷺ - وأعطاهم نفقة وخرجت معهم^(١).

حثت الشريعة الإسلامية على عدم جواز التفريق بين الأم وولدها، والأب وابنه مما يعني ضرورة احترام حق الأسرى في الأسرة.

ثالثاً: حق الأسرى في المحاكمة العادلة

١- حق الأسرى في المحاكمة العادلة:

قامت كل علاقة إنسانية في الإسلام على العدالة، واعتبار الناس جميعاً سواسية، وإن كان ثمة تفاضل في الأعمال والجزاء عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وإن نصوص القرآن الكريم في ذلك متضافرة كثيرة، والعدالة حق للأعداء، كما هي حق للأولياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة: ٨] وقد نص القرآن على أن العدل يجب أن يكون السمة البارزة حتى مع الأعداء. ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَّوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥]

وقد صرح القرآن بأن أساس الأحكام الإسلامية المنظمة لعلاقات الناس جميعاً بعضهم مع بعض، آحاداً وجماعات هو العدل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَآئِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]

وقد ذكر سبحانه تعالى أن العدل هو الشريعة التي قامت عليها رسالة محمد - ﷺ -، وقامت عليها رسالة النبوات السابقة، والكتب المنزلة جميعاً، وإذا استعرت نيران الحرب فإنه يجب أن يكون العدل هو الذي

(١) التخريج في صفحة: ١٠٣

يسودها، وأن تكون المعاملة بالعدل للمغلوب عادلة لا ظلم فيها ولا شطط^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]

لقد أكدت الشريعة الإسلامية على مبدأ العدل في التعامل مع الناس مطلقاً دون التمييز لاعتبار الجنس أو اللون أو العرق أو الدين، فالكل أمام القضاء الحق سواء، لذا لا يجوز لجنود المسلمين إلقاء القبض على مدني الدول المحاربة أو حبسهم أو اعتقالهم بغير ذنب، وإذا ارتكبوا ذنباً وخالفوا القانون الإسلامي فإن من الواجب على القضاء الذي يمثل أمامهم الالتزام بالعدل، ومن حقهم الدفاع عن أنفسهم.

٢- حق الأسرى في الإفراج عنهم مناً وفداء:

حثت الشريعة الإسلامية على الإفراج عن الأسرى مناً وفداءً، حتى لا يجرموا من حرمتهم، فخير الإمام في إطلاق سراحهم مناً بدون مقابل، أو فداءً مقابل مبلغ من المال، واستدلوا في حكمهم هذا بالأدلة التي سبقت ذكرها في بيان أدلة القائلين بعدم جواز قتل الأسير.

٣- حق فك أسرى المسلمين:

أكدت الشريعة المطهرة من النصوص العامة في الدلالة على وجوب نصرته المسلم و الذب عن عرضه، و الدفاع عنه، دليلاً على وجوب استنقاذ الأسرى وفكك المعتقلين، و حافظاً على بذل الوسع في رفع المظلمة و دفع الظلم عنهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]

حض الجهاد. وهو يتضمن تخلص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته ودينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تضحية بالنفوس. وتخلص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال، وذلك لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها. قال مالك: واجب على الناس أن يفتدوا الأسارى بجميع أموالهم. وهذا لا خلاف فيه، وكذلك قالوا: عليهم أن يواسوهم فإن المواساة دون المفاداة^(٢).

(١) آثار الحرب: وهبة الزحيلي، ٤١٥

(٢) ينظر: العلاقات الدولية في الإسلام: المصدر السابق، ٣٦

و قد أمر بذلك نبي الرحمة صراحة كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: ((فكوا العاني - يعني الأسير - واطعموا الجائع و عودوا المريض))^(١)، أي أعتقوا الأسير من أيدي العدو بمال أو غيره كالرقيق^(٢).

الفرع الثاني: حقوق الجرحى

تسبب الحروب والنزاعات المسلحة بإيقاع الكثير من الضحايا والجرحى والمصابين من المقاتلين والمدنيين على حد سواء. فعلى مدى العقود الماضية، خلفت الحروب أعداداً كبيرة من البشر ذوي الإعاقة، والتي قدرتهم الاوساط الدولية بمليار شخص حول العالم، جلهم في الدول الفقيرة، والذين يواجهون حواجز مادية واجتماعية وسلوكية تستبعدهم من المشاركة بصورة كاملة وفعالة كأعضاء متساوين في المجتمع.

وبسبب تأثيرات الحروب على شعوب الدول المتحاربة، أضفت القوانين الإنسانية الدولية والوطنية معاملة متميزة على ضحايا الحروب والنزاعات لا سيما فئة الجرحى، إذ اوجبت احترامهم وحمايتهم أيا كان الطرف الذي ينتمون إليه. كما اوجبت أن يعاملوا - في الأحوال جميعها- معاملة إنسانية، ويلقون الرعاية الطبية التي يحتاجونها، وأكدت نقلهم من ميادين القتال -بالسرعة الممكنة- إلى مراكز صحية آمنة ومجهزة ومحمية من أي اعتداء^(٣).

ليس هذا وحسب، بل نصت "الاتفاقية الخاصة بحقوق الاشخاص ذوي الإعاقة" على أن اعادة التأهيل حق أساسي من حقوق الاشخاص ذوي الإعاقة، بغض النظر عن نوع الإعاقة ودرجتها، وعلى المجتمع والدولة والاشخاص والاسرة أن توفر لهم خدمات اعادة التأهيل. والتأهيل هو عملية تهدف الى تمكين الاشخاص ذوي الاعاقة من الوصول الى طاقاتهم الكاملة المتضمنة قدراتهم الحسية والفكرية والنفسية والاجتماعية الى اقصاهما، كما تهدف الى توفير الادوات المساعدة للوصول الى اعلى درجة من الاستقلالية^(٤).

فمن هم جرحى الحرب والنزاعات المسلحة؟ ولماذا تعنى بهم القوانين الدولية والإقليمية والوطنية، فضلاً عن الشريعة الاسلامية؟ وماهي الخدمات التي ينبغي أن تقدم لهم في ساحات الحرب، وقبل دخول المستشفى وفي اثناء تلقيهم العلاج؟ وماهي الحقوق والبرامج الصحية والنفسية والتأهيلية التي تمنح للجرحى ما بعد المستشفى؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب فكاك الأسير، رقم (٥٦٤٩)

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: المصدر السابق، ٥، ٢٧٩/

(٣) موقع النبأ: حقوق جرحى الحروب والنزاعات المسلحة: جميل عودة ابراهيم، تأريخ الوضع: ٢٠١٧/٥/١٠، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٤

(٤) ينظر: موقع الأمم المتحدة: اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، صكوك حقوق الإنسان، تأريخ الوضع: ١٤ تموز / ٢٠٢١، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/٦

١- تعريف الجرحى

يُعرف القانون الدولي الإنساني "الجريح" بأنه الأشخاص العسكريون أو المدنيون الذين يحتاجون إلى مساعدة أو رعاية طبية بسبب الصدمة أو المرض أو أي اضطراب أو عجز بدنيا كان أم عقليا الذين يجمعون عن أي عمل عدائي^(١). وإختلف فقهاء القانون في تعريف "جرحى الحرب" منهم من قال إن الجريح "هو كل من كان في ساحة القتال وبه جرح لا يستطيع معه القتال ولا يُرجى برؤه". وقال الآخر إن جرحى الحرب "هم من يُصابون بجروح مختلفة أثناء المعركة بفعل استخدام الجيش للأسلحة المختلفة". بينما قال ثالث إن جرحى الحرب "هم الأشخاص العسكريون أو المدنيون الذين يحتاجون إلى الرعاية الطبية ممن ينحمون عن أي عمل عدائي^(٢)".

إذاً، يمكن أن نقول إن "جريح الحرب" يشمل جميع الأفراد الذين أُصيبوا بجروح أثناء فترة الحرب، سواء كانوا عسكريين أم مدنيين. ويتضمن هذا التعريف الأشخاص الذين تعرضوا لإصابات طفيفة أو خطيرة، بغض النظر عما إذا كانوا قادرين على القتال أم لا، وبغض النظر عن نوع السلاح الذي تسبب في الإصابة وطبيعته^(٣).

٢- اتفاقيات دولية

ظهرت في المجتمع الدولي المعاصر بوادر طبية نحو الجرحى والمرضى وأمثالهم، ومن أبرزها ما تبذله اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وما تقدم به بعض الدول الحديثة من عناية بشأن هؤلاء في ساحة الحرب من عام ١٨٦٣، لأن الاعتبارات الإنسانية تفرض على جميع الدول المتحاربة، بان تعنى بالجرحى والمرضى وأفراد الخدمات الطبية، سواء من أفراد العدو أم من رعاياها. واتفاقيات جنيف عام ١٨٦٤ و ١٩٢٩ و ١٩٤٩ وما بعدها من بروتوكولات هي التي تنظم واجبات الدول المحاربة نحو جرحى الحرب والمرضى، وقد تأسست جمعيات دولية للعناية بالجرحى والمرضى مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر عام ١٨٦٣، تساعدنا في عملها مؤسسات الصليب الأحمر والهلال الأحمر الوطنية التي تخضع لقواعد دولية متفق عليها.

(١) ينظر: موقع الأمم المتحدة: الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف المعقودة في ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩ والمتعلق بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة: الباب الثاني: الجرحى والمرضى والمنكوبون في البحار، القسم الأول: الحماية العامة، المادة ٨: مصطلحات، فقرة الأليف

(٢) ينظر: موقع عنى بلدي: مصابو الحرب في سوريا.. ضحايا على قيد الحياة: نور عبد النور، تأريخ الوضع: ٢٠١٧، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/٦

(٣) موقع النبأ: حقوق جرحى الحروب والنزاعات المسلحة: جميل عودة ابراهيم، تأريخ الوضع: ٢٠١٧/٥/١٠، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٤

إن اتفاقية جنيف جاءت لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان، صدرت في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩، المادة (١٥)، نصت على أنه "في جميع الأوقات، وعلى الأخص بعد الاشتباك في القتال، يتخذ أطراف النزاع دون إبطاء جميع التدابير الممكنة للبحث عن الجرحى والمرضى، وجمعهم، وحمايتهم من السلب وسوء المعاملة، وتأمين الرعاية اللازمة لهم، وكذلك للبحث عن جثث الموتى ومنع سلبها. وكما سمحت الظروف، يتفق على تدبير عقد هدنة أو وقف إطلاق النيران أو ترتيبات محلية لإمكان جمع وتبادل ونقل الجرحى المتروكين في ميدان القتال. وبالمثل، يمكن الاتفاق على ترتيبات محلية بين أطراف النزاع لجمع أو تبادل الجرحى والمرضى في منطقة محاصرة أو مطوقة، ولمرور أفراد الخدمات الطبية والدينية والمهمات الطبية إلى تلك المنطقة.

وفي الواقع، جاء في القانون الدولي الإنساني العديد من القواعد التي تنص على وجوب معاملة الجرحى معاملة إنسانية منها اتفاقية جنيف في المواد (٣-١٢-١٥)، وجاءت تلك المواد متضمنة عدة أمور منها معالجتهم وحظر الهجوم عليهم، وتحريم الإجهاد عليهم، وعدم تعريضهم للتعذيب وإخضاعهم للتجارب، وتأمين الرعاية اللازمة لهم، دون تمييز يقوم على الدين أو اللون أو الجنس. والملاحظ أن القانون لم يُفرق بين الجريح داخل الحرب أو خارجها، كما أنه لم يُفرق بين الجريح العاجز عن القتال والجريح غير العاجز عن القتال^(١).

٣- موقف الإسلام

في الإسلام يعامل المسلمون جرحى العدو ومرضاة وعجزته من النساء والأطفال والشيوخ لهرمي، معاملة كريمة تتفق مع أصول الإسلام الداعية إلى الرفق والرحمة بالناس، بل والاحسان إليهم، حتى ولو عامل الاعداء جرحى المسلمين ومرضاة وعجزتهم معاملة غير كريمة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وهذا يقتضي أن يعالج المرضى والجرحى بما يحتاجون إليه من الدواء والعمل الجراحي، ولا يجوز شرعا قتلهم أو الإجهاد عليهم. وقد التزم القادة المسلمون هذا المنهج في حروبهم. قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: ((أَلَا لَا يُقْتَلُ مُدْبِرٌ، وَلَا يُجْهَرُ عَلَى جَرِيحٍ، وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ))^(٢).

إن الإسلام يستلزم تقديم الإسعافات الضرورية للجرحى ومن يحتاجون إليها، بهدف منع التعذيب والإيذاء الذي لا ينفع ولا ينسجم مع قيم الدين. على العكس من ذلك، يُعتبر الإحسان في مثل هذه الحالات

(١) المصدر نفسه

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: کتاب قتال أهل البغي، رقم (٢٦٦٠)، والبيهقي (١٦٧٤٤)، وابن أبي شيبه (٣٧٧٧٨)، وقال الحاكم:

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ فِي هَذَا الْبَابِ وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ

واجبًا إسلاميًا يمكن أن يسهم في منع تصاعد الأذى والضرر. إن تقديم الرعاية والعناية للجرحى يمكن أن يكون سببًا لمنع عودتهم إلى العنف والقتال، وبالتالي يسهم في منع تكرار أعمال القتل والقصف والعدوانية. يتعامل الإسلام مع الإنسانية بمنتهى الأهمية، حيث يعتبر الإنسان خليفة خلقها الله تعالى، ويحرص على حفظ حقوق الحياة واحترامها، وهذا يتماشى مع مراد الله في استمرارية وتنوع الجنس البشري. فضلاً عن ذلك، يشدد الإسلام على توقف القتال لتقديم المساعدة للجرحى الذين يتواجدون في ساحة المعركة، ونقلهم إلى المستشفيات أو المرافق الطبية لتلقي العلاج اللازم.

إذا كانت القوانين الدولية والوطنية والشريعة الإسلامية تنصان صراحة على وجوب رعاية جرحى العدو ومداواته والاهتمام بهم لحين عودتهم إلى بلادهم، فإن أمر مداوة جرحى الدولة المحاربة من المقاتلين والمدنيين ومعالجتهم وتضميد جروحهم والعناية بهم، أمر بديهي ومفروغ منه، سواء كانت المداواة في أرض الحرب أم بردهم وإرسالهم إلى مناطق سكناتهم حيث أسرهم^(١).

ولعل الواجب الأول للدولة إزاء جرحاها من المقاتلين وغير المقاتلين -بعد الإسعافات الأولية- هو "الإخلاء الطبي" ويستخدم هذا المصطلح عادة للتعبير عن جميع الوسائل المستخدمة في الحالات الطارئة لنقل الجرحى أو المصابين، والمجهزة بكافة المعدات الطبية اللازمة كالمطائرات المروحية وسيارات الإسعاف والتي تسمح بالنقل السريع للأشخاص ذوي الإصابات البالغة من مكان الإصابة لأقرب مستشفى. كما تُستخدم طائرات الإخلاء الخاصة لعمليات النقل الجوي للأشخاص ذوي الإصابات الحرجة، وخاصةً من المناطق التي تفتقر للخدمات الطبيّة المتخصصة.

والواجب الثاني الذي يقع على الدولة إزاء جرحاها أيضاً هو الاستمرار بتقديم الخدمات التي يحتاجها الجرحى ما بعد المستشفى، والتي تُعرف بـ (خدمات ما بعد المستشفى) لا سيما للأشخاص الجرحى الذين فقدوا جزءاً من أجسادهم، ولا يستطيعون ممارسة حياتهم الطبيعية إلا بدعم ومساندة الآخرين. وهم الأشخاص الذين نصلح عليها بـ (معوقى الحرب) وهم جزء مهم من (الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة).

يواجه الجريح -عند خروجه من المستشفى- صعوبة بالغة في الأيام اللاحق، لاستكمال علاجه من جهة، والقدرة على التواصل والاندماج مع مجتمعه من جهة ثانية. فهو يتحمل تكاليف المراجعات المستمرة للمستشفيات والمراكز الصحية لتجديد إجازاته المرضية وبقائه لساعات طويلة في الانتظار، ويتحمل تكاليف شراء الأدوية والتضميد المستمر، وتكاليف إجراء عمليات جراحية وتكميلية (تجميلية) مع أن أغلب العسكريين

(١) موقع النبأ: حقوق جرحى الحروب والنزاعات المسلحة: جميل عودة ابراهيم، تأريخ الوضع: ٢٠١٧/٥/١٠، تأريخ

المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٤

والمقاتلين تعتمد معيشتهم بشكل أساس على المرتب الشهري، وتشكل نفقات العلاج وأجور النقل وغيرها عبأ إضافيا ثقيلا عليهم، مما انتهت الحالة بأغلبهم إلى ملازمة الفراش^(١).

وتشير كتب الحديث والسيرة النبوية إلى أن النساء في حياة النبي كنَّ يقدمن في ميدان القتال الأعمال والخدمات الإنسانية التي تقدمها طواقم الرعاية الصحية وجمعيات العون الإنساني في النزاعات المسلحة المعاصرة. وعلى الرغم من أن بعض النساء كن يقاتلن في ميادين المعارك في ذلك الوقت - وهو أمر وثقته العديد من الروايات - فقد تضمنت أدوارهن، كما بينت ذلك نُسبية بنت الحارث الأنصارية - رضي الله عنها - راوية من رواة الأحاديث النبوية وفقهية كنيته أم عطية، كانت تقوم علاج الجرحى والعناية بالمرضى وتحضير الطعام، وقالت الربيع بنت معوذ بن عفراء كنا نرد القتلى والجرحى إلى المدينة^(٢).

الفرع الثالث: حقوق الموتى

١- البحث عنهم

من خلال رواية الربيع المذكورة فيما سبق، يتضح أن المرأة قامت بدور مشارك في عملية إخلاء رفاة المسلمين المتوفين. كما يتبين أنه تم توثيق حالات القتلى في كل معركة عسكرية، وتجلي ذلك بشكل واضح في السيرة النبوية. إذ تبدو عملية البحث عن الموتى وجمعهم من الإجراءات الضرورية التي يجب اتخاذها لضمان احترام كرامة الإنسان. على سبيل المثال، بعد انتهاء معركة أحد وبينما تم تجهيز الأمور بعد المعركة، طلب النبي من أصحابه أن يبحثوا عن سعد بن الربيع - رضي الله عنه - للتحقق مما إذا كان من القتلى أم لا، أما إذا كان على قيد الحياة^(٣)، وفي المعركة نفسها، قام النبي بالبحث عن جثة عمه حمزة - رضي الله عنه - بعد انتهاء القتال^(٤).

توضح السنة النبوية أن البحث عن المتوفين في صفوف الجيش المسلم وتحديد هويتهم وجمعهم كان أمراً واجباً على المسلمين.

٢- إعادة رفاة الموتى للأعداء

دفن الموتى فرض كفاية على المجتمع المسلم. وهذا يعني أن المجتمع المسلم بأسره يأثم إن لم يدفن موتاه، إلا إذا كان ذلك يخرج عن نطاق علمهم أو يتجاوز حدود قدرتهم. كما ويتبين من رواية الربيع، التزام المسلمين

(١) ينظر: موقع شبكة النبأ المعلوماتية: حقوق جرحى الحروب والنزاعات المسلحة، جميل عودة ابراهيم، تأريخ الوضع: ١٠ ١ آيار

٢٠١٧، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/٦

(٢) أخرجه المالك (٥٠٤)، والطبراني (٥٤٩)، وابن التير (٢٩١)، وقال الهيثمي: اسناده حسن وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده

صحيح على شرط مسلم

(٣) ينظر: السيرة النبوية: المصدر السابق، ٩٥-٩٤/٢

(٤) ينظر: السيرة النبوية: ابن اسحاق، ٣٣٥

بإعادة الموتى من الجنود المسلمين من ميدان القتال إلى أهلهم. وبخلاف ذلك، عندما تستحيل إعادة الموتى من ميدان القتال إلى أهلهم، يُباح دفنهم في قبور جماعية في هذه الحالة من حالات الضرورة وبالمثل، هناك سابقة في مطلع التاريخ الإسلامي لإعادة الموتى إلى الطرف المعادي، ففي غزوة الخندق في عام ٦٢٧م، وكان عدد المسلمين فيها أقل من ثلث التحالف الذي ضم مهاجميهم من الأعداء، لقي نوفل بن عبد الله بن المغيرة مصرعه حين حاول القفز وهو يعتلي صهوة جواده ليقترح الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة لصد هجوم أهل مكة^(١). وعندما عرض أهل مكة مبلغاً من المال مقابل جثة نوفل، أعطاهم النبي جثته ورفض أن يقبل المال^(٢).

٣- التعامل مع الموتى

أ- رفات موتى المسلمين

إجراءات التعامل مع الشهيد، حسب رأي أغلب الفقهاء، شكلت المعركتان المشار إليهما أعلاه، بدر التي وقعت في ٦٢٤ م وأحد التي وقعت في ٦٢٥م، على التوالي سابقتين اشتقت منهما الأحكام الخاصة بالتعامل مع القتلى من المسلمين، ويرجع السبب الرئيسي في هذا إلى أن هاتين المعركتين شهدتا أكبر عدد من القتلى في صفوف المسلمين وأعدائهم في حياة النبي. وبالتالي، واستناداً على أسلوب التعامل مع الشهداء المسلمين في معركة بدر والروايات المنسوبة إلى النبي في هذا الصدد، يجمع الفقهاء المسلمون على أن الأحكام ينبغي مراعاتها حصراً في حالة الشهداء، يجمع الفقهاء المسلمون، باستثناء بعض الفقهاء، على أن جثة الشهيد لا تُغسل^(٣). يقدم آخرون مبررات دينية تتعلق بالمكانة الخاصة التي يتبوأها الشهداء وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

ب- رفاة الموتى غير المسلمين

هناك واجب ملزم على المسلمين، سواء كانوا يتعاملون مع أعدائهم المسلمين أو غير المسلمين، وهو جمع جثث القتلى من الجانب المعادي ودفنهم. هذا الواجب يجسد مسؤوليتهم تجاه الإنسانية

(١) موقع الإنساني: التعامل مع الموتى من منظور الشريعة الإسلامية: اعتبارات الطب الشرعي في مجال العمل الإنساني: أحمد

الداودي، تأريخ الوضع: آيار / مايو ١٣، ٢٠١٩، تأريخ المراجعة: ١٥/١٠/٢٠٢٣

(٢) ينظر: المغازي، الواقدي، ٤٧١/٢

(٣) ينظر: النهر الفائق: سراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي، ت: أحمد عزو عناية، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢،

والاحترام الأساسي للجثث. يُشدد على هذا الواجب في القوانين والتقاليد الإسلامية، وقد رُصدت ممارسة إعادة جثث القتلى من الأعداء في البدايات الأولى للتاريخ الإسلامي^(١).

إذا حالت أي عقبة تمنع الخصم من أداء واجب دفن موتاهم، يصبح واجبًا على المسلمين القيام بهذه المهمة. يتأتى هذا الواجب من خلال التفكير في ما قد يحدث إذا لم يتم دفن الجثث، حيث يمكن أن تتعرض هذه الجثث للتحلل أو لهجوم الحيوانات المفترسة أو الطيور، وهذا يعتبر ممارسة غير لائقة ومحظورة وفقًا للشريعة الإسلامية^(٢).

٤- القبور الجماعية

تنص القاعدة في الشريعة الإسلامية على أن كل ميت ينبغي أن يدفن في قبر منفرد. ولكن يمكن عند الضرورة دفن اثنين أو ثلاثة من الموتى أو حتى أكثر من ذلك في قبر واحد إذا دعت الحاجة. وينبغي أن يدفن الرجال والنساء في قبور منفصلة، إلا إذا اقتضت الضرورة خلاف ذلك، حنئذ يقول الفقهاء المسلمون الأوائل بوضع حاجز من التراب بين الموتى. وقد بُلي المسلمون في معركة أحد بأكبر عدد مسجل من القتلى في ذلك الوقت في مواجهة عسكرية واحدة، وقال المسلمون للنبي إنهم استصعبوا حفر قبور منفردة لكل شهيد من الشهداء السبعين. ومن ثم، أمرهم النبي بحفر قبور أعمق ودفن اثنين أو ثلاثة من الشهداء في كل قبر. واستنادًا إلى هذه السابقة، يجمع الفقهاء المسلمون على أن القبور الجماعية مجازة في حالات الضرورة في النزاعات المسلحة وحالات العنف الأخرى أو الكوارث الطبيعية^(٣).

بدليل حديث جابر بن عبد الله قال: ((إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: ((أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟)) فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد، وقال: ((أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)) وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم ولم يغسلوا))^(٤).

٥- الدفن اللائق دون تمييز

تبين المناقشة أعلاه أن دفن قتلى الجيش المسلم فرض على ذلك الجيش، في حين أن دفن قتلى العدو ليس فرضًا إلا إذا لم يدفن جيش العدو قتلاه. ومن المنظور الإسلامي، يُولد جميع الناس على الفطرة، وحين

(١) موقع الإنساني: التعامل مع الموتى من منظور الشريعة الإسلامية: اعتبارات الطب الشرعي في مجال العمل الإنساني: أحمد

الداودي، تاريخ الوضع: آيار / مايو ١٣، ٢٠١٩، تاريخ المراجعة: ١٥/١٠/٢٠٢٣

(٢) ينظر: المحلى بالآثار: ابن الحزم، ١/١٣٣

(٣) موقع الإنساني: التعامل مع الموتى من منظور الشريعة الإسلامية: اعتبارات الطب الشرعي في مجال العمل الإنساني: أحمد

الداودي، تاريخ الوضع: آيار / مايو ١٣، ٢٠١٩، تاريخ المراجعة: ١٥/١٠/٢٠٢٣

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم (١٣٤٣)

يموتون، تنتهي أي أسباب للعداء أو العداوة التي كانت موجودة تجاههم قبل موتهم. ويعد أنهم قد انتقلوا إلى حياة أو حالة أخرى أصبحوا فيها بين يدي الله تعالى، وبات احترامهم من قبيل احترام إنسانيتهم، ((كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، أَيِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةٌ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا))^(١).

دفن الموتى في إطار احترام كرامة الإنسان الميت وأهله، تقتضي الشريعة الإسلامية أيضًا أن تُدفن أطراف الجسم أو حتى الأطراف المتبورة من الأشخاص الذين لا يزالون على قيد الحياة، كما هو الحال في العمليات الجراحية أو عمليات البتر التي تتم في إطار العقوبات الجسدية المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية، ويتفق الفقهاء المسلمون على نطاق واسع على أن أجزاء الجسم التي يُعثَر عليها بعد دفن الموتى ينبغي أن تُدفن، ويضيف فقهاء المذهب الحنبلي أن أجزاء الجسم المذكورة يجب أن تدفن بجانب القبر أو داخله دون الكشف عن جسد الميت لإعادة جمعها^(٢).

٦- تحريم التمثيل

إن تكريم الانسان لم يقتصر على فترة حياته، بل شمل صيانه ورعايته بعد وفاة، وأن الإنسان له حق التكريم حيا أو ميتا، وعد حرمة الميت واجبا شرعاً، وكلف الشرع الأقارب والمجتمع والأمة والدولة بحماية جثمان الميت، ودفنه وفقا لأحكام دينه ومنع التشهير به، فلا يجوز للمسلم تعذيب الانسان الحي ولا التمثيل بالانسان الميت ولو كان كلاهما غير مسلم، لأن حق الحياة مصون ومقدس^(٣).

تعريف المثلة في اللغة والإصطلاح:

المثلة في اللغة: المثلة بالضم. ومثل بالقتيل جدعه وبابه أيضا نصر. و المثلة يفتح الميم وضم الثاء العقوبة والجمع المثلات^(٤).

المثلة في الاصطلاح:

المثلة: قطع أطراف الحيوان، أو بعضها، إيقاع القتل على غير الوجه المشروع من ضرب العنق في

(١) المصدر نفسه: كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، رقم (١٣١٢)

(٢) ينظر: نوادير الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: محمد بن علي الحكيم الترمذي، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ١/١٨٦

(٣) موقع الإنساني: التعامل مع الموتى من منظور الشريعة الإسلامية: اعتبارات الطب الشرعي في مجال العمل الإنساني: أحمد الداودي، تأريخ الوضع: آيار / مايو ١٣، ٢٠١٩، تأريخ المراجعة: ١٥/١٠/٢٠٢٣

(٤) مختار الصحاح: المصدر السابق، ٢٩٠

الآدميين، أو الذبح أو النحر في البهائم.

وهي "الزيادة بعد القتل من جدد أنف، أو أذن، أو غير ذلك" (١).

الأدلة على حرمة التمثيل كثيرة منها: **قَالَ تَعَالَى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ**
أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ البقرة:

١٩٤

إن رسول الله -ﷺ-: ((نهى عن المثلة)) (٢).

لا يجل العتب بابن آدم فإذا عتب هو ظالم اقتص منه بمثل فعله وكان حقا **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا**
بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا

﴿٧٠﴾ الإسراء: ٧٠

ذهب جمهور الفقهاء إلى تحريم التمثيل بأسرى الكفار والمحاربين أما أثناء الحرب يكفي بقتله المعتاد، ولا يزداد على ذلك بقطع أطرافه أو جدد أنفة (٣).

المبحث الثالث: الإبادة الجماعية في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: الإبادة الجماعية في القرآن

تمهيد

لدراسة مفهوم الإبادة الجماعية في القرآن والجدل الذي يثار حول موقف شريعة الله سبحانه من الأمم السابقة، ينبغي أن نبدأ بتسليط الضوء على تعاليم القرآن ورسالته والتفسير الديني التي تخص الموضوع. إن القرآن الكريم مصدر أساس للإرشاد الروحي والأخلاقي، ويقدم معاني عميقة تشمل تجربة البشرية والقيم الإنسانية.

تجسد القرآن الكريم قيمة الحياة والاحترام المتبادل بين البشر، ويحث على تحقيق العدالة والرحمة والتواصل الإنساني. فيؤكد القرآن أهمية حماية الحياة، وبعد القتل غير المبرر جريمة جسيمة تُعاقب عليها العقوبات الإلهية. فيما يخص جدلية الإبادة الجماعية التي يشارك فيها بعض المقولات حول سوابق الأمم والشعوب السابقة، يجب النظر في هذا الموضوع من منظور ديني وتفسيري متوازن، على الرغم من أن القرآن يشير إلى بعض الأمم السابقة وتجربتهم، إلا أنه لا يذكر لنا تفصيلات دقيقة عن أحوالهم، وفيما يتعلق بموقف شريعة

(١) القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب، ٣٣٧

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، رقم (٤١٩٢)

(٣) ينظر: المبسوط: المصدر السابق، ٢٣٩/٩/٢٣٩/٩/٢٣٩/٩، بداية المجتهد و نهاية المقتصد: ابن رشد، ٣٨٦/١

الله منهم، يجب تفهّم ذلك في إطار الحكمة الإلهية والعدالة، بحيث تُرى الأحداث والقصص السابقة كعبر وعظات للأجيال اللاحقة.

أولاً: أسماء الأمم السابقة وعددهم

عدد الأمم السابقة التي أهلكها الله هي سبعة ووردت أسماءها في القرآن الكريم. هؤلاء الأمم هم: قوم نوح، عاد، ثمود، قوم هود، قوم لوط، أهل فرعون، وقوم مدين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ ﴿١٣﴾﴾ [ص: ١٢ - ١٣]

ثانياً: سنن استئصال الأمم

استئصال الأمم جاء من خلال سنن مختلفة يبيّن القرآن الكريم كيفية تدميرهم سواء بواسطة الفيضانات والظوفان كما حدث مع قوم نوح، وبعضها بسبب الرياح العاتية والعذاب المرسل من السماء كما حدث مع عاد وثمود. بينما تم ابتلاء أمم أخرى بكوارث طبيعية متنوعة.

١- الطوفان

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤]

٢- الغرق

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٧]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥]

٣- الرياح

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة: ٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسُوتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦]

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر: ١٩]

٣- الصيحة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَتَيْنَ مَا تُكْفِرُونَ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَ
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكِ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴿ آل عمران: ١١٢]

٨-المسخ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴿
[البقرة: ١٦٥]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴿٦٠﴾ [المائدة: ٦٠]

وإن من أسباب نهاية الأمم السابقة عوامل عديدة من أهمها:

١ - الجحود بآيات الله تعالى وعصيان رسله. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحَدَّوْا بِهَا وَأَسْتَيْفَنَّتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴿ [النمل: ١٤]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴿ [هود:
[٥٩]

٢- اتباع أمر كل جبار عنيد، وإطاعة أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، كفعل
عاد وثمود. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴿
[هود: ٥٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴿ [إبراهيم: ١٥]

٣- الفرح بالعلم المادي، والإعراض عما جاء به الوحي، كالذين حكى الله عنهم في آخر سورة غافر.
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُمَشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴿ فَلَمْ
يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴿
[غافر: ٨٣ - ٨٥]

٤- الغرور بالقوة المادية والثروة المالية، والغفلة عن بأس الله عز وجل، كفعل فرعون وقارون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ وَمَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحِيهُ
لَتُنَوَّى بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴿ [القصص: ٧٦]
٥- الظلم والبنخس والبغي بغير الحق، ولا سيما على الفقراء والمستضعفين، كفعل مدين قوم شعيب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧]
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥]

٦- اقتراف الفواحش، واتباع الشهوات، كفعل قوم لوط.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢ - ٨٤]
 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ

٧- شيوع الفساد في الأرض، واستعلان المنكر، وعدم التناهي عنه كما فعل بنو إسرائيل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩]

٨- الكفر بأنعم الله وعدم القيام بشكرها، بل استخدامها في معاصي الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]

٩- الترف والبطر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَلِكُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨ - ٥٩]
 وكل واحدة من هذه الجرائم حربية أن تعجل بعقاب الله وبأسه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين^(١).

١٠- تكذيب الأنبياء

(١) موقع يوسف القرضاوي: أسباب هلاك الأمم: القرضاوي، تأريخ الوضع: ٢٠١٨/٣/٦، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/٤

وردت آيات كثيرة تدل على أن تكذيب الرسل كان سبباً في هلاك الأمم السابقة وهذه الآيات واضحة الدلالة وصریحة في العلاقة بين تكذيب الرسل وبين ما حاق بهم من الهلاك والدمار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُا مِعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج: ٤٢ - ٤٥]

هذه هي الأسباب التي ذُكرت فيما سبق، والتي تجعل الأمم السابقة تستحق عذاب الله، وهذا جواب لبعض النقاد ممن يظنون سوء الظن أن القرآن يُعد مصدراً لمفهوم الإبادة الجماعية، مُشيرين إلى أنهم يرون أن الله قد أمر بالإبادة ضد الأمم السابقة.

المطلب الثاني: الإبادة الجماعية في السنة النبوية

الفرع الأول: ربوايات غزوة بني قريظة

لما رجع الرسول -ﷺ- من الخندق بعد صلاة الصبح، وذهب إلى بيته بعد غياب قرابة شهر، وبعد عناء كبير ومشقة بالغة يغتسل -ﷺ- فإذا بجبريل عليه السلام قد جاءه عند الظهر ما رواه البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعته. فقال رسول الله -ﷺ- (فأين). قال ها هنا وأوماً إلى بني قريظة. قالت فخرج إليهم رسول الله -ﷺ- (١).

وفي رواية: أتى جبريل رسول الله -ﷺ- معتما بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج، فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم، فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم، فأمر رسول الله -ﷺ- مؤذناً فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم (٢).

عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: (لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ). فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الغسل بعد الحرب والدمار، رقم (٢٨١٣)، والمسلم في صحيحه، كتاب

الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، رقم (١٧٦٩)

(٢) ينظر: السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل-بيروت، لبنان- ١٤١١، ١٩٢/٤

نصلي، ثم يرد منا ذلك. فذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فلم يعنف واحدا منهم^(١) وكان خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة لسبع بقين من ذي القعدة في العام الخامس الهجري، وتبعه المسلمون في ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم ستة وثلاثون فرسًا، وعسكر الجيش الإسلامي عند بئر لبني قريظة يعرف ببئر "أنا" بأسفل حرة بني قريظة^(٢)، هذا غير الملائكة، في حصار بني قريظة^(٣)، واستمر الحصار (٢٥) ليلة^(٤).

وبعد كل تعب الخندق لا يزال المسلمون في قوة، يحاصرون (٢٥) ليلة، وفي النهاية قذف الله عز وجل الرعب في قلوب اليهود^(٥)، فنزلوا على حكم الرسول ﷺ^(٦)، مع أنه كان بإمكانهم المطاولة في الحصار، وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يُقيدوا فقيدوا، فجاءت الأوس إلى رسول الله - ﷺ - وكانوا حلفاء بني قريظة في الجاهلية^(٧)، وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وقد كان من المقرر أن يقتل الرسول - ﷺ - بني قينقاع، لكن جاء عبد الله بن أبي ابن سلول زعيم الخزرج واستنقذهم منه، فجاءت الأوس إلى الرسول - ﷺ - وقالت: (يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء بنو قريظة مواليينا فأحسن فيهم، فقال الرسول - ﷺ -: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى قال: فذاك إلى سعد بن معاذ. قالوا: قد رضينا)^(٨)، فأرسل رسول الله - ﷺ - إلى سعد بن معاذ وكان في المدينة مصابًا، فأتوا به من المدينة المنورة راكبًا على حمار، فلما رآه الأوس التفوا حوله، وقالوا: يا سعد! أجمل في مواليك فأحسن فيهم، فإن الرسول - ﷺ - قد حَكَّمك لتحسن فيهم، وهو ساكت - رضي الله عنه - لم يرد عليهم، حتى قال لهم: قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، عندما سمعوه يقول هذا عرفوا أن سعدًا سوف يحكم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب صلاة الطالب والمطلوب، رقم (٩٠٤)، والمسلم في صحيحه بلفظ آخر، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمور، رقم (١٧٧٠) ((أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَيْتِ قُرَيْظَةَ))

(٢) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ت: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، ط١، ١٩٩٣، ١٠١/٢

(٣) صحيح السيرة النبوية: إبراهيم بن محمد بن حسين، ت: د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر، الأردن، ط١، ١٩٩٥، ٥٧٢

(٤) ينظر: تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري المتوفى: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٧، ٩٩/٢

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي، ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ٣٠٩/٢

(٦) ينظر: السيرة النبوية: المصدر السابق، ٢٣٩/٢

(٧) ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير: الحافظ يوسف بن البر، ت: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٤٠٣، ١٧٩

(٨) ينظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: محمد بن عمر، ت: محمد غسان نصوح، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤١٩، ٣١٤

فيهم حكماً شديداً، وأتى سعد ووصل إلى المكان الذي فيه الصحابة، ولما رآه الرسول - ﷺ - قال للصحابة: (قوموا إلى سيدكم، فقام الصحابة احتراماً لـ سعد بن معاذ رضي الله عنه وأرضاه وأنزلوه من فوق الحمار، وقالوا: يا سعد! إن هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمك قال سعد: وحكمي نافذ عليهم؟ -أي: أن الذي سأقوله سوف يحصل فيهم؟ - قالوا: نعم، قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم، قالوا: وعلى من هاهنا؟ وأعرض بوجهه - رضي الله عنه - وأرضاه، وأشار ناحية الرسول - ﷺ -، وهو لا يريد أن يقول: وحكمي نافذ على رسول الله - ﷺ - وهذا يدل على أدبه رضي الله عنه، فقال - ﷺ -: (نعم، وعليّ -أي: أن حكمك ينفذ عليّ - قال: فإني أحكم فيهم أن يُقتل الرجال وتُسبى الذرية وتقسّم الأموال، فقال الرسول - ﷺ -: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات)^(١) وبدعوا بتنفيذ حكم سعد بن معاذ - رضي الله عنه -، وجمعوا يهود قريظة وقتلوا الرجال جميعاً، كان تعدادهم تقريباً (٤٠٠) وفي بعض الروايات: (٧٠٠)، وفي بعض الروايات (٩٠٠)^(٢)، وقتل معهم حيي بن أخطب الذي وعد قبل هذا كعب بن أسد.

الفرع الثاني: التحقيق ونظرة جديدة لغزوة بني قريظة

١- أسباب الغزوة

انطلقت غزوة بني قريظة في اليوم الذي انتهت فيه غزوة الأحزاب، حيث حقق المؤمنون فوزاً مهماً بفضل ومنة الله تعالى عليهم وعلى النبي ﷺ. خلال هذه الغزوة، تمت هزيمة قريش وحلفائها. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]

كانت لبني قريظة موقف سلبي تجاه حصار المدينة، فعوضاً عن الوفاء باتفاق سابق بالدفاع عن المدينة والتحالف مع المسلمين، فقرروا خيانة العهد والانقلاب عليهم. بسبب هذا التصرف الخياني، وجد المسلمون أنفسهم محاصرين بوجهين، عدواً خارجياً يحاصر المدينة وعدواً داخلياً يخون العهد ويهدد أمنهم الداخلي، ويوضح القرآن الكريم بوضوح الحالة الحرجة التي واجهها المسلمون نتيجة لخيانة بني قريظة وتحالفهم مع الأعداء. كان هذا الوضع يشكل تحدياً كبيراً للمسلمين وحكاماء المدينة، ممن اضطروا لمواجهة هذا الانقلاب الخطير واستعادة الأمان والاستقرار في المدينة. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]

(١) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، ت: السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب

الثقافية - بيروت، ط٣، ١٤١٧، ٢٦٥/١

(٢) ينظر: المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٨٩، ٥١٨/٢

وبعد أن انتهت غزوة الأحزاب لصالح المسلمين كان لا بد من معاينة بني قريظة على نقضهم العهد، وكان المفروض طبقاً لصحيفة المدينة أن ينضم يهود بني قريظة إلى جانب المسلمين للدفاع عن المدينة عندما أحاطت بها جيوش الأحزاب، إلا أن ما حدث من بني قريظة هو العكس، فقد غدر هؤلاء اليهود بالمسلمين وحاولوا ضرب جيشهم من الخلف في أحرج الظروف وأدق ساعات المصير^(١).

فقد أعلن هؤلاء اليهود بدلاً من قيامهم بالتزامات المعاهدة انضمامهم إلى الغزاة المعتدين في تلك الساعات الرهيبة الحاسمة التي كان فيها مصير الكيان الإسلامي في مهب العاصفة إذ كان جيش المسلمين الصغير يواجه عشرة آلاف مقاتل يفوقونه في كل شيء مادي، لقد خان وغدر بنو قريظة المسلمين غير مبالين بشرف المعاهدة الغدرة الشنعاء^(٢).

إذن سبب هذه الغزوة كانت خيانة بني قريظة للعهد الذي نقضوه في حالة الحرب، حيث انقلبوا على المسلمين وخالفوا اتفاقهم معهم، وتحالفوا مع عدو خارجي بهدف ضرب وإبادة المسلمين.

٢- مدة الحصار وكم استمرت؟

تختلف الروايات في مدة حصار بني قريظة أكان شهراً^(٣)، أم خمساً وعشرين ليلة^(٤)، أم خمسة عشر يوماً^(٥)، أم بضع عشرة ليلة^(٦)، وأقوى الأدلة تبين أنه كان خمساً وعشرين ليلة وتميل معظم كتب المغازي إلى ذكر هذه المدة تبعاً لرواية ابن إسحق^(٧).

وفي رواية عائشة - رضي الله عنها -: ((لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحُنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاعْتَسَلَ، أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَإِلَى أَيِّنَ؟ قَالَ: هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ))^(٨).

(١) ينظر: السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة بيروت - لبنان، ١٩٧٦

٣٢٢/٢ ،

(٢) ينظر: شرف المصطفى: عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، دار البشائر الإسلامية مكة، ط١، ١٤٢٤، ٤٤٩/٢

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: الطبري، ٩٩/٢

(٤) ينظر: السيرة النبوية: المصدر السابق، ١٩٥/٤

(٥) ينظر: المغازي: الواقدي، ٢٩٦/٢

(٦) ينظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر،

٢٩٥/١

(٧) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: الطبري: ٩٩/٢

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب مرجع النبي من الأحزاب، رقم (٤١١٧)

وهكذا تقدم جبريل في موكبه مع الملائكة، وأمر الرسول المسلمين بالتوجه السريع إلى بني قريظة دون أن يُمهّلهم حتى يرتاحوا بعد هذا الشهر الصعب من الحرب والحصار. قال لهم: ((لا يُصَلِّينَ أَحَدُكُمْ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ))^(١).

وهكذا تجمع الرسول والصحابة غير الملائكة في عدد ثلاثة آلاف مقاتل لحصار بني قريظة، واستمر الحصار لمدة خمس وعشرين ليلة، وتُعتبر هذه القصة غريبة في ضوء بعض الروايات التي تبدي انتقاداً لجبريل عليه السلام، حيث يُذكر أن الرسول -ﷺ- ذهب ليزلزلهم. وعلى الرغم من ذلك، تشير هذه الروايات أيضاً إلى بقاء المحاصرين في حصارهم لفترة خمسة وعشرين يوماً، على الرغم من أن الله تعالى يذكر في القرآن الكريم سرعة إهلاك الأمم التي يعاقبها. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِهَاكَ بِقَطْعِ مَنْ أَيْلٍ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًاكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾﴾ [النجم: ٥ - ٧]

هذا وعلى الرغم من مشاركة ثلاثة آلاف مقاتل في غزوة بني قريظة، إلا أن هناك تبايناً في روايات حول مدة الحصار ومدى انتشاره. هذا التباين يثير التساؤل حول سبب طول مدة الحصار بهذا الشكل. عادةً، كان العرب في العصور القديمة يميلون إلى مبالغة في الأرقام عند وصف الأمور أو الأحداث، إذ يمكن أن تُزاد العشرة إلى المائة وحتى إلى الآلاف. وتظهر هذه المبالغة العجيبة في الروايات حتى في الصحيحة، إذ تكون هناك اختلافات كبيرة بين التقديرات والأرقام، وتقاليد المبالغة والتضخيم التي تتميز بها بعض الثقافات العربية. تستخدم هذه المبالغة للإيحاء بالشدة والقوة، وغالباً ما تكون غير دقيقة في الأرقام والتقديرات. ومن الضروري أن يكون المؤرخون والمفسرون حذرين عند تحليل الروايات والتأكد من دقة المعلومات والأرقام المذكورة فيها. والأدلة على ذلك كثيرة حتى يوجد الأرقام في القرآن يستخدم للكثرة والمبالغة مثل: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]

(١) تخریج الحدیث: صفحة، ١١٩

والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير^(١)، السبعون هنا جمع السبعة المستعملة للكثرة، لا السبعة التي فوق الستة^(٢).

تأريخ الخروج إلى بني قريظة والرجوع إلى المدينة:

استمر الحصار على بني قريظة من آخر ذي القعدة إلى أول ذي الحجة^(٣)، وعلى الرغم من وجود هذه الإشارة في العديد من كتب السيرة، إلا أنه لم يُحدّد بدقة مدة الحصار. ومن خلال تحقيق دقيق، يمكن استنتاج أن مدة الحصار لم تتجاوز عشرة أيام.

٣- تشويه شخصية الرسول - ﷺ:

"قدم رسول الله - ﷺ - عليّ بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله - ﷺ - فرجع حتى لقي رسول الله - ﷺ - بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال لم أظنك سمعت منهم لي أذى قال نعم يا رسول الله، قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله - ﷺ - من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته، قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولاً"^(٤).

هذا النموذج يصور رسول الله - ﷺ - بطريقة مختلفة تماماً عن الصورة القرآنية الجميلة والتي تصوّره الأحاديث بأخلاقه العالية وطيبة قلبه ولسانه، والتي شهد بها أنس بن مالك رضي الله عنه. فقال: ((خدمت النبي - ﷺ - عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته،

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب

العربي - بيروت، ط ٣، ج ٢، ص ٢٩٥

(٢) تهذيب اللغة: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٦

(٣) السيرة النبوية: المصدر السابق، ٢/٢٧٩/جوامع السيرة النبوية: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب

العلمية - بيروت، ١٥٥/الدرر في اختصار المغازي والسير: الحافظ يوسف بن البر، ١٨٢/الروض الأنف في شرح السيرة النبوية

لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠

٦/٢٨٨/السيرة النبوية: ابن كثير، ٣/٢٥٠/غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم: السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال -

بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٦، ٨٤

(٤) تنبيه القارئ لتقوية ما ضعفه الألباني: عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش، ت: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار

العليان للنشر، بريدة، ط ١، ١٩٩٠، قال في تخرّيج السيرة، ٣١٣: ضعيف. أخرجه ابن إسحاق عن الزهري مراسلاً، وعنه ابن

هشام ١٩٤/٢ - ١٩٥، ورواه الحاكم ٢/٣٤ - ٣٥ من حديث ابن عمر العمري وهو ضعيف من قبل حفظه، ١٥٦

(٥) ينظر: السيرة النبوية: المصدر السابق، ٤/١٩٣

٥- خيانة أبي لبابة:

إنَّ هذه الرواية تدل على أن الحكم أُخفي عن الجميع، و(سعد بن معاذ) فاجأهم بالحكم، إذ لم يعدل بمطالب قومه بالرحمة والشفقة، بل انتظر حتى نطق بالحكم. وتتشابه هذه القصة مع قصة أبي لبابة، حيث ذُكر أن تلك الإشارة التي قام بها كدلالة على الحكم المنتظر لم يتم توقعها، وأدت في النهاية إلى خيانة الله ورسوله.

وذكر ابن اسحاق قصة أبي لبابة في هذه الغزوة فقال ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله - ﷺ - أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو ابن عوف وكانوا حلفاء الأوس لنستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله - ﷺ - إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أي قد خنت الله ورسوله - ﷺ - ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله - ﷺ - حتى ارتبط في المسجد إلى عمود وقال لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا ما نزل في أبي لبابة قال ابن هشام^(١) وأنزل الله تعالى في أبي لبابة فيما قال سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧] (٢).

ولدى الباحث بعض ملاحظات على هذه الرواية:

الأول: نعم، كما ذكر أبو لبابة أنه الذبح، لكن السؤال الخطير والمهم هو كيف عرف أبو لبابة أنه الذبح؟

الثاني: يلاحظ وجود تناقض بين الروايات حول مدة بقاء أبو لبابة مرتباً بالأحداث.

فقد قيل إنها "خمسة عشر يوماً"^(٣)، وفي نص آخر: "بضع عشرة ليلة، حتى ذهب سمعه، فما يكاد يسمع وكاد يذهب بصره وحتى خر مغشياً عليه"^(٤)، وقيل:

(١) عبد الملك بن هشام (أو ابن هشام) هو أبو محمد عبد الملك ابن هشام بن أيوب الحميري، كاتب سير ومؤرخ بصري. كما كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. عاصر ابن هشام الشافعي والتقى به في مصر. توفي ابن هشام عام ٢١٨هـ، من أشهر مصنفاته "السيرة النبوية - المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله "القصائد الحميرية -" في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و"التيجان في ملوك حمير، ينظر: سير أعلام النبلاء: المصدر السابق، ١٠/٤٢٩/الأعلام: المصدر السابق، ٤/١٦٦

(٢) السيرة النبوية: المصدر السابق، ٤/١٩٦

(٣) المغازي: الواقدي، ٢٠١

(٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبي بكر، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، ١/٢٩٦

"سبع عشرة ليلة"^(١)، وقال ابن إسحاق: "خمساً وعشرين ليلة"^(٢)، وعن الزهري: "أنه ارتبط سبعاً بين يوم وليلة، حتى خر مغشياً عليه"^(٣)، وقيل: "ارتبط قريباً من عشرين ليلة"^(٤)، وقيل: "ست ليال"^(٥).
الثالث: قد ذكرت في بعض الروايات: أنه ارتبط في حر شديد، وكان يوماً صائفاً، لا يأكل ولا يشرب، فتسبب ذلك بذهاب سمعه، وكاد أن يذهب بصره^(٦).

وقد وقع غزوة الخندق في برد شديد^(٧): يذكرون أن الخندق قد حُفر في أيام شتوية باردة وقارسة، واستمرت هذه الأجواء القاسية طوال فترة حفر الخندق وإلى رحيل الأحزاب. وبعد ذلك، عاد رسول الله - ﷺ إلى المدينة، وتم التصدي لقريظة مباشرة بعد انتهاء فترة الخندق.

قال الطبري^(٨): حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: أرسلني خالي عثمان ابن مظعون - رضي الله عنه - ليلة الخندق في برد شديد وريح إلى المدينة فقال اتننا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله - ﷺ - فأذن لي وقال: "من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا" قال: فذهب والريح تسفي كل شيء فجعلت لا ألقى أحداً إلا أمرته بالرجوع إلى النبي - ﷺ - قال: فما يلوى أحد منهم عنقه قال: وكان معي ترس لي فكانت الريح تضربه علي وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأنفذها إلى الأرض^(٩).

-
- (١) السيرة الحلبية: ع لي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٧، ١٤٥٥/٢
- (٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣، ٩/٥
- (٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي، ٦٥١/٢
- (٤) البداية والنهاية: ابن كثير، ١٣٨/٤
- (٥) السيرة النبوية: المصدر السابق، ١٩٦/٤
- (٦) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٥، ٤٤٦/٢
- (٧) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: محمد بن محمد، ٨٥/٢ / حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: محمد بن عمر، ٣١١
- (٨) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحداً، وكان أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طراراً على مذهبه/وفيات الأعيان وأبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ت: احسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٧١، ١٩١/٤
- (٩) جامع البيان في تأويل القرآن: المصدر السابق، ٢٠/٢١٥/٢١٥/٢٠/الصحيح من أحاديث السيرة النبوية: أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، دار الوطن للنشر، ٢٠١١، ٣٣٢

الرابع: اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَ وَتَحُونُوا أَمَدَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعَاْمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]

قال الطبري في تفسيره وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية، وفي السبب الذي نزلت فيه. على ثلاثة آراء:

الأول: نزلت في منافق كتب إلى أبي سفيان يطلعه على سرّ المسلمين.

الثاني: نزلت في أبي لبابة، في الذي كان من أمره وأمر بني قريظة.

الثالث: بل نزلت في شأن عثمان -رحمة الله عليه-^(١).

وهناك رأي آخر وهو ما ذكره سعيد بن المسيب: أن ارتباطه بسارية التوبة كان بعد تخلفه عن غزوة تبوك، حين أعرض رسول الله -صلى الله عليه وآله- عنه وهو عليه عاتب بما فعل يوم قريظة، ثم تخلف عن غزوة تبوك في من تخلف.

وذكر علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، عن ابن عباس في ارتباطه حين تخلف عن تبوك ما يؤكد قول ابن المسيب، قَالَ: نزلت هذه الآية في أبي لبابة^(٢).

القول الراجح

إن أبا لبابة ارتبط في المسجد إلى أسطوانة التوبة، إلى أن نزلت توبته في الآية المتقدمة، ولم يرض بفك نفسه إلا أن يتوب الله عليه، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً، حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه وما جرى من حل رسول الله -صلى الله عليه وآله- له، إنما كان في غزوة تبوك^(٣).

٦-تحكيم سعد بن معاذ.

عن محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سعد قال سمعت أبا أمامة قال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل النبي صلى الله عليه و سلم إلى سعد فأتى على حمار فلما دنا من المسجد قال للأَنْصار ((قوموا إلى سيدكم أو خيركم)). فقال ((هؤلاء نزلوا على حكمك)). فقال تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم قال: ((قضيت بحكم الله وربما قال بحكم الملك))^(٤).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: المصدر السابق، ٤٨٠/١٣

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، المكتبة التوفيقية-قاهرة، ١٧٧/٢

(٣) الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك: أبو محمد عبد القادر بن حبيب الله بن كورو، مطابع الرشيد، المدينة المنورة - السعودية، ١٢١/عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير: محمد بن محمد بن محمد، ١٠٣/٢

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من الاحزاب، رقم(٣٨٩٥)، والمسلم في صحيحه، كتاب السير والجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد، رقم(١٧٦٨)

لدى الباحث بعض الملاحظات على هذه الروايات منها:
الأولى: حاكمية القرآن الكريم:

من الأمور الغريبة التي اقتصت بها الروايات المرتبطة بغزوة بني قريظة ما يذكره علماء السيرة، أو من يحاولون تبرير المجزرة، بعدم كون الحكم فيها القرآن الكريم، وإنما من التوراة، أو من الكتاب المقدس، ولم أر من خلال دراستي في هذا الموضوع أي حادثة يقبل فيها رسول الله - ﷺ - بإلغاء حكم القرآن الكريم، ثم يتحاكم إلى غيره، مع ما ورد في القرآن الكريم من التصريحات بتحريف اليهود لكتبهم.

وحكم القرآن واضح في حكم الأسرى في مسألة أسرى الحرب، ولا ضرورة للعدول عن هذا الحكم
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَوَيْشَاءُ اللَّهُ لَا تُنصَرُ مِنْهُمْ وَّلَٰكِن لَّيَبْلُؤُنَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَئِنَّ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ [محمد: ٤]

ويقولون هذا حكم توراتي طبق على بني قريظة، مع وجود نصوص كثيرة مما يوجب فيها إلزام المسلمين بالرجوع إلى حكم الله ورسوله - ﷺ - قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]

ومنها قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ [النور: ٥٤]

ومن العجيب أن ينسب هذا الحكم لسعد بن معاذ، الصحابي الجليل الذي اتفقت الأمة جميعا على احترامه وتبجيله وتقدير تضحياته، فهل يمكن لسعد أن يترك حكم القرآن الكريم، ويرغب عنه، و هو في آخر حياته، ليطبق فيهم حكم التوراة.

الثانية: حاكمية الرسول ﷺ:

التدليس الذي استعمله من أشاع رواية تلك المجزرة وإخبارهم أن رسول الله - ﷺ - ترك وظيفته التي كلفه الله بها، وهي ولاية أمر المسلمين، والحكم فيما يحصل لهم، وما يرتبط بذلك من وظائف، وتنازله عن ذلك كله لسعد بن معاذ، مع العلم أنه بشر عادي غير مؤيد بالوحي، فهل يمكن أن يترك حكم المعصوم، ويُلجأ إلى رأي غير المعصوم.

ولذلك فإن الخطوة التي تنجم عن تلك الروايات هو إقصاء رسول الله - ﷺ - في حياته، والتحاكم إلى غيره، وهو ما تنفيه النصوص المقدسة، بل تتوعد من يفعل ذلك بالوعيد الشديد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا

مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴿

[النساء: ٦٤ - ٦٥]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ ﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦]

ولذلك فإن ما رواه ابن إسحق وغيره من رفض رسول الله - ﷺ - تطبيق ما طالب به القرظيون من
تطبيق الأحكام السابقة على اليهود عليهم، وتكليفهم باختيار من يحكم فيهم، يتنافي مع النصوص السابقة
كلها التي وردت عن حاكمية رسول الله - ﷺ - للأمة في حياته وبعدها، وحاكمية القرآن الكريم باعتباره
دستورا يتحاكم إليه الجميع.

الثالثة: شروط القضاء:

إن سعدا بحسب ما تدل عليه هذه الرواية وغيرها لم يسمع حجج بني قريظة، وكان الأصل كما تدل
عليه شروط القضاء، أن يستقدم كل واحد منهم، ثم يسأله عن حجته، ويحقق معه، فقد يكون في الوقت
الذي حصلت فيه الخيانة مريضا أو لم يشارك فيها، ولكن ذلك لم يحدث، بل ذكرت الرواية أنه حكم فيهم
حكام وهذا خالف ما ذكره القرآن الكريم. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ
دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَةٌ وَحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي
الْحُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿﴾ [ص: ٢١ -
٢٤]

الرابعة: غضب سعد من بني قريظة.

إن سعداً كما تذكر الرواية كان في حكم المحتضر، بل ورد في الروايات ما يدل على أنه كان شديد
الغضب على بني قريظة، وأنه دعا الله أن يؤجل وفاته حتى يرى ما حصل لهم، عن جابر أنه قال: ((رمى يوم
الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله أو أبجله، فحسمه: رسول - ﷺ - بالنار فانتفخت يده فتركه
فنزفه الدم فحسمه أخرى فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال: (اللهم لا تخرج نفسي حتى تفر عيني من بني
قريظة)، فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ. فأرسل إليه فحكم أن يقتل

رجالهم وتستحي نساؤهم يستعين بهن المسلمون، فقال رسول الله - ﷺ - (أصبت حكم الله فيهم)، وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات))^(١).

وهذا الحديث، يتعارض مع ما ورد في النصوص من قضاء القاضي، وهو بحالة نفسية لا تسمح له بذلك، ففي الحديث أن رسول الله - ﷺ - يقول: ((لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان))^(٢).

ونحن نطالب الذين يذكرون هذه الرواية، ويقرون بها، لماذا لا يفكرون في أن قبيلتي بني نضير وبني قنوقاع خانوا قبل بني قريظة، ولكن لم يطبق عليهم العقوبة نفسها التي طبق على بني قريظة، ولكن يذكرون معها الروايات المرتبطة ببني قريظة، بأن يتخلوا عن ذاتيتهم، ويكونون صادقين مع أنفسهم، ويفرضوا أن هذه الحادثة لم تحدث في ذلك الزمن، وإنما حدثت في زمننا، فهل يمكن اعتبار القاضي أو الحاكم عادلاً حين يبىد قرية كاملة بسبب جريمة من الجرائم، ثم يعفو عن قرية أخرى ارتكبت الجريمة نفسها، أو ما هو أكثر منها: التشدد عادة يكون مع أول الخائنين حتى يكون عبرة لغيره، وإلا فلا معنى للتشدد مع بني قريظة.

٧- تنفيذ ذبح بني قريظة:

أمر بهم رسول الله - ﷺ - إلى موضع سوق المدينة، فخندق بها خنادق، ثم أمر رسول الله ﷺ فضربت أعناقهم في تلك الخنادق. وقتل يومئذ حي بن أخطب والد أم المؤمنين صفية، وكعب بن أسد، وكانوا من (ستمائة) إلى (سبعمائة). وقتل من نساؤهم امرأة واحدة، وهي بنانة امرأة الحكم القرظي، التي طرحت الرحي على خلاد بن سويد بن الصامت فقتلته، وأمر رسول الله - ﷺ - بقتل كل من أنبت، وترك من لم ينبت^(٣). ولدى الباحث بعض الأسئلة على هذا التنفيذ.

الأول: لماذا لم يُنفذ الإعدام عند حصولهم ليختصر المسلمون الجهد والوقت والمؤونة؟

الثاني: لماذا لم يتم قتلهم في الخندق الذي حُفر قبل غزوة الأحزاب مما يجنب المدينة تلك الجثث وتلك الدماء وما يترتب على ذلك من انتشار الأوبئة والأمراض؟

الثالث: تشير بعض الروايات أن علياً والزبير هما من نفذتا القتل، فكيف يمكن لشخصين ذبح (٦٠٠) - (٩٠٠) شخص دون أن تتأثر نفوسهم سلباً. ولا يمكن لطبيعة الإنسان أن تحتل مثل هذا النوع من القتل. ولا بد من الإشارة إلى أن القتل في ساحة المعركة يختلف تماماً عن تنفيذ الإعدام، إذ أن المبرر النفسي للقتل

(١) أخرجه الترمذي (١٥٨٢) هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (١٤٧٧٣)، والنسائي في سنن الكبرى (٨٦٢٦)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، رقم (٦٧٣٩)، والمسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان، رقم (١٧١٧)

(٣) السيرة النبوية: المصدر السابق، ٤/٢٠١/جوامع السيرة النبوية: ابن حزم، ١٥٥،

في المعركة موجود بدافع الدفاع عن النفس بخلاف اعدام المستسلم.

الرابع: كيف عاش اليهود مع المسلمين بعد أن دُبح أبناء دينهم أمام أعينهم؟

الخامس: أين هذا الخندق الذي قُتل فيه اليهود؟

السادس: عُرِف اليهود عبر التاريخ بتوثيق مآسيهم بالتفصيل. ولم يُعرف هذا الحدث في تاريخ اليهود، ولم يتفق المؤرخون اليهود هذه الحادثة، ومن يتحدث من اليهود اليوم عن تلك الحادثة فإنه يعتمد على روايات ابن إسحاق. وهذا يمنح انطباعاً بأن الحادثة لم تكن مما يستدعي توثيقها عند اليهود.

السابع: عرف من سيرة النبي كرهه لسفك الدماء، وسيرته العسكرية تؤكد ذلك، وقد أحصى المؤرخون عدد القتلى في صفوف المسلمين وأعدادهم على حد سواء فلم يتجاوز بضع مئات في مجمل حروب النبي وسراياه. فهل يعقل أن يأمر بقتل المئات بيوم أو يومين؟

٨- عدد القتلى في غزوة بني قريظة:

اختلف كتاب السير والتاريخ في عدد القتلى على أقوال:

في بعض الروايات (٤٠٠)

وفي بض الروايات (٣٠٠)

وفي بعض الروايات (٧٠٠)

وفي بعض الروايات (٩٠٠)

وفي رواية (٤٠)

البيان القرآني

وقد قصَّ القرآن الكريم خبر الحادثة، في مقابل البيان القرآني وردت روايات تفيد بأن النبي قتل أسرى بني قريظة وكانوا بالمئات، وتلك الروايات الأسطورية شاعت بين المسلمين وتوارثتها الأجيال كمسلّمات شوّهت الذاكرة وأساءت للإسلام بقدر كبير.

حرج المسلمون بين عدو خارجي وعدو داخلي، وبين القرآن الكريم الحالة الحرجة التي عاشها المسلمون نتيجة لذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب:

١٠ - ١١]

معاقة بني قريظة على نقضهم العهد في القرآن.

حاصرهم النبي - ﷺ - أياما عديدة. وبعد رفضهم الاستسلام قرروا النزول للقتال، وما أن بدأت المعركة حتى دبَّ الرعب في قلوبهم واضطربت صفوفهم. وقد انتهت المعركة بانتصار النبي والمؤمنين. وفي هذا

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٦ - ٢٧]

من خلال الآيتين السابقتين يظهر تسلسل الأحداث، حيث نزل بنو قريظة من حصونهم فدار القتال بين الطرفين، وكان المسلمون معززين بنصر الله إياهم في معركة الأحزاب ومدفوعين بما حملته قلوبهم من غيظ على خيانة بني قريظة. وقد قُتل فريق من بني قريظة بينما تم أسر الباقين. وفي هذه المرة أيضا انتصر المسلمون. وهذا ما فعله النبي - ﷺ - في بني قريظة. وقوله تعالى { فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا } يبين ما آلت إليه الحرب. وتقديم المعمول على العامل في قوله تعالى { فَرِيقًا تَقْتُلُونَ } يفيد الأهمية والمعرفية، وهو ما يفيد بأن الذين تم قتلهم هم رؤوس القوم وقادتهم.

القتل كان من نصيب قادة بني قريظة دون غيرهم من المدنيين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ تَكَثُوهَا أَيمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَ أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٢]

نزلت في الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، أو في قوم من اليهود عاهدوا ثم نقضوا^(١). وقال قتادة: " المراد أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة، وغيرهم، وهذا ضعيف إن لم يؤخذ على جهة المثال، لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير، وروي عن حذيفة أنه قال: لم يجيء هؤلاء بعد، يريد لم ينقضوا فهم يجيئون أبدأ ويقاتلون. وقال ابن عطية: أصوب ما في هذا أن يقال: إنه لا يعني بما معين، وإنما دفع الأمر بقتال أئمة الناكثين العهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين^(٢). والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم^(٣).

الروايات الواردة

في مقابل البيان القرآني نجد روايات السيرة تسرد أحداثا مخالفة للنص القرآني الواضح ولا متعارضة فيما بينها، إذ تذكر تلك الروايات أن النبي - ﷺ - اقتاد الأسرى من بني قريظة إلى المدينة وأسكنهم في أحد البيوت، وفي اليوم التالي اقتادهم إلى سوق المدينة وخذق لهم وقتلهم أفواجا. حيث قُتل كل من قدر على

(١) تفسير القرآن: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ت: عبد الله بن إبراهيم، دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٩٩٦، ١٠/٢

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، ط١، ٢٠٠١، ١٧/٥

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: المصدر السابق، ١١٦/٤

حمل السلاح من الرجال، وقيل قُتل كل ذكر بالغ، وقيل قُتل المقاتلة فحسب بينما سُي الذراري والنساء. لن تجد رقما للمقتولين في الصحيحين، ولا بد من التنويه أنه لم يذكر في الصحيحين تنفيذ القتل، وفي غير الصحيحين ورد أن النبي قتل من أنبت منهم، عن عَطِيَّةِ الْقُرْظِيِّ يَقُولُ: (عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قَرْيَظَةَ، فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ، حُلِّيَ سَبِيلَهُ، فَكُنْتُ فِي مَنْ لَمْ يُنْبِتْ، فَحُلِّيَ سَبِيلِي) (١).

الكلام على راوي هذا الحديث (عطية القرظي):

١- إن الشيخين لم يخرجوا عن عطية حديثاً (٢).

٢- إن الحديث انتقد من جهة عبد الملك بن عمير فهو مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته ما أرى له خمسمائة حديث وقد غلط في كثير منها، ضعفه أحمد جداً (٣)، وهو تابعي مشهور من الثقات مشهور بالتدليس (٤).

ورد الحديث بروايات أخرى كلهم يروون عن عطية وأن الحديث لم يصح له إسناد بعينه، وتفاوتت أسباب ضعفه بين وجود الضعيف جداً، والوضاع، والمجهول، بما يحيل روايته إلى رواية الثقات المخرجة أحاديثهم في الصحيحين فما جاء منها موافق يصح لهم فهو صحيح مقبول، وما خالفهم فهو منكر لا يصح، وما زاد عليهم فهو ضعيف لا يقوم بنفسه.

إن القاعدة المشهورة التي تنص على تقوية الأسانيد الضعيفة ببعضها، يشترط فيها ألا تكون شديدة الضعف وأن لا يكون منشأ ضعفها كذب الرواة، فعندها يكون تواردهم على الرواية، مؤكداً ضعفها لا دافعاً له (٥).

كما ذكرنا اختلفت أرقام القتلى من بني قريظة وذكروا لها أعداداً متفاوتة، ولكن أن تم إعدامهم بعد الأسر هم قادة بني قريظة بوصفهم مجرمي حرب، وهو ما يفسر أن النبي ﷺ اقتادهم إلى المدينة وتحقق من شنيع فعلتهم حتى صدر الحكم بقتلهم، محتجين بظاهر قوله تعالى {فَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ وَتَأْسِرُوْنَ فَرِيْقًا} . وفي

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٧٧٦) عليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فلم يرو له سوى أصحاب السنن، وابن أبي شيبه في مسنده (٥٢٥)، وابن ماجه في سننه (٢٥٤١)

(٢) انظر: لتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩، كتاب: الحجر، رقم: ١٢٤٣، ١٠٧/٣

(٣) ينظر: تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦، ٤١١/٦

(٤) ينظر: تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: ابن حجر، ت: عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار، عمان، ط١،

٤١، ١٩٨٣

(٥) ينظر: تحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف: د. عبد العزيز عبد الرحمن بن محمد العثيم، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة-

ط١٧، العددان السابع والستون والثامن والستون، رجب - ذو الحجة ١٤٠٥، ٢٢

قوله تعالى {فَرِيفًا تَفْتُلُونَ} تقديم المعمول على العامل وهذا يفيد الأهمية والمعرفية مما يدل على أن القتل كان من نصيب قادة بني قريظة، وهذا ما أشارت إليه بعض الروايات ويعتمد على الرواية الصحيحة التي تفيد بأنه حُكِمَ عليهم بقتل المقاتلة، ولا يمكن فهم الآية إلا بهذه الطريقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾

التوبة: ١٢

إنَّ زعماء ومقاتلي بني قريظة الذين تم قتلهم لم يكونوا أبداً أسرى حرب حتى يعترض معترض على قتلهم، إنما كانوا ينتمون إلى جماعة هي في الأصل جزء من مجتمع المدينة ارتكبت ما يسمى في الاصطلاح المعاصر جريمة الخيانة العظمى وفي زمن الحرب، وقد وردت أسمائهم حسب بعض المصادر السيرة وهم:

- ١- حبي بن أخطب: حبي بن أخطب النضري: جاهلي، من الأشداء العتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وأذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه^(١).
- ٢- غزال بن سموأل: أول شجعان اليهود إذا هاجموا وآخروهم إذا ولّوا. ورد اسمه فيمن هاجم المدينة من القرظيين أثناء حرب الخندق^(٢).
- ٣- وهب بن زيد: حامل لواء اليهود في الزحف^(٣).
- ٤- زبير بن باطا: كان أعلم اليهود^(٤).
- ٥- نباش بن قيس: هو الذي لا يؤم جماعة إلا فضها ولا عقدة إلا حلها^(٥) و أحد زعمائهم^(٦).
- ٦- كعب بن أسد: القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم^(٧).
- ٧- عقبه بن زيد: والي رفادة اليهود وأبو الأيتام والأرامل من اليهود^(٨).
- ٨- العمران: اللذان كانا يلتقيان بدراسة التوراة^(٩).

(١) ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ٢٩٢/٢

(٢) ينظر: المغازي: الواقدي، ٥١٩/٢

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٦/١

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١،

١٩٩٠، ١٢٦/١

(٥) المغازي: الواقدي، ٥١٩/٢

(٦) ينظر: دراسة في السيرة: عماد الدين خليل، دار النفائس - بيروت، ط٢، ١٤٢٥، ٢٨٩

(٧) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،: الذهبي، ١٨٩/١

(٨) ينظر: المغازي: الواقدي، ٥١٩/٢

(٩) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار

الحاصل للباحث إن الذين قتلوا من غزوة بني قريظة وهم تسعة أشخاص ممن ذكرنا أسماءهم وهؤلاء من زعمائهم الذين خانوا ونقضوا العهد أثناء حرب المسلمين مع عدوهم الخارجي، فهذه خيانة عظيمة منذ بداية التأريخ البشرية وإلى يوم القيامة، لها عقوبة تساوي الجريمة، حسب القوانين والظروف.

٨- زواج ریحانة.

وهو نموذج يصور رسول الله بتلك الصورة المشوهة التي صور بها سليمان - عليه السلام - في الإسرائيليات، والتي تذكر أنه لم يدع ملكة سبأ ليلبغها الإسلام، ويرشح لها معانيه، وإنما دعاها ليتزوجها، وبني لها القصر الممرد من القوارير ليكتشف حال ساقها وهل هي ساق بشر أم ساق حمار^(١).

وهو الأمر نفسه الذي طبقه حرقياً مع رسول الله - ﷺ - فقد صوروه، وبعد تلك الإبادة الهائلة التي افتروها عليه، وزعموا أنه قتل فيها كل رجال بني قريظة، ذهب إلى امرأة منهم، طامعا في الزواج منها، لكنها رفضته، فتوسل لها بمن يقنعها بذلك، وهي روايات تجمع بين الإساءة الشديدة لرسول الله - ﷺ - وتمجيد اليهود والإشادة بعزتهم، فقد قال ابن إسحق: وكان رسول - الله ﷺ - قد اصطفى لنفسه من نساءهم ریحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو ابن قريظة فكانت عند رسول الله - ﷺ - حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله - ﷺ - عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله - ﷺ - بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سبها قد تعصت بالإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله - ﷺ - ووجد في نفسه لذلك من أمرها فيينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ریحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ریحانة فسره ذلك من أمرها^(٢).

كثرة طرق الرواية التي قد تصل إلى ثمان طرق

١- طريق الواقدي^(٣).

إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ٢٣٧/٦

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى، ت: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١، ١٤١٦، ١٠٣/٢ / تفسير السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، ت: د. محمود مطرجي، دار الفكر بيروت- لبنان، ٥٨٥/٢

(٢) ابنظر: لسيرة النبوية: عبد الملك بن هشام، ٢٠٥/٤

(٣) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التصانيف والمغازي، العلامة الإمام أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه، ولد بعد العشرين ومائة، وطلب العلم عام بضعة وأربعين، وسمع من صغار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز والشام وغير ذلك. / سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٤٥٤/٩

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ الحشر: ٣

٣- قد نقل علماء السيرة والتاريخ الإسلامي جميعهم هذه الواقعة عن ابن إسحاق^(١)، تروى القصة عن اليهود، وتم نقلها منهم، ولكنها رواية ضعيفة السند بكل طرقها؛ نظرًا لاحتوائها على مدلسين أو مجهولين أو وجود انقطاع في سلسلة الرواة. وقد روى ابن إسحاق هذه القصة، وكانت سند روايته يهوديًا من بني قريظة، من أمثال: عطية القرظي، والمسور بن رفاعة القرظي، وثعلبة بن أبي مالك القرظي.

٤- تُجمع الروايات المتنوعة من مصادر شفهية مختلفة كانت متاحة في ذلك الوقت، ولم يكن الاهتمام الرئيس هو التدقيق في صحة هذه الروايات، بل كان الهدف الأسمى هو جمع كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات حول الرسول محمد - ﷺ - .

٥- قد تكون صحة الحقائق التاريخية في كتب السيرة غير مؤكدة بسبب مرور ما يقارب ١٢٠ سنة بين وفاة الرسول محمد وبدء جمع الروايات الشفهية.

٦- الكتاب تم كتابته في عهد الخلفاء العباسيين، وهم كانوا يواجهون خلافات مع الأمويين الذين حكموا قبلهم.

٧- إن المصادر التاريخية، التي أرخت للمجزرة كلها هي مصادر مشبوهة، تمت بصياغة لليهود والفئة الباغية، ولو طبقنا عليها أحكام الأحاديث التي تستنبط منها العقائد أو الأحكام الفقهية لرمي بها عرض الحائط، لكن العلماء قبلوها فقط بسبب تصنيفهم لها في زمرة أحاديث السيرة والمغازي، والتي اتفقوا على التساهل في رواياتها^(٢).

٨- كان مالك - رحمه الله - من أشد الناس قولاً في ابن إسحاق فمرة يصفه بالكذب ومرة بأنه دجال^(٣).

٩- من الصعب على عاقل يعرف رحمة رسول الله - ﷺ - وتسامحه أن يوافق على قتل الشباب الأغرار المراهقين بسبب أفعال رؤساء قومهم، حتى لو كان هؤلاء الشباب مخالفين له أو قد أقاموا عداوة ضده.

(١) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، وقيل : ابن كوثران العلامة الحافظ الأخباري أبو بكر ، وقيل : أبو عبد الله القرشي المطلي مولا هم المدني ، صاحب السيرة النبوية ، وكان جده يسار من سبي عين التمر في دولة خليفة رسول الله - ﷺ - وكان مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف - رضي الله عنه - ولد ابن إسحاق سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك بالمدينة ، وسعيد بن المسيب، توفي محمد بن اسحاق في بغداد سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م، ودفن في مقبرة الخيزران، أم الرشيد. / سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٣٣/٧

(٢) ينظر: الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، ت: أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية - المدينة المنورة، ١٣٣

(٣) ينظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن، ٣/٣٠٠

١٠- من الصعب على عاقل يعرف عدالة الشريعة أن يقبل تلك الروايات التي تصور رسول الله - ﷺ - يعاقب قوماً دون قوم آخر، مع أنهم ارتكبوا الجريمة نفسها. ولا يمكن لعاقل أن يتصور رسول الله - ﷺ - يهب قبيلة من اليهود للمنافقين ويعفوا عنهم، في الوقت الذي يهب فيه قبيلة أخرى لأحد المسلمين ويحكم عليهم بالإعدام. هذا التصور يتعارض مع مفهوم العدالة الذي يفترض أن يكون عاملاً ومساوياً للجميع.

١١- تميّزت الشعب اليهودي عبر التاريخ بتوثيقها لمآسيها بالتفصيل، ومع ذلك، فإن الحدث المشار إليه لم يُوثق في تاريخ اليهود عند علمائهم في رأس الجالوت في العراق، ولم يتم تسجيله أيضاً من قبل المؤرخين اليهود. ومما لا شك فيه أن من يتحدث اليوم من اليهود عن هذا الحدث يعتمد على روايات ابن إسحاق كمصدر لتلك الحادثة.

المطلب الثالث: الإبادة الجماعية في التراث الفقهي الإسلامي

في الفقه الإسلامي، تعتبر الإبادة الجماعية في الفقه الإسلامي من الجرائم البشعة التي تخل بأسس الإنسانية والعدالة، ويُعدُّ هذا العمل الإجرامي خروجاً عن تعاليم الإسلام وقيمه الأخلاقية، إذ يعد الفقه الإسلامي حق الإنسان في الحياة والكرامة البشرية من أعظم القيم.

وتُعدُّ الإبادة الجماعية تجاوزاً كبيراً للمبادئ الدينية الإسلامية التي تؤكد على قدسية الحياة واحترام الأفراد بغض النظر عن اختلاف الأعراق والثقافات، ويُحظر الإسلام بشدة التسبب في أذى الأفراد أو الجماعات، كما يتم التشديد على ضرورة حماية حقوق الإنسان وعدم التسبب في أذى أو قتله لأبرياء.

يستنكر الفقه الإسلامي بشدة أي تجاوزات تؤدي إلى إلحاق أذى جماعي أو قتل جماعي للأفراد، ويُعد الحفاظ على حياة البشر والحفاظ على السلام والعدالة من أهم الغايات التي يجب تحقيقها في المجتمعات المسلمة وفقاً لتعاليم الإسلام، وقام الخلفاء والأمراء والقادة العسكريون في الفقه الإسلامي بإقرار آليات تهدف إلى حماية حقوق الإنسان ومنع وقوع جرائم الإبادة الجماعية.

إن حقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم، أو قراراً صادراً عن سلطة أو منظمة دولية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، ولا تقبل الحذف والنسخ والتعطيل، كما ولا يسمح بالإعتداء عليها، ولا يجوز التنازل عنها.

الآليات الموجودة لحماية حقوق الإنسان ومنع إبادة الجماعية في الفقه الإسلامي:

أولاً: توصيات وأحكام للقادة الميدانيين في الحرب:

بينت الشريعة الإسلامية الأحكام للمقاتلين المسلمين منذ الخطوة الأولى للحرب وإلى الخطوة الأخيرة، وكيفية التعامل مع آثارها بصيغتي الأمر والنهي مؤشراً واضحاً على أنها آلية إسلامية لضمان الالتزام بتلك

الأحكام، كونهما يفيدان الوجوب والحرمة، إذ الواجب في الشرع، هو: ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه^(١)، والحرام هو: ما لا يحل فعله ويكون تاركه مأجورا مطيعاً وفاعله آثماً عاصياً^(٢)، فبالأول ألزمت الشريعة الإسلامية أتباعها بتطبيق جميع الأوامر بإتيانها أثناء النزاعات المسلحة الدولية بدرجة كبيرة، وزاد من هذا الضمان بتحريم انتهاك هذه الحقوق مما يلزم المسلمين بعدم القرب منها.

فإتيان الحقوق بصيغتي الأمر والنهي الدالين على الوجوب والتحريم، وتوصية النبي - ﷺ - وخلفائه الراشدين - رضي الله عنهم - من بعده بالالتزام ما هي إلا تأكيد على أهمية الالتزام، ومؤشر آخر على ضمان حماية حقوق الإنسان فيها. وقد سبق ذكر الأدلة والنصوص من الكتاب والسنة على حماية حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة في المبحث السابق فلا داعي إلى تكرارها هنا.

ثانياً: العقيدة والإيمان والطاعة والامتثال:

فبالعقيدة الثابتة والإيمان الراسخ والتربية الذاتية يتم ضمان الطاعة والامتثال من المسلمين لأوامر الله والرسول - ﷺ - عامة، وأوامرها في موضوع القتال خاصة، والتضحية بالنفس في سبيل الله دليل واضح على وجود العقيدة والإيمان في النفوس.

والمراد بالطاعة هنا، هو الامتثال للأوامر والنواهي المنزلة من عند الله ورسوله، أو الصادرة من قيادات الجيش الإسلامي بشأن أحكام القتال، ومنها ضمان حماية حقوق الإنسان أثناءها.

فالطاعة والامتثال لأوامر الله سبحانه والرسول - ﷺ - واجب بالكتاب والسنة، فمن الكتاب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]

ومن السنة: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : ((اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة))^(٣).

عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر

(١) التبصرة في أصول الفقه: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي المتوفى ٤٧٦هـ، ت: د. محمد حسن هيتو، دارالفكر

دمشق، ط١، ١٤٠٣، ٣٧

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم، ٣/ ٧٦

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٧١٤٢)

بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))^(١).

ثالثاً: العقوبات:

وضعت الشريعة الإسلامية آلية أخرى لضمان حماية حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة الدولية، وهي تشريع العقوبات لأولئك المرضى ضعاف الإيمان من يخرجون عن إطاعة الله والرسول في أثناء هذا الظرف الصعب، ولا يأبسون بما أمر الله ورسوله بهم فينخرطون في شهواتهم ورغباتهم الدنيوية، وينتهكون حقوق الإنسان فيها ومن العقوبات المقررة لهؤلاء:

١ - العقوبات الدنيوية:

تطبيق الحدود على المقاتلين المسلمين من آليات حماية حقوق الإنسان، فلو زنى مجاهد بإمرأة حربية قبل وقوعها في السبي والاسترقاق فإن الجلد يجب في حقه تماماً، لأن الحرام في كل الأحوال حرام وهو في السلم والحرب سواء.

إن العقوبات في الشريعة الإسلامية واقفة بالمرصاد لمن يخرج عن تعاليم الشريعة الإسلامية أثناء الحرب وكذا في التعامل مع المقاتل والمدنيين فالحدود والقصاص وكذلك التعزير هي عقوبات شرعية يقرها الحاكم بحق الخارجين عن الطاعة وعن عدم الامتثال لأمر الله عز وجل وأمر رسوله - ﷺ -.

وضع الفقهاء في الفقه الإسلامي تشريعات هامة تعمل كحواجز لمنع وقوع جرائم الإبادة الجماعية، منها حكم "قتل الجماعة بالواحد".

إجماع الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فقد روى سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب قتل سبعة من أهل صنعاء قتلوا رجلاً، وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعاً^(٢)، وعن علي رضي الله عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلاً^(٣)، وعن ابن عباس أنه قتل جماعة بواحد، ولم يُعرف لهم في عصرهم مخالف فكان إجماعاً^(٤).

نظراً لأن عقوبة "قتل الجماعة بالواحد" تُنفذ للفرد الواحد، فقد أُقِرَّت هذه العقوبة لتشمل الجماعة بأكملها في الفقه الإسلامي، تماماً كما حُدِّدت عقوبة القذف. وتُطبَّق قوانين الدية بناءً على الحالة، حيث تتفاوت في تبعيتها للجماعة. بينما لا تتبع بعض قواعد القصاص في حالة الجماعة، فتهدف هذا النهج إلى تجنُّب

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام، رقم (٧١٤٤)، وأخرجه المسلم في صحيحه، كتاب

الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (١٨٣٩))

(٢) أخرجه مالك ٢ / ٨٧١، وعبد الرزاق ٩ / - ٤٧٦ ١٨٠٧٥، وابن أبي شيبة ٩ / ٣٤٧، والدارقطني ٣ / ٢٠٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٩ / ٣٤٨

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٩ / ٤٧٩ ١٨٠٨٢

التسرع في تصاعد أعمال العنف، مما يحافظ على الجانب التحذيري والردع للعقوبة.

وبعد الصحابة-رضي الله عنهم- اتفقت جمهور علماء المذاهب الإسلامية من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية على أن الجماعة تقتل بالواحد إذا قتلوه عمدا وعدوانا، سواء كثرت الجماعة أو قلت (١). وأيضاً من باب سد الذريعة، لأن أي إنسان يريد أن يقتل إنساناً آخر يقول: لو قتلت هذا وحدي سأقتل به، فحفاظاً على حياته يأتي بخمسة مجرمين فيقتلون هذا القليل ولا يقتلون به، وتصبح المسألة حيص بيص، وهكذا تهدر الدماء، وهذا يخالف حكمة الله في القصاص، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩]

مفهوم مخالفة قتل الجماعة بالواحد، ينبغي أن نتطرق إلى مفاهيم عدة في الفقه الإسلامي المتعلقة بالعقوبات وحقوق الإنسان، وتشمل هذه المفاهيم عقوبات الحدود التي تفرض على الأفراد بناءً على جرائمهم، وكذلك مبادئ الدية والقصاص التي تمثل أسساً للعدالة والردع في المجتمع الإسلامي.

تعد مخالفة قتل الجماعة بالواحد من الجرائم الجنائية التي تأتي في سياق حماية حقوق الإنسان والحفاظ على سلامة المجتمع، وتعني هذه المخالفة أن شخصاً واحداً ارتكب جريمة قتل ضد مجموعة من الأفراد، وعلى الرغم من أن الفاعل هو فرد واحد، إلا أنه يعاقب على قتل جماعة من خلال تنفيذ الحد الجنائي الواجب تطبيقه في مثل هذه الحالات.

تأتي هذه العقوبة كجزء من نظام العدالة في الإسلام الذي يسعى إلى منع الجرائم البشعة مثل الإبادة الجماعية وضمان حقوق الأفراد، بفرض هذا الحد الجنائي، ويتم تحقيق مزيج من الردع والعدالة للضحايا وأهاليهم، مما يعزز الأمن والاستقرار في المجتمع.

٢-العقوبات الأخروية:

فضلا عن العقوبات الدنيوية، وضعت الشريعة الإسلامية عقوبات أخروية لمن يعصي أوامر الله ونواهيه القتل غير المبرر وقررت بأن الجزاء تكون من جنس العمل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ [يونس: ٢٧]

(١) ينظر: شرح مختصر الطحاوي: أبو بكر الرازي الجصاص، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠١٠، ٥/٣٧٤/ بدائع الصنائع: المصدر السابق، ٢٣٨/٧، بداية المجتهد: ابن رشد، ٤/١٨٢/ منح الجليل: محمد عليش، ٩/٢٦/ الحاوي الكبير: لماوردي، ١٢/٢٩/ أسنى المطالب: زكريا الأنصاري، ٤/١٧/ المغني: المصدر السابق، ١١/٥٧٩/ كشاف القناع: البهوتي، ١٣/٢٢٨/

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَكَهُوَ خَيْرٌ قَمِيهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التقصص: ٨٤]

تدل الآيات السابقة على أن فاعل السيئة يعاقب على فعله، لأنه عصى الله ورسوله وأذنبه، والذنب لا يخلو من العقوبة البتة إلا إذ غفر الله له، وهي غير مقدرة كالعقوبات الدنيوية.

المبحث الرابع: طبيعة المسؤولية الجنائية عن جريمة الإبادة الجماعية

تمهيد

فمما لا شك فيه أن الحضارة الإسلامية وقد ترعرعت في ربوع البلاد الواسعة التي انتشر الإسلام فيها كان من أهم ظواهرها إقامة العدل على أساس مبادئ الإسلام السامية، وكان بديهيًا أن يعنى الفقهاء ببحث المشكلات الجنائية في ظواهر الإجمام المختلفة، كما عرضوا لبحث مدى الحقوق والالتزامات في أخذ الناس وعطائهم ومعاملاتهم المختلفة، فبديهي أنهم عرضوا لبيان أنواع الجرائم سواء أصابت الأمة في مجموعها أو أصابت الفرد في نفسه أو ماله أو ضررا أخرى، فمن خلال كتابة هذا المبحث ساكشف طبيعة المسؤولية الجنائية التي تقع على النفس والجرائم التي تقع على المال والجرائم التي تقع على معنوية الإنسان في الإبادة الجماعية وفق التفصيل الآتي:

المطلب الأول: تعريف المسؤولية الجنائية

تعريف المسؤولية الجنائية

أولاً: المسؤولية في اللغة

المسؤولية مصدر من ساءل يسائل فهو مساءل، في اللغة لها عدة معان منها:

١- والمسؤولية: هي المؤاخذة، أي العقوبة أو التهديد بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَّيَاكَ لَنَسَّأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]

٢- الإستخبار وطلب المعرفة عن أمر ما: تقول سأل بعضهم بعضاً وسألته عن الشيء: استخبرته.

٣- المحاسبة: تقول: سأله عن كذا، أي: حاسبه عليه وآخذه .

٤- الاستعطاء: تقول: سأله، أي: طلب معرفته وإحسانه^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿..... وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ

[محمد: ٣٦]

ثانيا: المسؤولية في الاصطلاح

بعد مراجعة بعض المصنفات الفقهية وجدت أن الفقهاء لم يستعملوا اصطلاح المسؤولية، وإنما تكلموا عن أهلية الشخص لتوقيع العقوبة عليه، أما في الكتب الحديثة فقد وجدت تعريفات عدة للمسؤولية منها:

١- "المسؤولية هي حالة للمرء يكون فيها صالحاً للمؤاخذة على أعماله ملزماً بتبعاتها المختلفة"^(٢).

٢- "المسؤولية هي كون الشخص مطالباً بتبعات تصرفاته غير المشروعة"^(٣).

٣- "المسؤولية تعني إلزام شخص بضمان الضرر الواقع بالغير، نتيجة لتصرف قام به"^(٤).

الخلاصة: وبعد عرض التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمسؤولية يتضح لنا أن من معاني المسؤولية اللغوية الاستفادة لفظ المؤاخذة، وهو لفظ له صلة وعلاقة بالمعنى الاصطلاحية للمسؤولية، وهي بمجملها تدور حول ضمان الشخص ما أحقه بالآخرين من أضرار.

التعريف المختار: بعد عرض ما سبق يمكنني تعريف المسؤولية كالآتي:

المسؤولية هي: كون المكلف مؤاخذاً بتبعات تصرفاته غير المشروعة.

تعريف الجنائية في اللغة والاصطلاح:

ثالثا: الجنائية في اللغة

هي الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة، وهي اسم لما يجنيه المرء من شر اكتسبه، يقال جنى عليه قومه جنائياً أي أذنب ذنباً يؤاخذ عليه، والظاهر أن الجنائية مصدر لا يستعمل إلا في اكتساب محذور، وإن كان فعله الثلاثي يستعمل في غير ذلك، نحو جنى الثمرة أي تناولها من شجرتها، واجتنى القوم ماء المطر أي وردوه فشربوه وسقوه ركايمهم، وأجنى النخل أي حان له أن يجنى وأجنت الأرض كُثر جناها^(٥).

(١) ينظر: تاج العروس: الزبيدي، ١٥٧/٢٩/تهذيب اللغة: المصدر السابق، ٤٧/١٣

(٢) العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع: محمد بيبصار، دار الكتاب-بيروت، ١٩٧٣، ٢٤

(٣) موانع المسؤولية الجنائية في الشريعة الإسلامية والتشريعات الجزائية العربية: مصطفى الزلمي، دار وائل للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ٦

(٤) معجم لغة الفقهاء: محمد رواس، ٤

(٥) ينظر: لسان العرب: المصدر السابق، ١٥٧/١٤/المصباح المنير: الفيومي، ١١٢/١

رابعاً: الجناية في الاصطلاح

عرفها الحنفية بأنها: "اسم لفعلٍ محرم سواء كان في مالٍ أو نفسٍ"^(١)
عرفها المالكية بقولهم: "الجناية ما يحدثه الرجل على نفسه أو غيره مما يضر حالاً أو مالاً"^(٢)
عرفها الشافعية بأنها: "القتل والقطع والجرح الذي لا يزهق ولا يبين"^(٣)
عرفها الحنابلة بقولهم: "الجناية هي التعدي على بدن الإنسان بما يوجب قصاصاً أو مالاً"^(٤)
الخلاصة: بعد إيراد المعاني اللغوية والاصطلاحية للجناية يتضح لنا أن تعريفات الفقهاء للجناية متقاربة إلى حد كبيرٍ من تعريفات اللغويين لها، وهي تدور بمجملها حول تعدي الإنسان وما يترتب عليها من أحكام شرعية.

التعريف المختار: أرى أن تعريف الحنفية للجناية هو تعريفٌ جامع مانع .

نص التعريف المختار: (الجناية اسم لفعلٍ محرم سواء كان في مالٍ أو نفس)

خامساً: تعريف المسؤولية الجنائية

عرفت المسؤولية الجنائية: بأنها "تحمل العواقب والمسؤوليات القانونية التي تنتج بسبب القيام بأركان الجريمة، ويتمثل الالتزام الجنائي بالعقوبة أو الإجراء الاحترازي اللذين حددهما المشرع الجزائري عند إثبات مسؤولية الشخص عن مسؤوليته"^(٥).

المطلب الثاني: صور المسؤولية الجنائية

الفرع الأول: الجناية على النفس في الفقه الإسلامي

تناولت الشريعة الإسلامية في مختلف مصادرها مبادئ عامة عاجلت فيها موضوع الجرائم التي تقع على النفس، وفي مقدمة هذه المبادئ مبدأ المسؤولية الشخصية أو ما يسمى بمبدأ شخصية العقوبة فبموجب أحكام الشريعة الإسلامية لا يتم إنزال العقوبة إلا بالجاني فهو وحده يتحمل المسؤولية الجنائية، وبهذا المبدأ تكون الشريعة الإسلامية قد هدمت الإبادة الجماعية التي وقعت تحت نظام الثأر والانتقام في عصر الجاهلية

(١) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشُّلبي: عثمان بن علي بن محجن البارعي، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط١، ١٣١٣، ٦٧/٦

(٢) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: الخطاب، ٢٧٧/٦

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين: النووي، ١٢٢/٩

(٤) منتهى الإرادات: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٩، ٥/٥

(٥) مفهوم الأهلية في قانون العقوبات العراقي: د. كريم سلمان كاظم التميمي، ٤-٧

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِيَاتِ))^(١).

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: ((لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ اللَّهُ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ))^(٢).

المطلب الثالث: عقوبة مرتكبي الإبادة الجماعية

الربط بين عقوبة مرتكبي الإبادة الجماعية وعقوبة القتل العمد في الفقه الإسلامي يمثل موضوعاً ذات أهمية يكشف عن توجيهات الإسلام في معاملة الجرائم الجسيمة التي تتضمن قتل الأفراد. يُعد القتل العمد والإبادة الجماعية انتهاكاً خطيراً لحقوق الإنسان، إلا أنه هناك اختلافات في السياق والمدى بينهما.

لفهم الربط بين هاتين العقوبتين في الفقه الإسلامي، يمكن تقديم تمهيد يبرز بعض النقاط ذات الأهمية:

١- التشدد في عقوبة الإبادة الجماعية: يشدد الإسلام عقوبة الإبادة الجماعية بسبب خطورتها على الجماعة الإنسانية والمجتمع. فتُعد الإبادة الجماعية جريمة كبرى يعاقب عليها بشدة، إذ تستهدف إزالة فئة بأكملها وتدميرها.

٢- القتل العمد والنية المباشرة: يتطلب القتل العمد وجود نية مباشرة للقتل. في حالة الإبادة الجماعية، يمكن أن تكون النية مباشرة أو غير مباشرة، إذ يكون الهدف تدمير الفئة وليس الأفراد بشكل فردي.

٣- الدور الاجتماعي والسياسي: تتعلق الإبادة الجماعية غالباً بأهداف سياسية أو اجتماعية، إذ يتورط فيها أكثر من فرد وتكون مدروسة ومنظمة. يمكن أن تتضمن عمليات القتل العمد أفراداً يعملون بمفردهم.

الفرع الأول: عقوبة القتل العمد

اتفق الفقهاء على أن عقوبة القتل العمد هي الْقِصَاصُ من القاتل، بشرط أن يكون المقتول حُرّاً مسلماً، إلا أن يعفو أولياء المقتول، ويقبلوا الدية، وهي: مائة من الإبل، أو بما يتصلحون عليه^(٣).

أ- تعريف القصاص

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، رقم (٦٨٥٧)، والمسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، رقم (٨٩).

(٢) أخرجه النسائي في سنن الكبرى (٣٩٨٧)، الترمذي في سننه (١٣٩٥)، وقال الترمذي: هذا أصح من الحديث المرفوع، وابن ماجه في سننه (٢٦١٩)، وقال المحقق: الزوائد إسناده صحيح ورجاله موثقون، والبيهقي في سنن الكبرى (١٥٨٧٠)، وابن العساكر في معجم الشيوخ (٣٥٣)،

(٣) ينظر: المغني: المصدر السابق، ٨/٢٦٠-٢٦٢.

اليد والرجل عشر من الإبل، وفي السنّ خمس من الإبل، وفي الموضحة خمس من الإبل، وأنّ الرجل يقتل بالمرأة ، وعلى أهل الذهب ألف دينار^(١).

ثانياً: أنواع الدية

تختلف الدية ومقدارها بحسب اختلاف نوع الجناية وصفة المجنيّ عليه. فهناك دية النفس ودية الأعضاء، كما أنّ هناك دية مغلّظة ودية غير مغلّظة، فدية العمد إذا سقطت القصاص بسبب من أسباب سقوطه كالغفو، أو عدم توفّر شرط من شروط القصاص أو بوجود شبهة، فيجب دية مغلّظة، كما أنّ دية شبه العمد مغلّظة ، ودية الخطأ وما يجري مجراه دية غير مغلّظة^(٢).

ثالثاً: الجناية على مادون النفس

موجبات الدية في الاعتداء على ما دون النفس ثلاثة أقسام، وهي إبانة الأطراف، وإتلاف المعاني، والشجاج والجروح.

القسم الأول: إبانة الأطراف أي قطع الأعضاء.

اتفق الفقهاء في الجملة على أنّ في قطع ما لا نظير له في بدن الإنسان كالأنف واللسان والذكر والحشفة والصّلب إذا انقطع المنيّ ، ومسلك البول ، ومسلك الغائط ديةً كاملة^(٣).

القسم الثاني: دية المعاني والمنافع

الأصل في دية المعاني - فضلاً عمّا ورد في بعضها من نصوص - أنّه إذا فوّت جنس منفعةٍ على الكمال، أو أزال جمالاً مقصوداً في آدميٍّ على الكمال يجب كلّ الدية، لأنّ فيه إتلاف النفس من وجه، إذ النفس لا تبقى منتفعاً بها من هذا الوجه، وإتلاف النفس من وجهٍ ملحق بالإتلاف من كلّ وجهٍ في آدميٍّ تعظيماً له^(٤).

(١) أخرجه النسائي في سننه الصغرى (٤٨٥٣)، والدارمي في مسنده (١٦٦١)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٠١)، والبيهقي في سنن الكبرى (٧٢٥٥)، والحاكم في المستدرک (١٤٤٧)، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ كَبِيرٌ مُفَسَّرٌ فِي هَذَا الْبَابِ يَشْهَدُ لَهُ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَقَامَ الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الرَّهْرِيُّ بِالصَّحَّةِ

(٢) ينظر: بدائع الصنائع: المصدر السابق، ٢٥٧/٧ / مواهب الجليل: الخطاب، ٢٦٦/٦

(٣) ينظر: تحفة الفقهاء: علاء الدين السمرقندي، ١٠٨/٣ / التبصرة: علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي، ت: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠١١، ١٣ / ٦٣٧٩ / الحاوي الكبير: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٢، ١٩٩٩ / ٢٨٦ / المغني: المصدر السابق، ٣٣١-٣٣٢

(٤) ينظر: مختصر القدوري: أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، ت: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧، ١٨٨ / التبصرة: المصدر السابق، ٦٣٨٠ / ١٣

القسم الثالث: دية الشجاج والجراح

الشجاج ما يكون في الرأس أو الوجه، والجراح ما يكون في سائر البدن^(١).

رابعاً: التعويض

وقد رأينا أن الفقه الإسلامي كان قد اهتم بشكل كبير مسائل التعويض وإيقاع المسؤولية التقصيرية سواء على المستوى الخاص أو العام استناداً لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

التعويض في اللغة والاصطلاح

التعويض في اللغة: مأخوذ من العوض وهو كل ما أعطيته من شيء فكان خلفاً، يقال عوضه تعويضاً أي: أعطاه العوض، واستعاض أي طلب العوض^(٢).

التعويض في الإصطلاح

وهو "الضمان ووجوب رد الشيء الذي أتلّف أو تعرض للهلاك وإبداله بمثله أو بنفس قيمته، وعرفه آخرون بصيغة أخرى وهو الغرامة للتالف أو الزام الشخص بتعويض ماتم إتالفه أو ماضيعه وقد يكون التعويض جزئياً أو كلياً"^(٣).

وله تعاريف أخرى منها قولهم وهو "المال الذي يحكم به على من أوقع ضرراً على غيره في نفس أو مال أو شرف"^(٤).

التعريف الأخير هو التعريف المختار عند الباحث.

الأدلة على مشروعية التعويض

فمن الكتاب: قَالَ تَعَالَى: ﴿... فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلْ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾ [البقرة:

[١٩٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا...﴾ [الشورى: ٤٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ [النحل: ١٢٦]

وجه الدلالة

من هنا نجد أن النصوص القرآنية توجب مبدأ المماثلة بين الضرر وما يجبره، كل آية يدل على مشروعية

(١) ينظر: المبسوط: المصدر السابق، ٧٣/٢٦/التبصرة: المصدر السابق، ١٣/٦٣٩٤/الحاوي: المصدر السابق، ١٢/١٤٨/المغني: المصدر السابق، ٤٣٥/٨

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس، ٤/١٨٨/تهذيب اللغة: المصدر السابق، ٤٤/٣

(٣) نظرية الاستحقاق في الفقه الإسلامي والقانون المدني: دكتور محمد احمد كه زنه بي، دار النهضة العربية- القاهرة، ٢٨٧

(٤) المسؤولية المدنية والجناحية: محمود شلتوت، مطبوعات الأزهر للنشر والطباعة، ٣٧

التعويض وإن كانت تحمل معان وأحكاما أخرى.

فمن السنة والآثار

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَحْسَبُهُ قَالَ: إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسَلَّمْنَا فَقَالُوا: صَبَأْنَا صَبَأْنَا وَجَعَلَ خَالِدٌ بِهِمْ قَتْلًا وَأَسْرًا قَالَ: ثُمَّ دَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرًا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ يَوْمًا أَمَرْنَا فَقَالَ لِيَقْتُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ أَسِيرَهُ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ أَحَدٌ مِّنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ. قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ مَا صَنَعَ خَالِدٌ قَالَ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ))^(١). قال أهل السير فدعا رسول الله ﷺ - علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: ((يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك)) . فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه لودى لهم ميلعة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ حين فرغ منهم: ((هل بقي لكم مال لم يؤدّ إليكم؟)) قالوا: لا. قال: فإني أعطيتكم من هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله ﷺ - مما لا يعلم ومما لا تعلمون . ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: ((أصبت وأحسن))^(٢).

فهذا الحديث يوضح لنا أن رسول الله ﷺ - قد وضع قاعدة مستقرة تعلن مسؤولية الدولة عن تصرفات وأخطاء عمالها أو جيشها أثناء مباشرتهم لمهام الوظيفة سعيا منه لرفع ما حاق بالأفراد من ظلم وتعسف نتيجة خطأ عمال الإدارة أثناء ممارستهم للمهام المنوطة بهم، وما يؤكد هذا ورود آثار كثيرة من الصحابة - رضي الله عنهم - بعد وفاة النبي ﷺ - منها:

عن زيد بن وهب قال: خرج عمر ويدها في أذنيه وهو يقول: يا لبيكاه! يا لبيكاه! قال الناس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نहर حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفنا، فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلا يعلم غور النهر، فأتى بشيخ فقال: إني أخاف البرد، وذلك في البرد، فأكرهه فأدخله فلم يلبثه البرد فجعل ينادي: يا عمراه! فغرق، فكتب إليه فأقبل فمكث أياما معرضا عنه - وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك - ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين! ما تعمدت قتله، لم نجد شيئا نعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ففتحننا كذا وكذا، فقال عمر: لرجل مسلم أحب إلي من كل شيء جئت به، لولا أن تكون

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، رقم(٤٣٣٩)

(٢) ينظر: المغازي: الواقدي، ٣/٨٨٢/ السيرة النبوية: المصدر السابق، ٢/٤٣٠/ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ابن حبان، ١/٣٤٢/

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: البيهقي، ٥/١١٤

سنة لضربت عنقك فأعط أهله ديتته واخرج فلا أراك^(١). وهذا يدل على أنه ليست في الشريعة الإسلامية ظاهرة التمييز أو التفرقة بين الأفراد من حيث مدى خضوعهم للتعويض والضمان من عدمه فالكل سواسية أمام الشريعة، وبالأخص في موضوع المسؤولية بدءاً من الخليفة إلى أصغر فرد من الناس، ومن ذلك أن الإمام علي-رضي الله عنه- كان يرى أن الخليفة يكون ضامناً لكل الأضرار الناشئة عن أعمال السلطة العامة، فقد روي أن عمر -رضي الله عنه- ذكرت عنده امرأة معيبة بسوء فأرسل إليها رسولا فأجهضت ذا بطنها في الطريق من فزعها منه، فاستشار الصحابة -رضي الله عنهم- في ذلك فقال عثمان، وعبد الرحمن -رضي الله عنهما- إنما أنت مؤدب ولا شئ عليك، فقال لعلي -رضي الله عنه- ما تقول؟ فقال إن اجتهدا فقد أخطئا وإن علما فقد غشاك، عليك الدية، فقال عزمت عليك لتقسمنها على قومك، يعني على عاقلي ولم ينكر عينهما عثمان ولا عبد الرحمن^(٢).

وتوجد أدلة كثيرة في الفقه الإسلامي على أن إمام المسلمين أو الدولة أو السلطان مسؤول عن الأفعال الضارة الناشئة عن السلطة والحكم وخاصة في القتل والإبادة الجماعية التي وقعت في أي ظروف تحت أي مسمى، فيجب على السلطة أن يعوّض المتضررين كما فعل رسول الله -ﷺ- مع بني جذيمة.

المطلب الرابع: الأضرار المادية والمعنوية وتعويضها

الأضرار المادية والمعنوية التي تنجم عن الإبادة الجماعية وكيفية تعويضها تعتبر موضوعاً ذو أهمية كبيرة في الفقه الإسلامي وفي السياقات القانونية والإنسانية. إن الإبادة الجماعية تمثل جريمة بشعة تسفر عن أضرار هائلة تمس الأفراد والمجتمعات بشكل عام.

الفرع الأول: الأضرار المادية

الأضرار المادية: الإبادة الجماعية تترتب عليها آثار مادية خطيرة، مثل دمار الممتلكات والبنية التحتية والموارد الاقتصادية. كما يمكن أن تتأثر الاقتصادات المحلية بشكل كبير نتيجة لهذه الأضرار.

شروط الضمان في الأفعال الضارة بالأموال:

١- أن يكون ضابط التعدي هو الشرع أو العرف: وذلك لأن المجاوزة مفهوم مطلق تجلب النزاع بين المتخاصمين فيقيد بما عدّه الشرع في التعدي المنصوص عليه وبما عدّه العرف الصحيح في مال ينص عليه من التعدي.

(١) أخرجه البيهقي في سنن الكبرى (١٧٥٥٥)، والذهبي في المذهب (١٣٦٨٣)، وقال الذهبي: هذه قصة منكرة على نظافة الإسناد، والهندي في كنز العمال (٤٠١٨٩)

(٢) ينظر: الأم: المصدر السابق، ٦/٩٣/المجموع شرح المذهب: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر-

بيروت، ١٤٤/١٩

٢- أن يكون الضرر إما بالقول أو الفعل أو الترك: وذلك بتعميم معنى الأفعال الضارة إذ إنها لا تنحصر على الفعل فحسب بل وتشمل القول والترك. والأقوال الضارة كالأفعال وكذلك التروك الضارة فإنها بمكانة الأفعال.

٣- أن لا يوجد للضرر أو التلف سبب آخر غيره سواء أكان بالمباشرة أو سبب: وذلك للتفريق بين الإشتراك والإفراد في إلحاق الضرر بالفعل، ولأن لكل واحدة من هاتين الحالتين حكمها.

٤- أن لا يتخلل بين السبب وبين الضرر فعل فاعل مختار، وإلا أضيف الضمان إليه لا إلى السبب وذلك لمباشرة: للتمييز بين المباشرة والتسبب في إحداث الفعل الضار، ولأن الحكم أي الضمان مضاف إلى المباشر وإن لم يتعمد وليس إلى المتسبب إلا إذا كان متعدياً.

٥- أن يكون المتلف بالأفعال الضارة مالا: لأن إتلاف ما لا يعد مالا في الشرع كالميتة والدم لا يضمن.

٦- أن يكون المتلف بالأفعال الضارة متقوما بالنسبة للمتلف عليه: وغير المتقوم كالخمر والخنزير بالنسبة للمسلم، فإتلاف غير المتقوم لا يرتب ضمناً.

٧- أن يكون التلف أو الضرر محققاً بشكل دائم: وذلك لإخراج الضرر المتوقع أو الضرر اليسير الذي لا يؤثر في العين أو الضرر المؤقت.

٨- أن يكون المتلف من أهل وجوب الضمان عليه: وذلك لأن التلف أو الضرر الصادر عن البهائم لا يوجب الضمان على مالها إلا إذا تعدى أو قصر، لأن فعل العجماء جبار^(١).

الأدلة على تحريم مال المسلم أو الإعتداء عليها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا

مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً

عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦١]

(١) ينظر: مجمع الضمانات في مذهب الإمام العظم أبي حنيفة النعمان: أبو محمد بن غانم بن محمد، ت: محمد أحمد سراج وعلي

والإحجام، مولدة لديه ضعف القدرة على الفعل فضلاً عن الركود والعدائية.

ثانياً: أسباب الاضطرابات النفسية

ومع تواجد الاضطرابات النفسية التي تسببها الحروب فإنها تؤدي بالتالي إلى فقدان الكثير من المنطلقات البشرية عندما تنتهي الحروب.

١- الشخصية الإنسانية

لقد ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر الكائنات الحية، وجعله المعمر لهذه الأرض لما حباه من نعمة العقل والتفكير والتبصر.. إلا أن سلوك هذا الإنسان معقد لأنه ينشأ عن شخصية ذات تركيب عضوي، منها ما هو جسمي ونفسي واجتماعي وانفعالي تعيش في بيئة مادية ومناخية، وتؤثر فيها العوامل البشرية بشكل كبير ولا نستطيع أن نعزل هذه التركيبات عن بعضها فهي تتفاعل فيما بينها في حركة دائمة مستمرة.. ويكون سلوك الإنسان نتاج هذا التفاعل الجسمي العقلي النفسي الاجتماعي الانفعالي.

٢- التأثير النفسي بالحرب

تجر الحروب عادة الدمار للإنسان من نواحي اقتصادية واجتماعية ونفسية.. ويتأثر الإنسان بها كثيراً فقد تشعره بالعجز وعدم القدرة على العمل.. وتجعله ذاتي التفكير مستسلماً لوساوس قهرية لديه تتعلق بمستقبله وحياته وحياءه من حوله فيكون عاجزاً عن المساهمة في بناء مجتمعه متأثراً بالعديد من الإحاطات التي تورثها كوارث الحروب.

وتسبب الحروب العديد من الاضطرابات والأمراض النفسية للأفراد، وقد تسبب هذه الأمراض النفسية أمراض جسمية فتصيب شريحة كبيرة من الناس وهذا ما حدث في الكثير من المجتمعات ومنها أوروبا أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية، فزاد عدد المصابين بالاكتئاب والقلق وأمراض القلب والمعدة وغيرها^(١). وحصل ذلك أيضاً في المجتمعات العربية، ففي لبنان مثلاً وبعد الحرب الأهلية انتشرت الأمراض السيكوسوماتية أو (النفسية الجسمية) فازدادت نسبة الإدمان على المخدرات، وبدأت العديد من المهن الجديدة بالتواجد، كما كثرت الخلافات الزوجية وارتفعت نسبة الطلاق، وازداد عدد حاملي السلاح، وكل هذا جاء نتيجة وجود القلق والذي يعاني منه ٦٨% تقريباً، والمخاوف يُعاني منها ٩٠%، والإرهاق والضغط النفسية والتي يُعاني منها ٨٠%، وكذلك الأرق ويُعاني منه ٣٥%، وحالات الانهيار والاضطرابات الجسدية الوظيفية^(٢).

(١) ينظر: موقع عربي بوست: كيف عانى الجنود وأطفالهم نفسياً فترات طويلة رغم توقف المعارك، تأريخ الوضع:

٢٠٢٣/١/٩/المراجعة: ١٤/٠٦/٢٠١٩

(٢) ينظر: نحو استراتيجية عربية لمواجهة الصدمات دراسة مقارنة بين النموذجين اللبناني والكويتي: د. عبد الفتاح دويدار -

ومن الأمثلة على تأثيراته ما حدث للمشاركين الأمريكيين أيام حرب فيتنام في السبعينات، إذ أن غالبية من اشتركوا في هذه الحروب من الجنود والمتطوعين وغيرهم أصيبوا بالعديد من الأمراض النفسية، ولعل أهمها الهلوسات السمعية والبصرية، واضطرابات النوم والكلام، وأمراض المعدة.. وكل هذه الأمراض جاءت بعد أن شاهد هؤلاء المشتركون في المعارك حجم الدمار والضحايا والتعذيب الذي تعرض له بعضهم^(١).

تبدأ مقدمات الحالات النفسية المرتبطة بالحرب والقتال في الظهور قبل نشوب القتال نتيجة للتوتر والقلق الذي يُصاحب فترة الانتظار والترقب.

فقبل الحرب تلعب الحرب النفسية دوراً كبيراً وتساهم في تفشي الضجر والعصبية الزائفة.. وسيطرة مشاعر الخوف والرهبة تظهر الكثير من الأعراض المرضية كسرعة خفقان القلب واضطرابات النوم والصداع.. وهذه نتيجة للحالة الانفعالية في فترة الانتظار التي تسبق المعارك.

مما تساهم طول المدة التي يعيشها الإنسان وهو يتربص ما سيحدث وتنبؤاته بشكل الحرب التي من الممكن أن تشن عليه.. هل سيتعرض للغازات السامة؟ وما هي كمية الصواريخ التي ستسقط على مدينته؟ وكيف ستكون الغارات الجوية؟ وما هو مصيره ومصير أسرته؟ كل هذه التساؤلات ومحاولة الإجابة عليها لها تأثير سيئ من الناحية النفسية.

إذ يلاحظ ذلك على الأفراد من خلال فقدان روح المرح والدعابة والكآبة التي تبدو على الوجه إضافة إلى التوترات الانفعالية.. هذا كله يحدث قبل بداية الحرب.

ثالثاً: أهم الاضطرابات النفسية التي تخلفها الحروب

١- الأمراض العصبية (النفسية):

ومن أمثلتها:

أ- القلق: وهو من الأمراض العصبية الشائعة، ونجده منتشراً وقت الأزمات، وهو مرض قديم لم يخل منه أي مجتمع من المجتمعات إلا أن الكثير يرون أنه مرض العصر، وفي حالة القلق تسيطر على الشخص مشاعر الخوف والاكتئاب والشعور بالعجز عن اتخاذ قرارات حاسمة.

ب- المخاوف المرضية (فوبيا): ويعده الكثير من الأطباء جزءاً من القلق.. وقد تكون مسببات القلق أيضاً مماثلة لأسباب الفوبيا.. وهي حالة خوف شديدة تُصيب الإنسان ليس له ما يبرره على الرغم من معرفة المصاب بهذا الشعور ومن الموضوعات التي تُشكل خوفاً مرضياً عند المصاب بالفوبيا.. الخوف من الأماكن المرتفعة أو الفضاء أو الأماكن المغلقة والظلام ومواجهة الناس والتحدث إليهم.

جامعة الاسكندرية، د. حسن الصديق - الجامعة اللبنانية، ٣٠-٥٠

(١) موقع الجزيرة، حرب الفتنام، تاريخ الوضع: ٢٠٠٩/١٠/١ / تاريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٥/٤

ج- الاكتئاب: يختلف الاكتئاب عن القلق في كونه يتجه إلى الماضي وتداوياته.. وبعض أشكال الاكتئاب يؤدي إلى تخريب الوظائف الشخصية الأخرى كالتفكير.. ويبدأ الفرد المصاب به تتجه نحو ذاته فتسيطر عليه الهواجس والتي تبين لهم بأنها لا نفع لهم في هذه الحياة.. وقد يتحول هذا المرض العصابي إلى مرض عقلي أو ذهاني إذا أستسلم له.

د- الهستيريا: ومن أعراضها كثرة الشكاوي الجسمية والتي يعتقد المصاب بها عجز الطب عن علاجه.. وكثرة هذه الشكاوي قد تُصيب صاحبها بعدة أشكال من الهستيريا كالعَمى الهستيريا والتشنج وفقدان الذاكرة.

ومن مسببات هذا المرض الإحباط الذي يواجهه الفرد، والعجز التام عن مواجهة المشكلات، والتجارب المريرة التي يمر بها فيصبح عاجزاً عن التكيف معها.. وقد يكون هذا المرض النفسي عبارة عن تطور القلق لدى الفرد^(١).

هـ - عُصاب الحرب: وله العديد من التسميات مثل إعياء العركة أو صدمة القنبلة أو تعب العمليات.. ويأتي هذا العصاب بسبب الضغوط النفسية التي يلقاها الفرد.. وكانت الحربين العالميتين الأولى والثانية اختباراً للقوة النفسية لأعداد كبيرة من الناس جسم الإنسان يقوم بما يُسمى (باستجابة الاستنفار) وفيها تستفز الدفاعات الفزيولوجية للجسم بشكل كبير قد لا يحتمله جسم الإنسان فيتعرض للتعب والإرهاك وتنهار دفاعاته ثم يصبح عاجزاً معرضاً للمرض.

٢- الأمراض الذهنية:

الذهانيون هو ما يطلق عليهم في مجتمعاتنا بالمجانين.. وهم مرضى عقليين.. وعادة ما يكونون خطرين وعاجزين عن العمل والتكيف مع الحياة.. ومن أنواعهم:

أ- مرضى الفصام أو الشيزوفرنيا: وقد يكون هذا المرض متطوراً من الاكتئاب فصاحبه، يفقد صلته بالواقع ويعزف عن الاتصالات الاجتماعية.. فكللماته غير مفهومة ومبهمة، وللصام أنواع منها:

ب- فصام الاضطهاد: ويأتي من الغيرة الكثيرة، وكثرة الشك في الآخرين ونواياهم فالمرضى يشعر بالاضطهاد ويشعر بالانتقام، وقد تعتري المرضى موجات من الهياج والاضطراب والغضب.

ج- الجنون الدوري: ويتميز هذا المرض بنشاط المصاب به وكثرة هياجه، أو يشعر المصاب به بموجات من الحزن العميق والبكاء الشديد.. وقد تعتريه فترات يفقد بها ذاكرته ويصعب عليه إدراك ما حوله، فيشعر بالبلادة الذهنية ويعجز عن القيام بأي نشاط حتى أنه قد يستدعي الأمر بأن يتم إطعام المصاب بهذا المرض

(١) ينظر: موقع حكيم نيوز: الاضطرابات النفسية التي تسببها الحروب، د. عبد العليم سعد دسوقي، تأريخ الوضع: ٣١-١٢-

٢٠١٦/٥/٦/٢٠٢٣

بالقوة.. ويخشى على كثير من هؤلاء المرضى محاولة الانتحار.

٣- الأمراض السيكوسوماتية (النفسية الجسمية):

يُعرف العالمان (فايان. ل. روك ودكوستيلو) الأمراض السيكوسوماتية بأنها: "مجموعة الأمراض التي تصيب أجهزة الجسم أو وظائفه وهي عادة تقاوم أشكال العلاج الطبي المعروفة، والتي تعجز عن مقاومتها أو تخفيف حدتها".

وتشكل الأمراض السيكوسوماتية أو النفسية الجسمية النسبة الأعلى في المجتمعات التي تجري فيها الحروب.

ومن أمثلتها:

١- أمراض الجهاز الهضمي:

أ- قرحة المعدة: وهي التهابات في جدار المعدة تكون بأسباب زيادة الأنزيمات الحمضية داخل المعدة، وعادة تكون بسبب ظروف نفسية وانفعالية كالخوف والغضب والتوتر والإحباط.

ب- اضطرابات الإخراج: ويتمثل في الإسهال المزمن أو الإمساك والتبول اللاإرادي وكل هذه تحمل دلالات سيكولوجية.. وتأتي نتيجة الضغوط الانفعالية والاستياء والشعور بالقلق.

ج- فقدان الشهية العصبي: ويأتي ذلك نتيجة الاضطرابات والصدمة الانفعالية المرتبطة بالعقاب أو اللوم أو الخوف^(١).

٢- أمراض القلب والأوعية الدموية:

أ- عصاب القلب: وهو مرض أساسه نفسي، من أعراضه الخفقان وقصر التنفس والتشنج، وهناك العديد من العوامل التي تساعد على ظهوره منها التوتر والصراع الانفعالي، ومنها حدوث الوفاة الفجائية، ومنها الخوف الدائم من الموت.

ب- التوتر الزائد: والتوتر يقود إلى ارتفاع ضغط الدم بسبب وجود القلق الحاد لدى الفرد المصاب به.

ج- الصداع النفسي: وأيضاً تكون مسبباته القلق والشدائد النفسية التي يمر بها الإنسان ولعل من أكبرها الحروب التي تصيب الفرد بالغثيان واضطرابات النوم.

د- الإغماء: ويأتي بسبب الخوف الشديد الذي يولد بدوره انخفاض ضغط الدم وعادة ما يأتي في البعض نتيجة استجابة هستيرية.

٣- أمراض الجهاز التناسلي:

(١) ينظر: موقع حكيم نيوز: الاضطرابات النفسية التي تسببها الحروب، د. عبد العليم سعد دسوقي، تأريخ الوضع: ٣١-١٢-

٢٠١٦/٥/٦/٢٠٢٣

أ- اضطرابات الوظيفة الجنسية: أو العجز الكلي أو الجزئي عن الانتصاب وسرعة القذف، وفي مقدمة أسباب هذا المرض الاضطرابات المرتبطة بالمخاوف النفسية وانعدام الثقة والتجارب النفسية السيئة.

ب- اضطرابات الوظيفة التناسلية: ويقف خلف هذه الاضطرابات وبشكل كبير (عدم الشعور بالأمن) والحروب خير معين لهذا الشعور والتي منها:

* اضطرابات الحمل والولادة.

* عدم انتظام الدورة الشهرية.

٤- أمراض الجهاز التنفسي:

أ- الربو: من مسببات هذه الأمراض غير العضوية الاضطرابات الانفعالية والتي تأتي من عدم النضج الوجداني العاطفي، والحرمان من العطف الأبوي بسبب الطلاق أو الوفاة.

ب- السل الرئوي: أكد البحوث التجريبية الطبية بأن الضغوط والشدائد النفسية وصراعات الجنس والقلق المستمر تؤدي إلى تغيير في إفراز (الأدرينا كورتوزون) والذي له دور في مقاومة جرثومة السل الرئوي مما يفتح المجال أمامها للانتشار وإيجاد المرض.

٥- الاضطرابات الهرمونية وخلل إفراز الغدد:

يرى العالم بيرري أن الغدة الدرقية قد تتسم نتيجة للخوف والرعب ومصاحبته كخفقان القلب والرجفان وجحوظ العينين وتصبب العرق واحتمال الإسهال^(١).

كل هذه الأمراض التي ذكرنا تصيب الإنسان قبل الحروب وأثناءها وبعدها هذه هي نتيجة الحروب والإبادات الجماعية والنزاعات المسلحة، وجاءت الشريعة الإسلامية لتحفظ هذه الضرورات: حفظ النفس والدين والنسب والعقل والمال، وحديثنا عن حفظ النفس، ومن ثم أوجب الشرع العناية بتوفير كل ما تتحقق به حمايتها وبقاؤها، ويقصد بحفظ النفس عصمة الذات الإنسانية من عناصرها المادية والمعنوية، وذلك بإقامة أصلها الذي تعد المحور الذي تدور عليه عمارة الأرض، و يتمثل حفظ النفس في بعدها المادي والجسدي، والمعنوي والروحي.

وللعقل في الإسلام أهمية كبرى فهو مناط المسؤولية، وبه كرم الإنسان وفضل على سائر المخلوقات، وتهياً للقيام بالخلافة في الأرض وحمل الأمانة من عند الله، ولهذا الأهمية الخاصة حافظ الإسلام على العقل وسن من التشريعات ما يضمن سلامته وحيويته ومن ذلك^(٢):

(١) ينظر: موقع حكيم نيوز: الاضطرابات النفسية التي تسببها الحروب، د. عبد العليم سعد دسوقي، تأريخ الوضع: ٣١-١٢-

٢٠١٦/٢/٥/المراجعة: ٢٣/٦/٥

(٢) ينظر: موقع الشاملة: مقاصد الشريعة الإسلامية: منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ١٩

١- أنه حرم كل ما من شأنه أن يؤثر على العقل ويضر به أو يعطل طاقته كالخمر والحشيش وغيرها
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [المائدة: ٩٠]

٢- وقد شرع العقوبة الرادعة على تناول المسكرات، وذلك لخطورتها وأثرها البالغ الضرر على الفرد و المجتمع.
٣- أنه ربي العقل على روح الاستقلال في الفهم والنظر، واتباع البرهان ونبد التقليد غير القائم على

الحجة كما في قوله تعالى: ﴿ أَوْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٢٤]
٤- دعا إلى تنمية العقل مادياً ومعنوياً: مادياً: بالغذاء الجيد الذي يقوي الجسم وينشط الذهن، ومن
هناكره للقاضي أن يقضي وهو جائع، وفضل تقديم الطعام على الصلاة إذا حضرا معا. أما معنوياً: فبالتركيز
على طلب العلم واعتباره أساس الإيمان^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ ﴾ [فاطر ٢٨]

الأدلة كثيرة في القرآن والسنة على بقاء الإنسان الصحي في المجتمع البشري والضمان على من أضر
بالآخرين سواء في السلم أو في الحرب يجب عليه أن يعوض المتضررين.

(١) ينظر: موقع الشاملة: مقاصد الشريعة الإسلامية: منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ٢٠

الفصل الثالث: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد في العراق

المبحث الأول: صور الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد وأسبابها وبيان أصناف
المرتكبين

المبحث الثاني: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد الفيليين و البارزانيين

المبحث الثالث: الإبادة الجماعية بالأسلحة الكيماوية في مدينة حلبجة

المبحث الرابع: الإبادة الجماعية في حملات الأنفال

المبحث الخامس: الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الأيزيديين

المبحث السادس: المجازر المتفرقة في بعض المدن الكوردية

الفصل الثالث: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد في العراق

تمهيد

تجسّدت جريمة الإبادة الجماعية التي ارتكبت ضد الكورد في العراق، تاريخياً، بسياسة حكومات العهد الملكي في العراق، إذ رفضت تلك الحكومات الاستجابة لمطالب الكورد القومية واستخدمت الحلول العسكرية بدلاً من الوسائل السلمية. هذا الاختيار القسري كان الطريقة الوحيدة التي تبعتها تلك الحكومات، مما أدى إلى تفاقم الأزمة الكوردية في العراق لتصبح واحدة من أكثر المشكلات تعقيداً وعمقاً ما لم تستطع القيادات الحاكمة في البلاد حلها على مر الزمن.

حتى بعد محاولة تطبيق الحكم الذاتي التي اقترحت في بداية السبعينات، فشلت القيادات في العراق في تحقيق تسوية دائمة تسهم في تحقيق التعايش السلمي بين القوميتين العربية والكوردية، وذلك ضمن إطار وحدة العراق الوطنية. تظل المشكلة الكوردية واحدة من أبرز التحديات التي تواجه البلاد، حيث تُبرز صعوبة التوصل إلى اتفاق يلي تطلعات الجميع ويحقق العدالة والمصالح لكافة المكونات في العراق. تتوزع المادة العلمية لهذا الفصل على مباحث وهي:

المبحث الأول: صور الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد وأسبابها وبيان أصناف

المرتكبين

في هذا المبحث، سنتناول تفصيلاً صور الإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الكوردي على مر العقود. وسنسلط الضوء على الأحداث والأمثلة التاريخية التي تجسد هذه الجرائم الجماعية بحق الكورد. أسباب ارتكاب الإبادة الجماعية بحق الكورد، سنبحث في جذور وأسباب ارتكاب الإبادة الجماعية ضد الكورد، بدءاً من العوامل التاريخية والثقافية وصولاً إلى العوامل السياسية. وسنقوم بتصنيف الأفراد والجماعات التي ارتكبوها جرائم الإبادة الجماعية ضد الكورد إلى فئات مختلفة.

المطلب الأول: صور الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد

تحت حكم النظام البعثي الفاشي في العراق، عانى الشعب الكوردي من جرائم خطيرة ومؤلمة، تشمل الإبادة الجماعية والاضطهاد الوحشي من الصور الرئيسية لما تعرض له الكورد في تلك الفترة:

١- القتل الجماعي والإبادة: قامت قوات النظام البعثي بحملات قتل جماعي وإعدامات تعسفية ضد الكورد. تم استهداف المدنيين الكورد والنشطاء السياسيين والمعارضين بشكل مستمر. المناطق الكوردية تعرضت لمجازر مروعة تسببت في فقدان حياة آلاف الأشخاص^(١).

(١) ينظر: جدل الهويات وصراع الإلتماثات في العراق وشرق الأوسط: سليم مطر، مؤسسة ره نكي سماء، ٢٩٦-٣٠٠/اضطهاد

٢-الإخفاء والتهجير القسري: نفذت حكومة البعث حملات تهجير قسري للكورد من مناطقهم الأصلية إلى مناطق أخرى. تم استخدام القوة والترهيب لنقل السكان بعيداً عن منازلهم، مما أثر بشكل كبير على حياة الكورد وثقافتهم، وأن عمليات التعريب التي حصلت في عموم المناطق الغربية والشمالية الغربية لكوردستان العراق، تدمير جماعي نفسي لسكنة هذه المناطق على وجه الخصوص، وسعي من قبل الحكومة لاجتثاثهم من أراضيهم، وأفقدهم صفة المواطنة العراقية، فجعلتهم مجموعة من البشر يعيشون تحت ضغوط الاضطراب وعدم الاستقرار الدائم، يشعرون بالقلق الذي غلف حياتهم اليومية، وهذه نتيجة باتت واضحة في توجيهات الحكومة ممثلة بنائب رئيس الجمهورية رئيس لجنة الشمال التي فسر فيها التعريب بأنه إجراء لا يبرر للمعنيين من سكنة محافظات الحكم الذاتي "الكورد والتركماني" الإقامة في كركوك^(١).

إن تهجير الكورد من مناطق سكناتهم الأصلية وتوطين العرب بدلا عنهم سار بالتوازي مع اتجاهات التعريب، وبدئاً بمثله منذ العهد الملكي وأستمر كذلك إلى العهد الجمهوري الأول عبد الكريم قاسم اذ وبين العامين ١٩٦٠ - ١٩٦١ تم تهجير مجاميع كوردية من قرى عديدة في كركوك إلى خارجها واسكان عرب قدموا من باقي المحافظات بدلا عنهم بشكل قسري بعد أن كُلف الجيش آنذاك بمهاجمة قرى كوردية وتدمير ١٥٠ مائة وخمسين قرية وقصبة^(٢)، وهكذا كان الحال، سعت للتهجير ومحاولات لتنفيذ خططها باستخدام القوة، خاصة بعد العام ١٩٦٨ العهد الجمهوري الثالث حيث التوجه الى توزيع قطع أراضي سكنية إلى العرب والشروع بتغيير أسماء المحال السكنية داخل المدن الكوردية بعد تغيير أسماء الأضية والنواحي من الكوردية والتركمانية الأصلية إلى العربية، وفعلت كذلك ذات الشيء فيما يتعلق بالترحيل إذ أجليت عام ١٩٧٥ في جلولاء وحدها ١١٩٣ ألف ومائة وثلاث وتسعون عائلة كوردية من داخل الناحية إلى خارجها، واستمرت في توجهاتها هذه تبعت الكورد جماعات متفرقة على باقي المحافظات العراقية العربية، مستخدمة شتى الوسائل والأساليب التي تخل بالمعايير الإنسانية، وغالبا ما كانت تلجأ إلى تجميع عدة عوائل تضعهم في سيارات خاصة، تحت حراسة مسلحين من الشرطة في عمليات مثيرة تقارب في تفاصيلها ونتائجها سلوك التعامل مع أعداء ليسوا عراقيين^(٣).

٣-قصف حلبجة والقرى الكوردستانية بالسلح الكيميائي: أحد أبرز الأحداث المأساوية كانت

مستمر لأقليات العراق: تقرير مجموعة الدولية لحقوق الأقليات، ٢٠١٠، ٦-٢٠

(١) ينظر: كتاب محافظة التاميم سري وشخصي الرقم ٩٤٦ في ١/٩/١٩٩٨ (الوثيقة الرقم ٢٨ كركوك).

(٢) ينظر: الكورد شعب المعاناة نافذة على واقعهم في لبنان والعالم: صلاح عصام أبو شقرا، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، ط١، ١٩٩٩، ٦٠

(٣) ينظر: كتاب مديرية شرطة محافظة ديالى ١٩٩٣ في ١٣/٣/١٩٩٥ الوثيقة ٦٢.

هجمات النظام البعثي باستخدام الأسلحة الكيميائية ضد المناطق الكوردية، بما في ذلك هجومهم على مدينة حلبجة وعدد من القرى الكوردستانية. مما تسببت هذه الهجمات في مقتل الآلاف وإصابة العديد منهم بجروح جسيمة^(١).

٤- عمليات الأنفال: كانت هذه العمليات عبارة عن حملات عسكرية شاملة قامت بها القوات البعثية ضد الكورد في كوردستان العراق. تم اثرها تدمير مئات القرى والتهجير القسري للسكان، واستخدمت فيها أساليب عنيفة وقمعية^(٢).

٥- المقابر الجماعية: بعد سقوط النظام البعثي، تم اكتشاف العديد من المقابر الجماعية التي تحتوي على رفات الكورد ممن قضاوا جراء الإبادة الجماعية والاضطهاد^(٣). هذا يشير إلى مدى الفظائع التي تعرض لها الشعب الكوردي، وهذه الصور الواضحة والمؤلمة تعكس حجم المأساة التي تعرض لها الكورد في العراق في ظل حكم البعثي الفاشي، وتعزز أهمية العمل على تجنب تكرار مثل هذه الجرائم في المستقبل وتحقيق العدالة للضحايا.

المطلب الثاني: أسباب ارتكاب الإبادة الجماعية بحق الكورد

هناك أسباب ودوافع ارتكاب جرائم الإبادة والتطهير والتهجير ضد الكورد في العراق تشمل:

١- فلسفة حزب البعث وشخصية صدام المنتجة لجرائم الابادة

نظرة فاحصة إلى الواقع الفعلي لادارة الدولة العراقية منذ تأسيسها، والتحكم بالمجتمع العراقي منذ تأطير وجوده في هذه الدولة تبين أنها ادارة وتأسيس وتحكم اعتمدت في غالبية المراحل الزمنية وخاصة زمن حكم حزب البعث العربي الاشتراكي (١٩٦٨ - ٢٠٠٣) بشكل عام وحكم صدام حسين ضمن فترته (١٩٧٩ - ٢٠٠٣) بشكل خاص على السعي لتحقيق ايديولوجية الحاكم "القائد - القيادة"، فالبعث طرح مع بداية سيطرته على الدولة في انقلاب عسكري موضوع الوحدة العربية هدفا وكذلك الحرية هدفا آخر، وعندما اصطدم بواقع تطبيق الحرية السلبي فرض سيطرته المطلقة على الإنسان العراقي، اعطاها أي الحرية تفسيراً يتعد عن التفسير الايديولوجي لها في أدبيات الحزب، وعزز هذا المعنى في اعلامه على أنها التحرر من الاستعمار، وسار على هذا الأساس يجمع الحرية حتى داخل صفوفه واثناء الاجتماعات الحزبية لاعضاءه^(٤).

إن الاهداف التي وضعها الحزب أبان تأسيسه عام ١٩٤٧، وإن جاءت في ظروف سياسية واجتماعية،

(١) ينظر: ذكريات حلبجة: بكر محه صديق، ترجمة حني عبد الكريم، وزارة الثقافة السلیمانية، ط١، ٢٠٠٤، ١٧-٥٠.

(٢) ينظر: عمليات الأنفال في كوردستان العراق: المصدر السابق، ١-٧٠.

(٣) ينظر: العراق دولة المقابر الجماعية: محمد حمه صالح توفيق، بلاكراوه كاني ده زكاي ميداي راجله كين، ط١، ٢٠٢٢، ٥٠-٣٠٠.

(٤) ينظر: المنطلقات النظرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، المؤتمر القومي السادس، تشرين الاول ١٩٦٣، دمشق.

كان المد القومي التحرري في المنطقة العربية على أوجه، بمعنى أن الحزب الذي يريد النجاح وسط ذلك المد، عليه أن يطرح أهداف تفضلها الجماهير المنفعلة، وهي على وجه العموم أهدافا لم يتركها الحزب محبوسة في إصداراته الأدبية وندواته الثقافية والسياسية، بل وحاول تعزيز وجودها نهجا في تفكير الأجيال العراقية من جانب، ومحاولة ترجمتها إلى الواقع التطبيقي من جانب آخر، فعندما غزا صدام الكويت عام ١٩٩٠ وضع تبريرا لغزوه بلافتة عريضة تحت بند الوحدة العربية التي يسعى الحزب لتحقيقها، ولأن الظرف غير مساعد على تحقيقها بالطرق السلمية، فإن الحرب والقوة سبيل آخر للتحقيق، من هنا وعند العودة إلى الفكر الوحدوي للحزب الحاكم ضمن المجتمع العراقي الذي حاول الحزب تطبيق فلسفته في الإدارة على أرضه نجد أن الأمعان في الرغبة بالتوحيد بأية وسيلة كانت هي السائدة خاصة في عشر سنين الأولى التي حكم فيها صدام العراق، فهو يرى أن الوحدة العربية تتحقق من أرض العراق، وهي لا يمكن أن تتحقق إن لم يكن العراق موحدا في الاصل^(١).

لذلك، سعى إلى تحقيق الوحدة من خلال التكامل والتجانس الاجتماعي، فقد عدَّ أن الأقوام غير العربية كأن لم تكن ولا يجب أن تكون لها تأثير كبير في المجتمع العربي الغالب. كما ويعتقد أنهم، بالعيش ضمن إطار الثقافة الاجتماعية العربية، فيجب أن يصبحوا جزءا من الأمة العربية.

٢- طبيعة المجتمع العراقي

إن الصحراء من وجهة نظر عالم الاجتماع العراقي علي الوردي منبع البداوة، والصحراء العربية من وجهة نظره أيضا أعظم منابعها على مستوى العالم، والعراقي حسب رأيه بقي متأثرا بالصحراء، بسبب جغرافيته التي لم تضع فواصل طبيعية تفصل بين تجمعاته السكنية، وبينها صحراء واسعة مثل البحار أو الجبال^(٢). إن مشكلة البداوة من وجهة نظر الوردي وعديد من علماء الاجتماع هي تميزها بالعصبية القبلية، على العكس من نقيضتها الحضارة أو الثقافة الاجتماعية للأمة، وهنا يعرف العلامة الوردي الثقافة الاجتماعية بأنها مجموعة التقاليد والقواعد والأفكار الموجودة في أية أمة من الأمم. وهي تشمل مختلف شؤون الحياة فيها كالدين والأخلاق والقانون والفن والصناعة واللغة والخرافات وغيرها^(٣)، كما يسميها الوردي في كتبه المتعددة، والتي تميزها عن باقي الأمم، ولثلا نذهب بعيدا عن الغاية فان ما يهم دراستنا هو طبيعة المجتمع العراقي فيما إذا كانت تسمح بتمرير حدوث جرائم الإبادة الجماعية؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من العودة الى

(١) ينظر: موسوعة حرب الخليج يوميات الوثائق الحقائق: فؤاد مطر وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١،

١٩٩٤، ٢٠-٣٠

(٢) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: علي الوردي، بيروت، ١٩٦٥، ٢٠-٣٥

(٣) المصدر نفسه: ٣٨

"مسألتين ذات أهميتين هما:

الأولى: مركبات الثقافة البدوية، وعلاقتها بموضع إنتاج أو السماح بارتكاب جرائم إبادة جماعية أي تمريرها.

والثانية: طبيعة الشخصية التي أجمع علماء النفس، على أنها عبارة عن تركيب نفسي يتألف من صفات مختلفة . وعلاقة هذه الصفات بانتاج وتمرير حصول جرائم الابادة الجماعية"^(١).

٣-التعصب القومي

ليس هناك شك في أن لدى كل إنسان ارتباطاً قوياً بأرضه، قبيلته، أو هويته الوطنية، ويميل إلى الحماية والتفاني في خدمتها. هذا الارتباط العاطفي بالوطن أو القبيلة ليس صفة طبيعية فحسب بل هو عامل بناء أساس لتطور المجتمعات. ومع ذلك، يجب أن ندرك دائماً أن هذا الارتباط له حدوده، وعندما يتجاوز هذه الحدود، يمكن أن يتحول إلى عامل تدميري ومدمر، وقد يتسبب في مأساة بالنسبة للمجتمع.

التعصب القومي أو العصبية القبلية أو العرقية المفرطة هي ظاهرة مذمومة وخطيرة. إنها تمثل تفریطاً في هذا الارتباط الإيجابي وتحوله إلى كراهية وتمييز ضد الآخرين. هنا، سأقوم بتسليط الضوء على تأثير التعصب القومي المفرط على المجتمعات، وبالأخص فيما يتعلق بإبادة الكورد في العراق. سأكتشف كيف يمكن لهذا التعصب أن يؤدي إلى أحداث مأساوية وتدهور العلاقات الاجتماعية والسياسية، وكيف يجب على المجتمع الدولي التصدي لهذه الظاهرة الضارة والعمل نحو تعزيز التسامح والتعايش بين مختلف الثقافات والأعراق في المناطق المتأزمة، سأقدم تحليلاً دقيقاً لموقف الإسلام تجاه التعصب القومي.

أولاً: تعريف التعصب

التعصب: من العصبية. والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرته عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا^(٢).
"والعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة. وتعصبنا له ومعناه: نصرناه"^(٣).

تعريف التعصب في الاصطلاح:

يعرف قاموس العلوم الاجتماعية التعصب بأنه "غلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة بحيث لا يدع مكاناً للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة"^(٤).

(١) السلوك الانساني: ابراهيم العمري، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٩، ٥٠

(٢) ينظر: لسان العرب: المصدر السابق، ٦٠٦/١

(٣) تاج العروس: الزبيدي، ٣/٣٨٢

(٤) سيكولوجيا التطرف والإرهاب: اسماعيل عزت سيد، كلية الآداب جامعة الكويت، ١٩٩٦، ٨٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: ٤]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ

صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا

تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [الحجرات: ١١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ السِّتْرِ وَالْوَنُكْرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢]

"فعلّم الله تعالى كل صنف من الإنسان على اختلاف أجناسهم لغة وأقدرهم على فهمها والتكلم بها"^(١)، "فعلى المسلمين أن يتقبلوا آيات الله البينات، فاختلف الألسن في الآية المباركة يعني بطبيعة الحال اختلاف اللغات، وبالتالي يعني اختلاف القوميات والثقافات والآداب والفنون والفلسفات، باعتبار أن اللغة هي الوعاء الحاوي لذلك كله والمؤثر فيه تأثيراً نوعياً وعضوياً، فاللغة ليست مجرد ألفاظ - كما أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة- وإنما هي حقيقة نفسية و عقلية كل ما يكتب بها بميسمها وتطبعه بطابعها"^(٢)

أما اختلاف الألوان فهو تقرير لحقيقة وجود العروق والأجناس التي يتكون منها الجنس البشري، ومن العروق والأجناس تتفرع القوميات المختلفة بألسنتها المتعددة، فكل قومية في التحليل النهائي هي جنس معين بلغة معينة، أما عندما تتحد تلك القوميات في اعتناق دين وعقيدة واحدة فلا يحمي ذلك صفاتها القومية الأصلية بل يكونوا إخوة في الدين، والإسلام لم يمزج الأقسام فيما بينها ليقتضي على تسمية القوم بل سمح لكل مسلم أن يعرف بقوميته، فترك كلا من (بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وجابان الكوردي، وصهيب الرومي) أن يحتفظوا باسم قوميتهم، مثلما لم يبلغ الإسلام الواقع القبلي عندما تجاوزها، لأنه ليس من شروط قيام الأمة إلغاء القبلية فكيف بإلغاء القومية، فيلاحظ من ذلك تكاتف القوميات المسلمة فيما بينهما عندما تشعر بخطر يهدد الإسلام^(٣).

(١) ينظر: صفوة التفاسير: دكتور محمد علي صابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٩٩٧، ٤٣٨/٢

(٢) القومية في القرآن الكريم حقيقة مؤكدة: دكتور محمد جابر، ١٠٢

(٣) موقع دار السيدة رقية: النهج الواقعي في القرآن: د. محمد جابر الانصاري، تأريخ الوضع: ٢٠٠٩/٨/٢، تأريخ

المراجعة: ٢٠٢٣/١٠/١٥

جمع الإسلام العشائر تحت اسم واحد وهو الإسلام، وألف بين قلوبهم ومحا العصبية والجاهلية بينهم، فجمع كل قبيلة يؤدي إلى تكوين مجتمع أكبر منها يمكن أن نسميه القومية، فما دام القرآن الكريم لا ينفي العشيرة والقبلية والشعب كذلك لا ينفي القومية، إن لم تكن مقرونة بالعصبية والظلم والتطرف والاضطهاد، أما إذا اقترنت بالعصبية والظلم والطغيان والاضطهاد، فيكون النهي عن هذه الصفات وليس عن القومية الملتزمة بالعدالة والتسامح والتعايش، لتبقى الإنسانية والقومية حسب فطرة تكوينها خالية من الأحقاد.

ثانياً: موقف الإسلام من التعصب القومي

إن أول ما فعله الإسلام منذ ظهوره هو محاربتة لنهج العصبية الجاهلية والعادات والتقاليد غير الإنسانية، وأهال التراب عليها وحرم على المسلمين أن يحبوا أية نزعة من نزعاتها أو يدعو لها، وانتقد النبي - ﷺ - عيوب قومه قبل أن ينتقد عيوب غيرهم^(١)، ومن الآيات القرآنية المباركة التي تدل على وجود العصبية قبل مجيء الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١]

أي لا يسخر أفراد عشيرة (الرجال والنساء) من أفراد عشيرتهم أو أفراد عشيرة أخرى ولا يسخر أفراد قوم من أفراد قوم آخر والعكس صحيح.

يفهم تعريف العصبية بشكل عام والعصبية القومية بشكل خاص في نظر الإسلام من الحديث النبوي الشريف: عَنْ عَبَادِ بْنِ كَثِيرِ الشَّامِيِّ، عَنِ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا فُسَيْلَةٌ، عَنْ أَبِيهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنَ الْعَصَبِيَّةُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، قَالَ: ((لَا، وَلَكِنْ

(١) ينظر: مهزلة العقل البشري: دكتور على الوردى، ٢٨٩

وشبه النبي ﷺ - كل متعصب بحيوان ردي من علوي وهو ينزع بذنبه، قال النبي ﷺ - : ((مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رَدِي فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنْبِهِ))^(١).

معناه أنه "قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على خلاصه"^(٢). وقد حرم النبي العصبية القومية السلبية صراحة، حيث تبرأ من جميع المتعصبين وجميع أنواع العصبيات وعدها خبيثة يجب الابتعاد عنها، قال النبي ﷺ - : ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ))^(٣).

أي: ليس على طريقتنا وستتنا، من لم يقاتل لله، بل للتعصب والدفاع عن عشيرته حمية الجاهلية إلى ذلك، مات وهو مستمر على التعصب لعشيرته في غير حق، ومن مات في قتال نصره قبيلته، أو غرض من الأغراض الفاسدة والأهواء الركيكة، وحمية الجاهلية، ويدخل في هذا من قاتل لنصرة أميره اتباعاً له، ولا يدري أمحق هو أم مبطل^(٤).

فبما أن العصبية القومية تدخل باب الظلم ونوع من أنواعه، فإنها تأخذ حكمه، لأن الله تعالى وضع عقوبات متعددة بحق الظالمين كل بحسب جرائمهم في الدنيا، فما دامت العصبية من الظلم الذي حرمه الله تعالى فيجب منعها ومكافحة العصبية والمتعصبين بشتى الوسائل، لأن منع العصبية القومية منعٌ لتوليد الظلم والظالمين الذين يقومون بإبادة جماعية والظلم والتخريب والتهديد للبشرية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥١١٧)، قال شعيب الأرنؤوط حديث حسن، وأحمد في مسنده (٤٢٩٢)، والبيهقي في سنن الكبرى (٢١٠٨٠)، والشاشي في مسنده (٢٨٠)، وابن الأثير في جامع الأصول (٧٥٢٤)،

(٢) معالم السنن: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية - حلب، ط١، ١٩٣٢، باب: في العصبية، ٤/١٤٨

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٢١)، وقال شعيب الأرنؤوط: الحديث صحيح بمعناه، والبيهقي في الآداب (١٧٠)، والسيوطي في جامع الأحاديث (١٩٥٢٣)

(٤) ينظر: شرح سنن أبي داود: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي، ت: خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط١، ٢٠١٦، باب: في العصبية، رقم (٥١٢١)، ٣٩٠/١٩

ثم تنظمت، وتسيست، وتمذهبت، وتعصبت لأفكارها، وخاضت من أجلها الصعاب والشدائد والحروب^(١).

ثانيا: على مستوى العقائد وأصول الدين، فقد حدثت خلافات كثيرة بين مختلف طوائف أهل العلم، منذ بداية القرن الأول الهجري وما بعده، فظهرت المعتزلة ونفت صفات الله تعالى وقدمت العقل على الوحي، أي: النقل^(٢).

وظهرت عشرات المذاهب بأسماء مختلفة، تلك الفرق تميزت بأفكار تمذهبت أو تعصبت لها، وحاضت من أجلها المصادمات والمناظرات، وصنفت الكتب انتصارا لمذاهبها، فكان ذلك سببا في ظهور التعصب المذهبي فيما بينها، وانتشاره بين أتباعها.

ثالثا: المذاهب الفقهية، إن الناس في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا متمذهبين، فكان العلماء يجتهدون لاستنباط الأحكام الشرعية، وغير المجتهدين منهم يسألونهم فيما لا يعرفونه، وكان العوام يقلدونهم بلا تمذهب ولا التزام بشخص معين منهم، لذا لم يعرف المسلمون التعصب الفقهي المذموم زمن هؤلاء، ثم تغير الحال في القرن الرابع الهجري وما بعده، حيث انتشر التمذهب الفقهي بين الناس، وصاحبه التعصب المذهبي بينهم، بشكل واسع^(٣).

قد وجد تعصب مذهبي بين مدرستي أصحاب الحديث وأهل الرأي، فالأولى أكثر من استخدام الأثر من الأحاديث النبوية والأقوال السلفية، ومن رجالها الأئمة: مالك والشافعي، وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل، والثانية أكثر من استعمال الاجتهاد القائم على الرأي والقياس، ومن رجالها: الإمام

علمائهم أهم هم المجتمعون على اتباع منهج السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب الفقهية المعتبرة من فقهاء أهل الرأي وأهل الحديث، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وأخذ عنهم طريقتهم بالنقل والإسناد المتصل/طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: محمد يسري، دار القلم، ٢٠٠٧، ٢٢

(١) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٧٧، ١٤-١٠٠

(٢) فرقة أسسها واصل بن عطاء . بعد أن تكلم واصل في حكم مرتكب الكبيرة، فقال : "إنه في منزلة بين المنزلتين " وكان في حلقة الحسن البصري، ثم اعتزله، بسبب هذه المسألة . ثم تطورت عقيدة المعتزلة، فأصبح لهم خمسة أصول مشهورة؛ وهي : العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد، والوعيد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر . ثم تفرقوا بعد ذلك إلى عدة فرق/ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحيى بن أبي الخير العمراني، ت: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض - السعودية، ط١، ١٩٩٩، ٦٨/١، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام: الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت، ٣/٣٧٧

(٣) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة - بيروت، ٨٤-٨٥

والتعصب المذهبي ليس خاصاً بدين الإسلام فحسب، بل وجد في الأديان السماوية والأديان الوضعية كلها، وقد جر التعصب المذهبي إلى التدمير والتطهير والاضطهاد في الماضي لا سيما في القرون الوسطى كالحروب الصليبية وما صاحبها من إبادات فظيعة للمسلمين، وتحدد هذه الإبادة لمسلمي إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، وكذلك الانقسام الديني في أوروبا بل إثر ظهور البروتستانتية بزعامة مارتن لوثر خلال المدة (١٤٨٣ ، ١٥٤٦)، وتصارعها مع الكاثوليكية، وقد وقعت في العقد الأخير من القرن الماضي مذابح عرقية ودينية ليس لها مثيل على الرغم من تأسيس الأمم المتحدة وميلاد الاتفاقية الدولية لمنع ومعاينة مجرمي الإبادة الجماعية للجنس البشري^(١).

٥- التعصب الديني

ضرر التعصب واللاتسامح التي حصلت في تأريخ المسلمين، وحصلت بتأثيرات لها علاقة بالسياسة أو بعوامل ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية، ولا علاقة بالدين الإسلامي. فالمسلمون كغيرهم من البشر لم يكن تأريخهم معصوماً صافياً نقياً من الأخطاء أو الزلات أو العثرات، فقد شهد تأريخهم في أزمنته القديمة والوسيط والحديثة، ظواهر وصفت بالتعصب واللاتسامح حصلت مع المختلفين في الدين، وحتى مع المتفقين في الدين، ولم تعد هذه الظواهر في خافية، وليس هناك من يتكتم عليها، والحديث عنها لا يثير ازعاجاً، ولا يولد قلقاً، بل إن الإزعاج والقلق في عدم الاقتراب منها، والمكاشفة بها.

من هذه الظواهر الدالة على التعصب واللاتسامح، ما عرف في الأزمنة الإسلامية القديمة بفتنة الخوارج التي ظهرت سنة ٣٧ هجرية، ومعها بدأت أخطر ظاهرة حدثت في حياة المسلمين، وهي ظاهرة التكفير التي لم تمح في ذاكرة الفكر الإسلامي، وما زالت إلى اليوم تظهر جماعات تتشبه بها، وتوصف بخوارج العصر. ومن هذه الظواهر كذلك، ما عرف في تأريخ الفكر الإسلامي بمحنة خلق القرآن التي ظهرت في العصر العباسي، في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري، وأحدثت ما أحدثت من أفعال بعيدة عن التسامح، ومن شدتها وصفت بالمحنة، وتعد من أغرب الحوادث التي حصلت في تاريخ الفكر الإسلامي، وبقيت هذه الظاهرة وظلت إلى اليوم موضع مساءلة ومناقشة وذلك لشدة غرابتها من جهة، وقداحتها من جهة أخرى، وغموضها من جهة ثالثة، يضاف إلى ذلك ما حصل مع ابن رشد وسجنه ونفيه وحرق كتبه الفلسفية في أواخر حياته،

(١) جريمة الإبادة الجماعية دوافعها وأشكالها: أ سويسبي محمد الصغير، جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر، مجلة السياسة

في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، وأبرزت التجربة الدينية عند المسلمين ما لا يحصى من الفرق والمذاهب، يجمع بينها الانتساب للإسلام ويفرق بينها الكثير من الآراء إلى حد الصراع المذهبي الذي تميز في كثير من الأحيان بالعنف الصريح، من خلال تعصب كل فريق لرأيه ورفض رأي المخالف له، إلى أن وصل الأمر إلى زندقته وتكفيره وإخراجه من الملة، والمتصفح لآراء بعض هذه الفرق والجماعات يقف على حجم التعصب الديني الذي تميز به أتباع كل فريق، انطلاقاً مما سمي بالفرقة الناجية وهو مفهوم كانت كل جماعة تطلقه على نفسها، وتعد الحق بجانبها، وغيرها على ضلال مبين، لذلك نجد عبد الكريم الشهرستاني يفتتح كتابه بحديث ينسب إلى النبي - ﷺ - يقول فيه: عن أبي عمر قال: ((قال: لي لعلي يا أبا عمر أتدري على كم افترت اليهود قلت: لا أدري قال: على واحدة وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة هي الناجية تدرى على كم افترت النصارى قلت: الله أعلم قال: على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة هي الناجية تدرى على كم تفترق هذه الأمة قلت: لا قال: تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة هي الناجية قال: وتفترق في اثنتي عشرة فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة هي الناجية وإنك من تلك الواحدة))^(١)، الغريب أن كل الفرق والجماعات التي تشعبت عنها التجربة الدينية في تأريخ المسلمين تعد نفسها هي الفرقة الناجية، كما تعد المخالف لها فرقة ضالة ومارقة ومبتدعة، الأمر الذي أدى إلى الكثير من مظاهر التعصب بين أتباعها، وصلت إلى العنف والحروب التي اشتعلت بينهم ولم تنطفئ نارها إلى يومنا هذا، وللأسف لم يتغير شيء وكأن الزمن لا يتحرك في مجتمعاتنا، نفس الصراعات والأزمات التي عشناها منذ ألف وأربعمائة عام هي ما نعيشه الآن، وإن اختلفت الأسماء والألقاب مع الجماعات، وكأن التأريخ لا يتقدم في مجتمعنا، ننتج الخطاب نفسه وندور في المشكلات نفسها، ما يجمع هذه الجماعات عندما تتأمل أديباتها هو خطاب التعصب، ونفور كبير من التسامح وقبول الآخر حتى ولو كان معها في الملة نفسها، وخذ على سبيل المثال الصراع بين الإسلاميين الذين يصل إلى حد تكفير كل فرقة للأخرى أو الحرب بينهم أو الإبادة للمدنيين البسطاء، مثل جرائم داعش في أهل العراق والشام، كل هذه الأمثلة دليل على أن التعصب الديني لا يزال متجذراً في تجربتنا الدينية، وأن أي إصلاح في مجتمعاتنا الإسلامية لا بد من أن ينطلق من تفكيك للخطاب

ثلاثمئة كتاب، منها " إمامة الصديق " و " الرد على المجسمة " و " مقالات الإسلاميين - ط " جزان، و " الإبانة عن أصول الديانة - ط " و " رسالة في الإيمان - خ " و " مقالات الملحددين " ولد في بصرة سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ في بغداد، ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية: عثمان بن عبد الرحمن ابن صلاح، ت: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ٦٠٤/٢، الأعلام: المصدر السابق، ٢٦٣/٤

(١) أخرجه الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٦٤٣) قال ابن عساكر وفيه عطاء بن مسلم الخفار ضعيف، والمروزي في كتاب السنة (٦١)، والحناي في الحانبات (٢٤٩)

الديني المتعصب، من أجل بناء مجتمع إسلامي منفتح قادر على الاندماج في الحاضر والمساهمة بقوة في بناء مجتمع إنساني مشترك^(١).

الإسلاميون الأيديولوجيون المتعصبون، هم ديكتاتوريون بطبعهم ولا يمكن أن يكونوا معتدلين عند وصولهم إلى أي مكانة، فالعصبية والأيديولوجية تقوم على حكم السمع والطاعة للشيخ أو مرشده أو وليه أو رئيسه وعلى الالتزام التام بالفتاوى والاجتهادات الخاطئة والأوامر الصادرة، ثم إن المسلم الأيديولوجي المتعصب لا يهتم بقضايا احتياجات الشعب بقدر اهتمامه بتطبيق الأيديولوجية والتمكين لجماعته وتعزيز تعصبه وتوسيع آرائه التعصبية، ولا يبالي للانتقادات والنصائح الموجهة إليه بالتراجع بل يمضي قدماً في التمسك بآرائه التعصبية مهما كان الثمن في تخريب البلاد و وقوع الحرب والإبادة الجماعية بحق الأبرياء.

قال الشيخ يوسف القرضاوي^(٢) - رحمه الله - في كتابه (الصحة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد):
الخطوط العشرة لترشيد الصحة، أي لنقلها من مرحلة المراهقة والأحلام والطيش أحياناً، إلى مرحلة الرشد والنضج والإتزان، مرحلة الفعل لا الانفعال ولا رد الفعل، هذه هي الخطوط العشرة:

- ١- من الشكل والمظهر، إلى الحقيقة والجوهر.
- ٢- من الكلام والجدل، إلى العطاء والعمل.
- ٣- من العاطفية والغوغائية، إلى العقلانية والعلمية.
- ٤- من الفروع والذبول، إلى الرؤوس والأصول.
- ٥- من التعسير والتنفير، إلى التيسير والتبشير.
- ٦- من الجمود والتقليد، إلى الاجتهاد والتجديد.
- ٧- من التعصب والانغلاق، إلى التسامح والإنطلاق.
- ٨- من الغلو والانحلال، إلى الوسطية والاعتدال.
- ٩- من العنف والنقمة، إلى الرفق والرحمة.
- ١٠- من الاختلاف والتشاحن، إلى الائتلاف والتضامن^(٣).

(١) ينظر: التعصب الديني من جذور أمس إلى تجليات اليوم: عبدالصمد البلغيتي، موقع أنفاس نيت، تأريخ الوضع: الجمعة ٢٠٢٠/٠٥/٠٨، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/١١/١٩

(٢) يوسف عبد الله القرضاوي (٩ سبتمبر ١٩٢٦ - ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٢) عالم مصري مسلم أزهري يحمل الجنسية القطرية، والرئيس السابق والمؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث. ولد في قرية صفط تراب مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية في مصر، يُعد الزعيم الروحي لتيار الإخوان المسلمين حول العالم ومُنظرهم الأول/ السيرة الذاتية: موقع

سماحة شيخ يوسف القرضاوي، تاريخ الوضع: ثلاثاء، ٢٠١٧/١٢/١٢ - ٢٣:٥٤، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/١١/٢٢

(٣) الصحة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد: شيخ يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط٣، ٢٠٠٨، ١٤

عين للمسلمين المشاكل في المقاطع الأولى من السطور، والحل في المقاطع الثاني من السطور.

المطلب الثالث: أصناف مرتكبي جريمة الإبادة الجماعية

ترسخت فكرة المسؤولية في القانون الجنائي الدولي كنتيجة للحروب العديدة التي تركت آثارا مدمرة في المجتمعات، لاسيما في الحربين العالميتين الأولى والثانية، إذ عمدت الاتفاقيات الدولية التي صيغت ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، التأكيد على فكرة المسؤولية الجنائية^(١)، وعند التحدث عن المسؤولية الجنائية الدولية، فإننا بحاجة إلى التطرق إلى الآليات الدولية التي تم اتخاذها لضمان محاكمة مرتكبي الجرائم الدولية، والتي تعد من أهمها تثبيت المسؤولية الجنائية كأساس في كل من الاتفاقيات الدولية ونظام روما، للمحكمة الجنائية الدولية، ولا بدّ بالتالي من مناقشة المسؤولية الجنائية لكل من الدولة والفرد على حد سواء، حيث سنتطرق في الفرع الأول في هذا المطلب إلى: المسؤولية الجنائية للدولة، والفرع الثاني: إلى المسؤولية الجنائية للفرد.

الفرع الأول: المسؤولية الجنائية للدولة

تعرف المسؤولية الجنائية بشكل عام على أنها: "تحمل الشخص تبعة عمله الإجرامي بخضوعه للجزاء المقرر لهذا العمل في القانون"^(٢)، وقد ربطت مختلف التعريفات والقوانين الداخلية ما بين المسؤولية الجنائية والأفراد، وهو النهج الذي سلكته القوانين والاتفاقيات الدولية، فما تزال فكرة المسؤولية الجنائية للدولة عن الجرائم المرتكبة محل جدل على المستوى الفقهي، إذ يرى قسم من الفقه الدولي أنه ولغايات وجود مسؤولية جنائية، فإنه لا بد من تواجد قصد وإرادة جرمية لدى الفاعل، وهو ما يمكن له أن يتحقق لدى الأشخاص الطبيعيين، إلا أن تحققه لدى الدولة باعتبارها شخصا معنويا يقوده الأشخاص الطبيعيون، هو أمر غير ممكن الحدوث^(٣) وفي المقابل يرى القسم الآخر من الفقه، أن الدولة ممثلة بالقيادات السياسية العليا الخاصة بها، تمتلك القصد الجرمي في حال ارتكاب الجرائم الدولية، والتي تتطلب في كثير منها موافقة الجهات السياسية العليا، وبالتالي يغدو من المنطقي مساءلة الدولة جنائيا

(١) ينظر: المسؤولية الجنائية الدولية للأفراد على ضوء المحاكم الجنائية الدولية: اونيسة شوية، جامعة عبد الرحمان ميرة، الجزائر، ٢٠١٣،

(٢) ينظر: المسؤولية الجنائية الدولية للأفراد في ضوء تطور القانون الدولي الجنائي: فلاح مزيد المطيري، جامعة شرق الأوسط، اردن،

(٣) ينظر: مسؤولية الدولة الجنائية إسرائيل نموذجا: عماد عمر ابو الرب، المجلة العربية للعلوم السياسية، مجلد ١٠، عدد ١٠، يوليو

على الجرائم المرتكبة^(١)، كما يرى هذا القسم من الفقه، أن نظرية المسؤولية الجنائية للدولة تتعارض مع فكرة السيادة الخاصة بالدولة، باعتبارها الجهة المخولة بإدارة شؤون أفرادها دون تدخل خارجي من الدول الأخرى، وبالتالي فإن وجود مساءلة جنائية للدولة من قبل دول أخرى يشكل انتهاكا لهذه السيادة وتدخلًا فيها^(٢)، ومع الاختلاف والانشقاق الكبير في الآراء حول مساءلة الدولة جنائياً، ذهبت الاتفاقيات الدولية، ومنها نظام روما، للمحكمة الجنائية الدولية إلى استبعاد الدولة ككيان من المساءلة الجنائية، فقد جاء في المادة ٦ من اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها "يحاكم الأشخاص المتهمون بارتكاب هذه الجريمة..."، كما نصت المادة ٢٥ من نظام روما، للمحكمة الجنائية الدولية على أنه: "يكون للمحكمة اختصاص على الأشخاص الطبيعيين عملاً بأحكام هذا النظام"

الفرع الثاني: المسؤولية الجنائية للفرد

عند التحدث عن المسؤولية القانونية، فإن البوصلة تتجه مباشرة وبصورة مركزية إلى الفرد، باعتباره المحرك الأساس للجريمة، سواء أكان ذلك من ناحية التخطيط، أو التفكير، أو التنفيذ، وعلى الرغم من أن الاتفاقيات والقوانين الدولية تتعامل مع الدولة، إلا أن التوجه الجنائي الدولي قد توجه صوب اعتماد المسؤولية الجنائية لأفراد عند التحدث عن المساءلة على الجرائم الدولية، حتى لو تم اتهام الدولة بارتكاب هذه الجريمة، إلا أن الأفراد هم الأشخاص المنفذون والمركبون الفعال للجريمة، وفي هذا الفرع سنتطرق إلى دراسة تاريخ المسؤولية الجنائية الفردية في القانون الجنائي الدولي وكيفية تعاملها مع المسؤولية الجنائية لأفراد مرتكبي هذه الجريمة.

أولاً: الماهية العامة للمسؤولية الجنائية الفردية: تعد المسؤولية الجنائية للأفراد في القانون الجنائي الدولي الأساس الذي تستند عليه مكافحة الجرائم الدولية، بهدف تحقيق العدالة للضحايا ومعاقبة المجرمين، وذلك انطلاقاً من حقيقة أن الأفراد هم الجهات التي ترتكب الجرائم. وقد ظهرت نظرية المسؤولية الجنائية للأفراد بعد الحرب العالمية الثانية، إذ لجأت محاكم نورمبرغ، وطوكيو، إلى النص على مسؤولية الأفراد الجنائية، فقد بات الفرد بموجب هذه المحاكم مسؤولاً جنائياً على الأفعال التي قام بارتكابها، وشكلت جرائم حرب، أو جرائم ضد الإنسانية^(٣).

(١) المصدر نفسه: ٢-٣

(٢) ينظر: تحديد المسؤولية الجنائية الدولية ودورها في إنشاء المحكمة الجنائية الدولية: علاء هاشم حسين، جامعة سانت كليمنتس

العالمية، بغداد-العراق، ٢٠١٤، ٢٦

(٣) ينظر: المسؤولية الجنائية الدولية للأفراد على ضوء المحاكم الجنائية الدولية: أونيسة شوية، ٧

وقد لجأت المحاكم اللاحقة إلى تأكيد المبدأ من خلال النص في أنظمتها الداخلية على مسؤولية الأفراد الجنائية، إذ نص الميثاق المنشأ للمحكمة الجنائية الخاصة يوغسلافيا، السابقة إلى أن المحكمة توقع المسؤولية عن الأشخاص الطبيعيين الذين قاموا بارتكاب الجرائم بما فيها الإبادة في يوغسلافيا، السابقة^(١)، كما أكد ميثاق المحكمة أن المسؤولية الفردية هي الأساس القانوني للمساءلة الجنائية أمام المحكمة^(٢).

كما سلكت المحكمة الجنائية الخاصة برواندا الدرب نفسه، باعتبارها أن "المسؤولية الفردية هي الأرضية التي تقوم عليها المحاكمة عن هذه الجرائم التي تعرض لها التوتسي في رواندا، إذ نصت المادة ٢ من النظام الأساسي للمحكمة إلى أن اختصاص المحكمة يقع على مرتكبي هذه الجريمة، وبالتالي فهو قائم وفقا للمادة ٥^(٣) من الميثاق "أساس المسؤولية الفردية للأفراد بصفتهم الشخصية"^(٤).

وقد تجسدت فكرة المسؤولية الجنائية للفرد بشكل نهائي في النظام الجنائي الدولي عندما تبنته المحكمة الجنائية الدولية وذلك في ميثاق روما، إذ نصت المادة ٢٥ من ميثاق روما على أنه .

١- "يكون للمحكمة اختصاص على الاشخاص الطبيعيين عملا بهذا النظام الأساس.

٢- الشخص الذي يرتكب جريمة تدخل في اختصاص المحكمة يكون مسؤولا عنها بصفته الفردية وعرضة للعقاب وفقا للنظام الأساس."

ثانيا: العقوبات الواقعة على الأفراد: إن اثبات ارتكاب الجريمة واثبات المسؤولية الجنائية للجاني يتبعه بالضرورة إيقاع عقوبة ملائمة عليه، من أجل تحقيق العدالة من جهة، وتحقيق عملية الردع بحق غيرهم من المجرمين من جهة أخرى، وقد تطرقت اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها إلى موضوع العقوبات وذلك في المادة ٥ منها، إذ نصت على أنه " : يتعهد الأطراف المتعاقدون كل طبقا لدستوره التدابير التشريعية اللازمة لضمان انفاذ أحكام هذه الاتفاقية، وعلى وجه الخصوص النص على عقوبات جنائية ناجعة تنزل بمرتكبي جريمة الإبادة الجماعية، أو أي من الافعال الأخرى"، وبالتالي فقد تركزت الاتفاقية الباب مفتوحا أمام أطراف الاتفاقية من أجل تحديد آلية العقوبة ونوعها، والتي سيتم

(١) ينظر: النظام الأساسي للمحكمة الدولية الجنائية ليوغسلافيا السابقة، فاستو بوكار، منشورات الأمم المتحدة، ٢٠١٠، ٢٠.

(٢) ينظر: المسؤولية الجنائية والمدنية والدولية لمرتكبي جرائم الإبادة أمام القضاء: منصور مجد و القطري، مجلة كلية الأزهر، العدد، ٣٢.

الجزء ٣، ٨٣٨.

(٣) النظام الأساسي المنشأ للمحكمة الجنائية الخاص بروندا، ١٩٩٤.

(٤) المسؤولية الجنائية والمدنية والدولية لمرتكبي جرائم الإبادة أمام القضاء: منصور مجد و القطري، ٨٣٨-٨٤٨.

إيقاعها على الجاني بشرط أن تكون قادرة على الردع العام والخاص له.
والنظر إلى أن المحاكم على أن الجهات المخولة بإيقاع العقوبة على الأفراد المثبت ارتكابهم للجرائم،
فقد تم النص في المادة ٢٣ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الخاصة برواندا على أن أنواع العقوبات
الداخلية في اختصاص المحكمة^(١). هي:

١- " السجن حسب المدة التي تراها المحكمة ملائمة بالقياس مع المدد الزمنية التي تحكم فيها
محاكم رواندا المحلية، وذلك بما يتناسب مع ظروف الشخص المحكوم عليه.

٢- الرد والتعويض ، حيث يحق للمحكمة أن تأمر الشخص المحكوم عليه، برد الممتلكات أو
العوائد كافة، والتي تم الاستيلاء عليها، والتعويض عن الأضرار الناجمة عن الفعل المرتكب".
وفي النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية تم التطرق إلى أنواع العقوبات في المادة ٧٧^(٢)، إذ
يحق للمحكمة أن تأمر بإحداها أو جميعها، حسبما تراه ملائما، وهي"

١- السجن وهو على نوعين: أ. لمدة لا تتجاوز ٣٠ عاما. ب. السجن المؤبد في حال كانت
الجريمة المرتكبة ذات خطورة عالية، وبظروف المحكوم عليه الخاصة.

٢- الغرامة وذلك بموجب القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات، وذلك بما يتلاءم مع الضرر الحاصل.

٣- مصادرة العائدات والممتلكات التي تحصل عليها الجاني بصورة مباشرة، أو غير مباشرة من

الجريمة المرتكبة.

المبحث الثاني: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد الفيليين والبارزانيين

في هذا المبحث، ستمحور دراستك حول جرمي الإبادة الجماعية التي ارتكبتا ضد مجموعتين من
الكورد في العراق. الأولى تتعلق بالكورد الفيليين، الذين تعرضوا لجريمة إبادة جماعية في مطلع العقد الثامن
من القرن العشرين. والثانية ترتبط بالبارزانيين، الذين أيضاً تعرضوا لجريمة إبادة جماعية في نفس الفترة. يمكن
أن تشمل دراستك تحليل أسباب وخلفيات هذه الجرائم، والآثار الاجتماعية والسياسية لهذه الأحداث على
هذه المجتمعات، بالإضافة إلى الدور الدولي والقانوني في التعامل مع هذه الجرائم وتقديم العدالة.

(١) النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الخاصة برواندا

(٢) النظام الأساسي الخاص بالمحكمة الجنائية الدولية.

المطلب الأول: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد الفيليين

تمهيد

وقع الكورد الفيلية ضحية الانقسام القومي والمذهبي الذي سبب لهم الاضطهاد والتهجير والتخوين ومصادرة حقوقهم المشروعة، ومنها حرمانهم من الجنسية العراقية، وقتل لآلاف منهم، وتهميشهم من قبل الأنظمة السياسية المتعاقبة، بما في ذلك منع تعيينهم في دوائر الدولة منذ ١٩٦٣ وإلى ما بعد الغزو الأميركي عام ٢٠٠٣.

ولعل من النماذج والمعاناة التي لحق بالكورد الفيلية من أذى وضرر، حرمانهم من الزواج والتفريق عن زوجاتهم وأزواجهم قسراً، ويمكن ملاحظة ذلك تحديداً خلال الحرب العراقية الإيرانية، واضطرار بعض العراقيين قسراً إلى تطليق الزوجة الفيلية أو الزوج الفيلي، فضلاً عن منعهم من إكمال الدراسة^(١).

الفرع الأول: التعريف بالكورد الفيليين

تعددت الآراء الخاصة بأصول الكلمة فيلي التي تطلق على جماعة واسعة من الكورد، اذ جاءت عند بعض الباحثين مقترنة بالثورة، مثل جورج كرزن في كتابه إيران ومسألة إيران. وجاء عند البعض الآخر وصفا للعاصي والمتمرد، مثل هنري فيلد في كتابه معرفة الأقاليم الإيرانية. وفي مصادر أخرى وردت كوصف للفدائي والشجاع^(٢).

قال عنها المستشرق الروسي جوريكوف أن "كلمة فيلي تطلق على قبائل بشتكوه من اللور تقيم في النواحي الجبلية، كما أطلق ولاية بشتكوه على أنفسهم لقب الفيلي، وأطلقوها بدورهم على رعاياهم وما خضع لنفوذهم من عشائر كوردية أخرى بعيدة الصلة بهم، أتت من مناطق كوردستان الأخرى وأندمجت معهم منذ عام ١٥٨٥ م وإلى عام ١٩٢٩ م، عهد آخر الولاية اللور الفيليين غلام رضا. إلا أن هذا لا يؤيده الباحث محمد توفيق وردى الذي أشار إلى أن كلمة فيلي حديثة العهد لا تطلق على الكورد في منطقة بشتكوه موطنهم الأصلي، بل هي اصطلاح عراقي صرف، مؤكداً أن الاسم العلمي والتاريخي للكرد هناك هو لور الصغرى ولور الكبرى"^(٣).

إن كلمة فيلي وردت عند آخرين بمدلول مغاير، فالباحث جمال المندلاوي يرى أنها "قد جاءت من لفظ فهلة تسمية لمناطق جبلية غالبيتها غرب إيران، وفهلة هو الاسم المرادف لاسم فهلوي التي تنطقها المصادر الإيرانية بهلوي، والأمة الفهلوية أو الفهلوية المعروفة بالأشكانيين".

(١) موقع الجزيرة: عراقيون بلا جنسية: صلاح حسن بابان، تأريخ الوضع: ٢٨/٦/٢٠٢٠، تأريخ المراجعة: ١٦/١٠/٢٠٢٣

(٢) ينظر: الكورد الفيليون بين الماضي والحاضر: أحمد الناصر الفيلي، مؤسسة الشفق للثقافة والإعلام، بغداد، ١٥

(٣) ينظر: قصة كرد الفيليين محنة الإلتواء وإعادة البناء: دكتور محمد تقى جون، دار الضياء للطباعة، النجف، ط١، ٥٣-٥٤

والمؤرخ عباس العزاوي يردّها إلى "أصل الكلمة الفلاوية من فلاة أو الفلوات أي الارض المنبسطة، ثم صححت إلى "فويلي" وبلاستخدام أصبحت فيلي".

أما بعض المستشرقين فيعتقدون أن البدايات الاولى لظهور مصطلح فيلي كان في القرن السادس عشر، عندما استخدمت الكلمة للتمييز بين إمارة اللور الصغير وحكامها الذين يحسبون أنفسهم اللرّ الفعلي، مقارنة باللرّ الكبير كامتداد لهم وليس الأصل، مؤكدين أن لفظ فيلي قد تحول إلى فيلي بما ينسجم وقوانين معالجة الأحرف والمقاطع الصوتية الأجنبية في لهجة اللور الصغير .

إن المدلولات المغايرة المذكورة أعلاه، يشك في دلالة تعبيرها عن أصل كلمة فيلي، لأن الكلمات فالو وفلاة وفيلي هي كلمات عربية، وتصرف صرفاً عربياً، هو غير موجود أصلاً في اللغة الكوردية واللهجة الفيلية ولا في اللغة الفارسية، ثم أن كلمة فيلي ليست عربية الأصل، وظهور الكورد الفيليين الى الوجود في المنطقة جاء قبل ظهور العرب تاريخياً، استناداً على ما ذكره ابن خلدون^(١) في "تأريخه"^(٢) .

الفرع الثاني: عمليات إبادة الفيليين في العراق

تعود مأساة الكورد الفيليين (وهي مرتبطة إلى حد كبير بمأساة العرب من شيعة العراق) إلى ذلك الصراع السياسي الطويل الذي دار بين الدولتين العثمانية التركية والصفوية الإيرانية، والذي أدى إلى منح أبناء العراق حرية المفاضلة بين التبعية الإيرانية والتبعية التركية، فاختر كثير من الشيعة العراقيين التابعة الإيرانية ومن بينهم الكورد الفيليون.

ثم جاء النظام الصدامي البائد ليسقط عنهم الجنسية العراقية مستفيداً من هذه الورقة في صراعه مع إيران، ويقول المطلعون على هذا الملف أن أبشع ما أقدم عليه النظام العراقي في تعامله مع الكورد الفيليين هو محاولة إبادة هذه الشريحة من الشعب الكوردي، وإنهاء وجودها القومي من بغداد والبقاع العربية الأخرى في العراق، عن طريق البطش بمئات الألوف من أبنائها ولا سيما في السبعينات والثمانينات بتهجيرهم قسراً إلى إيران وما رافق ذلك من عمليات سبي وقتل للرجال والنساء والأطفال وهو ما لم يشهد له التاريخ مثيلاً في العصر الحديث، كما قام هذا النظام باعتقال الآلاف من الشباب الفيليين رهائن، ممن لا يعرف أحد من ذويهم أو من المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان شيئاً علم إلى الآن.

(١) / يحيى بن خلدون هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن خلدون أخو أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون صاحب كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، كان يحيى بن خلدون من أفاضل العلماء وأعيان الأدباء الشعراء ورئيس الكتبة والإنشاء بتلمسان، أُلّف «بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد»، وكانت له مكانة هامة لدى البلاط الزياني توفي سنة ٧٨٨هـ جرحي مقتولا بسبب الفتنة بين الأميرين الزيانيين، ينظر: الأعلام: المصدر السابق، ١٦٦/٨

(٢) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ٣٨/٢

وقد اتخذ النظام الصدامي من مفهوم التبعية الإيرانية ذريعة لتهجير هؤلاء الكورد الفيليين جماعياً وبالقوة الغاشمة من مناطق سكناهم في بغداد وفي المدن والقرى العراقية الأخرى، وإلقائهم على الحدود العراقية الإيرانية قبل وأثناء الحرب بين البلدين ١٩٨٠-١٩٨٨^(١).

المراحل الثمانية لجرمة الإبادة الجماعية، تنطبق على جريمة تسفير الكورد الفيلية، خاصة تلك التي حدثت جماعياً عام ١٩٨٠، بالتأسيس على المعطيات القانونية وكما يأتي:

١- التصنيف

الكورد الفيلية في العراق، يمتلكون تصنيفاً خاصاً بهم تحت تسمية شائعة فهم يقولون عن أنفسهم: نحن الفيلية، ويقول عنهم باقي العراقيين: هم الفيلية، وهو في الأساس تصنيف جاء على وفق أصولهم القومية (كورد) وانتماءاتهم المذهبية (شيعية)، وهم في مجتمع عراقي يفتقر إلى التصنيف الوطني المختلط، وإلى التسامح والتفاهم بين الجماعات، فيه الاحتمال باق أو موجود لتعرض مثل هكذا تصنيفات إلى جرائم إبادة جماعية. هنا تجدر الإشارة إلى حقيقة، قوامها: أن الحكومات العراقية المتعاقبة، لو كانت قد استوعبت الوجود الكوردي الفيلي كنتيجة للتقسيمات الحدودية الحتمية، وتعاملت معهم وغيرهم كمواطنين أصليين دون تمييز قومي ومذهبي، وسعت إلى تأسيس هوية وطنية مشتركة لعموم العراقيين، لما حصل:

أ- ارتكاب فعل التسفير بحقهم وهم مواطنون عراقيون.

ب- عداة حكومي بالضد منهم لأنهم مواطنون عراقيون كورد الشيعية، أسهم في الأنفال بفعل التسفير بطريقة قسرية مؤذية، مما تكررت مرارا^(٢).

٢- الترميز

لقد سميت هذه الجماعة الكوردية رمزياً، بالفيلية، واعتاد العراقيون تمييزهم عن غيرهم من باقي الجماعات على أساس لهجتهم، وأحياناً من لبسهم لاسيما أولئك الذين يسكنون في الريف الكوردي، ومن بعض طقوسهم في الزيارات الدينية مثل باقي الشيعية، ولأنهم من أصول غير عربية يتواجدون في منطقة حدود غير مستقرة، فإن رمزيتهم الفيلية، كونت لهم عداةً حكومياً، مصحوباً بقدر من الكراهية الانفعالية، التي دفعت أكثر من حاكم إلى الأمر بتسفيرهم بطريقة تمثلت بفعل إبادة جماعية، ودفعت منتسبي الأجهزة الأمنية المعنيين بتسفيرهم إلى التصرف معهم بقسوة مفرطة، ودفعتهم في نفس الوقت إلى الشعور بالاضطهاد والدونية. علماً أن الدولة العراقية خاصة بعد مجيء صدام حسين إلى الحكم، وبدلاً من منع الدلالات الرمزية التي تثير الكراهية في التخاطب والاتصال داخل المجتمع العراقي، اتجهت من جانبها إلى تعزيز الرمزية، فسارع المسؤولون

(١) موقع الجزيرة: عراقيون بلا جنسية: صلاح حسن بابان، تأريخ الوضع: ٢٨/٦/٢٠٢٠، تأريخ المراجعة: ١٧/١٠/٢٠٢٣

(٢) ينظر: كرد بغداد الفيلية ونظام البعث: سعد أسكندر، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد، ١٠، ٢٠٠٦، ٢٩٧-٢٩٨

الحكوميون والحزبيون ما بعد الثمانينات مثلاً إلى لبس اللباس العربي الشعبي، ومن ثم لبس اللباس العسكري الزيتوني، والتكلم باللهجة التكريتية، وهذا خلل استمر إلى ما بعد التغيير عام ٢٠٠٣، عندما شاعت بعض الألقاب الرمزية المذهبية الشيعية وشاع استخدامها في المؤسسات والدوائر الرسمية مثل سيدنا ومولانا، التي بات يستعاض باستخدامها عن كلمة أستاذ التي كانت متداولة في الدوائر والمؤسسات المدنية، وعن كلمة سيدي المتعارف على استخدامها للتخاطب مع الأعلى في المؤسسة العسكرية. بالإضافة إلى وضع المحابس ذات الدلالة الرمزية المذهبية في أصابع اليد، مما يعطي انطبعا بالاتي:

أ- عدم وجود قواعد ثقافة عامة في المجتمع العراقي.

ب- استمرار وجود الرمزية في العقل العراقي، عاملاً للدلالة على الجماعات الفرعية لتركيبه المجتمع العراقي.

ج- غياب القواعد الثقافية، واستمرار الرمزية، مما ينذر باحتمالات ارتكاب جرائم إبادة جماعية في ظروف عدم الاستقرار التي لم تنته من العراق^(١).

٣- التجريد من الإنسانية.

لم تنظر الحكومة العراقية وأجهزتها الأمنية إلى الكورد الفيلية نظرة إنسانية، بل تعاملت معهم من بداية تأسيس الدولة وترسيم الحدود مع إيران بطريقة استعلاء، فيها الكوردي الفيلي يقل درجات عن العربي، تقحم في الأشغال المهقة الشاقة، لا يُعطى وظائف عليا، لا يعمل في الجيش والأجهزة الأمنية، وكأن وجوده خطر على العراق ومستقبل الأمة.

إنها في المجمل نظرة أو مشاعر تجريد نفسي سلبية بغیضة تفوق في تأثيراتها السلوك الإنساني المنافي لقتل النفس البشرية، كانت واضحة من القصص المأساوية التي حصلت للفيلية المسفرون عند رميهم على الحدود في مناطق وعرة، وسلبهم نقودهم وحاجياتهم التي تبقيهم على قيد الحياة، وتعرف بأصولهم العراقية، والاعتداء عليهم بالضرب، واستخدام الدعاية المقروءة والمسموعة والمرئية لتأجيج الكراهية ضدهم، وتشويه سمعتهم بقصد تفسيرهم بطريقة تعد جريمة إبادة جماعية.

إن خطاب الكراهية في المجتمع العراقي، باق على حاله، انتقل من جانب الحكومة السابقة إلى الجماعات الفرعية ضمن التركيبة الاجتماعية الحالية، التي تمتلك الآن وسائل دعاية تفوق ما تمتلكه الدولة، التي لم تضع من جانبها حتى الآن قوانين تحول دون السير على خطى الحث على الكراهية، مثلما هي موجودة في المجتمعات الديمقراطية، مما ينذر بخطر احتمالات حدوث جرائم إبادة جماعية مشابهة^(٢).

(١) ينظر: الكورد الفيليون محاولة لمعرفة أصلهم وفصلهم: بهان شاوي، منشورات الإصدار، بغداد، ٢٠٠٨، ١٣

(٢) ينظر: الفيليون تاريخ قبائل و انساب فلكلور تراث قومي: نجم سلمان مهدي الفيلي، دار آراس، اربيل، ٢٠٠٩، ٢٠٢

٤ - التنظيم:

إن جريمة الإبادة الجماعية للفيليين (التسفير) جريمة منظمة أدارتها الحكومة أو نظمتها بقوانين وقرارات، وأصدرت أوامر صريحة للأجهزة الأمنية من أجل تنفيذها، بأمر فوق، يبدأ فيه الأمر من الجهة العليا أي الرئيس، ثم تنزل بالتدريج إلى آخر مسؤول أمني أو جندي معني بوضع المسافر على الحدود، وهذه الجهة العليا قد تدخلت بمراحل التنفيذ حد التفاصيل البسيطة، حيث ترفع تقارير يومية ودورية بأعداد المسافرين، ونتائج التسفير، والحوادث التي تحصل عرضياً، واشتركت كافة القوات الحكومية العسكرية والأمنية بالإضافة إلى الحزب الحاكم والجيش الشعبي كقوات غير نظامية في عملية التنفيذ، وقد تحسبت الدولة ملياً لكل خطوات تنظيمها والتنفيذ، إذ نجد أن حملات التسفير التي جرت لاسيما الكبيرة منها، تسبق في المعتاد أحداث مستقبلية خططت لها بسرية تامة، مثل:

تعريب المناطق الحدودية، التي حتمت القيام بالتهجير والتسفير.

"الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠ التي حتمت تنفيذ جريمة التسفير بشكل جماعي واسع"^(١).

٥ - الاستقطاب:

صدام حسين شخصية متطرفة، قاد حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يعد أدائه في حكم العراق متطرفاً في نظره إلى القومية العربية فوق باقي القوميات، وإلى إقامة الوحدة العربية هدفاً يسبق باقي الأهداف، وإلى التعامل مع خصومه المعارضين بطريقة الإزاحة والتغيب. من هذا وأساليبه المعروفة في إدارة الدولة والمجتمع يتبين أنه تطرف قائم على:

أ- الكراهية، مشاعر تحكم سلوكه في التعامل مع الآخرين.

ب- استقطاب الإعلام المحلي والخارجي، كأداة مساهمة في تأجيج الكراهية، إذ لو أخذنا مثلاً على هذا، حادثة التفجير في الجامعة المستنصرية بتاريخ ٣/٤/١٩٨٠، الذي اتهم بها الكوردي الفيلي سمير ملك شاهي، نجد أنه وفي مساء نفس يوم الحادثة التي تعددت وجهات النظر بصدها، صب التلفزيون العراقي الحكومي وإذاعة بغداد وبعض الصحف العربية الصادرة في الخليج وبيروت، جاء غضبهما ولعناتهما على الكورد الفيليين الذين نعتهم بالعجم، ثم عرضت زيارة الرئيس "صدام" للجرحى على الهواء وهو يتوعد قائلاً " والله والله والله، وبحق كل ذرة في تراب الرافدين. الدماء الطاهرة التي سالت في المستنصرية"^(٢) لن تذهب سدى.

(١) ينظر: من هم الفيليون: نجم سلمان مهدي، دار الشمس، بغداد، ط١، ١٩

(٢) ينظر: الجامعة المستنصرية هي إحدى الجامعات العراقية الحكومية. أخذت اسمها من المدرسة المستنصرية التي أسست في زمن العباسيين في بغداد سنة ١٢٣٣ على يد الخليفة المستنصر بالله والتي كانت مركزاً علمياً وثقافياً هاماً وهذه الجامعة تعد إمتداداً

٧- الشروع:

عندما بدأت الحكومة بخطوات التسفير الجماعي للكورد الفيلية في سبعينات القرن الماضي وزادته شدة عام ١٩٨٠، شرعت بعد إتمام إجراءاته التعسفية، بتوزيع ممتلكات المسفرين المصادرة على الحزبيين، وبيع بعض المصانع والمصالح التجارية بأسعار ميسرة على الأقارب والحزبيين، فكونت هذه الحكومة العنصرية جيشاً من المستفيدين يدعمون إجراءاتها في التسفير، بل ويدفعونها بشكل غير مباشر لتوسيع حصوله، ليشمل أكبر عدد ممكن من المعرفين بالفيلية، كنوع من الاستفادة الذاتية على حساب غير المظلومين، عندها عم الظلم والاضطهاد هذه الشريحة الاجتماعية، وظهر من بين هذا المجتمع المستفيدون دعاة تسفير لغير العرب، فزادت وتأثر العنصرية العربية البعثية، وتبررت أعمال القتل الجماعي، التي يوصف فعلها قانونياً بالإبادة الجماعية، وبات الفاعلون يمعنون بالاضطهاد، لوجود من يبرر أعمالهم الإجرامية، ولرسوخ قناعات عززها التبرير في داخلهم، من أن ضحاياهم هم أناس ليسوا عراقيين، وان فعلهم ليست فعل إجرام. من هذا التبرير، وبسبب هذا السلوك غير السوي يمكن التأكيد على أن الشروع بالتسفير هو إبادة جماعية على وفق المعطيات القانونية والانسانية، جاءت كرد فعل انتقامي من قبل الحكومة وحزب البعث ضد الفيليين بسبب أصولهم الكوردية وانتماءاتهم المذهبية^(١).

٨- الإنكار:

إن الإنكار هو المرحلة الثامنة والأخيرة، التي انتهى بها مسلسل التسفير كجريمة إبادة جماعية، والإنكار الذي حصل لا يتعلق بعدم الاعتراف بفعل التسفير، أو التهرب من الاعتراف به، وإبقائه طي الكتمان، بل على العكس من هذا أعلنت الحكومة حصوله وأصرت على الحصول، لكنها أنكرت أن تكون الدوافع من وراء التسفير غير قانونية بعد أن افتعلت ظلماً الأصول الأجنبية للفيلية التي يخالف وجودها قوانين التجنيس العراقية، وهذا غير صحيح، و قد جاء لتغطية "الإنكار" بدوافع الانحياز العنصري التي تسببت في حصوله. ثم إن الحكومة التي نوت وخططت لإتمام فعل التسفير، قد أعدت خططاً مسبقةً للتبرير، أي أنها مهدت لقبول حصوله بالحجج التي تطرحها هي من خلال افتعال أحداث منها حادثة المستنصرية، التي تؤكد بعض المصادر على أنها مفتعلة لتبرير خطط التسفير الموضوعة للرأي العام العراقي والعربي والعالمي، وهي على هذا الأساس إنكار مبرمج للنوايا المبيتة في تهيئة ساحة قتال ملائمة لحرب مقبلة، خاصة وأن الفيلية اتهموا أثناء التسفير وخلال الحرب بأن بعضهم يشكل رتلاً خامساً لإيران (الجهة المقابلة في الحرب).

إن الحكومة وبقصد تحقق فعل الإنكار قامت بسحب جميع الوثائق الثبوتية، وأحرقت السجلات، وأتلفت سندات الملكية، في سعي مبرمج، إلى طمس حقيقة الانتماء الفيلية الأصيل للعراق وتوحيه الرأي العام،

(١) ينظر: اضطهاد مستمر لأقليات العراق: تقرير مجموعة الدولية لحقوق الأقليات، ٢٠١٠، ٦

كما قامت في نفس الوقت بإلقاء اللوم لما حدث على الكورد الفيليين، متهمه إياهم بالأصول الفارسية، وبالعمل رتلا خامسا لإيران.

إن انطباق المراحل الثمانية للجرائم الإبادة الجماعية المنظمة على جريمة تسفير الكورد الفيليين، يجعلها جريمة إبادة جماعية، ويضعها جريمة كاملة الأركان أمام المجتمع العراقي، أملاً في ألا تعاد ثانية، ويضعها كذلك أمام المجتمع الدولي عسى أن تتم الاستفادة من معطيات حصولها وما تركته من آثار مؤلمة على الفيليين، في التحرك دولياً قبل الشروع لارتكاب مثل هكذا جرائم، حيث تعطي المراحل مؤشرات واضحة على إمكانية حصول جريمة الإبادة الجماعية في بعض المجتمعات البشرية الأقل تحضراً، وهي ليست قليلة حتى وقتنا الراهن^(١).

الفرع الثالث: نتائج عمليات إبادة كورد الفيليين

في الحقيقة إن تلك الجرائم بدأت منذ وقت مبكر في عام ١٩٦٩، حين شنت حكومة حزب البعث التي تسلمت السلطة بانقلاب عسكري في عام ١٩٦٨ حملة ترحيل ونفي قسري استهدفت الكورد الفيليين لأسباب عرقية ومذهبية إذ جرى في عام ١٩٧٠، ترحيل أكثر من ٧٠ ألف فيلي إلى إيران وسحبت جنسيتهم العراقية، وجرى الإبلاغ عن كثير من حالات الاختفاء والإعدام بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٣.

وتشير الوقائع التاريخية المدونة إلى أن اضطهاد الكورد الفيليين في عهد النظام المباد كان قمعا منهجيا لهم، وقد تعاضم الاضطهاد وتصاعد إلى أعداد كبيرة عندما تعرضوا بصورة جماعية لحملة كبيرة من قبل النظام البائد، الذي قام بتنفيذ عمليات إعدام نظامية منذ عام ١٩٧٩، امتدت إلى مناطق عراقية وكوردية واسعة، ثم أصدر النظام المباد قرار رقم ٦٦٦ في عام ١٩٨٠، الذي حرم الكورد الفيليين من الجنسية العراقية وعدهم إيرانيين، كما مورست أبشع الجرائم الإنسانية ومنها إجبار الرجال المتزوجين من كورديات فيليات على تطليق زوجاتهم مقابل مبالغ مالية في حال طلاق زوجته أو في حال تهجيرها إلى الخارج؛ وتهجيرها معها أو تعرضه للاعتقال في حال الرفض.

وتشير الأرقام إلى أنه جرى ترحيل نحو نصف مليون كوردي فيلي إلى إيران نتيجة حملات الاضطهاد، واختفى ما لا يقل عن ١٥ ألف كوردي فيلي، معظمهم من الشباب، لم يتم العثور على رفاتهم بعد ذلك، وجرى استهداف التجار والأكاديميين الكورد الفيليين البارزين ورفيعي المستوى في بغداد على وجه التحديد^(٢). جريمة إبادة وتهجير لأكثر من نصف مليون كوردي فيلي عراقي، والتي حدثت في أوائل شهر نيسان من عام / ١٩٨٠ ... إثر تفجرات الجامعة المستنصرية المفتعلة من قبل الأجهزة الأمنية القمعية تحت ذرائع غير

(١) ينظر: الصمت الإبادة الجماعية في العراق: محمد احسان، ١٢٥-١٢٩

(٢) ينظر: إبادة الكورد الفيليين في نيسان: صادق الأزرق، مجلة شفق نيوز، تأريخ الوضع: ٢٠٢٢-٠٤-٠٤، تأريخ المراجعة:

حقيقية وإصاقتها بالمغدور سمير غلام ودون إجراء محاكمة أصولية وتحقيق علني ودليل دامغ لملاسات الحادث، كجزء من سياسة التطهير العرقي المقيتة (الجينوسايد) والمتمثلة بجرائم الإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب، وانتهاكات القوانين العراقية، والتي تسببت بحروقات جسيمة ضد الأشخاص والممتلكات المحمية بموجب الاتفاقيات الدولية، ومنها: اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، واتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب، واتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية، ومبادئ التعاون الدولي في تعقب واعتقال وتسليم ومعاقبة الأشخاص المذنبين بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، ونظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، وهذه الفظائع المرتكبة بحق الفييليين كانت في إطار إبادة واسعة النطاق، وسياسة منهجية تعكس سلوكية النظام الطاغوتي وحزبه الفاشي، وأدت إلى مجازر دموية لا حصر لها، وكما يأتي :

١- القتل العمد والاسترقاق واستعمال العنف ضد الفييليين، والإبادة لفرض أحوال معيشية عمداً وحرمانهم من الطعام والدواء والمتاع، وإلحاق الضرر الجسيم بهم، وإخضاعهم لأذى خطير بالصحة العقلية والبدنية، وغيرها من الأفعال التي تتسبب إحداث المعاناة الشديدة.

٢- الأبعاد والنقل القسري غير القانوني للمهجرين وإصدار أوامر بترحيلهم، بالطرء أو بأي فعل قسري آخر أو نقلهم عبر مناطق العمليات الحربية .

٣- التعذيب والاعتداء الوحشي والمعاملة المهينة والقاسية الحاطة بالكرامة الإنسانية، بما في ذلك إجراء التجارب البيولوجية، والتسبب بالألم الشديد والمعاناة البدنية والفكرية عمداً على الأشخاص قيد الاحتجاز.

٤- الاغتصاب والاستبعاد الجنسي والإكراه عليها، وغيرها من أشكال العنف الجنسي .

٥- السجن والاضطهاد والحرمان المتعمد والشديد من الحقوق الأساسية ومنها إسقاط حق الجنسية والمواطنة وإتلاف الوثائق الثبوتية، والطرء المححف من الوظيفة العامة دون سند أصولي، وبما يخالف القواعد الأساسية للقانون الدولي بسبب هوية الكورد الفييليين، ولأسباب سياسية وعرقية وقومية وإثنية وثقافية ودينية ومُتعلقة بنوع الجنس.

٦- أخذ الرهائن والحجز غير القانوني، والاختفاء القسري والمتمثل بالقاء القبض على أشخاص واحتجازهم أو اختطافهم من قبل النظام المباد، وبأذنه ودعمه وسكوته عنهم، ثم منعه إعطاء معلومات عن مصيرهم وأماكن اعتقالهم أو رفضه الإقرار بجرائمهم من حريتهم، دون حماية القانون لمدة زمنية طويلة .

٧- إلحاق التدمير واسع النطاق بالأموال والممتلكات والاستيلاء عليها ومصادرتها تعسفياً وبشكل مُخالف للقانون، وبطريقة عابثة ودون أية تعويضات أو حُكم قضائي مسبق .

٨- التدخل في شؤون القضاء والتأثير في أعماله ، وحرمان الأشخاص عمداً من حقهم الطبيعي في محاكمة قانونية عادلة، وإصدار أحكام الإعدام وتنفيذها جماعياً وفورياً خارج نطاق سلطة القانون والقضاء .

٩- مهاجمة المدنيين العزل ومناطقهم عمداً، ووضعهم كدروع بشرية في المواقع العسكرية لتحسينها من العمليات الحربية .

١٠- استخدام السموم والأسلحة والغازات الخانقة أو التجارب الكيميائية والمختبرية أو أية غازات أو سوائل أو مواد أو معداتٍ أخرى ضد المدنيين الأبرياء^(١).

المطلب الثاني: جريمة الإبادة الجماعية المرتكبة بحق البارزانيين

تمهيد

منذ هذا القرن، شهد العراق ولاسيما بعد انتصار ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، جواً من المنازعات السياسية والاضطرابات والصدمات الدموية بين الأفراد والكتل السياسية. لم تكن سلطة الدولة قادرة على حماية القانون وحقوق الإنسان في العراق. وعلى مر الزمن، بدأت عمليات الإبادة الجماعية ضد الكورد تتزايد على نطاق واسع في مراحل تاريخية متعددة وفي مناطق مختلفة من المدن الكوردية وعوائل الكورد في أنحاء العراق.

وكان البارزانيون، قادة للحركة الوطنية الكوردية، هم أحد أهداف عمليات الإبادة الجماعية. تعرضوا للقتل والاضطهاد بسبب مشاركتهم في القتال من أجل تحقيق الأهداف القومية الكوردية لفترة طويلة، وهذه الجرائم البشعة تسببت في تحمل الشعب الكوردي عبء المعاناة والألم على مر العقود، وتجسدت في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية.

وبناء على ذلك فإنني تطرقت في هذا المطلب إلى أصل البارزانيين ومناطق عيشهم والجهود التي قاموا بها في الحركة التحررية الكوردية وما تعرض له البارزانيون من جرائم وإبادة جماعية بسبب جهودهم في الدفاع عن الكورد والقضية الكوردية ويتكون هذا المطلب من أربعة فروع.

الفرع الأول: البارزانيون ومناطقهم

لقد اختلف الرواة حول أصل كلمة بارزان، ففي الوقت الذي يعتقد فيه البعض أنها تعود إلى كلمة برازي، العشيرة الكوردية الكبيرة، بينما يعتقد البعض الآخر أنها كانت اسماً للجد الأكبر للبارزانيين، والتي تعني

^(١) ينظر: جريمة إبادة الكرد الفيليين... والصمت الحكومي والتجاهل الرسمي عن إستدكار هذه الفاجعة الأليمة: عبد الخالق الفلاح

كاتب واعلامي فيلي، وكالة أصوات العراق، وضع هذه المقالة ٠٤/٠٤/٢٠١٦، تأريخ المراجعة ٢٠٢٢/٨/٢٠

حامل الحق، ويعتقد غيرهم أنها اشتقت من بارزان، الكلمة الصوفية الفلسفية التي تعني إخوان الصفا، أو من كلمة بارس أي الدرويش.

إنها جميعاً اعتقادات انتقدت تاريخياً، إذ أن البرزانيين ليسوا عشيرة واحدة ليكون لهم جد واحد ينتسبون إليه جميعاً كما يعتقد أصحاب الرأي الأول .

"وهم كذلك لا ينتمون إلى عشيرة البرازي، فهذه عشيرة أخرى قائمة بجد ذاتها لا يتطابق وجودها مع اعتقاد أصحاب الرأي الثاني.

كما أن قرية بارزان كانت موجودة قبل ظهور الصوفية كفلسفة وطريقة في المنطقة، مما يدحض الاعتقاد الثالث"^(١).

وعلى هذا فمن المرجح أن تعود كلمة بارزان إلى الكلمة الكوردية (به رز) التي تعني "المكان العالي، وأصحاب هذا الاعتقاد يدعمون رأيهم بحقيقة أن منطقة بارزان برمتها تقع في منطقة جبلية مرتفعة"^(٢).

سميت عشيرة بارزان نسبة إلى قرية بارزان مركز المشيخة، وينتسب شيوخ بارزان إلى سلالة أمراء العمادية إذ نزع جدهم مسعود إلى قرية هضنكا القرية من بارزان واستقر هناك وتزوج من إحدى فتيات القرية فخلف ابنا وسماه سعيد وبقي هو الآخر هناك إلى أن انتقل حفيده الشيخ تاج الدين وكان هذا الأخير كان عالماً دينياً فالتف حوله عدد كبير من المريدين وأسس تكية بارزان، وعاش فيها إلى أن وافته المنية فخلفه ابنه الشيخ عبد الرحمن وبعد وفاته خلفه الشيخ عبدالله الذي كان قد اشتهر بالزهد والتقوى وأرسل ابنه الشيخ عبد السلام إلى مدرسة (نهرية) لتلقي علومه الدينية على يد الشيخ الكبير (سيد طه النهري) وبعد وفاة والده أدار هو شؤون تكية بارزان و زاد عدد مريديه إزديادا كبيرا وأسس مدرسة دينية في بارزان ذاع صيتها في أنحاء المنطقة فكان يتوافد عليها الطلاب بأعداد غفيرة، وبقي على علاقة حميمة مع سيد طه النهري، وفي إحدى زيارته للتكايا قام حضرة مولانا خالد النقشبندي بزيارة تكية بارزان وجعل الشيخ عبد السلام خليفته وأخذه معه إلى نهرية لزيارة سيد طه الذي أصبح هو الآخر خليفة مولانا خالد، وتوفي الشيخ عبد السلام في ١٨٧٢ وألف كتابا قيما عن الفقه الإسلامي قبل وفاته بثلاثة أعوام، وبعده تسلم ابنه الشيخ محمد المشيخة واشتهر بزهده وتقواه، وكان قد درس على يد والده، وأصبحت تكية بارزان في عهده ملجأ للمظلومين من أبناء العشائر المجاورة لبارزان، وأدى ذلك إلى قيام رؤساء العشائر بتقديم شكاوى إلى السلطات العثمانية ضد الشيخ محمد، فنفته السلطات العثمانية إلى مدينة بدليس في كردستان تركيا وسجن هناك لمدة سنة وبعد

(١) ينظر: الإبادة الجماعية في كردستان العراق: دكتور محمد احسان، ٣١٩

(٢) ينظر: شورشه كاني كورد: علاء الدين السجادي، بغداد، ١٩٥٩

عودته إلى بارزان لم يعيش طويلاً إذ وافته المنية عام ١٩٠٣ وخلف خمسة أولاد وهم (الشيخ عبد السلام، الشيخ أحمد، محمد صديق، بابو، الملا مصطفى)^(١).

منطقة بارزان

تقع منطقة بارزان في أقصى الشمال من كردستان العراق ضمن حدود محافظة أربيل الإدارية، مركزها قضاء ميركه سور، وينقسم القضاء على ثلاثة نواحي هي (ميركه سور-بارزان - شيروان) مجدها من الشرق قضاء رواندز ومن الغرب قضاء العمادية ومن الجنوب قضاء عقرة ومن الشمال الحدود التركية.

يشتغل أهل المنطقة بالزراعة وتربية المواشي والأغنام، وعدد قراها (٤٠٠) وعدد سكانها حوال (٣٥٠٠٠-٤٠٠٠٠) نسمة حسب إحصائية ثورة أيلول في أواخر الستينات، وهي منطقة جبلية وعرة صعبة العبور يشقها من الغرب نهر الزاب الكبير ماراً بجنوب بارزان حتى يمر من كه لي بيخمة ويلتقي بنهر دجلة جنوب الموصل، ونهر روكوجك من الشمال ماراً بوسط المنطقة ويلتقي بزاب الكبير قرب ريزان، ومن جبالها المعروفة شيرن المطل على بارزان وبوتين وبيران وقلندر وبرادوست و زه رده نه و كوري هوري^(٢).

الفرع الثاني: جهود البارزانيين في الثورات الكوردية

إن قيادة الحركة الوطنية الكوردية في العصر الحديث وبداية القرن العشرين تعود إلى الشيخ محمد البارزاني، الذي تمتع في وقته بمنزلة دينية واجتماعية مرموقة، ليس على مستوى منطقة بارزان، بل في عموم كردستان، وقد طالب الدولة العثمانية بالالتفات إلى مطالب الشعب الكوردي، وإقرار حقوقه حيث طالب بما يلي:

١- الاعتراف باللغة الكوردية لغة رسمية في المنطقة الكوردية.

٢- نشر التعليم في ربوع كردستان باللغة الكوردية.

٣- جعل الموظفين المحليين في المنطقة الكوردية من أبنائها.

إنها مطالب وطنية، تبنها الشيخ محمد وطالب الحكومة العثمانية بتحقيقها، وسعاه باقي البارزانيين، وإنه نهج عمل وطني وتعامل ثوري مع الدولة المركزية سار عليه الشيخ عبد السلام بعد تسلمه المشيخة أثر وفاة شقيقه الشيخ محمد^(٣).

وارتبط هدف القادة البارزانيين في ثورتهم ضد العثمانيين بإيصال صوت الكورد إلى العالم عن طريق الطرق المباشرة لباب الإمبراطورية، والسعي إلى التسجيل الفعلي لحق الكورد في القومية شأنهم شأن الأقوام

(١) ينظر: البارزاني والحركة التحررية الكوردية: مسعود البارزاني، كاوا للثقافة الكوردية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٦، ٢٢-٢٤

(٢) ينظر: البارزاني والحركة التحررية الكوردية: المصدر السابق: ٢٤

(٣) ينظر: خلاصة تاريخ الكورد وكردستان: محمد أمين زكي، ٧٧

الأخرى، أما الثورات التي وقع بعد الخلافة العثمانية والتي أسستها الحركة الوطنية الكوردية والانتفاضات الثورية المتتالية التي قادوها ضد الحكم المركزي في بغداد ما بعد تأسيس الدولة العراقية، وبدأت من بارزان ونمت واتسعت فيها بعد لتشمل عموم كردستان العراق، وقد تكونت وحصلت على قوة الدفع الذاتي للاستمرار من تفاعل ظلم واستبداد السلطات المركزية في بغداد، لقد حدثت فيها عدة انتفاضات أو حركات ثورية كوردية ضد مركز الحكومة المستبد في بغداد، وكان الأكثر تكراراً من بينها، والأكثر قدرة على الاستمرار تلك التي بدأت من منطقة بارزان وبقيادة بارزانية^(١).

الفرع الثالث: عمليات إبادة البارزانيين

عمليات الأنفال للبارزانيين نفذها نظام صدام حسين الديكتاتوري ضد المواطنين المدنيين الكورد، وجرائم الأنفال التي تسبب في استشهاد (٨٠٠٠) ألف إنسان بارزاني، وأنفال البارزانيين جريمة وفقاً للمقاييس الدولية للجرائم تدخل في إطار جرائم الإبادة الجماعية (الجينوسايد)، وهذه الحقيقة تمت الإشارة إليها بوضوح في تقرير المنظمات الدولية لمراقبة حقوق الإنسان، وتحرك ملف الأنفال في المحكمة الجنائية العراقية.

لقد تم أنفال البارزانيين من قبل النظام البعثي الفاشي على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: هاجم النظام البعثي في يوم ٣١-٧-١٩٨٣ بقوة عسكرية كبيرة محاصرة مخيمي القدس والقادسية في منطقة (قوش تبة) وأخذوا جميع الرجال والأطفال الذين بلغوا سبع سنوات فما فوق وتركوا النساء والأطفال^(٢).

وكان المخيمان محاطين بالدبابات وطائرات الهليكوبتر العراقية للسيطرة عليهما. وكان ذلك بحضور برزان التكريتي وعدنان خير الله طلفاح مع اللوائين التابعين لهما من الحرس الجمهوري وقامت الشاحنات العسكرية بنقل البارزانيين إلى معسكر تكريت .

المرحلة الثانية: في يوم ١٠-٨-١٩٨٣ قام النظام البعثي الديكتاتوري بمحاصرة مخيمات (حرير وديانا وبحركة وكورتو) وبعدها قاموا بأخذ كل شخص يبلغ من العمر سبع سنوات فما فوق مرة أخرى. ونقلت الشاحنات العسكرية البارزانيين إلى منطقة (أبو غريب) وقد قام نظام البعث الإجرامي بفحص الأسلحة الكيماوية على البارزانيين ومدى فعاليتها فكانت أول تجربة لتلك الأسلحة على البارزانيين المدنيين المرحلة الثالثة: في يوم ١-١٠-١٩٨٣ هذه المرحلة كانت مشددة أكثر من المرحلتين السابقتين، إذ قامت سلطات البعث بالتفتيش عن الرجال البارزانيين يداً بيدٍ وملاحقتهم شبراً شبراً، وقادوهم إلى المقابر الجماعية وقتلوهم بشكل جماعي في مناطق مختلفة من صحراء بصرية التابعة لناحية بصرية في قضاء السلطان

(١) ينظر: الصمت الإبادة الجماعية في كردستان العراق: دكتور محمد احسان، ٣٢٤-٣٢٧

(٢) ينظر: الإبادة الجماعية في كردستان العراق: المصدر السابق، ٣٥٨

بمحافظة المنفى، وقد أنشأت المقابر الجماعية في تلك الصحراء الجرداء وقتلوا البارزانيين المدنيين الأبرياء ودفنهم وهم أحياء في تلك الصحراء^(١).

الفرع الرابع: نتائج عمليات إبادة البارزانيين

وقد بلغ عدد البارزانيين الذين أبادهم صدام ونظامه الشوفي بالمرحلة الثلاث (٨٠٠٠) بارزاني مدني ومن ضمنهم (٣١٥) طفلاً^(٢).

بعد أقل من سنة من حملة اعتقال البارزانيين التي نُقِذَتْ على يد رجال البعث وزبائيتهم، قاموا بسلسلة من الإجراءات القمعية والمعاقبة تجاه السكان المتبقين في المخيمات. تضمنت هذه الممارسات قطع الكهرباء عن المخيمات، ومنع النساء من الخروج منها، وحتى من الذهاب إلى الأسواق، كما قاموا بإغلاق المدارس أمام البارزانيين ومنعهم من مواصلة تلقي التعليم. كما أهملوا تقديم الخدمات الأساسية والرعاية الصحية اللازمة، مما أدى إلى تدهور الوضع الصحي المتردي في المخيمات. ولم يكتفوا بذلك، بل قطعوا أنابيب المياه ومنعوا وصول المواد الغذائية إلى السكان، مما أوقعهم في ظروف صعبة ومؤلمة^(٣).

المبحث الثالث: الإبادة الجماعية بالأسلحة الكيميائية في مدينة حلبجة

تمهيد

الإبادة الجماعية بالأسلحة الكيميائية في مدينة حلبجة تمثل موضوعاً يستحق التوقف والتفكير بجديّة، إذ يتناول تلك القضية انتهاكاً بالغ الخطورة لحقوق الإنسان والقيم الإنسانية. تجمع هذه المواضيع بين العنف الجسدي والتأثيرات الدائمة على الأفراد والمجتمعات، وتشكل تحديات أخلاقية وقانونية كبيرة.

أحد أبرز إنجازات صدام حسين هو تحقيق السيطرة الكاملة على كل جوانب الحياة، إذ أدى ذلك إلى تفكيك المدن من النواحي الاقتصادية والأمنية والاجتماعية. وبات النظام برئيسه صدام حسين هو الشخص الذي يجسد العراق بأكمله. وعندما شن النظام العراقي هجوماً على الكورد، لم تكن هناك أية قيود أخلاقية أو دينية أو سياسية تمنع من القتل والتنكيل بالمدنيين. لم يكن هناك أي ضوابط أو روادع يحول دون استخدام النظام للأسلحة الكيميائية ضد السكان كما حدث في مأساة حلبجة. في هذا المبحث، سأقوم بتقديم تعريف للأسلحة الكيميائية وسأقدم نظرة عامة عن مدينة حلبجة وسياق الإبادة الجماعية التي جرت هناك.

(١) ينظر: زيارة للماضي القريب: جرجيس فتح الله، دار الشمس للطباعة والنشر، ١٩٩٨، ٢٠٥-٢٠٦

(٢) موقع باس نويس: صدام الجلاد والإبادة الجماعية (جينوسايد) البارزانيين، نايف كه ردي، تأريخ الوضع: ٢٠٢٠/٧/١٣، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/٢

(٣) ينظر: الحملة على بادينان وأوضاع اللاجئين دراسة احصائية عامة: رؤوف كامل عقراوي، مطبعة وزارة التربية، اربيل، ط٢،

وسأستعرض الأضرار المحتملة على البشر والاقتصاد والبيئة وفقاً للمنظور الإسلامي.

المطلب الأول: التعريف بمدينة حلبجة

أولاً: تسمية حلبجة

أصل تسمية مدينة حلبجة: هناك أكثر من قول في أصل تسمية مدينة حلبجة. قيل إنها تصغير لكلمة حلب حيث كان أحد الولاة العثمانيين والياً على حلب ثم ولي على مدينة شاره زوور ثم ولي على مدينة حلبجة التي أعجب بها وقرر تسميتها بحلبجة تصغيراً لحلب التي هي ولايته السابقة، ولكن سبب التسمية هذا ضعيف إذ إن صيغة التصغير هذه غير صحيحة لغوياً لا في اللغة العربية ولا في اللغة الكوردية. كما وأن الوالي غير معروف ولم يذكر اسمه أو تاريخ ولايته، وقيل أيضاً أن سبب تسمية مدينة حلبجة يرجع إلى فاكهة وترجمتها باللغة الكوردية هي هه لوجه وهي فاكهة تشتهر بها مدينة حلبجة. ولكن هذا القول أيضاً ضعيف حيث أن المدينة تشتهر بعدة أنواع من الفواكه. لاسيما إلا أن والقول الأقرب للتصديق هو أن سبب تسمية مدينة حلبجة مأخوذ من الجملة الفارسية (عجب جا) والتي تعني مكان ملفت للنظر، فهذه الجملة الفارسية خرجت من أحد القادة الفرس عندما رأى جمال مدينة حلبجة^(١).

ثانياً: الموقع الإداري: العراق، محافظة حلبجة، وتقع في حدودها الإداري نواحي خورمال، وبياره، وسيروان، وسيد صادق قبل أن تتحول إلى قضاء مستقل.

ثالثاً: تاريخها: تم بناؤها منذ سنة ١٧٠٠ في زمن حاكم العثماني، وتحولت إلى مركز القضاء تابع لمتصرفية السلিমانيّة منذ سنة ١٨٨٩م.

رابعاً: حدودها الجغرافي: ٧٦ كم شرق السلیمانيّة، تحدها سلاسل جبال هورامان وسورين شمالاً، وسلاسل جبال بالامبو جنوباً، وسلاسل جبال شنروي شرقاً، وسهل شاره زوور الخصب غرباً.

خامساً: تعدادها السكاني: بلغ عدد سكانها ٧٦ ستة وسبعون ألف نسمة في سنة ١٩٨٨^(٢).

(١) موقع الحيوار المتمدن: (علي حسون)، تاريخ المراجعة ٢٠٢٢/٧/٤، وضع هذا المقالة في: ١٠/٧/٢٠٠٨/ جريدة المدى، (صافي

الياسري)، تاريخ المراجعة ٢٠٢٢/٧/٤ وضع هذه المقالة ١٥/١٠/٢٠٠٧

(٢) ينظر: حلبجة في مواجهة سموم الموت: بكر حمه صديق عارف، ٢٠١٤، ٢٠.

المطلب الثاني: تعريف الأسلحة الكيميائية

تعريف الأسلحة الكيماوية

يقصد بالأسلحة الكيماوية: "المادة الصلبة أو السائلة أو الغازية التي تسبب الموت أو التلف أو الضرر أو الإزعاج للإنسان والحيوان والنبات والمواد والمعدات الحربية من آليات وغيرها، أو تكون مادة دخانية أو محرقة أو مشلة للعقل والجسم" (١).

"ويكاد يتفق خبراء القانون الدولي العام على عدم وجود تعريف محدد ومتفق عليه لمصطلح أسلحة الدمار الشامل، ولم تظهر مشكلة التعريف حول هذه الأسلحة إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد عند مناقشة الأمم المتحدة لموضوع نزع السلاح، حيث تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية في ٨ سبتمبر ١٩٤٧م بمشروع قرار تحدث فيه عن أسلحة التدمير الجماعي (الأسلحة النووية، والأسلحة البيولوجية، والأسلحة الكيماوية) وأية أسلحة يتم تطويرها مستقبلاً تحمل ذات الخصائص التدميرية للقنابل الذرية" (٢).

ومع ظهور الاجتهادات في محاولة إيجاد مفهوم دقيق لهذا النوع من الأسلحة يحوي ما تتضمنه من خصائص يجعلها تفوق غيرها من حيث المخاطر، وضعت لجنة الأسلحة غير التقليدية في مجلس الأمن عام ١٩٤٨م تعريفاً لأسلحة الدمار الشامل، إذ عرفت بأنها: "تلك الأسلحة التي تشمل الأسلحة الذرية المتفجرة وأسلحة المواد المشعة، والأسلحة البيولوجية والكيميائية الفتاكة، وأية أسلحة أخرى تستحدث في المستقبل، تكون لها خصائص مماثلة للأثر التدميري للأسلحة المذكورة سابقاً" (٣).

فعرفت أسلحة الدمار الشامل بأنها: "تلك الأسلحة التي تحتوي على قدرة تدميرية وإشاعية وحرارية كوسيلة لإفناء البشر، أو إحراق أو تلويث الكائنات الحية، وسحق مظاهر الحياة في منطقة الانفجار وما حولها" (٤).

ومن خلال هذه التعريفات يتبين لنا بأنها متفقة على نقطة أساسية مشتركة وهي أن أسلحة الدمار الشامل تتكون من ثلاثة أنواع رئيسة هي: ١- النووية ٢- الكيميائية ٣- البيولوجية، وقد أطلق عليها اسم

(١) أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والنووية: دكتور منيب ساكت، وآخرون، دار هيران للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤، ٢٠١٠.

(٢) أسلحة الدمار الشامل في القانون الدولي العام: دكتور خليل حسن، ط١ ٢٠٠٩، ٢.

(٣) ينظر: حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح: الصادرة عن إدارة الشؤون السياسية وشؤون مجلس الأمن - مركز الأمم المتحدة لنزع السلاح، ١٩٨٠، ٣/٣٣٤.

(٤) نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية: دكتور عمر رضى بيومي، دار الهضبة العربية، ط٥، ٢٠٠٠، ٦.

الدمار الشامل بسبب قدراتها على إحداث خسائر كبيرة في الكائنات الحية، وتدمير هائل من المدن والبنىات والأهداف المختلفة في مساحات شاسعة.

المطلب الثالث: مقدمات الإبادة الجماعية في حلبجة

ترتبط مدينة حلبجة بتاريخ الحركة الكوردية التحررية، فقد كانت هذه المدينة تنبض بالحياة والحركة السياسية والثقافية منذ أقدم الأزمنة، إذ أنجبت كثيراً من علماء وشعراء الكورد، ممن كان لهم الدور البارز في تكوين مجتمع حركي والقضية الكوردية، ومن حلبجة ولدت بعض الحركات القومية والإسلامية.

من هنا لا يمكن الحديث عن تاريخ العلم والأدب والتصوف والاقتصاد والاجتماع والسياسة للشعب الكوردي دون الرجوع والنظر إلى حلبجة، تلك المدينة التي تحولت في عام ١٩٨٨ إلى ملحمة دموية أمام أنظار العالم العمياء.

مدينة حلبجة تعرضت إلى عمليات عسكرية كثيرة متوالية منذ تأسيس الدولة العراقية من جانب الحكومات العراقية التي تعاقبت في العراق، وقد وقع المواطنون الأبرياء ضحية لها، لا لكونهم طرفاً في المعادلة العسكرية أو الناشطين في الأحزاب السياسية، بل لأن حلبجة مدينة كوردية.

ومن أبرز هذه الحملات ما يأتي:

١- أحداث حزيران - تموز عام ١٩٦٣

وهي الأحداث المشهورة بين الكورد بحملات الزعيم صديق^(١)، الذي اشتهر بقسوته البالغة وبطشه بالمواطنين، حيث ابتكر أشكالاً عدة لإعدام الأبرياء أمام ذويهم رميّاً بالرصاص، لإرعاب الناس وإرهابهم، فبعدها قام باقتراف عدد من جرائم القتل الجماعي في مدينة السليمانية، توجه نحو حلبجة باعتبارها آخر المعاقل الرئيسة للبيشمركة الكوردية، وعند جسر الزلم واجه مقاومة بطولية من قبل البيشمركة، إلا أنه هاجم المدينة وأحرق بساكنيها ومحلاتها التجارية وحديقتها الجميلة المعروفة ببياخي مير، أي حديقة الأمير، وألحق

(١) الزعيم صديق مصطفى أحد ضباط الجيش العراقي السابق، ينحدر من مدينة الموصل وينتمي لكتلة الموصل العسكرية، استلم منصب آمر اللواء الخامس ثم اللواء العشرين في الجيش العراقي بعد انقلاب رمضان ١٩٦٣ واتهم في هذه الفترة بارتكاب مجازر ضد المدنيين الكورد في حرب كوردستان في مدينة السليمانية يوم ٦ حزيران ١٩٦٣ وهو ما يسميه الكورد باليوم الأسود. ودفنوا في مقبرة جماعية هناك عرفت آنذاك باسم وادي الموت، حيث ذهب ضحية هذه المجزرة ٤٠٠ من المدنيين حسب المصادر الكوردية. تواطأ كثيراً مع ميليشيات الحرس القومي مما حدا بالرئيس عبد السلام عارف باقصائه من الجيش بعد حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣. / صحيفة التاخي الكوردية: احمد ولي هيمت، مقالة رجال ومواقف ٢٠١٢، تاريخ المراجعة ٢٠٢٢/٧/٥ وضع هذه المقالة

بالمواطنين الأبرياء وممتلكاتهم أضراراً بالغة.

تروى قصة عن شهود عيان أنه قام بتعصيب عن أخوين أمام باب السراي في المدينة وأمر بإطلاق النار عليهما، كما وقامت قواته بنهب ممتلكات الناس في المدينة، من محلات تجارية ودكاكين وبيوت وحدائق وبساتين، دون مراعاة لمبادئ حقوق الإنسان والقوانين الدولية، بل وحتى القوانين المرعية في العراق، إن هذه الفترة العصبية من تاريخ كرد العراق معروفة بأيام منع التجوال^(١).

٢- أحداث عام ١٩٧٤

بعد أن جاء حزب البعث الفاشي عام ١٩٦٨ إلى سيادة الحكم في العراق، وكانت المفاوضات بينه وبين الحركة الكردية بقيادة المرحوم الملا مصطفى البرزاني قد أثمرت عن توقيع إتفاقية آذار عام ١٩٧٠، وتحديد فترة انتقالية من أجل حل الخلافات في عدد من النقاط الخلافية، وذلك على أمل التوصل إلى اتفاق يرضي الأطراف المتفاوضة.

"أما النظام البعثي ونظرة أقطابه القومية والعروبة والشمولية أوصل هذا المشروع إلى طريق مسدود بالنسبة للكورد في عدد من النقاط في الاتفاق المنتظر، وعلى رأسها ما يتعلق:

أ- حدود كوردستان الجغرافية المشمولة بالحكم الذاتي.

ب- مستقبل القوات المسلحة الكردية.

ت- صيغة المشاركة الكردية في الحكم"^(٢).

وقد تمثلت هذه النقاط انتهاكات الحكومة العراقية، وبعد أربعة أشهر على توقيع إتفاقية آذار ١٩٧٠، في قيامها كمرحلة أولى لإجهاض المفاوضات بإصدار الدستور العراقي المؤقت الذي تجاهل حقوق الكورد، وكذلك تجريد الوزراء الكورد من صلاحياتهم، كما وأصبحت الأجهزة الأمنية هي التي تحكم المنطقة الكردية، هذا فضلاً عن استمرار عملية تعريب كركوك وخانقين وغيرها، وتهجير الكورد منها، واحلال أعداد كبيرة من العرب محلهم، وكمحلة ثانية قامت بطرد مائة وعشرين ألف عائلة من الكورد الفيليين بحجة كونهم من أصول إيرانية، وقد عملت على ترحيلهم وتجريدهم من ممتلكاتهم، كما ونظمت محاولتين لاغتيال الملا مصطفى البارزاني قائد الحركة الكردية التحررية وذلك في عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢، وكمحلة ثالثة وبخلاف إتفاقية آذار

(١) ينظر: عالم الكورد المرعب: دكتور طه بابان، ط١، ٢٠٠٠، ١٠-١٢

(٢) قضايا القوميات وأثرها على العلاقات الدولية القضية الكردية نموذجاً: دكتور مثنى أمين قادر، منشورات مركز كوردستان للدراسات

الإستراتيجية، السليمانية، ط١، ٢٠٠٣، ١١٣

عام ١٩٧٠ عملت على تحديد منطقة الحكم الذاتي، وكمرحلة رابعة أعلنت قانون الحكم الذاتي بدون الاتفاق على هذا مع الجانب الكوردي المفاوض، بل وعدته قانوناً نهائياً وملزماً^(١).

وفي ٢٦/٤/١٩٧٤، لجأ نظام البعث إلى قصف مدينة حلبجة عن طريق الطائرات الحربية التابعة لسلاح الجو العراقي، باستخدام القنابل المحرمة دولياً من نوع نابالم، وصواريخ جو-أرض، مما أدى إلى مقتل أكثر من خمسين مدنياً، وجرح أكثر من مائة شخص، وتدمير العديد من الأبنية، وإلحاق أضرار مادية كبيرة بالمدينة، وتحويلها إلى مدينة الأشباح، فقد كان القصف عشوائياً طال الجميع، فلم يفصل بين المدنيين وقوات البيشمركة^(٢).

٣- أحداث ١٩٧٨-١٩٧٩

بدأ النظام البعثي الفاشي بسياسة ترحيل أبناء الشعب الكوردي من مناطق كوردستان بإبلاغ أهالي القرى القريبة من الحدود الإيرانية بالرحيل من قراهم، والانتقال إلى مجتمعات سكنية قسرية، لا تتوفر فيها أدنى مستويات المعيشة الطبيعية، وكان نصيب منطقة حلبجة من ذلك هدم ونسف ١٩٨ قرية من مجموع ٢١٦ قرية، لقد اتبع النظام البعثي سياسة عدوانية بترحيل أهالي القرى إلى مجتمعات سكنية لا تتوفر فيها أبسط مستلزمات العيش الكريم، وهذا خطة مسبقة لدخول شباب الكورد مجبرين في أفواج الدفاع الوطني، التي شكلها النظام البعثي آنذاك لضرب الحركة التحررية الكوردية، والتي كانت تعرف حينها بقوات الجحوش أي (جاش) باللغة الكوردية.

أما المجتمعات السكنية التي نقل إليها سكان القرى التابعة لحلبجة، فهي مجمع خورمال، ومجمع عنب، ومجمع زمقي، وقد قام النظام البعثي الفاشي فيما بعد بإنشاء مدينة جديدة على شكل مجمع كبير أطلق عليها اسم حلبجة صدامية، تقع في الجنوب الغربي من مدينة حلبجة^(٣).

٤- أحداث عام ١٩٨٧

انطلاقاً من الفكر العدواني الفاشي ضد الكورد الذي سلكه النظام البعثي، والذي تمثل في تلك الفترة في فرض الإجراءات الأمنية والعسكرية القائمة على تهجير أهالي القرى وترحيلهم إلى مجتمعات قسرية والالتزام بقاعدة الأراضي المحروقة والمناطق المحرمة، فقد وضع النظام البعثي خطة عسكرية أمنية بإفراغ الشريط الحدودي

(١) ينظر: المسألة الكوردية في العراق ورقة مقدمة لندوة الأقليات في الوطن العربي: سعد ناجي جواد، الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع جامعة الخرطوم، الخرطوم ١٩٨٨، ٢٨

(٢) ينظر: ذكريات حلبجة: بكر حمه صديق، ترجمة حين عبد الكريم، وزارة الثقافة السلیمانية، ط١، ٢٠٠٤، ١٧

(٣) ينظر: ذكريات حلبجة: المصدر السابق، ١٨-٢٢

الممتد بشكل نصف دائرة حول مدينة حلبجة، وذلك بعمق عشرين كيلومتراً باتجاه الحدود الإيرانية، فقد كان نية النظام البعثي فرض الطوق على مدينة حلبجة وعزلها عن المناطق المجاورة.

ولهذا فقد قام النظام البعثي في ١٠/٥/١٩٨٧ بحشد قوات عسكرية كبيرة من الجيش وأفواج الدفاع الوطني (الجحوش) في منطقة حلبجة وسيدصادق وسيروان، فضلاً عن عشرات الآليات ووسائل النقل المتنوعة والشفلات والبلدوزرات، وعمل على توزيعها في ١١/٥/١٩٨٧ على المناطق المحددة كأهداف عسكرية، وقد شملت هذه الحملة العسكرية ٥٢ قرية في حوض شارزووري، بدءاً من حدود قسبة عربت وانتهاءً بخورمال وسيروان وسيدصادق، إذ تم إجبار سكان هذه المناطق على الرحيل من أماكن سكنهم بالقوة، بل وقامت هذه الحشود العسكرية بنقل أثاث مساكنهم بوسائل النقل العسكرية إلى مدينة حلبجة، فضلاً عن القيام بتفجير الأماكن وقنوات الري باستخدام المفرقات من نوع TNT.

واستنكاراً لما قام به النظام البعثي الفاشي من فرض للأسلوب العسكري الأمني العدواني ضد أهالي حلبجة وضواحيها، نظمت مجموعة من شباب المدينة وطلابها مظاهرة سلمية، جابت شوارع المدينة، وهم ينادون: (لا للترحيل، لا للتبعيث، لا للتعريب)، فكان جواب الأجهزة الأمنية القمعية في المدينة على ذلك إطلاق النار عليهم، مما أدى إلى استشهاد شاب اسمه مريوان حمه رشيد، فحمل المتظاهرون جثته وطافوا بها في المدينة، وتطور الوضع كنتيجة لهذه الحادثة المؤلمة، توسعت المظاهرة وشملت ضواحي المدينة، ووصلت إلى نواحي سيروان، خورمال، وسيد صادق، واستمرت ليومي ١١ و١٢/٥/١٩٨٧ ولهذا عمل النظام البعثي على إرسال تعزيزات عسكرية جوية وقوات من المشاة والمغاوير إلى المدينة، فقد قامت ثمان طائرات مروحية بقصف المدينة بالقنابل، وإطلاق النار عن طريق رشاشات الطائرات، على محلة كاني عاشقان، وشيخ سمائل، وبيرمحمد، وموردانه، مما ترتب على ذلك مقتل عدد من المواطنين في محلة كاني عاشقان، وجرح آخرين، بل وأمرت الأجهزة الأمنية بجمع الجرحى ليلاً من المستشفيات واعتقالهم مع مرافقيهم، ودفنهم أحياء، وعددهم أربعة وعشرون شخصاً، في معسكر باموك جنوب شرقي المدينة ومعسكر شاندرلي الواقع قرب ناحية سيد صادق، وكانت تابعة لقضاء حلبجة، ولم يتم العثور على جثثهم إلا بعد عام ١٩٩٥، وكان من بين القتلى رجال وشباب وشيوخ من الفلاحين والكسبة والأطفال، وقد دفعت هذه الممارسات الإرهابية الناس إلى مغادرة المدينة بأعداد كبيرة، وقد قامت أجهزة النظام البعثي بالاستيلاء على ممتلكاتهم ونسفت محلة كاني عاشقان، والتي عدد المساكن فيها يبلغ حوالي ٢٥٠ مسكناً بالرافعات، وكذلك محلة موردانه^(١).

(١) ينظر: كاره ساتي كيميبارني حلبجة: شوكت حاجي مشير، به هاري ١٩٨٨، كورته باسيكي جوكراني

وفي ظل هذه الظروف قصفت مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية في ١٦/٣/١٩٨٨، إذ قام النظام البعثي الفاشي بعد سحب الجيش من مدينة حلبجة والمجمعات المحيطة بها، باستخدام العشرات من طائرات سيخو وميراج، وعلى مدى ١٥ غارة جوية، شاركت في كل منها ٨-١٠ طائرات بقصف حلبجة بالأسلحة الكيماوية الحاوية على غازات (الخرذل،السيانيد،الفسفور،العنقود) مما ترتب على ذلك موت خمسة آلاف شخص، فضلا عن إصابة عشرة آلاف آخرين بجروح بليغة، بينهم نساء وأطفال وشيوخ^(١).

لقد بدأ هذا الهجوم الكيماوي في منتصف صباح يوم ٣/١٦، وذلك بغارات جوية وقصف مدفعي من بلدة سيد صادق، ويبدو أن الهجمات الجوية الأولى كانت مشتملة على استخدام قنابل النابالم والفسفور، وقد استمرت الغارات لبضعة ساعات بدون انقطاع، ولهذا فإن سكان المدينة حال بدء القصف الجوي سارعوا إلى ملاجئ بدائية، كانوا قد أعدوها بالقرب من بيوتهم، واحتشدوا فيها، كما واحتشد آخرون في الأماكن الأخرى.

وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر شعر الناس الذين بقوا داخل البيوت والملاجئ برائحة غير إعتيادية مماثلة لرائحة التفاح الحلو أو العطور أو الخيار، وقد اتضح أن الهجوم قد تركز على الجزء الشمالي من المدينة، لقد شاهد سكان حلبجة، ممن نجى بعد هذا القصف الوحشي، وتحت الضوء الباهت، مشاهدة مروعة لا تنسى، فقد كانت جثث البشر والحيوانات والطيور على حد سواء مبعثرة في الشوارع، ومتراكمة عند مداخل البيوت والملاجئ والسيارات، أما من كان قد بقي حيا وتعرض لآثار القصف الكيماوي فكان يمشي باضطراب هنا وهناك، يضحك بصورة هستيرية ثم ينهار ويسقط على الأرض^(٢)، لقد هرب الذين كان باستطاعتهم ذلك باتجاه الحدود الإيرانية، ومات على الطريق الكثير من الأطفال وتركوا حيث سقطوا، وساءت أوضاع من تعرض للغازات الكيماوية أثناء القصف، واضطر الهاربون إلى التفرق في الجبال عندما بدأت الطائرات تحلق فوقهم.

وقد تدفق الناجون من القصف الكيماوي نحو إيران، وإن الجانب الإيراني كان قد يرى استعدادة لمساعدة اللاجئين، لذا فقد هرعت إليهم طائرات الهيلوكبتر، ومن ثم جرت عمليات نقلهم وتقديم العناية الطبية الممكنة، إلا أن بعضهم كان لديه إصابات من غير الممكن علاجها فتوفوا على الأراضي الإيرانية، وقد

(١) ينظر: الحماية الدولية للبيئة من أسلحة الدمار الشامل حالة العراق نموذجا: سيروان طه أحمد، مركز كوردستان للدراسات

الإستراتيجية،السليمانية،٢٠٠٦، ٢٦٦

(٢) ينظر: الإبادة الجماعية في كوردستان العراق: المصدر السابق، ٤٣٢-٤٣٣

تم إسكان اللاجئين في مخيمين، أحدهما في سنقر كليائي، وثانيهما في كامياران في محافظة كرمينشاه.

لقد قامت القوات العراقية بعد استعادتها للمدينة بتدمير مدينة حلبجة بالديناميت والبلدوزرات، وكذلك دمرت مجمعي زمقي وعنب، اللذين كانا قد شيئا بالقرب من حلبجة أواخر السبعينات، من أجل إيواء القرويين النازحين من المناطق الحدودية المدمرة، وإلى سويت مدينة حلبجة بالأرض، وقد بقيت الكثير من الجثث في الشوارع لتتعفن، ولمدة وصلت إلى أربعة أشهر^(١).

المطلب الرابع: الأضرار البشرية، والاقتصادية، والبيئية في الفقه الإسلامي

من الصعب تحديد الأضرار المترتبة على قصف النظام البعثي الفاشي بالأسلحة الكيماوية لمدينة حلبجة، إلا أنه بالتقريب على وجه العموم يمكن تصنيفها إلى أضرار بشرية، وأضرار مادية، وأضرار بيئية، وستعرض لذكر هذه الأضرار في ثلاثة فروع مع بيان موقف الفقه الإسلامي المعاصر منها، وذلك على الوجه الآتي:

الفرع الأول: الأضرار البشرية:

إنَّ الأرقام المتعلقة بأعداد ضحايا القصف الكيماوي لحلبجة محيرة، وغير محددة بشكل دقيق، فهناك تقديرات من الجانب الكوردي، وكذلك من الجانب الإيراني، بأن أعداد الضحايا لا تقل عن (٤٠٠٠) شهيداً ولا تزيد على (٧٠٠٠) شهيداً، وبناء على البيانات التي أعلن جمعية ضحايا القصف الكيماوي في حلبجة (٥٤٦١) شخصاً، وقد يتزايد الضحايا يوماً بعد يوم، لأن عدد المصابين الذين كانوا في (١٤) مخيماً للاجئين في إيران، ووفقاً للأحصائيات الإيرانية، قد وصل آنذاك إلى (١٢٨٠٠) مصاباً^(٢).

موقف الإسلام من الأضرار البشرية:

موقف الإسلام من الأضرار البشرية في مدينة حلبجة يعكس القيم الإنسانية العالية التي يحملها الدين الإسلامي. إذ ينظر الإسلام إلى كل فرد بأنه كائن مخلوق من عند الله، ويتمتع بحقوق أساسية يجب أن يحترمها ويحميها المجتمع والدولة، وعندما تعرضت مدينة حلبجة للأضرار البشرية نتيجة استخدام أسلحة كيميائية

(١) ينظر: عشر سنوات على قصف مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية مارس آذار ١٩٨٨: عدنان المفتي، مركز الإعلام للإتحاد

الوطني الكوردستاني، ١٩٩٨، ٢

(٢) ينظر: منظمة مراقبة حقوق الإنسان جريمة العراق في الإبادة الجماعية حملة الأنفال ضد الكورد، ٤٩٢/الإبادة الجماعية في كوردستان العراق: محمد احسان، ٤٥١-٤٥٢/جينوسايد لة باشووري كوردستان رابوردو، تيسستا و ثايندة، ليكوت و كاربيكة ربي و نةركة كان:

تةها سلیمان، مجلة جامعة كرميان، ٧٧/garmian، ٢٤٢٧١/١٠، Conference Paper، <https://doi.org/10.24271/garmian.77>

(July, ٢٠١٧)، ٣١٧

وغيرها من الأعمال العنيفة في الثمانينيات من القرن الماضي، فإن هذا التصرف يناقض تمامًا مبادئ وقيم الإسلام. الذي يحرم الإسلام بشكل قاطع القتل العمد والإيذاء اللاحق بغير حق، ويعد استخدام الأسلحة الكيميائية والدمار الشامل غير مشروع ومخالف للمبادئ الإنسانية والقيم الإسلامية، إن الإسلام يحث على حماية الحياة وحقوق الإنسان، ويدعو إلى تحقيق العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع. ينبغي على المسلمين التعاون على تحقيق السلام ومنع العنف والأذى، والعمل من أجل الحفاظ على الأمان والاستقرار في المجتمعات، وبالتالي، يمثل استخدام الأسلحة الكيميائية وتسببها في أضرار بشرية في مدينة حلبجة مخالفة صريحة لمبادئ الإسلام، ويجب على المسلمين والمجتمع الدولي العمل معًا لمنع حدوث مثل هذه الأفعال وتجنب الإضرار بالناس والمجتمعات والبيئة. يتعين علينا أن نسعى جميعًا لتحقيق السلام والعدل والتعاون من أجل بناء عالم أكثر إنسانية وأمانًا للجميع، واستخدام أسلحة الدمار الشامل من جانب النظام البعثي الفاشي من دون اعتبار للقواعد التي وضعتها الشريعة الإسلامية لئلا لا تفسد الحث والنسل، فهذه الأسلحة تبيد الأخضر واليابس وعلّة لهلاك البشرية.

الأدلة كثيرة على حرمة قتل الأبرياء وإزهاق أرواح الناس، منها:

- ١- أخبرنا القرآن الكريم أن أمن أي مجتمع يتوقف على حمايته من الأشرار، وتوقيع العقاب الرادع عليهم، ليعيش أبناء هذا المجتمع في أمن وأمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدًّا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]
- ٢- حذر الإسلام من اعتداء الإنسان على غيره تحذيرًا شديدًا، وبين سوء عاقبته، وعظم عقوبة فاعله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣]
- ٣- لقد جعل الله قتل نفس واحدة بغير حق، كقتل الناس جميعًا، وإحياءها كإحياء الناس جميعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢]
- ٤- ومن صفات وسمات عباد الرحمان أنهم لا يقتلون الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨]

أما الأدلة في الأحاديث النبوية فكثيرة جداً، منها:

١- عن أبي هريرة عن رسول الله - ﷺ -: ((لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله - عز وجل - في النار))^(١).

٢- عن أبي سعيد عن رسول الله - ﷺ -: قال: ((يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار وبمن جعل مع الله إلهاً آخر وبمن قتل نفساً بغير نفس فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم))^(٢).

٣- عن البراء بن عازب عن رسول الله - ﷺ -: ((لروال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم))^(٣).

٤- عن عبد الله ابن عمرو عن رسول الله - ﷺ -: ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً))^(٤).

يؤكد الإسلام حماية حقوق الإنسان وحياة الأبرياء ويحرم بشدة القتل العمد والاعتداء على الأفراد الأبرياء كما ذكرنا، ولا يمكن تبرير قتل أي شخص بدون جرم أو تحت أي ذريعة، بغض النظر عن دينه أو مذهبه. القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكدان على أهمية السلام والرحمة والعدل بين الناس.

وما حدث في حلبجة ومقتل الآلاف من الأبرياء بما فيهم الأطفال والنساء والشيوخ والشباب والحيوانات جريمة بشعة ومذمومة في الإسلام وفي كل الأديان والأنظمة الإنسانية. ولا يمكن أن يكون هذا العمل مقبولاً بأي حال من الأحوال، ويجب أن يتحمل المسؤولية الذين يقفون وراء هذه الجريمة النكراء.

إن نظام البعث الفاشي الذي تسبب في تلك الجرائم البشعة والمروعة غير مُبرَّر شرعاً أو أخلاقياً في الإسلام أو في أي نظام عادل. يجب أن يحاسب المجرمون على أفعالهم وينصف الضحايا، ويجب أن يعمل المجتمع الدولي معاً لضمان تحقيق العدالة والمساءلة.

الفرع الثاني: الأضرار الاقتصادية:

وفيما يتعلق بحجم الأضرار الاقتصادية التي لحقت بالمدينة نتيجة القصف الكيميائي، فإنه من الصعب

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الديات، باب حكم الدماء، رقم (١٣٩٨)، وقال هذا حديث غريب / صححه الألباني في صحيح

وضعيف الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، رقم (٩٣٧٨)، ٣/٤

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري، رقم (١١٣٥٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: بعضه

صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية

(٣) التخریج في صفحة: ١٤٩

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم (٣١٦٦)

بالنسبة لأي باحث تقديرها، خاصة وأن المدينة تعرضت ظهر يوم ١٦/٣/١٩٨٨ للقصف باستعمال الطائرات القاذفة للقنابل، وهذا أدى إلى تدمير عدد كبير من المباني السكنية، والمباني التجارية، والدوائر الحكومية، من المساجد والمدارس والمستشفيات، وكذلك تدمير الشوارع والأزقة وشبكات المياه والكهرباء^(١).

وفي ضوء هذا من الصعب تقديم تصور دقيق عن حجم الأضرار المادية، التي تعرض لها مدينة حلبجة أثناء الضربة الكيميائية، لاسيما وإن المدينة قد تعرضت للنهب والسلب لعدة أيام، إلى أن تم طرد جميع المسلحين الموجودين فيها من جانب القوات الإيرانية.

إن مدينة حلبجة، وبعد انسحاب القوات الإيرانية منها ودخول القوات العراقية إليها، كانت مهجورة بأكملها %١٠٠، إلا أن أعمال النهب والسلب تكررت من جديد، وهذه المرة من قبل القوات العراقية وعملاء النظام البعثي، بل إن الجيش العراقي قام بتدمير وتفجير المؤسسات الحكومية والخدمية فيها، ومن ذلك بعض المعامل، والمستشفى العام، والمدارس الموجودة في المدينة والمؤسسات الإدارية، وقد أجريت هذه العملية لمحو آثار المدينة بصورة كاملة^(٢).

موقف الإسلام من الأضرار الاقتصادية:

الاقتصاد عنصر ضروري من ضروريات الحياة والمعيشة التي لا غنى للإنسان عنها، وهو يشمل كل شيء له قيمة مادية ومنفعة حسب العرف السائد، بالاقتصاد يشبع الأمم حاجاتها الأساسية المتمثلة في قوتها ومشربها وملبسها ومسكنها.

يعد الاقتصاد مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، بل من ضمن الضروريات الخمس (أو الكليات الخمس) الواجب حفظها^(٣).

هذا ومن المعلوم أن الاقتصاد قوام الحياة المعيشية، وأساس تقدم الدول والجماعات، فبه تنهض الأمة، وهو المعوّل عليه في الحرب والسلام، وبناء النهضات والحضارات، لذا صانه الإسلام، وجعل تحركه وانتقاله بين الناس مرهوناً بالحق والعدل، فلا غش ولا غبن، ولا ظلم ولا استغلال ولا اغتصاب، ولا يجوز لأحد أن يأخذ

(١) ينظر: حلبجة في مواجهة سموم الموت: بكر حه مه صديق، ٥٤

(٢) ينظر: حلبجة في مواجهة سموم الموت: المصدر السابق: ص ٣٨٤-٣٨٥

(٣) ينظر: البحر المحيظ في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتي، ط١، ١٩٩٤،

٢٦٦/٧ / تيسير التحرير: محمد أمين بن محمود البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣، ٣/٣٠٦

مال أحد إلا بإذنه ورضاه^(١). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى
الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

من مبادئ الإسلام الحفاظ على البنية التحتية والمال العام والخاص، هذا أبو بكر الصديق أول خليفة للمسلمين يوصي أمير أول بعثة حربية في عهده أسامة بن زيد فيقول: (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تغرقوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبجوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)^(٢).

جاءت الشريعة للحفاظ على الممتلكات الخاصة والعامة فوضعت لها ضرورات لتحفظها من الضياع والمار، فكيف يمكن تفسير هدم وتفجير المساجد والمدارس والمستشفيات وحرق البساتين والمحاصيل الزراعية، وتخطيط البنية الاقتصادية وتدمير الشوارع، والمدينة بأكملها، من قبل حزب البعث القومي الفاشي، فهذا يعد انتهاكا صارخا للإسلام والدين، فحفظ الممتلكات الذي شرع الإسلام لتحصيلها وكسبها إيجاب السعي للرزق، وإباحة المعاملات والمبادلات والتجارة، وقد شرع لحفظه وحمايته تحريم السرقة وحد السارق والسارقة، وتحريم الغش والخيانة وحرمة أكل أموال الناس بالباطل والاعتداء، فنحمي بذلك الأموال التي هي عصب الحياة^(٣).

وقال النبي - ﷺ - في خطبة حجة الوداع: ((إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا))^(٤).

يعد شأن الاقتصاد في الإسلام من الأمور ذات الأهمية التي يوليها الدين الإسلامي اهتماماً كبيراً. ويعد الاقتصاد في الإسلام أساساً لتحقيق العدل والاستقرار في المجتمع، ويشجع النظام الإقتصادي الإسلامي على حماية الممتلكات والموارد الاقتصادية الخاصة والعامة ومنع أي نوع من التدمير أو النهب أو السلب، وإن الهجوم الكيماوي على مدينة حلبجة قد تسبب في أضرار هائلة في الاقتصاد المحلي والبنية التحتية والممتلكات

(١) ينظر: موسوعة القواعد الفقهية: محمد صدقي بن أحمد بن محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ٢٦٣/١٢

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير، ٢٤٦/٢

(٣) ينظر: المستصفي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣،

١٧٤

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم(١٧٣٩)، وأخرجه المسلم في صحيحه، كتاب القسمة والمخاربن، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم(١٦٧٩)

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢]

إن استخدام الأسلحة الكيميائية أدت إلى تدمير البيئة وفساد الكون وتلويثها بأنواع الفيروسات، وتفسد الماء والهواء والتربة والزراعة والأنهار والأشجار والمصانع، والمرافق الحيوية والنباتات والبيئة الطبيعية(١).

لدرجة أن بعض العلماء قالوا: "السم جميع منافعه محرمة لا يحل بيع السم، ولا ملكه على حال والناس مجتمعون على تحريم بيعه"(٢).

المبحث الرابع: الإبادة الجماعية في حملات الأنفال

الإبادة الجماعية التي تعرض لها الكورد في ما سميت بحملات الأنفال تمثل واحدة من أكثر الأحداث الكارثية في التاريخ الحديث. هذه الحملات التي نفذها النظام العراقي بقيادة صدام حسين خلال القرن الماضي واستهدفت الكورد في العراق. كانت هذه الحملات مصحوبة بجرائم فظيعة ضد الإنسانية وتسببت في موت الآلاف وشردت مئات الآلاف.

حملات الأنفال والتاريخ الحديث للعراق: تقع حملات الأنفال ضمن سياق التاريخ الحديث للعراق، وهي جزء من سجل النزاعات والانتهاكات الواسعة النطاق التي شهدتها العراق خلال العقود الأخيرة. تمت حملات الأنفال بهدف تطهير مناطق كوردستان العراق من الكورد وتفكيك هويتهم وتهجيرهم. تضمنت هذه الحملات هجمات ممنهجة تشمل القتل والتشريد واستخدام الأسلحة الكيميائية. وتعد حملات الأنفال جرائم ضد الإنسانية وتجسد انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان والقوانين الدولية. يجب التحقيق في الآثار السلبية التي تركتها هذه الحملات الأنفال على الناجين وعائلات الضحايا، فقد ترتبت على هذه الأحداث تداعيات اجتماعية ونفسية هائلة.

(١) ينظر: البناية شرح الهداية: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ٤/٤١٥/بداية المجتهد و نهاية المقتصد: ابن رشد ١/٣٨٦/الأم: المصدر السابق ٤/٣٠٣/رؤوس المسائل الخلافية: أبي

المواهب الحسين بن محمد العكبري الحنبلي، ت: عبد الملك بنم عبد الله بن دهبش، مكة المكرمة، ١٤٢٨، ١٦٠٤

(٢) ينظر: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، ت: عبد الله المرابط الترغزي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ٦/١٨٦/مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: الخطاب،

٤/٢٦٥/أسنى المطالب في شرح روض الطالب: زكريا الأنصاري، ١٠/٢

٢- أنفال السرايا خاصة، وممن قال به الشعبي^(١)، والمراد بهذا القول ما ينقله الإمام لبعض السرايا، زيادة على قسمهم مع بقية الجيش^(٢). واختار ابن جرير هذا القول وقال: وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، لأن النفل في كلام العرب، إنما هو الزيادة على الشيء، يقال منه: نفلتكَ كذا، وأنفلتكَ، إذا زدتك^(٣).

٣- خصوص ما شذ عن الكفار إلى المؤمنين وأخذ بعير حرب، كالفرس والبعير يقع في أيدي المسلمين من غير حرب، فهو للنبي ﷺ - أو من يقوم مقامه من الخلفاء فيضع فيه ما يشاء^(٤)، وهو المسمى عند الفقهاء فيئاً.

٤- إن المراد بها الخمس، ونقل هذا القول عن مالك - رحمه الله - وعن مجاهد أيضاً^(٥).
٥- عبارة عما خصه الإمام لبعض المجاهدين تحريضاً لهم على القتال، سمي نفلاً، لكونه زيادة عن حصته من الغنيمة.

والتنفيل: تخصيص بعض المجاهدين بالزيادة، كأن يقول ولي الأمر: من أصاب شيئاً فله ربه أو ثلثه، أو فهو له^(٦).

وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال، قول من قال: هي زيادات يزيد بها الإمام بعض الجيش أو جميعهم، إما من سهمه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيباً لهم وتحريضاً لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، أو صلاح أحد الفريقين^(٧).
والراجح لدى الباحث هذا القول، لأن النفل في كلام العرب، كما بينا سابقاً هو الزيادة على الشيء.

(١) عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي أبو عمرو: من همدان، ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان ومات سنة أربع ومائة، وقيل سنة سبع ومائة، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. وروي أن ابن عمر مر به وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم وأنه علم بها مني. وقال ابن سيرين لأبي بكر الهذلي: الزم الشعبي فلقد رأيتَه يستفتي وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالكوفة. وقال أبو حصين: ما رأيت أعلم من الشعبي، قلت: ولا شريح؟ قال: تريد أن أكذب؟ ما رأيت أعلم من الشعبي. وقال مكحول: ما رأيت أحداً أعلم بسنة ماضية من عامر الشعبي، ينظر: سير أعلام النبلاء: المصدر السابق، ٤/٢٩٥/الأعلام: المصدر السابق، ٣/٢٥١

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، ٤٨/٢

(٣) ينظر: جامع البيان: المصدر السابق: ٣٦٦/١٣

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٣/١٣

(٥) ينظر: أضواء البيان: الشنقيطي، ٤٨/٢

(٦) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط٤، ٤/٨٠٩١

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن: المصدر السابق، ١٣/٣٦٦

المطلب الثاني: عمليات الأنفال التعريف والتسمية

الفرع الأول: التعريف

بعد التعرف على معنى الأنفال في اللغة والاصطلاح الشرعي، يبدأ الباحث بتحديد تعريف جديد لعمليات الأنفال وفق التسمية والتطبيق التي كان يستخدمها النظام العراقي السابق في أواخر القرن العشرين. إن مصطلح "الأنفال" استُغل من قبل النظام السابق برئاسة صدام حسين في العراق لارتكاب أبشع الجرائم ضد الإنسانية، إذ كانت عمليات الأنفال تُعد من بين عمليات الإبادة الجماعية التي نُقِّدَت سنة ١٩٨٨ ضد الكورد في العراق.

عندما أطلقت الحكومة العراقية السابقة عنان أجهزته الحزبية والأمنية المختلفة من القوات المسلحة العراقية، لإبادة جماعية باسم سورة قرآنية كريمة، وهي سورة الأنفال، والتي استهدفت أبناء الشعب الكوردي، ذهبَتْ ضحيتها عشرات الآلاف من الكورد الأبرياء، بعد أن ألقت الطائرات الحربية العراقية حمولتها، من قنابل الغازات السامة والقنابل الحارقة على رؤوس الأبرياء من الشعب الكوردي، مما أدى إلى وفاة أعداد كبيرة وإصابة الآخرين بجروح وحروق، ودفن بعض منهم أحياء في مقابر جماعية، وجلهم من الأطفال والنساء والشيوخ، لإفراغ القرى والقصبات والمدن الكوردية من جميع سكانها، في محاولة للقضاء على مقومات المجتمع الكوردي، ومسح جزء من هويته وتراثه الحضاري في عمق التاريخ، وإنهاء مظاهر الحياة في المنطقة، ومحاولة لتدوين هذه القومية في بوتقة أفكاره، وإن استغلال اسم سورة قرآنية في ارتكاب جريمة لتبرير عمل كهذا، هو جرم من الناحية الدينية والقانونية، وعمليات الأنفال جاءت مكملة لجريمة التعريب والتهجير القسري، التي حدثت في المدن الكوردية من قتل^(١).

بدأت عملية الأنفال في المدن الكوردية في كوردستان العراق بقرار مباشر من مجلس قيادة الثورة^(٢)، والذي كان أعلى سلطة لإصدار القرارات في العراق في ظل نظام صدام حسين. أصدر المجلس لقرار الرقم ١٦٠، في ٢٩ مارس ١٩٨٧، القاضي بتنصيب علي حسن المجيد حاكماً مطلقاً على المنطقة كوردستان من البلاد ليقوم بتنفيذ سياسة تدمير المناطق الكوردية، وقتل وتهجير المواطنين المقيمين فيها. وبموجب هذا القرار، بدأت عمليات الأنفال، وكانت عبارة عن عمليات إبادة جماعية عن طريق نقل أعداد كبيرة من السكان

(١) ينظر: عمليات الأنفال: المصدر السابق، ٤٠

(٢) أنشأ مجلس قيادة الثورة العراقي بعد الانقلاب العسكري في عام ١٩٦٨، وكان المجلس هيئة صنع القرار النهائي في العراق قبل الغزو بقيادة الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣. وقد مارس السلطة التشريعية والتنفيذية في البلاد، مع اختيار الرئيس ونائب الرئيس بأغلبية ثلثي المجلس. كان أول رئيس له هو أحمد حسن البكر منذ ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٩ عندما تولى نائبه صدام حسين رئاسته حتى عام ٢٠٠٣/ويكيبيديا الموسوعة الحرة: تأريخ الوضع في ٢٠١٩-١٢-١٥، تأريخ المراجعة ١-٥-٢٠٢٢

كالأسرى إلى مناطق الحضر في محافظة الموصل ونقرة سلمان في السماوة، ودفنهم وهم أحياء مع أفراد أسرهم في المقابر الجماعية، ما أدى إلى مقتل ١٨٢ ألف مواطن كوردي وتدمير أربعة آلاف قرية وأربعة قضاء و ٣٠ ناحية.

في ١١ يناير ٢٠٠٧، وأثناء محاكمة المتهم الرئيسي في قضية الأنفال، علي حسن المجيد، المعروف ب(علي الكيماوي)، وهو ابن عم صدام حسين، اعترف أمام المحكمة بأنه أصدر قرار ترحيل أهالي القرى الكوردية الواقعة على الشريط الحدودي مع إيران وتركيا وقرى أخرى، وأضاف أنه أمر القوات بإعدام كل من يتجاهل أوامر الحكومة بمغادرة القرى، خلال عملية عسكرية ضد الكورد عام ١٩٨٨، وأعطى تعليماته باعتبار هذه القرى مناطق محرمة، وأصدر أوامره للجنود باعتقال كل من يجدونه هناك^(١).

ولم يكن اسم عمليات الأنفال شيئاً غامضاً وبعيداً عن مسامع الجميع والدوائر الرسمية ووسائل الإعلام والمواطنين العراقيين، وإنما استخدمت الحكومة العراقية كلمة الأنفال ككود عسكري في قراراتها العلنية ومراسلاتها الداخلية، وكانت معروفة على نطاق واسع في العراق ولاسيما في المناطق الكوردية، بدأ التمهيد لعمليات الأنفال عندما تسلم علي حسن المجيد في ٢٩ آذار ١٩٨٧ مسؤولية أمين سر مكتب تنظيم الشمال لحزب البعث الإشتراكي، ومنحه مجلس قيادة الثورة بموجب القرار رقم ١٦٠ في ٢٩ آذار ١٩٨٧ صلاحيات مطلقة في كوردستان، فبموجب القرار المذكور كان علي حسن المجيد^(٢) ينوب عن ١- القيادة القطرية لحزب البعث ٢- مجلس قيادة الثورة، لتنفيذ سياساتهما في كوردستان بما فيها منطقة الحكم الذاتي، وعد مجلس قيادة الثورة في قراره المذكور، قرارات علي حسن المجيد إلزامية لمؤسسات الدولة العسكرية والأمنية والمدنية جميعها، وعليها جميعاً تنفيذها بما في ذلك المسائل الداخلية، في نطاق صلاحيات مجلس الأمن القومي ولجنة شؤون الشمال، وكانت هذه الصلاحيات مساوية لتلك التي يتمتع بها رئيس الجمهورية في هذه المنطقة^(٣).

وأصدر صدام حسين في ٢٠ أبريل ١٩٨٧ قراراً آخر منح بموجبه صلاحيات إضافية للمجيد لوضع ميزانية خاصة بلجنة شؤون الشمال، وكان القرار يقضي بربط الفيلقين الأول والخامس من الجيش العراقي النظامي ودوائر الأمن والاستخبارات العسكرية، وقوات الطوارئ وأفواج الدفاع الوطني والمفارز الخاصة وغيرها من المؤسسات القمعية بعلي حسن المجيد، وتلقي الأوامر منه فحسب، وإيقاف تنفيذ جميع القوانين والقرارات

(١) ينظر: موقع رصيف: شاهو القره داغي، السبت ٢١ أبريل ٢٠١٨ / ٢٠٢/٠٣ م، راجعت الموقع يوم الجمعة ١٧ / ٦ / ٢٠٢٢

(٢) علي حسن المجيد (و. ١٩٤١ - ت. ٢٠١٠) والملقب ب(علي الكيماوي) كناية عن بالتورط في استعمال الأسلحة الكيماوية ضد الشعب العراقي، ابن عم الرئيس العراقي السابق صدام حسين كما يعتبر من قياديين حزب البعث ووزير دفاع سابق في منتصف التسعينات/الجزيرة الموسوعة: تأريخ الوضع: ٢٠١٤/١٢/٤، تأريخ المراجعة ٢٠٢٢/٥/٢

(٣) ينظر: قضايا كردية معاصرة- كركوك-أنفال-كورد-توركيا: دكتور جبار قادر، دار آراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل-

والإجراءات الإدارية العراقية التي كانت تتعارض مع نص قرار مجلس قيادة الثورة، وجعل هذا القرار من علي حسن المجيد حاكماً مطلقاً في كردستان والمنطقة الشمالية بأسرها^(١).

وكانت سياسات المجيد نفذت تحت شعار حل القضية الكردية والقضاء على المخربين، وكما كانت المظاهر الرئيسية لهذه السياسة خلال العامين الذين قضاها المجيد كحاكم مطلق في كردستان، من ٢٩ آذار ١٩٨٧ وحتى ١ نيسان ١٩٨٩، تتلخص في:

١- الإعدام الجماعي وإخفاء أثر عشرات الآلاف من المدنيين الكورد، بمن فيهم عدد كبير جداً من النساء والأطفال، وفي كثير من الأحيان سكان قرى كاملة.

٢- استخدام الأسلحة الكيماوية بصورة واسعة، كغاز الأعصاب والساارين والخرذل في حلبجه، و ٤٠ موقعا آخر خلال الفترة، من نيسان ١٩٨٧ وحتى ١ أيلول ١٩٨٨ .

٣- تدمير أكثر من ألفي قرية، تشير إليها الوثائق الحكومية بصيغ أحرق، دمرت، سويت مع الأرض وجرى تطهيرها، فضلا عن عشرات القصبات والمراكز الإدارية بما فيها مدينة قلعة دزة التي بلغ عدد سكانها أكثر من ٧٠ الف نسمة عند تدميرها.

٤- تدمير المراكز المدنية كالمدارس، الجوامع، الكنائس، آبار المياه والينابيع، ومحطات الطاقة الكهربائية والمباني الحكومية الأخرى.

٥- نهب ممتلكات السكان المدنيين وحيواناتهم من قبل الجيش وقوات الجحوش.

٦- القاء القبض على القرويين بحجة التواجد في المناطق المحظورة، على الرغم من أنهم كانوا في بيوتهم ومزارعهم وعلى أراضيهم.

٧- حجز عشرات الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ لأشهر عديدة، وفي ظروف قاسية جداً، بدون أوامر صادرة من المحاكم، وبدون أية أسباب منطقية، سوى الشك في كونهم من أنصار الحركة الكردية. ونتيجة لذلك مات الآلاف منهم بسبب سوء التغذية والأمراض والأوضاع الحياتية القاسية.

٨- التهجير القسري لمئات الآلاف من القرويين، بعد تدمير قراهم إلى المجمعات القسرية، التي كانت الدعاية الحكومية تطلق عليها ظلماً وبهتاناً اسم المجمعات العصرية.

٩- تدمير البنية التحتية والإقتصادية للريف الكوردستاني، و تشير الوثائق الحكومية الرسمية إلى هذه السياسات تحت مسميات (الأجراءات الإدارية الخاصة، الإجراءات الجماعية، العودة إلى الصف الوطني وإعادة الإسكان في الجنوب) وغيرها من التسميات التي تحاول دون جدوى تمويه وإخفاء سياسة الإبادة

(١) ينظر: موقع الحوار المتدن: الأنفال تجسيد لسيادة الفكر الشمولي والعنف و القسوة: جبار قادر، تأريخ الوضع: ٢٠٠٢/٩/١٣، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/٣

الجماعية بحق الشعب الكوردي^(١).

بلغت حملات الأنفال ثمان حملات، وشملت ستة مناطق جغرافية، وكان القصف المدفعي والجوي المكثف مصحوبا باستخدام الأسلحة الكيماوية مع زج كل الأمكانيات البشرية والتقنية المتاحة، قبل كل حملة من حملات الأنفال هذه .

لا يمكن أن ننسى بطبيعة الحال أن سيادة افكار العنف والقسوة في العراق خلال العقود الثلاثة التي سبقت مسالخ الأنفال، هيأت الأرضية لحدوث مثل هذه الجرائم المرعبة. والغريب أن هذه الأفكار سادت معظم التيارات السياسية العراقية، التي تبنت فكرة قلع الآخر من الجذور وبخاصة خلال العهد الجمهوري. لا زلنا مع الأسف وبعد كل هذه الكوارث التي حلت بنا، نرى مظاهر إلغاء الآخر تسود شرائح مهمة من الطيف السياسي العراقي.

كانت الحكومة العراقية تدعي قبل قيامها بحملات الأنفال وأثناءها وبعد قيامها بحملات الأنفال، بأنها تعمل على الحفاظ على وحدة العراق، وحماية البوابة الشرقية للوطن العربي، وغير ذلك من الشعارات القومية الزائفة، لا نناقش هنا مصداقية حزب البعث الحاكم في إخلاصها لمبادئ الحركة القومية العربية البراقة، لأن ذلك يدخل في صلب مهام القوميين العرب وبخاصة العراقيين منهم. ولكننا يجب أن نشير إلى أن الحركة القومية العربية تعاني من تخبط فكري كبير في تعاملها مع القضية الكوردية، وتبني مفاهيم تناقض وحقائق التاريخ والجغرافيا، لا تدخل مناقشة هذه المسألة المهمة والملحة في إطار الموضوع، ولكن الشعارات القومية البراقة التي حاول حزب البعث أن يتستر وراءها ويضفيها على سياساته، لازالت تخدع أوساط واسعة من الرعا، القائمين على أوضاعهم البائسة في بلدانهم وحكوماتهم الدكتاتورية^(٢).

الفرع الثاني: التسمية

تظل الدول المجاورة للكورد وكوردستان مستغلة للدين في أجنداتها المختلفة وأهدافها المتعددة، سواء في تعزيز قومياتها وحكوماتها العنصرية والمستبدة، أو في التوسع الجغرافي، أو في التصدي للحقوق المشروعة للكورد وكوردستان، وكل ذلك باستخدام أسماء الدين وتعاليمه بغية تبرير مواقفها. وقد شهدت مواقف الدول المشتركة في أجزاء كوردستان في الماضي ومازالت إلى اليوم تأييدا لهذه الممارسات.

الفروق الموجودة بين مصطلح الأنفال والعمليات الجائرة باسم الأنفال:

فالدولة التركية، والإيرانية، والعراقية، والسورية تفسر الإسلام بعقلياتها القومية، وضمن مصالحها الوطنية

^(١) ينظر: موقع الإتحاد الوطني الكوردستاني: الرئيس مام جلال وذكرى فاجعة الانفال، تاريخ الوضع: ٢٠١٥-٠٤-١٤، تاريخ

المراجعة: ٢٠٢٢/٤/٢

^(٢) ينظر: قضايا كردية معاصرة- كركوك-أنفال-كورد-توركي: المصدر السابق، ١٢٩

والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وهذا هو التوظيف السيء للغاية وغير المشروع للدين، إذ هم بذلك استخدموا ويستخدمون الاسلام ضد الكورد وكوردستان، ولأجل الفتك بهم والغاءهم وتبرير محاربتهم وإخراجهم من مسار التاريخ، وفي المقابل لم يقدم الكورد على تفسير الإسلام وفهمه بالعقلية الكوردية، وضمن المصالح القومية والوطنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية^(١).

تلاعب النظام السابق بالمصطلحات الإسلامية لتبرير جرائمه ضد الكورد وتشويه صورته في الرأي العام المحلي والدولي، وتحايله على الحقيقة، أتى من خلال تسخير المصطلح "الأنفال" لتسمية عملياته القمعية. وبهذا السياق، حاول النظام إلقاء اللوم على الإسلام والقرآن وتنصيل جرائمه من خلال تركيب هذا الاسم على تلك الأعمال المروعة.

لقد استخدمت حكومات العراق المتعاقبة المفاهيم الدينية والرموز الدينية في حقبة الستينيات الماضية من القرن العشرين المنصرم وما بعدها ضد الشعب الكردي المسلم بغالبيته في كوردستان في عملياتها العسكرية الهجومية العدوانية الغاشمة، مثل: [توكلنا على الله]، و [الله أكبر]، و [لا إله إلا الله]، أو استخدام اسم سورة قرآنية، وهو سورة [الأنفال] خلال أعوام [١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩] من القرن الماضي من قبل السلطة البعثية الصدامية السابقة، وبذلك أباحت واستباحت، السلطة العراقية المذكورة الدماء والأعراض والأموال للشعب الكردي.

فضلا عن استخدام الأسلحة المحرمة دوليًا، مثل الغازات والقنابل الكيميائية ضد المدن والمناطق الكوردية، شهدت مدينة حلبجة أحد أشنع الأمثلة على هذه الجرائم، إذ تم قصفها بالقنابل الكيميائية مما أدى إلى وفاة أكثر من ٨٠٠٠ كوردي، بينهم أطفال ونساء ورجال، كما شهدت هجمات الأنفال الوحشية من جميع الجوانب تدميرًا هائلًا، حيث قامت سلطة البعث الصدامية السابقة بإبادة حوالي ١٨٢٠٠٠ كوردي بطرق مروعة وغير إنسانية، من الأطفال والنساء والرجال والشباب الكورد المدنيين، وذلك عبر القتل الجماعي، أو دفنهم وهم أحياء في مقابر جماعية في جنوب العراق وصحارى عرعر على الحدود العراقية - السعودية، وقد بلغت السفالة والنذالة للحكومة العراقية البعثية الصدامية أوجها وذروتها في عمليات الأنفال الوحشية، هي اختطاف البنات والنساء الكورديات وبيعهن لعرب الخليج ومصر كسبايا حرب، مضافا إبادة الآلاف من الكرد الفيليين والبارزانين، في فترة الثمانينيات الماضية من القرن الماضي.

فحزب البعث وقادته لم يكونوا يفكرون أبدًا في مدى الظلم الصارخ والجريمة الكبرى والخطورة العظمى لأفعالهم. استخدموا الدين الإسلامي ضد الشعب الكوردي في محاولة لقمعه واقتلعه من جذوره وإبادته.

(١) ينظر: موقع خير: تفسير سورة الأنفال، مير عقراوي، كاتب بالشؤون الإسلامية والكوردستانية، تأريخ الوضع: أكتوبر ٥،

وكذلك فإن الأنظمة والحركات السياسية القادرة على القيام بعمليات القتل الجماعي في يومنا هذا هي تلك التي تؤمن بالقوة والعنف كوسائل لتحقيق أهدافها، وقلما وجد حزب يماثل البعث في تبني العنف وتقديس القوة والقسوة في الممارسة السياسية، ويزخر تأريخ البعث بعمليات العنف والاعتقالات السياسية والبلطجة، وتلجأ الأحزاب والحركات التي تشبه البعث في حالات الاحتقان السياسي والأزمات الاقتصادية والتوتر الاجتماعي إلى القمع والإبادة الجماعية للتخلص من أعدائها^(١).

وفي منهجية وثقافة البعث جرى إعداد القتلة وفق عملية معقدة، فقد جرى إشراكهم في الطلائع والأشبال ويلبسون الألبسة الخاصة، التي يميزهم عن الآخرين، كما دربوا ومنذ سن مبكرة على استخدام الأسلحة ومناظر القتل، كما جرى زرع أفكار فاشية ومعادية للإنسانية في أذهانهم، وشاركوا في المظاهرات والمهرجانات الصاخبة، وانخرطوا في صفوف الأجهزة الأمنية والقوات الخاصة وقوات الطوارئ، وغيرها من الأجهزة القمعية، واستخدم معهم أسلوباً الثواب والعقاب، فخلال عملية الإعداد للقتل كان يجري التعامل مع الذين انضموا إلى الجماعة وفق أسلوب الإغراء والتهديد، إذ كان يجري تكريم الذين ينفذون الأوامر دون مناقشة وبدم بارد، من خلال منح الهدايا والمكرامات عليهم، أما الذين كانوا يرفضون السير في طريق العنف والجريمة فقد يستعرضون للتهديد والإرهاب بل وحتى الإعدام، وكان المشرفون على إعداد القتلة يقسمون الناس جمعياً إلى فئتين: فئة صالحة وصاحبة رسالة يمثلونها هم والذين يقفون معهم، وفئة أخرى تمثل الشر وكانت تصور دائماً كفئة صغيرة يجب التخلص منها، باسم الحفاظ على الوحدة الوطنية ومستقبل الأمة^(٢).

وعمليات الأنفال رديفة لاسم الحزب البعث والأنظمة السياسية الشمولية، ويجري تنفيذ مثل هذه الجرائم دائماً في ظل الأنظمة الدكتاتورية، وتقوم بها الحركات والجماعات المتطرفة فكراً إن النظام البعثي الذي ينفذ عمليات الأنفال هو النظام الدكتاتوري يفرض قوانينه على المجتمع، ويمتلك قوات عسكرية كبيرة وأجهزة أمن مرعبة، يفرض من خلالها السيطرة المطلقة على الجميع، بعيدة عن الدين والإنسانية، وكان نظام البعث في ظل نظام صدام حسين تجسيدا لهذا النظام الدكتاتوري، جرى إعداد الناس لعمليات الأنفال عبر إخضاع المجتمع الكوردي كلياً لسيطرة البعث، وحتى مع عدم دعم فئات واسعة من الشعب العراق لحملة الأنفال، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يبدوا أية مقاومة بسبب ظلمية البعث، والفرع والرعب التي كانت تسيطر على المجتمع،

(١) ينظر: الدور التاريخي لحزب البعث العربي الاشتراكي من ثورة تموز ١٩٥٨ إلى ردة تشرين ١٩٦٣: دكتور ابراهيم خليل احمد-

دكتور جعفر عباس الحميدي، منشورات الطلبة العربية في تونس ١٩٨٥، ٢٧

(٢) ينظر: الموسوعة السياسية العراقية: حسن لطيف الزبيدي، العارف للمطبوعات- بيروت لبنان ٢٠١٣، ص ٢١٧/الجيش والفصائل

غير النظامية في العراق جدل الدولة والبديل الإنثي، علي عبد الهادي المعموري، مجلة العمران، العدد: ٢٢، ص ١٢٧-١٣٢،

لذلك آثر الناس اختيار طريق السلامة واللامبالاة وعدم الدفاع بما يجري في كردستان، لئلا يتعرضوا الى غضب السلطة الغاشمة، ومثل هذه الأجواء هي البيئة المثالية التي تنفذ فيها عمليات الأنفال عادة^(١). وعمليات الأنفال في نهاية الأمر هو تنفيذ ثقافة البعثيين من قبل نخب سياسية أو عسكرية أو نظام سياسي مثل النظام البعثي، وهي شكل من أشكال السيطرة الاجتماعية، ولكن في أشد نماذجها تطرفاً، والتي يمكن تنفيذها في ظل الدولة الدكتاتورية حصراً، لا ينفي هذا بطبيعة الحال حقيقة أن عمليات الأنفال نفذت في فكر السلطة المركزية، كما جرى للسكان الأصليين في كردستان، خلاصة القول أن عمليات الأنفال هي استراتيجية النظام البعثي في بعض الدول الإسلامية^(٢)

وفق هذه المواصفات كان نظام البعث نظاماً للأنفال والقبور الجماعية، بعد خروج النظام من حربه مع إيران غير مهزوم، لأن الهزيمة في مفهوم البعث كانت مرادفة لزوال حكمه، وكل ما عدا ذلك يعد نصراً مؤزرراً، إلا أن الضائقة الاقتصادية وحالة الاحتقان السياسي دفعت بصدام للبحث عن كبش الفداء، فكان الكورد المدنيون وفيما بعد دولة الكويت، الهدف الأسهل والأضعف على طريق تكريس شمولية النظام البعثي المطلقة، وإرسال رسالة تحذير الى المجتمع العراقي، بأن الأنفال ستكون مصير كل من يفكر بالخروج على إرادة النظام البعثي^(٣)

ويبقى التبرير الأيديولوجي لتنفيذ عملية الأنفال أمراً ضرورياً، وتاريخ البعث مليء بالأمثلة على ذلك، وليس بالضرورة أن يسبق خلق التبريرات لعمليات الأنفال بل يمكن للنظام الشمولي أن يخلقها فيما بعد، حتى بعد إنجاز المهمة، كما أن المجموعة المنفذة لعمليات الأنفال لا تجد نفسها ملزمة لتبرير فعلتها أمام الآخرين، إما استهانة بهم أو خروجاً على قيمهم، فلم يجد البعث نفسه ملزماً أن يقوم بتبرير قيامه بحملات الأنفال لسيطرته المطلقة على المجتمع العراقي، وعدم تجرؤ أحد على مساءلته، التبرير ضروري في حالات الإبادة الجماعية، لئلا يذهب الناس بعيداً عن النظام، ولا هم بطبعهم لا يميلون الى تبرير قتل وإبادة أبناء جنسهم^(٤).

وهناك من تبرع لتبرير حملات الأنفال التي قام بها النظام حتى بعد سقوطه، ووصل الأمر بهؤلاء إلى

(١) ينظر: نهاية جيش وملحمة وطن: سعد العبيدي، مركز متوز للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق، ٢٠١٣، ص ٣٥/التاريخ المحرم دراسة

تحليلية في الفكر السياسي المعاصر: نبيل ياسين، دار نون للنشر-بغداد، ط٢، ٢٠٠٨، ٧٨-٨٠.

(٢) ينظر: الأنظمة السياسية: علي سفيان عبدالله، ١-٣

(٣) ينظر: الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ قراءة تحليلية مقارنة: عبد الوهاب عبد الستار القصاب، المركز العربي للأبحاث والدراسات العسكرية-بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٤، ١٥٥-١٥٦

(٤) ينظر: الغزو العراقي للكويت قراءة موجزة في جوانب من اشكالية الأزمة: دكتور غانم سلطان، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والأدب-الكويت، ط١، ١٩٩٤، ٢٥-٣٠

التشكيك في المقابر الجماعية، و إنكار قيام النظام بها، أو تبرير قيامه بها، بحجة حماية وحدة البلاد أمام العدوان الخارجي، الغريب أن هؤلاء لا يتوانون من الزعم بأنهم يقفون إلى جانب الشعب العراقي ضد أعدائه، هذه القوى التي تبرر حملات الأنفال و ضرب السكان المدنيين بالأسلحة الكيماوية، هي تلك المؤهلة للقيام بعمليات الإبادة الجماعية، ضد كل من يختلف معها في الآراء والتوجهات.

وكان البعث يعتقد أن لديه حقًا مطلقًا في تصرفه مع العراقيين، وعدوا أنه لا يمكن لأحد أن يتدخل أو يعارض ذلك الحق. على سبيل المثال، أعرب علي الكيماوي عن استغرابه من التحفظات التي أبدتها المجتمع الدولي والرأي العام العالمي بخصوص قصف مدينة حلبجة بالأسلحة الكيماوية في ١٦ مارس ١٩٨٨. قال بتعابيره العامة: "ما دخل المجتمع الدولي بما نقوم به مع مواطنين عراقيين؟" وأكد أنه سيراعي مواصلة أفعاله دون أي تدخل من المجتمع الدولي أو أي شخص يحاول النيل منه.

حتى بعد اعتقال صدام حسين، وعندما زاره عدد من أعضاء مجلس الحكم وسألوه عن سبب قتله للبعثيين، فقد أبدى استغرابًا من السؤال وقال لهم: "هؤلاء بعثيون، ما دخلكم أنتم بهم؟" وبهذا أظهر عدم تقديره لأي تدخل أو انتقادات حول معاملته لمن يعدهم بعثيين ويعتبر أنه ليس من شأن المجتمع الدولي أو غيره التدخل في هذه القضية^(١).

ثقافة جرائم الأنفال في العادة ليست نتيجة لأفعال محسوبة ومدروسة، بل هي نتيجة للتعامل مع الأوهام والفظازيات، التي تعد بكل جميع المشاكل التي يعاني منها الناس، وكان البعث ومنذ وصوله إلى السلطة، يعد الناس بالعمل على إزالة آثار الهزيمة والإنكسار والانتقال بالأمّة إلى المجد و الإنتصارات، كما كان يردد دائما بأنه سيطهر البلاد من الأعداء الذين يجسدون الشر الكامل^(٢).

وتضع الأيديولوجيا الشمولية فئتين من الناس مقابل بعضها، الجماعة المتسلطة وصاحبة الطرح الأيديولوجي، والجماعة المعادية التي تصبح في النهاية هدفًا لعملية الأنفال، وعمل البعث كغيره من الأحزاب والحركات الشمولية في هذا المجال على عاملين رئيسيين، وهما فكرة الفئة المختارة و الجرح القومي، الخطاب البعثي مليء بشعارات الأمة المصطفاه من قبل الإرادة الأهمية، وطبعًا لا يفرق البعث في خطابه هذا بين الأمة وبين الحزب، فكل ما يقوله بحق الأمة يقصد به البعث وقيادته، وبذلك فالفئة التي يمثلها البعث هنا هي فئة

(١) موقع منتديات يا حسين: الحوار الذي جرى بين صدام وبعض الحكومة في المعتقل، ٢٩-٠٥-٢٠٠٨، ٤٣:١٠، AM، تأريخ

المراجعة: ٢٠٢٢/ ٧/٢

(٢) ينظر: أنظمة الحكم المعاصرة: أحمد عبدالحكيم، دار النشر العربي- القاهرة الجمهورية العربية المصرية ط٣، ١٩٨٢، ١٢٠

مختارة، ومجوبة على حكم الآخرين، وما على الآخرين إلا الإنصياع لرغباتها، وإلا فإن الإبادة ستطهرها، ومن خلال خلط عنصري المخاوف والشعور بالتسامي على الآخرين، جرى تصديق الأوهام والفظايات، وتضع الجماعة المتسلطة هذه المخاوف في هويتها، وتعمل على نقل عدائها التاريخي للآخر إلى الأجيال الجديدة.

والأيديولوجية البعثية صورت المجموعة، الهدف بأنها فئة صغيرة متآمرة ومعزولة عن الجماهير وتقف على الضد من إرادة المجموع في خلق اليوتوبيا البعثية، ويتجسد هذا بوضوح في سلسلة الاهتمامات التي كان البعث يوجهها للقومية الكوردية وللكورد عموماً، فقد جرى تصويرهم على أنهم عاتقون أمام خلق المجتمع اليوتوبي البعثي، الذي سينعم العرب في ظله بالوحدة والحرية والإشترابية^(١).

إعتمد البعث على مكنة إعلامية هائلة، وحملات دعائية قائمة على الأوهام، وجرى اختلاق هذه الأوهام للتنفيس عن مشاعر التوتر والاحتقان والخوف، والفشل وتدني الروح المعنوية، وعدد البعث القضاء على الأقليات المتآمرة - وهذا لا يشمل الكورد فحسب، بل يتعداهم إلى كل الجماعات غير العربية ممن يعيشون مع العرب في العراق والسودان ودول شمال أفريقيا وغيرها-، سيخلص العرب من المخاطر والمؤامرات، وهذا يتطابق مع الهدف المعلن لجميع عمليات الإبادة الأيديولوجية، مما كانت تحتفي دوماً وراء شعارات محاولة إنقاذ الأمة من الأخطار المحدقة بها من أقليات تترصب بها وتحاول الأضرار بمصالحها العليا.

ولم يكن البعث غريباً عن تبني هذا الخطاب ليس بحق الكورد فحسب بل وبحق كل من حاول الحد من دكتاتوريته المطلقة، أرادت دولة البعث أن توجه نقمة قطعانها العسكرية وتدهور أوضاعهم المعاشية بعد حربها المجنونة مع إيران نحو مجموعة عدتها سبباً للمشاكل بل وللحرب أيضاً، أشار بعض وزراء صدام بأنه كثيراً ما كان يردد في اجتماعاته معهم أو مع أعضاء ما كان يسمى بمجلس قيادة الثورة أن الحركة المسلحة الكوردية هي السبب في اندلاع الحرب بين العراق وإيران، طبعاً كزعيم شمولي لم يكن مستعداً أن يقر بسياساته الخاطئة في التعامل مع القضية الكوردية فبدلاً من التجاوب مع تطلعات الكورد القومية المشروعة، اتفق شاه إيران في ٦ آذار عام ١٩٧٥ ليتخلص من تلك الحركة^(٢) ولكن الحركة الكوردية سرعان ما بدأت من جديد وسقط نظام الشاه، وبدلاً من الاستفادة من التجربة مزق الاتفاقية وأعلن الحرب على إيران، اعتقد بأنه سيتمكن من تحقيق نصر عسكري كاسح وسريع على إيران وسيتحول بين عشية وضحاها إلى زعيم للعرب من المحيط إلى الخليج.

(١) ينظر: الديكتاتورية المفهوم والمظاهر: قاسم محمد، دار الجامعات المصرية- الإسكندرية جمهورية مصر العربية، ط٢، ١٩٨٨، ٣١٣

(٢) ينظر: تأيخ الوزارات العراقية: عبد الرزاق الحسين، بغداد عام ١٩٨٨، ٢٤

المطلب الرابع: مراحل عمليات الأنفال ونتائجها الكارثية

عمليات الأنفال أو خطة الأنفال، وكانت عبارة عن عمليات الإبادة الجماعية التي قام بها النظام العراقي السابق برئاسة الرئيس الراحل صدام حسين سنة ١٩٨٨، ضد الشعب الكوردي ضمن الأراضي الكوردستانية التي تقع شمال العراق، وقد أوكلت قيادة الحملة إلى علي حسن المجيد الذي كان يشغل منصب أمين سر مكتب الشمال لحزب البعث العربي الاشتراكي وبمناوبة الحاكم العسكري للمنطقة وكان، وزير الدفاع العراقي الأسبق سلطان هاشم^(١) هو القائد العسكري للحملة وقد عدت الحكومة العراقية آنذاك الكورد مصدر تهديد.

نفذت عمليات الأنفال على ثماني مراحل هي:

المرحلة الأولى: بدأت في ٢٣ شباط ١٩٨٨ وشارك في تنفيذ تلك العملية كل من الفيلق الأول والخامس من الجيش العراقي، وشاركت معه عشرات من الأفرج الخفيفة من الكورد المواليين للحكومة.

وكانت الخطة المرسومة لهذه القوات في هذه المرحلة تتمثل في المحاور الآتية:

- ١- (سووداش) نحو (دهرياجهى مكروم، قوله سوور، پووشين، قوله سهوز).
- ٢- (شارع سووداش - دوكان) نحو (سلسلة جبل جهرماوهند).
- ٣- (سووداش) نحو (شهدهله).
- ٤- من (جبل نه زمر) نحو (قه بيوان).
- ٥- من (السليمانية) نحو (دوله پرووت).
- ٦- من (معسكر كاريي) نحو (جبل خه جهله رزوك و گايبيلون).
- ٧- من (دوكان) نحو (قه له م پاشا و قهره نگوئ).
- ٨- (شارع دوكان - بنگرد) نحو (مرتفعات سيدهر).
- ٩- (بنگرد) نحو (مه رگه)^(٢).

وبدأت القوات العسكرية تتحرك نحو أهدافها المرسومة، ففي الساعة الحادية والنصف أو الثانية بعد منتصف الليل وقبل صباح يوم (٢٣/٢/١٩٨٨)، فتحت تلك القوات نيران مدافعها بجميع أصنافها، من

(١) الفريق الأول الركن سلطان هاشم أحمد محمد الطائي (١٩٤٤) وزير الدفاع العراقي إبان صدام حسين، ولد في محافظة نينوى الموصل سنة ١٩٤٤، عرف وهو من القادة شديدي الولاء للرئيس العراقي الراحل صدام حسين، وحُكم عليه في ٢٠٠٧ بالإعدام شنقا، لإدانته بقمع الكورد في ثمانينيات القرن الماضي، لكن الحكم لم ينفذ، من دون سبب معلن من جانب السلطات. الجزيرة: تاريخ

الوضع: ٢٠٢٠/٧/٢٠، تاريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٦/٣

(٢) عمليات الأنفال في كوردستان العراق: المصدر السابق ٢٠٠٦، ١

مدافع الميدان بعيدة المدى والراجحات وسائر الأنواع الأخرى، وفي هذا الصباح قصفت القوات العراقية بالأسلحة الكيماوية بواسطة صواريخ كاتيوشا والمدفعية قري: جوخماخ، ياخسمر، كوزينله، هه له دن، جالاوا، سه ركه لو، به ركه لو^(١).

وصدت قوات البيشمركة^(٢)، من الاتحاد الوطني الكوردستاني والأحزاب الأخرى هذا الهجوم العنيف، وقاومته ثلاثة أسابيع، واستمرت المعارك في وادي جافايه تي^(٣)، بكل شراسة، وحاول الجيش فرض الحصار على الأهداف المرسومة له، المتمثلة في السيطرة على وادي جافايه تي، وإنما جميع القرى الموجودة في الوادي^(٤). وكانت المعارك عنيفة ودموية، واستناداً إلى مصادر من الاتحاد الوطني الكوردستاني حسب تقرير منظمة حقوق الإنسان في الشرق الأوسط، فإن ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ شخصاً قد تم قتلهم خلال الحصار، معظمهم كانوا من البيشمركة، لأن هذه العملية استهدفت بالدرجة الأولى مقراتهم، وصل العدد إلى ٦٠٠ ما بين شهيد وجريح، وبالمقابل فإن أكثر القرويين قد اختبأوا داخل الكهوف القريبة. لكن في أوائل شهر آذار، بدأت القرى تتساقط الواحدة تلو الأخرى، عندما حطمت الدبابات والعربات المدرعة الخطوط الدفاعية للاتحاد الوطني، وهرب غالب سكان القرى نحو الحدود الإيرانية، وبعد تركهم قراهم تقدمت فرق الهندسة العسكرية مع الجرافات والبلدوزرات، وأزلت تلك القرى عن الوجود، وطمسوا مصادر المياه، حتى لا تعود المنطقة ثانية صالحة للعيش والسكنى^(٥).

(١) ينظر: أنفال الكورد وحكومة العراق: شورش حاجي رسول، مطبعة شفان-السليمانية-كوردستان، ط٣، باللغة الكوردية، ٨٨

(٢) البيشمركة: هو المصطلح الذي يطلقه الكورد في كوردستان للإشارة إلى القوات التي تحمي الوطن، ولقد مرت التسمية بمراحل كثيرة كي تصل إلى المفهوم والشكل الحالي، سواء من حيث الاستخدام أو المعنى، ولذلك نجد بأن للكلمة أهمية كبيرة عند الأمة الكوردية لا سيما في جنوب كوردستان، للبيشمركة معانٍ كثيرة، ولكون الاسم كوردي فإنه صعب على المفسرين من غير الكورد فهم معنى الكلمة والاسم بشكل صحيح، فهناك من قال بأنها تعني الفدائيين، وهناك من فسرها على أنها تعني المقاتلين الأشداء، والبعض قال بأن البيشمركة اسم يطلقه الكورد على المقاتلين الذين يواجهون الموت، ولكن يبقى للكلمة بريقها ورونقها بلغتها الأصلية لأنها بنظر أصحاب اللغة تطلق على الإنسان الذي يعمل بنكران الذات مضحياً بحياته وكل ما يملك من أجل تحقيق أهداف أمته وتحرير كوردستان من الاحتلال. فالبيشمركة باللغة الكوردية تتكون من مقطعين الأول بيش وتعني الأمام، والثاني مرك وتعني الموت، لذا يمكن تفسيرها على أنها تحدي الموت أو أمام الموت، تيمناً بتأريخهم الحافل بالمعارك والقتال والشجاعة والبسالة وذلك في حريهم لنيل الحرية وإعلان دولتهم الخاصة./موقع خبر: من هم البيشمركة: جوتيار تمر، تأريخ الوضع: ٢٠١٩/٥/١، تأريخ المراجعة ٢٠٢٢/٦/١٩

(٣) وادي جافايه تي: شمال شرق مدينة السليمانية في الوادي العميق المحاذي للجهة الشرقية من جبل بيرمكرون الشاهق، كان محاطاً بالجبال الشاهق من كل الأطراف، وكان حصناً حصيناً بتضاريس من المناطق الوعرة.

(٤) ينظر: جريمة العراق في الإبادة الجماعية حملة الأنفال ضد الكورد، منظمة مراقبة حقوق الإنسان، ص ١٤٦ - ١٤٧

(٥) ينظر: عمليات الأنفال: علي دوسكي، ١٥٠

المرحلة الثانية: بدأت في ٢٢ مارس ١٩٨٨

بعد أن انتهى النظام من عملية الأنفال الأولى، وإلقاء القبض على المدنيين، وبعد تجميعهم ونقلهم إلى مركز المؤنفلين، بدأت الحكومة العراقية سيراً على خطتها السابقة للسيطرة على المنطقة الشمالية، وإخلاء المنطقة من سكانها، والقضاء على الحركة الكوردية في المناطق المحرمة، حسب التعبير البعثي العراقي وحسب الأوامر، اختار النظام منطقة قهره داخ وجبل گله زهرده بعد ثلاثة أيام من عمليات الأنفال الأولى، لتنفيذ العملية الثانية من عمليات الأنفال، على سكان هذه المنطقة، التي تعد من إحدى أجمل مناطق كوردستان من الناحية الطبيعية.

فكانت حملات الأنفال الثانية عبارة عن: السليمانية، جبل گله زهرده، بازيان، قهره داخ، دهره نديخان، زهرايهن، مجمع نهسر وعهرهت. وقد هاجمت قوات الحكومة العراقية من الجهات الآتية:

- ١- من جهة (زهرايهنه وه) نحو (گولان وپه لكان).
- ٢- من جهة (بيركي) نحو (كانى سارد، وناوتاق).
- ٣- من جهة (گله زهرده) نحو (مرتفعات قوڤيى قهره داخ).
- ٤- من جهة (گله زهرده) نحو (چرجه قه لا وبه كرابيه ف).
- ٥- من جهة (كه لوش) نحو (باوه خو شين وبه له گجار).
- ٦- من جهة (دسكه ره) نحو (سه روچاوه وهومهرقه لا).
- ٧- من جهة (چه مچه مال) نحو (سه نكاو)^(١).

لقد كان باستطاعة الحكومة العراقية حشد قوات كبيرة إلى المعارك مع الاحتفاظ بقوات احتياط لتبديلها بأخرى منهكة، وإن معنويات القوات التي كانت قد شاركت في الأنفال الأولى كانت عالية، لإحرازها النصر في العملية الأولى ... مع امتلاك تجربة ثمان سنوات من الحرب مع إيران، مستخدمة طيلة هذه الفترة مئات آلاف من الضباط والجنود في جبهات القتال، واكتسبوا خلالها خبرة ودراية تامة بفنون القتال .

وبدأت العملية الثانية من حملة الأنفال في يوم ٢٢ آذار ١٩٨٨ في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً، قامت طائرات حربية بقصف قرى گومانه، ومه سوويى، وكوشك عهليا، وته كيه، وبه لكجار، والقرية الكبيرة سه وسينان، الواقعة في منطقة قهره داخ بالأسلحة التقليدية، وبعدها قامت القوات العسكرية بقصف تلك القرى بالأسلحة الكيماوية بواسطة الراجمات والمدفعية بعيدة المدى، وبالأخص على قرية سه وسينان التابعة لناحية قهره داخ من محافظة السليمانية ... وقد عدد المدنيين القتلى في هذا الهجوم بما تراوح بين ٧٠ و ٩٠ قتيلاً، وشنّت في الأيام التالية لهذا الهجوم هجمات مماثلة بالأسلحة الكيماوية على

(١) عمليات الأنفال: المصدر السابق: ١٥٤

٦- من (سهنگاو) نحو (سهرقه لآ).

و عندما سمع سكان هذه المنطقة بتوجه القوات العراقية نحو مناطقهم، ترك بعض منهم بيوتهم، خوفاً من استخدام الأسلحة الكيماوية، ولجئوا إلى المناطق الآمنة لإنقاذ حياتهم، وتمكنوا من الإفلات من قبضة الجيش، بينما بقى قسم كبير من العوائل في بيوتهم، وهذا مما سهل على القوات أن يكبلوهم ونقلوهم فيما بعد إلى سجون عسكرية سرية، في مناطق محافظة كركوك^(١).

وفي الحقيقة إن سبب بقاء القسم الأكبر من العوائل في بيوتهم وقراهم هو: أن محافظ السليمانية ومن خلال قائم مقام قضاء الجمجمال وعن طريق مستشاري أفواج الدفاع الوطني الخفيفة، أذاعوا بين الناس أن الحكومة ستعوض كل عائلة بقطعة أرض ٣٠٠ م إضافة إلى سلفة مالية عقارية، وهذا مما أدى بسكان تلك المناطق إلى البقاء في بيوتهم، الأمر الذي سهل على القوات العراقية أن يلقوا القبض على آلاف من العوائل. تعد الأنفال الثالثة واحدة من أعنف و أفسى مراحل الأنفال، حيث شملت مناطق شائعة من كهرميان، و امتدت إلى مئات القرى في مناطق جهبارى، زنانه، داوده وجاف، وتمثل ربع الأنفال الثالثة في القبض على عشرات الآلاف من النساء والأطفال والمسنين ومن ثم إخفاء أثرهم، كما أن مئات آخرين قتلوا رمياً بالرصاص في مكان اعتقالهم، وقد أحرق ونهب و دمر ٥١٥ قرية على الأقل وانخفض عدد الكورد في محيط كركوك بشكل كبير، وبانتهاء عملية الأنفال الثالثة فان شطراً كبيراً من كوردستان يتألف من حوض كركوك، طوزخورماتو، وكلار، وهدهر بهنديخان، لم يبق فيه أثراً للحياة، ولم يبق فيه أي كوردي في وقت مبكر من صباح يوم ١٩٨٨^(٢).

الأضرار الناتجة عن عملية الأنفال الثالثة:

إحراق وتدمير ٧٨١ قرية. وتدمير وهدم ست نواحي (مركز ناحية) . وتدمير ٣٩١٧٨ بيت سكني (بناية سكن). وتهجير وأسر واختفاء ٤٥٧٧٧ أسرة. وتدمير ٣٨١. ومدرسة ١٠٧. ومسجد ١٩ ومركز صحي (مستشفى) . وتفجير وتدمير ٥٢ خزان وموتورات الماء. و ٧٠ ماكينات الطحن. ١٣٠ آبار للماء. وتدمير ١٥٧ تكية وخانقاة والمرابد والآثار الدينية. وإحراق ١٤٣٥ بساتين ... والحدائق والاف تركتورات. ونهب و سلب ٤٧٢٧٧٠ من المواشي و ١٥٠٠٠ من الأبقار. ١٠ - إتلاف و حرق ٥٧٠٠٠٠ طن من الحبوب وغيره ... حسب التقديرات الميدانية ل (C. D.A.V .R) حصلت ذروة الأنفال في

(١) ينظر: الأنفال حكايات من زمن مستقطع: خالد سليمان، دار سرمد-السليمانية-كوردستان، ط١، ٢٠٠٥، ١١

(٢) ينظر: الأنفال المأساة النتائج والأبعاد: يوسف معروف الدزبي، مطبعة الوزارة التربية- أربيل- كوردستان، ط١، ٢٠٠١، ١٠٣

١٧- وعن (طريق ريّدار) نحو (سه ريبير)^(١).

بدأت عمليات الأنفال الرابعة بهجمات كيميائية على كوّيتهبه وعسكر، ففي الثالث من شهر مايس عام ١٩٨٨، وفي رمضان والناس صائمون، وفي ساعة ٥: ٤٥ بعد الظهر من ذلك اليوم تم قصفهم، وأدى ذلك القصف إلى استشهاد كثير من الناس^(٢).

استطاع القوات الحكومية في ٧/٥/١٩٨٨، وبعد مهاجمة المنطقة في محاور متعددة أخرى، أن تحتل جميع القرى في مناطق تهفتهق وشيخ بزيني وشوان وقه لاسيوكه ووادي چه مي ريّزان وسورقاوشان وسهل كويسنجا، ومن ثم نهبها وتدميرها وحرقتها عن بكرة أبيها.

المرحلة الخامسة والسادسة والسابعة: بدأت في ١٥ مايو ١٩٨٨، واستغرقت أكثر من ثلاثة أشهر. في هذه المراحل تم الهجوم على عدة مناطق أبرزها خه ليفان، سوّران، چؤمان، رانيه، قه لادزي، قنديل، وقاد العملية وزير الدفاع عدنان خير الله، وعلي حسن المجيد ونزار الخزرجي.

وانطلقت الوحدات العسكرية من الجيش العراقي نحو أهدافها، وحسب الخطة المرسومة لها من قبل هيئة أركان الجيش العراقي:

- ١- من (شارع ره ژووكه ريان) نحو (قرية وه رتي).
- ٢- من (پردي حافظ) نحو (دهرگه له، وسيران).
- ٣- من (قصة ره واندز) نحو (جبل هه ندرين).
- ٤- من (ره واندز) نحو (ئاكويان، وفه قيبان، وكه سره وان).
- ٥- من (شارع ره واندز) نحو (جبل دؤسكات، وشيروان مه زن، وزبي شه ميران).
- ٦- من (قصة هه رير) نحو (سيساوه، وشيخ مه حمووديان، وجبل هؤري).
- ٧- من (قصة خه ليفان) نحو (جبل كؤره ك، وقيمة جوانه گا).
- ٨- من (قصة خه ليفان) نحو (وادي ئالان).
- ٩- من (قصة بيتوات) نحو (شيرئ، ومه له كان).
- ١٠- من (قصة بيتوات) نحو (وادي باليسان).
- ١١- من (قصة شه قلاوه) نحو (هيران و نازهنين و سوّلاوك و گوّمه سپان و كيشكه).
- ١٢- من (قصة شه قلاوه) نحو (سيكتان).
- ١٣- من (ديگه له) نحو (عه لياوا).

(١) ينظر: عمليات الأنفال: المصدر السابق، ١٩٠

(٢) المصدر نفسه: ٤٠٦

١٤- من (كۆيسنجهق) نحو (باواجى، وكروۆز).

١٥- من (هيزۆپ) نحو (قافا، و گردگۆران)^(١).

كانت مناطق هذه المراحل الثلاث عبارة عن مجموعة طويلة في مناطق خوشناو وبالك، حيث تتشرف عليها مجموعة من الجبال الوعرة و الشاهقة، مثل (جبال ههبيت سلتان وسفين وهورى وماكوك وكورهك وكاروخ وهه ندرين وكيوه رهش وقه نديل)، فكانت قوات الاتحاد الوطني قررت الدفاع سياسياً لا عسكرياً فقط، باعتبار هذه المناطق آخر معاقل للمقاومة، وإلا سيكون اللجوء اضطرارياً إلى إيران، وهذا سينعكس سلباً على البيشمه رگه وتنظيمات المدن والمجمعات، وشاركت قوات أخرى للحزب الديمقراطي الكوردستاني والحزب الشيوعي والاشتراكي والحركة الإسلامية مع بعض القرى الكوردية وبعد ثلاثة أسابيع من المعارك تركت قوات البيشمه رگه أودية سماقولي ونازين، وبعد حرقها وتدميرها أعلنت القوات العراقية انتهاء عملية الأنفال الخامسة.

وهناك تفاصيل لاحتمام المعارك التي استمرت لمدة ثلاثة أشهر بين مد وجزر، واستمرار القتال وقصف الطائرات وفرار القرويين، وانسحاب قوات المقاومة في النهاية، وكان إيقاف القتال بين الحكومة الإيرانية والعراقية، نصراً معنوياً آخر لصالح القوات العراقية وانهاياراً معنوياً بالنسبة لقوات المقاومة والمدافعة، ولهذا وبعد ثلاثة أشهر من المعارك، انسحبت قوات البيشمه رگه إلى جبال قنديل والمناطق الإيرانية.

وتمكنت القوات المقاومة من الصمود لعدة أشهر في المنطقة، وذلك بسبب صعوبة المناطق وتهجير سكانها، حيث هرب معظم سكان المنطقة بعد الهجمات الكيماوية المروعة التي شهدوها في السابق. وعلى الرغم من ذلك، قررت بعض القرى البقاء في المنطقة، مثل قريتي بلهى خوارو ووارا، حيث شعر سكانها بأنهم في أمان نسبي بسبب بعدهم عن مناطق الاشتباكات، في بلهى خوارو، تعرضوا لهجوم كيميائي أدى إلى مقتل أكثر من ٣٧ شخصاً في يوم العيد. وبالنسبة للمقاومة التي قدمها المقاومون، أظهر تقرير نائب قائد الفيلق الخامس، اللواء الركن يونس محمد الذرب، أن القوات الحكومية فشلت في تنفيذ مخططاتها خلال عمليات الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة. وتم ذلك بسبب المقاومة الشرسة التي قدمها البيشمه رگه من مناطق ئزهك ووادي ئالان، مما أجبر صدام حسين شخصياً على إعطاء تعليمات لقائد الفيلق الخامس بالاستمرار في محاولة احتلال حوض الوادي بأي ثمن كان.^(٢)

في عمليات الأنفال الخامسة و السادسة و السابعة دمرت أكثر من ٣٠٠ قرية، بمساجدها وجوامعها،

(١) ينظر: الأنفال المأساة النتائج والأبعاد: يوسف معروف الدزبي، ١١٩

(٢) ينظر: عمليات الأنفال: المصدر السابق، ٤٣٠/اضطهاد الشعب الكوردي المسلم بإسم الأنفال: الأستاذ عادل عبدالله

الشريواني، مطبعة سروشت- اربيل - كوردستان، ط١، ٢٠١٢، ٥١-٥٢

وأحرقت مئات من أشجار الجوز و البلوط والبساتين، التي تعد من البنية التحتية^(١).

المرحلة الثامنة: آخر مرحلة من مراحل الأنفال، وبدأت يوم ٢٦ أغسطس ١٩٨٨ في منطقة بادينان، واستمرت حتى التاسع من سبتمبر، وشملت مناطق زاخو، وزاويته، وزيوه، وئه تروش، والعديد من المناطق الأخرى.

فكانت من الأهداف الاستراتيجية للبعث السيطرة الكاملة على كافة مناطق كردستان و طرد البيشمركة، وذلك حسب القراءات المتعددة للخلفية الفكرية والعملية للبعث وضمن الأفكار البعثية أيضا تحصين البوابة الشرقية للوطن العربي حسب تعبيرهم، وهذا يتطلب استراتيجيات أخرى مثل التهجير والتعريب، التي بدأها البعث منذ زمن ووصل إلى مبتهاها في عمليات الأنفال وخاصة بعد وقوف الحرب العراقية الإيرانية، واستطاعت القوات الحكومية من اكتساح مناطق كركوك و السليمانية و أربيل في سبع مراحل، من عمليات ما سماه بالأنفال، وفعل ما فعل بمواطني كردستان من تدمير القرى، وإحراق البساتين والأشجار، واعتبار تلك الأراضي والمناطق محرمة، وممنوعة الدخول لكافة المواطنين، وبدأ بتعريب كردستان من منطقة كركوك، وضمن خطة جديدة بإسكان قبائل عربية رعوية، ضمن المناطق المهجورة في قادر كرم و جهبارى و خاله بازيانى و گهرميان و سهل أربيل، واستطاع من خلال تلك العمليات تدمير كافة القرى ضمن محافظات كركوك و السليمانية و أربيل أو ما يسمى بمنطقة سوران.

وفي الأنفال الثامنة توجهت الحكومة في هذه المرحلة نحو بادينان، فهذه العملية شملت مناطق: دهوك، زاخو، باطوفه، وكاني ماسي، وزيره، وديره لوك، وئه تروش، وزاويته، وقد هاجمت القوات العراقية في الأنفال الثامنة من أحد عشر محور^(٢).

وانطلقت القوات العسكرية نحو أهدافها المرسومة من وإلى:

- ١- من (زاخو) إلى (گه لئاسكى، وجبل بيخير).
- ٢- من (زاخو) نحو (حهوزى خابوور).
- ٣- من (كاني ماسي) نحو (زيوه، وئاميدى، وره شاقا).
- ٤- من (بيگؤفا) إلى (ئيكماه، وبامه رنى، وجبل مه تين).
- ٥- من (بالنده) نحو (شه مدينان، وبييو، وئاتيش).
- ٦- من (شيروان) نحو (حهوزى بادينان).

(١) ينظر: عمليات الأنفال: المصدر السابق، ٤٣٢

(٢) ينظر: أنفال الكورد وحكومة العراق: شورش حاجي رسول، ١٢٠

٧- من (دينارته) نحو (بلى، وبارزان).

٨- من (باتووفه) نحو (مانگيش، وزاويته).

٩- من (سهرسنك) نحو (ميرگهتوى، وجبل گاره).

١٠- من (ناحية ئەتروش) نحو (ميرگهتوى، وجبل گاره).

١١- من (سواره تووكه) نحو (سپيندار، وسيد هرا).

وبدأت الحكومة العراقية الأنفال الثامنة بقصف كيمياوي عنيف لقرى منطقة، وه كانى ماسى، وبوالكه، وميرگهتوى، وكهيزن، وگلناسكى، وبرجيني، وبليجانه، وتهته لاکرز، وروسى، وزيرى، وشملت الهجمات الكيماوية هذه كافة منطقة بادينان، الناس، وقوات الموت البعثية كانت معززة بعشرات الآلاف من الذين سماهم الحكومة بأفواج الدفاع الوطني، وسماه الناس بالجحوش والمرتزة، واستخدم الغاز الكيماوي أيضا في هذه العملية^(١).

وفي ٦/٩/١٩٨٨ بقرارها المرقم ٧٣٠ الصادر من مجلس قيادة الثورة، وانتهت هذه المرحلة من الأنفال وسمتها بخاتمة الأنفال، ومنذ ذلك التاريخ لم يبق أي قرية في طول كردستان وعرضها، عدا استثناءات في ضواحي أربيل ومحمور وعقرة وسويت إلى القرى أيضا فيما بعد تحت مبررات أخرى، ولم تبق مقرات الأحزاب السياسية في كردستان عدا مفارز متخفية هنا وهناك.

وبقي الجيش بعد صدور العفو العام مستمرة على حرق وتدمير القرى والأرياف والبساتين والغابات، وطمر مصادر المياه، ولم تعد المنطقة صالحة للحياة، فهاجرتها حتى الحيوانات^(٢)، ويشير بعض إلى أن ٤٥٠ قرية هدمت في الأنفال الثامنة، وأوصلها الآخرون إلى ٦٦٣^(٣).

كان نظام البعث يستعد للإبادة الجماعية للأنفال منذ عام ١٩٨٦. وتم إجراء إحصائية السابع عشر من شهر تشرين الأول عام ١٩٨٧ للفرض نفسه، أي من أجل معرفة تعداد سكان المنطقة وإجراء استعداداتهم

(١) ينظر: أنفال الكورد وحكومة العراق: شورش حاجي رسول، ١/٢٢٢، ينظر: جريمة العراق في الإبادة الجماعية حملة الأنفال ضد الكورد: اعداد منظمة حقوق الانسان شرق الأوسط، ت: عزيز جمال ميرزا، ط ١، وزارة الثقافة حكومة اقليم كردستان ٢٠٠٣،

(٢) ينظر: عمليات الأنفال في كردستان العراق: المصدر السابق، ٢٠

(٣) عبد الرحمن، زايد، تويني مارك، چابى دووهم، سه نته ري ليكولينه وه ي سرتاتيحي كردستان - سليمانى ٢٠٠٠، ١٢/ ملحق مجموعة من المحامين، نص اللائحة الأيضاحية المقدمة من قبل هيئة الدفاع عن ضحايا جرمية الأنفال الى محكمة الجنايات العراقية

وفقاً لذلك. بعد تسجيل الأشخاص الذين يعيشون في هذه المناطق في القيود تم اتهامهم بأنهم عملاء لإيران. وفي إطار قرارات علي حسن المجيد الذي سبق أن خدم في كركوك، تم توسيع المنطقة الكوردية المعروفة باسم المنطقة المحظورة. حيث قال علي حسن المجيد في اجتماع لمحافظة أربيل وكركوك ودهوك والسليمانية في قرى المناطق المحظورة يجب ألا يبقى منزل غير متحر. قرية داويان هي إحدى قرى المنطقة الريفية التي تعرضت للإبادة الجماعية، وطلعت في حداد منذ سنوات.

المطلب الخامس: عمليات الأنفال في ميزان الشريعة الإسلامية

لقد نفذت عمليات الأنفال بعد أن شرعت الحكومة العراقية في التمهيد لها وتنفيذها خطة تضمنت ثلاث مراحل أساسية وضرورية لتنفيذ أية عملية إبادة جماعية وطبقت تلك المراحل في هذه العملية وهي: تحديد أفراد الجماعة المستهدفة بعملية الإبادة، ومن ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي جمعهم في مراكز ومعسكرات اعتقال في أماكن متعددة، وذلك تمهيداً للمرحلة التالية، وهي التخلص منهم - وإخفاء آثارهم إلى الأبد، بعيداً عن أعين الرقباء، ولكن في عمليات الأنفال نجح بعض ليروي الماسي ويكون شاهداً حياً للعملية كما رأينا بعضهم في المحكمة الجنائية العراقية العليا، عدا الذين شردوا ويقدر عددهم حسب بعض الإحصائيات بمئات الآلاف من المواطنين الكورد، وكانت حصيلة العمليات قتل وانتفاء عشرات الآلاف على الأقل وهدم آلاف القرى وبعض النواحي، بمساجدها ومدارسها ومستوطناتها وهدم البنية الاقتصادية لهم، وتهجير من تبقى منهم وجمعهم في المجمعات القسرية، مع ما يرافق ذلك من الوضع الاقتصادي السيئ والوضع الاجتماعي المتردي، وبقيت آلاف النساء بدون أزواجهن وأصبحن أرامل، بل الغالب منهن بقين على حالهن ولم يدخلن الحياة الزوجية مرة ثانية، وبقيت آلاف اليتامى، مع ما يرافق ذلك من الأمراض النفسية والجسمية، عدا المشاكل الاجتماعية المتنوعة، وسميت هذه العمليات بتسمية سورة قرآنية، وانتزع من الإسلام اسمها، وبثها الإعلام العراقي كأعمال بطولية ووطنية، وعملاً شريفاً في سبيل الوطن والمواطن، وخدعت الأطراف المتعددة، وسكت المجتمع الدولي عنها، لأسباب سياسية^(١)، فهنا وقبل أن يختم هذا المبحث وتكتملة للموضوع، رأى الباحث أن يقوم بتقييم تلك العمليات وآثارها بشكل واضح في ضوء مقاصد الشريعة.

الفرع الأول: مفهوم مقاصد الشريعة

المقاصد الشرعية التي تتميز بها الأحكام الشرعية من حيث كونها شريعة ربانية عالمية، متوازنة، واقعية صالحة للتطبيق، وتبين المقاصد خريطة تطبيقية للإسلام، وتوضح الصورة الشاملة للأحكام، وبذلك كل ما يحقق مصالح الناس في العاجل والآجل فهو من الشريعة، وكل ما يؤدي إلى الفساد والضرر فهوليس من

(١) ينظر: عمليات الأنفال: المصدر السابق، ٢٢٩

تعريف المقاصد

القصد والمقصد مشتقان من الفعل قَصَدَ، القصد: استقامة الطريق، والعدل والتوسط وإتيان الشيء^(١)، يقال قصد يقصد قصدا فهو قاصد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل: ٩]

المقاصد: "جمع مقصد وهو، موضع القصد أو الوجهة"^(٢).

معنى الشريعة: تطلق الشريعة ويراد بها دين الإسلام بمعنى شامل، أي: "ما شرعه لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة، في شعبها المختلفة، لتحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة"^(٣).

تعريف المقاصد في الاصطلاح:

هي "الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم، ومثال ذلك مقاصد العقوبات"^(٤). أو هو "تحقيق مصالح العباد وحفظ هذه المصالح ودفع الضرر عنهم"^(٥).

ويعرف الشاطبي^(٦)، الأصولي البارز، "إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا"^(٧).

ويؤكد بعض العلماء بأن الشريعة مبناهما وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة

(١) ينظر: لسان العرب: المصدر السابق، ٥/ ٣٦٤٢

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢/ ٧٣٨

(٣) التشريع والفقہ في الإسلام: مناع القطان، تأريخياً ومنهجاً، عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ١٥

(٤) نظرية الضرورة الشرعية مقارنة بالقانون الوضعي: دكتور وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٥، ٤٩

(٥) الوجيز في أصول الفقه: دكتور عبد الكريم الزيدان، دار إصفهان طهران، ط١، ٣٧٨

(٦) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه الموافقات في أصول الفقه، و المجالس شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، و الإفادات والإنشادات ، رسالة في الأدب، نشرت نبذة منها في مجلة المقتبس المجلد الثامن والإتفاق في علم الإشتقاق وأصول النحو و الإعتصام في أصول الفقه، و شرح الألفية سماه المقاصد الشافية في شرح خالصة الكافية خمسة مجلدات ضخام، كتبت سنة ٨٦٢ والنسخة نفيسة، في خزانة الرابط، الأعلام: المصدر السابق، ٧٥

(٧) الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي.ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،دار بن عفان، ط١، ١٩٩٧،

إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه^(١).

انظر كيف حرّف البعثيون المفسدون معنى ودلالة كلمة "الأنفال"، وقاموا بتحويلها من معناها الحقيقي إلى معنى باطل وفاسد، بهدف استغلالها ضد المسلمين الكورد. فقد خرجت هذه التحويلات من العدل وتجاوزت الرحمة لتصبح عمليات قمع وظلم، وأضحت تخدم أهداف المفسدين وتفسد النظام الاجتماعي. ولا تمت هذه التحويلات إلى الشريعة الإسلامية، بل هي من باب التأويل الفاسد والمغالطة التي اعتمدها النظام البعثي الفاشي.

الفرع الثاني: حفظ النفس في الفقه المقاصدي وآليات حمايتها

إن استقرار المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية يوضح بجلاء أنها قد جاءت بالأساس لحفظ حق الإنسان الحياة، ذلك لأنّ من الضروريات لمقاصد الشريعة الإسلامية- حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ المال، حفظ النسب- بل إن بعض الفقهاء قدموا حفظ النفس على حفظ الدين، ودليلهم هو أن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لا يعد كافرا لأنه إنما فعل ذلك للحفاظ على نفسه، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

واتفق الأئمة على جواز أن ينطق لسانه بكلمة الكفر ليتخلص من القتل، حتى إذا زال الإكراه عنه أعلن عما في قلبه من الإيمان^(٢).

ومن خلال النظر والتفكير في شروع الضرورات الخمس وصل إلى أن هذه الضروريات شرعت لأجل حفظ الحياة البشرية، فلا دين إلا بنفس قوية تحميه وتقوم به وتدعو إليه، ولا مكان للعقل إلا بوجود النفس، ولم تكن للمال حرمة ولم يعد من الضروريات إلا لحفظ حق الحياة للإنسان، ولا وجود للنسل إلا بوجود إنسان حتى يتزوج وينجب ويحافظ على عرضه وشرفه^(٣).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٩٦٨، ٣/٣

(٢) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد، ت: نور الدين طالب، دار النوادر، ط ١، ٢٠٠٩، ٥٩/٤

(٣) ينظر: المقومات الدينية للحفاظ على الحياة: محمد نبيل الغناوي، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرين، مقاصد الشريعة وقضايا

العصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، ٢٢ فبراير ٢٠١٠، ٣

إن وجود الحاجيات كنوع من أنواع مقاصد الشرعية، ما شرعت إلا لرفع الضيق والحرَج عن هذه النفس البشرية وحمايتها، وجميع التحسينات لتحقيق الراحة والرفاهية لها، وإن جميع المقاصد تعمل على حفظ النفس البشرية وحمايتها.

يعرف حفظ النفس في مقاصد الشريعة بأنه: العصمة التي تحفظ روح الإنسان من أن تزهق إلا بحق، وضمان ذلك، بحيث يتمتع مع غيره بنعمة الحياة، وتمنع غيره من الاعتداء عليه، بما يقطع هذه الحياة أو يفسدها^(١).

فحفظ النفس في مقاصد الشريعة يشمل كل مقومات الحياة وتكريم الانسانية بما يليق به، قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] "وهذا يثبت التكريم لجميع بني آدم، ومن صور التكريم حصانة النفس البشرية وضرورتها"^(٢).

حفظ النفس ودماء الإنسانية من الإبادة الجماعية وحماية المجتمع من الاعتداء واستقراره، فالقرآن الكريم عد قتل النفس تهديداً لأمن الناس جميعاً، ومن يعتدى على نفس واحدة فكأنما اعتدى على المجتمع الإنساني كله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢]

الفرع الثالث: آليات حفظ نفس الإنسان

إن البشرية لاتستطع القيام بأي حق دون أن تستمر في الحياة، لهذا شرع الإسلام لحماية الانسان وحفظ التشريعات. من آليات حفظ الإنسان، منها:

(١) ينظر: حق الإنسان في الحياة دراسة تأصيلية مقارنة: احمد بن عبد العزيز الحلي، مجلة الأمن، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، العدد ١٩٥، ١٤٢٢، ٩

(٢) حصانة النفس البشرية بين الشريعة الإسلامية والوثيقة الدولية لحقوق الإنسان: عبد الأمير قبيلان، أبحاث ووقائع العام الثاني والعشرين، مقاصد الشريعة وقضايا العصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة-مصر، ٢٢ فبراير ٢٠١٠، ٣

عندما نبدأ بالتفكير في الإسلام وحفظه، يتوضح لنا أن الناس في كوردستان كانوا متمسكين بالإسلام بشكل قوي، وكان الدين حاضرًا في حياتهم كما هو حاضر في باقي الشعوب المسلمة في الدول الإسلامية. فبين كل تلك الشعوب، يُعد الكورد من أكثر الشعوب انتماءً وتمسكًا بالإسلام.

وقد لعب الكورد دورًا مبرزًا في الدفاع عن الإسلام والدفاع عن قيمه في التاريخ الإسلامي. تميز الكورد بالوفاء لمبادئ الإسلام والمساندة في حماية الدين ومنطقتهم. كما أظهروا قوة الإرادة والصمود في وجه التحديات والاضطهاد والاحتكام إلى قيم دينهم، الكورد كباقي الأمة الإسلامية، يتمتعون بتدين قوي ومتمسكون بأركان الإيمان ومعتقدات الإسلام، ويمارسون العبادات بانتظام. في القرى المدمرة، كانت المساجد حاضرة .

وخلال عمليات الأنفال الثمانية، تم قصف إحدى القرى أثناء احتفالها بالعيد، في حين كان الدعاة والعلماء حاضرين للدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر وتعاليم الإسلام. ومع ذلك، لا يعني ذلك أن الإسلام يطبق بحذافيره في كل الظروف والأوقات، بعض آخر من الكورد يروي مآسيهم ومعاناتهم في معتقل نقرة سلمان. على الرغم من أن الصيام في تلك الحالات قد لا يكون واجبًا، إلا أن كثيرًا من السجناء كانوا صائمين، وقد تم منع بعض المساعدات عنهم بعد أن علم الجهات المسؤولة بصيامهم. بدأت عمليات الأنفال وتصاعدت معها أعمال القتل والتدمير والاعتداء على حرمة الله والدين. وتعرضت المساجد للدمار والمصاحف للتمزيق والحرق، ودمرت التكايا والخانقاهات.

كما تم استغلال اسم الأنفال بطريقة مسيئة للإسلام، إذ أُدين الكورد بشكلٍ خاطئ باعتبارهم كفارًا ومستحقين للعقاب، وتم احتجاز نساءهم وأطفالهم وتشويه صورة الإسلام بسبب تصرفات بعض القوى الحاكمة.

وقد تم استغلال بعض من يُعرف بالعلماء والملاي لتبرير تلك الأفعال، وإظهارها بمظهر شرعي على سبيل الاختيار، في حين يمكن أن تكون تلك التصرفات نتيجة الضغوط والاكراه. هذه الإساءة والتشويه ترتبت عليهما آثار كبيرة على مدى طويل، ويجب الوقوف بحزم ضد هذه الأفعال وتحميل وضمن تحقيق العدالة للضحايا. يجب أن يكون الإسلام سفيرًا للخير والرحمة والعدل، ولا ينبغي استخدام اسمه في تبرير الظلم والاضطهاد والتدمير العشوائي للممتلكات والأرواح، فالضرورات الخمس وعلى رأسها الدين انتهك، وإذا فرضنا أن بناء مسجد أو مسجدين في قرية أو قريتين لم يعد في كل الأحيان من الضروريات، وأدخل ضمن الحاجيات، فكيف تقسر هدم وتدمير المئات بل آلاف المساجد و التكايا؟! مع حرق وتمزيق وطمر مصاحفها؟ أهذا لإيجاد الدين ام لحفظه حسب تعبير الأصوليين؟! وهل وجدت في التاريخ نظام هدم ودمر وحرق آلاف المساجد؟! هذا عدا الإنتهاكات الأخرى المحرمة في التصور الإسلام، من قتل وتهديم المنازل وحرق البساتين والمحاصيل الزراعية، وتدمير البنية الاقتصادية، وتشريد مئات الآلاف وتشويه الصحة النفسية لجزء كبير من هذا

الشعب، وتوظيف اسم الأنفال لعملية عسكرية ضد مدنيين مسلمين يدينون بالإسلام، من قبل حزب علماني حاكم، تعد انتهاكا صارخا للإسلام والدين، الدين الحق مصلحة ضرورية للناس، لأنه ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه - و استعمال هذا الاسم (الأنفال) في حد ذاته محاولة إساءة للإسلام، وتشويه لصورته في ذهن الشعب الكردي المسلم، واستهزاء لدين الله من قبل حزب لا يدين للإسلام إلا تقيّة وتوظيفاً، فما حكم ذلك في نظر علماء الشريعة نترك ذلك لهم، ولا نتدخل فيه، ولكن لماذا سميت هذه السلبات بهذا الاسم؟ لم يجب البعث على ذلك ولهذا يترك تحليل ذلك للآخرين، ولماذا أطلقت الأسماء والأعلام الإسلامية التاريخية، وخاصة أسماء الصحابة، على تلك العمليات العسكرية وقطاعاتها؟ ومن منا لم يسمع أسماء مثل قوات (القنقاع) و (ومسلم بن عقيل) و (و خالد بن الوليد) وانضباطية الصديق ومعارك (توكلنا على الله ..) و (صواروخ الحسين) و (العين) و (عمليات الأنفال) وغيرها كثيرة، فالاسم حسب قراءة الباحث وغيره من الباحثين، ما هو إلا تبرير وغطاء الحملات العسكرية لتشويه صورة الإسلام، وتعريب وتوظيف للإعلام للعنصرية العربية، وإخفاء الجريمة أمام الرأي العالمي، وإلا فأفكار البعث وموقفه من الدين واضحة للعيان، وكما يبدو أن البعث نور لمن اهتدى ونار على من اعتدى، حسب شعارهم، فمن لم يكن بعثياً أو لم يكن تابعا مطيعاً فهو في ضلال حسب التصور البعثي، ويجب أن يحرق بناره في أية فرصة ممكنة، فالشعب الكوردي وحركته التحررية وصفوا بالمعتدين والخونة .. ويكفر ولكن تكفيراً حسب معتقد البعث، الذي ينظر للإسلام كوجه من أوجه العروبة، في التطور التاريخي في زمن من الأزمان، وإن حزب البعث يعارض آراء التقليديين والأصوليين معا ولا يولي أهمية للشريعة الإسلامية في نظامه، ويرى أن تفسير الإسلام من قبل (ميشيل عفلق) ^(١) هو التفسير الصحيح، وأن نظرتيه إليه ترفض شيئاً اسمه المفيدة أو الشريعة الإسلامية، أو يتجاهل النظم الإسلامية الأساسية كافة، وكل ما بني عليها والآراء المتعلقة بها، ويرى أن الإسلام ليس العامل الوحيد في تكوين أخلاق العرب الفردية، بل هو عامل من العوامل ذات الأثر السليبي، بل أبعد من ذلك فالعقل لا يأخذ من الإسلام أية فرائض أو نظم أو مسالك اجتماعية، ويرجع سائر المزايا التاريخية في المحيط العربي إلى القومية حسب تفسيره لها، وفي المحيط الإسلامي إلى تأثير العرب، ولا يستطيع المسلمون الآخرون من غير العرب أن يدعوا لأنفسهم أية ميزة تجعلهم في مستوى العرب، فإن هم فتواه كانوا خونة لقيمهم الإسلامية، وحزب البعث العربي الاشتراكي حزب قومي علماني انقلابي، له طروحات فكرية متعددة، يتعذر الجمع بينها

^(١) ميشيل عفلق (٩ كانون الثاني ١٩١٠ - ٢٣ حزيران / يونيو ١٩٨٩)، مفكر قومي عربي كان له الدور الأكبر في تأسيس حزب البعث الذي أصبح فيما بعد حزب البعث العربي الاشتراكي. ولد في دمشق وأكمل دراسته الجامعية في باريس. بعدها عاد إلى دمشق وتنقل بينها وبيروت والقاهرة وبغداد. توفي في مشفى في باريس/تلفيزون سوريا، أحمد ميشيل عفلق" .. عندما تقود "الشعبوية" البلاد، بسام يوسف، تأريخ الوضع: ٢٠٢٢، ٠٧، ٠٥ | ٠٧:٠٥ دمشق، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/١٠/٨

أحياناً، فضلاً عن الإقناع بها أو هكذا أراد ميشيل عفلق ورفاقه تفسير الإسلام على أنه حركة تصحيح انبعثت في منطلقاتها من الأرض، وبهذا المفهوم أصبح الرسول محمد عنده معبراً عن الشخصية العربية المجردة، فقال: كان محمد كل العرب، فليكن كل العرب اليوم محمداً، أو حين يتعرضون إلى الدين، يتحدثون بهذه الطريقة: والعرب اليوم لا يريدون ولن تكون قوميتهم دينية، لأن الدين له مجال آخر، وليس هو الرابط للأمة، بل هو على العكس قد يفرق بين القوم الواحد، وقد يورث حتى ولو لم يكن هناك فروق أساسية بين الأديان، نظرة متعصبة وغير واقعية^(١)، الإنسان ومجتمعه، والدين الحق يعطي التصور الرشيد عن الخالق، والكون، والحياة، والإنسان، وهو مصدر الحق، والعدل، والإستقامة، والرشاد ومن أجل حفظه، ورعايته، وضمانه سليماً، وعدم الإعتداء عليه، ومنع الفتنة في الدين، شرع الإسلام الجهاد في سبيل الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾ [الحج: ٧٨] وغير ذلك من الوسائل الأخرى لحفظه وصيانتها^(٢).

لكن دور الدين في هذه العمليات لم يكن ذات صلة إلا من حيث توظيفه واستغلاله لما رب أخرى، فالدين إذا هو وسيلة يرجع إليه لتوظيفه لا لتقديسه وحفظه، فالدين وحرماته لم يحفظ في كوردستان أثناء عمليات الأنفال، والعملية كما أثبتت قضائياً عملية للإبادة الجماعية-جينوسايد، و لايمت للإسلام بصلة. أما حفظ النفس الذي يندرج تحت حق الحياة وحقوق الإنسان بشكل عام، فإن المراد به النفس الإنسانية، وهي ذات الإنسان في الإيجاد والتكوين، وفي الحفظ والرعاية .. فإن هذا من الضروري الذي جاء الإسلام لحفظه، وعده واحداً من ضرورياته الخمس، فقد تقضي أصول التشريع الإسلامي بأن عصمة النفس الإنسانية وحرمة كرامتها، حق وواجب معاً، فإذا كان الإنسان من حقه أن يحيا فإن من واجبه أن يحيا حياة كريمة كذلك، .. فحفظ الشخصية الإنسانية بعناصرها المادية والمعنوية حق واجب في آن واحد، وإن هذه الشخصية الإنسانية قد بلغت من حيث الاعتبار وقوة الأثر في التشريع الإسلامي مستوى مقاصده الأساسية أو الضرورية، التي تدور عليها أحكام الشريعة كلها، من كليات وجزئيات، بل إن حياة الإنسان، هي المقصد الأساس الذي ترد إليه المقاصد الأساسية في هذا التشريع لتوقفها جميعاً، إيجاباً وتنميةً وحفظاً، على الإنسان نفسه^(٣). فالإنسان يجب أن يحترم بمجرد آدميته، قَالَ تَعَالَى: ﴿* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

(١) ينظر: كورد قراني سالي ١٩٨٨: دكتور محمد كزنه ني، مجلة براهه تي، العدد: ٢٤، ٢٠٠٢، أبريل، ٣٢٤

(٢) ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام: محمد الزحيلي، دار ابن كثير، بيروت ٢٠٠٥، ط ٤، ٨٠

(٣) ينظر: المصلحة العامة من منظور إسلامي: دكتور خليل فوزي، رسالة دكتوراه في كلية الإقتصاد والعلوم السياسية في جامعة

ثم وإذا لم تحفظ نفس الإنسان فكيف يحفظ نسله وعقله وماله؟ فحتى الذين بقوا بعد العملية، وخاصة الأطفال والنساء منهم، فقد تعرضوا لأنواع من الأمراض النفسية والعقلية والجسدية، كما أشير إلى ذلك بعض الدراسات التي أجريت، والنساء الأرامل لم يتزوجن ثانية إلا نادراً وهذا بدوره أثر على النسل، والبقية كانت عرضة لهتك العرض لولا تواجد العرف الكردي المتأثر بالإسلام، التي ساهم بفعالية لصون هؤلاء وبناتهم وأولادهم من الفساد الخلقي، وحفظ النسل والعرض^(١).

أما حفظ المال الذي شرع الإسلام لتحصيله وكسبه ايجاب السعي للمال، وإباحة المعاملات والمبادلات والتجارة والمضاربة، وشرع لحفظه وحمايته تحريم السرقة، وحد السارق والسارقة، وتحريم الغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل، ووجوب ضمان المتلفات، فنحمني بذلك الأموال التي هي عصب الحياة.

الإسلام حرم الغش والاحتكار، ودعا إلى الاقتصاد وعدم التبذير في الموارد والتقتير في الإنفاق، وإضاعة المال ... وحرّم بعض الأنشطة الاقتصادية الضارة، من تحريم الربا والمقامرة والتجارة بالسلع المحرمة، ووضع عددا من الأحكام الإجرائية لحماية الأموال، وشرع لتنميته وتداوله البيوع والشركات والإجارة، لتأمين التعامل الصحيح بين الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿* وَالْإِنَّمَا تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَلْقَوهُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١] والتعمير أساسه الأموال والاقتصاد، هذا شأن المال في الإسلام، وبالنظر للآثار التي خلفتها عمليات الأنفال، وإن الأموال لم تحفظ والموارد الاقتصادية والزراعية والثروة الحيوانية سلبت أو نُهبت أو أُلقت، فالأموال والثروات والممتلكات المتنوعة أخذت عنوة من أصحابها، وكل ممتلكاتهم تعرضت للسلب والنهب والأكل بالباطل، فمئات البساتين حُرقت وآلاف المواشي أخذت وسُرقت، ومئات آلاف الأطنان من المحاصيل أحرقت ونُهبت، وبيوت المواطنين العزل وقراهم دمرت أو حُرقت، وكذلك الماكينات والسيارات وكل مآلديهم، أو في حوزتهم^(٢).

باختصار يمكن القول بأن تلك العمليات مخالفة تماما لمقاصد الشريعة والمصالح الضرورية في الإسلام، ولم يحترم فيه أدنى حق من حقوق الإنسان البدائية، والعملية تدخل ضمن الإبادة الجماعية كما حسمت

سرتاتيجي

كوردستان، سليمان، ط ٢، ٢٠٠٣، ٣٩

(١) ينظر: عمليات الأنفال: المصدر السابق، ٤٠٢

(٢) جينوسايدي كه لي كورد له به ر روشناي ياساي تازه ي نيوده وله تان: مارف عمر كول، ٤٣-٤٤

قضائياً، و أثبتت بالوثائق من قبل ذلك منظمة مراقبة حقوق الإنسان قبل ذلك، في كتابهم المنشور حول هذا الموضوع ومخالف أيضاً للمواثيق والاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان^(١).

المبحث الخامس: الإبادة الجماعية المرتكبة بحق الأيزيديين

تمهيد

يعد الأيزيديون من المكونات الأصيلة في المجتمع العراقي داخل الإطار الجغرافي والإداري للحياة المدنية بإدارة دستورية شرعية نسبياً وحسب موقعها، فهي ممتدة من العمق الحضاري لوادي الرافدين في مجموعة وديان وسهول عدة ومرتفعات وسلاسل جبلية في كردستان العراق. إن الأيزيديين في العراق يشكلون الغالبية العظمى من إيزيديي العالم، يعيشون في مناطق مثل سنجار وشيخان وتلكيف وبعشيقه وبخزاني ودهوك وزاخو على نحو خاص. ويعتد الموطن الأصلي للإيزيديين كل من كردستان العراق وسوريا وتركيا كما يوجدون في كل من أرمينيا وجورجيا وبقية جمهوريات روسيا الفيدرالية مع مجموعة قليلة في إيران. أما انتشارهم في وسط وجنوب العراق فقد كان لأغراض العمل. ولا يعرف بالضبط عدد الإيزيديين في العراق بسبب عدم توفر إحصائيات سكانية رسمية، إلا أن عددهم التقريبي بحسب بعض المصادر يتراوح ما بين (٤٠٠,٠٠٠ - ٦٥٠,٠٠٠) نسمة، ويعيش أغلبهم في كردستان العراق. وبسبب ما يواجهونه من مخاوف واضطهادات مستمرة وتشويه لصورتهم فإنه ما من شك أن أعدادهم تناقصت بصورة كبيرة، ولا سيما بعد اجتياح عناصر داعش لمناطقهم وارتكابه جرائم ضدهم^(٢).

المطلب الأول: الأقليات في الفقه الإسلامي

إن مصطلح (الأقليات) أي: المكونات الدينية مصطلح حديث إذ لم يكن معروفاً في الماضي وقد نشأ في القرن الماضي وتأكد في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، مع قيام الهيئات الإسلامية المهتمة بأوضاع الجاليات المسلمة والمجتمعات المسلمة في بلاد الغرب، وفي مقدمة هذه الهيئات رابطة العالم الإسلامي، وبعدها منظمة المؤتمر الإسلامي، إذ استعملت كلمة الأقلية وهي ترجمة لكلمة *minorite* التي تعني مجموعة بشرية ذات خصوصيات تقع ضمن مجموعة بشرية متجانسة أكثر منها عدداً وأندى منها صوتاً تملك السلطان أو معظمه.

(١) عمليات الأنفال: المصدر السابق، ٢٢٩

(٢) ينظر: اليزيدية عقيدة وتراث: يوسف زارا، مطبعة رائد للطبع والنشر، ٢٠٠٣، ٢/الإيزيديون في العراق (الذاكرة، الهوية، الإبادة الجماعية): سعد سلوم، بغداد، ٢٠١٦، ط١، ٢١/الديانة اليزيدية في أوروبا أجيال مختلفة تتكلم عن ديانتهم: فيليب كراينبروك و خليل جندي، مطبعة الثقافة-أربيل، ٢٠١٦، ط١، ٣٧

وقد وقع جدل كثير حول هذه التسمية (فقه الأقليات) وقد حسم المجلس الأوربي هذا الجدل في دورته المنعقدة بدبلن، واستقر المجلس على صحة استعمال مصطلح (فقه الأقليات) إذ لا مشاحة في الاصطلاح، وقد درج العمل عليه في الخطاب المعاصر، فضلا عن كون العرف الدولي يستعمل لفظ (الأقليات) كمصطلح سياسي يقصد به: (مجموعات أو فئات من رعايا دولة تنتمي من حيث العرق أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه الأغلبية) كما استقر رأي المجلس على أن موضوع (فقه الأقليات) هو: الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسلم الذي يعيش خارج بلاد الإسلام.^(١)

مصطلح الأقليات من المصطلحات التي ظهرت حديثاً، ولم تكن تعرف من قبل إذ لم يرد لهذا المصطلح ذكر في كتب الفقه أو الحديث أو السيرة أو التاريخ، ولعل ذلك راجع إلى التقسيم الجغرافي الحديث للعالم وظهور الدول والممالك ذات الحدود المعلومة، مما أبرز مجموعة أو مجموعات في كل قطر تختلف عن الأغلبية السكانية لهذا القطر، وقد يكون الاختلاف في اللغة أو العرق أو الدين أو غير ذلك، وقد وردت عدة تعريفات لهذا المصطلح، منها:-

"الأقلية: مجموعة من سكان قطر أو إقليم أو دولة ما تخالف الأغلبية في الانتماء العرقي أو اللغوي أو الديني، دون أن يعني ذلك بالضرورة موقفاً سياسياً متميزاً"^(٢).

وعرفها بعض المؤلفين: "بأنها جماعة من السكان من شعب معين عددهم أقل من بقية السكان، لهم ثقافتهم ولغتهم ودينهم، ويطالبون بالمحافظة على شخصيتهم وثقافتهم على أساس نظام معين"^(٣).
وعرف آخرون: "بأها: هي كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار تتميز عن أكثرية أهله في الدين أو المذهب أو العرق أو اللغة أو نحو ذلك، من الأساسيات التي تميز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض"^(٤).

أنواع الأقليات:

١- الأقليات الدينية:

وهي التي يكون الاختلاف بينها وبين الأكثرية في عنصر الدين والمعتقد، كالأقليات المسلمة في بلاد الغرب وغير الإسلامية عموماً، والتي تتبنى المعتقد المسيحي كما هو الحال في أوروبا وأمريكا وبعض دول آسيا وبعض دول أفريقيا، أو الأقلية المسيحية في بعض البلاد الإسلامية كالأقلية القبطية في مصر، والأقلية المسيحية

(١) صناعة الفتوى وفقه الأقليات: الشيخ عبدالله بن ببي، ٢٢

(٢) موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ١/٢٤٤

(٣) معجم العلوم السياسية: أحمد سويلم العمري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٧

(٤) في فقه الأقليات المسلمة: يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ط ١، ١٥

في لبنان وسوريا وعراق، والأقلية الصابئة في العراق، والأقلية اليهودية في المغرب وإيران وتركيا، وهذا راجع لمخالفة الأقلية للأكثرية في الاعتقاد الديني، وتعد الأقليات الدينية من أبرز نوع من أنواع الأقليات في العالم وظهورها، وهذا لاعتبار حجمها وبعثها ما يدور حولها من مشاكل وبعثها حساسية الأمور الدينية وحاجة البشرية كلها للتدين، مهما كان نوع هذا الدين وبعث النظر عن صحته من فساد^(١)، ولأنه وعلى مدار قرون كثيرة والحروب الدينية تدور هنا وهناك، وبعثها أن بعض الدول تتبني وتعطي تفضيلاً لدين معين، بينما الديانات الأخرى المحتل وجودها في المجتمع إما مضيق عليها أو مضطهدة أو ممنوعة تماماً، وبعثها أن بعض الأيدولوجيات المادية الإلحادية تمنع كل الديانات وتعدّها مخدراً للشعب.

٢- الأقليات المذهبية:

إنّ الاختلافات المذهبية داخل الديانة الواحدة كالمذاهب الموجودة في الديانة الإسلامية أو في الديانة المسيحية، فلا يمكن أن توصف بأنها أقلية دينية وذلك لوحدة العقيدة بين هذه المذاهب في الدين الواحد^(٢)، وهذا النوع من الأقليات أقلية مذهبية وليست دينية.

٣- الأقليات الدينية غير السماوية:

وهي الناتجة عن دمج ومزج عدة عقائد وطقوس مندثرة أو قائمة سواء قبل الإسلام أو بعده، ومن هذه الديانات الموجودة في العالم الإسلامي نجد الصابئة المندائين، وهي التي تمزج بين اليهودية والنصرانية ويرجع أصلها إلى القرن الأول للميلاد في فلسطين، ويتمركز معظمهم في أهوار العراق، وحرفتهم صناعة الفضة وهم ينعمون بتسامح المسلمين، فهذا النوع من الأقلية كثير.

٤- الأقليات العرقية:

الأقليات العرقية كالبربرية في الجزائر والمغرب، والمكونات الكوردية في العراق وإيران وتركيا وسورية.

٥- الأقليات اللغوية:

مثل الأقليات الناطقة بالفرنسية في بعض الدول الأوروبية.

الأقليات في الفقه الإسلامي لا وجود لها بهذا اللفظ وإنما ورد تحت اسم أهل الذمة، وعلى هذا الأساس فلا قيام لأقلية إلا على أساس ديني فقط، لأن الإسلام لا يفرق بسبب اللون أو العرق أو اللغة، فغير المسلمين إما أهل عهد وأمان وإما أهل حرب قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] ٨

(١) في فقه الأقليات المسلمة: المصدر السابق: يوسف القرضاوي، ١٥

(٢) ينظر: حماية حقوق الأقليات في القانون الدولي العام والمعاصر: صلاح سعيد ابراهيم الديب، جامعة القاهرة- كلية الحقوق، رسالة

دكتوراه في القانون ١٩٩٦، ٣٤

ولقد قدمت الآية لفظ البر على لفظ القسط وهو العدل، وهي إشارة رائعة من الآية إلى كيفية معاملة غير المسلمين، إنها علاقة قائمة على البر والإحسان، والشيء الرائع أن الإسلام سمي غير المسلمين داخل مجتمعه أهل الذمة، أي أهل العهد والضمان والأمان، لأن لهم عهد الله، وضمان رسوله، وأمان جماعة المسلمين على أن يعيشوا في حماية الإسلام وتحت راية المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين^(١).

العجب من أمر بعض هو أنهم يعدون هذه التسمية تسمية فيها شيء من الدونية، وهذا كلام مرفوض، فمن يفهم كلمة العربي حين يقول: أنت في ذمتي يعني تماماً أهل الذمة، أي: أنت في حمايتي ورعايتي وكنفي، لا أؤذيك ولا أسمح لأحد بأذيتك. ويمكن استبدال هذه الكلمة حالياً بالعرف السياسي باسم حاملي الجنسية غير الإسلامية^(٢).

ثانياً: حماية حقوقهم

وضع فقهاء الشريعة الإسلامية قاعدة توضح العلاقة بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع، وهذه القاعدة قائمة على المعاملة بالمثل، وقد قيل قديماً: من عاملك كنفسه لم يظلمك. وهذه القاعدة هي "لهم مالنا، وعليهم ما علينا"^(٣) وتفسيرها ليس على إطلاقها، وإنما لهم مالنا من الحقوق والحريات، وعليهم بعض الذي علينا من الواجبات، وقد فسرت هذه القاعدة من خلال النقاط الآتية:

١- تأمين الحماية من العدوان الخارجي

حيث يوجب على المجتمع الإسلامي أن تؤمن كل ضوابط الحماية لكل من رضي العيش بداخله، وهذا ما صرح به الفقهاء في إرشاداتهم، يقول ابن حزم الأندلسي: "إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالركاع والسلاح ونموت دون ذلك، صونا لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة"^(٤) ولعل أروع الأمثلة على ذلك في التاريخ موقف القائد أبي عبيدة بن الجراح من أهل حمص وغيرهم، حينما رد عليهم أموالهم التي دفعوها مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجي بسبب عجزهم عن ذلك، فقالوا: ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ماردوا إلينا بل غصبونا^(٥).

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: المصدر السابق، ١١٠/٧.

(٢) ينظر: أحكام الذميين والمستأمنين في دار السلام: عبد الكريم زيدان، جامعة بغداد ١٩٧٣، ط١، ٦٥.

(٣) بدائع الصنائع: المصدر السابق، ١٠٠/٧.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق: عبد السلام عبد القهار بن طاهر البغدادي، مطبعة الرشد بغداد، ط١، ١٩٧٣، ١١٤/٣.

(٥) ينظر: فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، مطبعة البيات العربي، ١٤٣.

إن أبواب العمل مفتوحة للمسلمين ولغيرهم لممارسة أي عمل أو مهنة، وهذا ما دفع غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي بكل ثقة وطمأنينة، أن يتوجهوا إلى الأعمال التي تدير أكبر قدر من الأرباح، فقد كانوا صيارفة وتجاراً وأطباء^(١)، وكذلك الأمر بالنسبة لتولي وظائف الدولة فلهم مطلق الحرية في ذلك، باستثناء الوظائف التي لها السمة الدينية الاعتقادية البحتة كالإمامة العامة والقضاء، ولهم المشاركة ترشيحاً وانتخاباً فيما يسمى لمجلس الشعب اليوم، لأن عضوية هذا المجلس تفيد في إبداء الرأي للدولة وعرض مشاكل وأحوال المواطنين ومعالجتها^(٢)، ولعل في شهادة السير توماس أرنولد صاحب كتاب تأريخ الدعوة إلى الإسلام أبلغ دليل على ما سبق عرضه، حيث بيّن أنه كانت لأهل الذمة فترات طويلة تعتبر العهود الزاهرة في تأريخهم، لما لقيه هؤلاء من تسامح في ممارسة شعائرهم الدينية، وفي بناء الكنائس والأديرة وفي مساواتهم بالمسلمين في الوظائف، فكانت طوائف الموظفين الرسميين تضم مئات من المسيحيين، وقد بلغ عدد الذين رقوا منهم إلى مناصب الدولة العليا من الكثرة لدرجة أثار شكوك المسلمين^(٣).

ج- الحرية الاجتماعية:

والمقصود بها حرية ممارسة كل النشاطات الاجتماعية كالمهرجانات والأعياد والزيارات، وكانت سمة المجتمع الإسلامي هي التعايش السلمي بين كل طوائفه ومملته، وقد سبق الحديث عن الآلية التي حثت على البر وحسن الصلة لغير المسلمين، وكان النبي يعود مرضى غير المسلمين، ويزور جيرانه منهم، ويتفقد أحوالهم، فيحسن إلى محتاجهم ويتجاوز عن مسيئتهم، ويدعوهم للإسلام بكل رفق ولين، ولقد كان احتفال غير المسلمين بأعيادهم ومناسباتهم من الأمور المألوفة لدى المجتمع الإسلامي في جو من الحرية والتسامح^(٤).

المطلب الثالث: إبادة الإيزيديين من منظور الفقه الإسلامي

تمهيد

من المهم أن نعرف طبيعة رؤية الإسلام إلى النفس الإنسانية، لنذكر كيف تناول المنهج الإسلامي قضية القتل بشكل عام وقتل غير المسلمين بشكل خاص، إن النفس الإنسانية بصفة عامة مكرمة في

(١) ينظر: الخراج: إبي يوسف، ٦٩

(٢) ينظر: أحكام الذميين والمستأمنين: عبد الكريم زيدان، ٨٤

(٣) ينظر: سماحة الإسلام: د. عمر بن عبد العزيز القرشي، مكتبة الديق الذهبية الرياض السعودية، ط٢، ٨١

(٤) ينظر: الإسلام في قصص الاتهام: دكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر-دمشق، ط٦، ٢٠١٤، ٤٩

أعلنت المديرية العامة للشؤون الإيزيدية في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في إقليم كردستان إحصائية تقول فيها بأن العدد الكلي للإيزيديين في العراق (٥٥٠.٠٠٠) ألف يزيدي، النازحون منهم (٤٠٠.٠٠٠)، واللاجئون (٦٥.٠٠٠)، والمختطفون (٥٨٣٨)، والمفقودون (٨٤١)، والشهداء (١٢٨٠)، والمتوفون (٢٨٠)، والجرحى (٨٩٠)^(١).

ونجم من تلك المجزرة قتل ما يقارب (١٣٠٠٠) من الأهالي العزل وسبي أكثر من (٦٤١٧) شخص منهم الإناث (٣٥٤٧) والذكور (٢٨٧٠)، حيث تم بيع النساء في أسواق النخاسة علناً، في كل من الموصل وتلعفر والرقعة ودير الزور وأماكن أخرى تحت نظامهم الإجرامي، وقاموا بتفجير (٦٨) مزاراً دينياً، ونهب العديد من القرى من قبل البعثيين الذين كانوا من ساكني القرى المجاورة للسنجار تحت حماية مسلحي داعش، وعدد الأيتام التي أفرزته تلك الهجوم يبلغ (٢٧٤٥) طفلاً، وعدد المقابر الجماعية المكتشفة إلى الآن (٣٣) مقبرة متوسط عدد الضحايا في كل منها (٣٥) قتيلاً تقريباً، ناهيك عن المئات من الجرحى والمعوقين وآلاف المرضى النفسيين نتيجة لهول الجريمة التي حلت بهم^(٢).

هكذا تعامل داعش مع الأقلية غير المسلمة الذين عاشوا بسلام مع المسلمين عبر العصور، وإن التنظيم بعيد كل البعد عن تعاليم الإسلام، بل هو بعيد عن تعاليم جميع الأديان السماوية وكل العقول السليمة والأفكار السديدة، وإن أفعالها بالضد لمبادئ الإسلام من التعايش والسلم وعمار الأرض والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

المبحث السادس: المجازر المتفرقة في بعض المدن الكوردية

شهد تأريخ العراق أحداثاً مأساوية ومؤلمة، حيث تمتلئ صفحاته بالمذابح والدم، وتدنيس المقدسات. سجل تأريخ هذا البلد أحداثاً سوداء عبر سنوات عديدة. ومن بين هذه الأحداث، يُذكر بأن العنف البعثي كان من بين الأكثر رعباً وبشاعة، حيث راح ضحيته آلاف الأرواح.

من بين المجازر الوحشية التي تمت في تاريخ العراق، يُشار بالذكر إلى مجزرة مروعة حدثت في مدينة حلبجة ذكرتها، حيث قُتل نحو ٥٠٠٠ ألف شهيد كوردي في يوم واحد. هذه المجزرة تعد من بين الأحداث الأبرع في التاريخ الحديث والمعاصر، وكان عدد ضحاياها يصل إلى عشرات الآلاف. فضلاً عن ذلك، لا يمكن نسيان المجازر التي ارتكبتها البعثيون في كل المدن الكوردية، والتي تسببت في مزيدٍ من الدمار والألم للكورد

(١) المصدر نفسه: ٥٠

(٢) ينظر: عن جحيم الدولة الإسلامية: المصدر السابق: ٢٠

على مدى فترة حكمها منذ تأسيسها، ارتكبت الحكومات العراقية العديد من الانتهاكات الخطيرة بحق الكورد الذين يعيشون في البلاد. تضمنت هذه الانتهاكات عمليات القتل والاعتقال التعسفي، فضلاً عن أعمال التخريب والتدمير والتهجير والترحيل والتعريب والتبعيث ضد الكورد. خلال فترة حكم سلطة البعث الفاشية في العراق، تم ارتكاب جرائم ومجازر بشعة ضد الشعب الكوردي. وقام جنود الجيش العراقي بتنفيذ المجازر والجرائم بتعليمات مباشرة من القادة العسكريين وصناع القرار في الحكومة.

تحت قيادة صدام حسين، قام الجيش العراقي بالهجوم على المدن الكوردستانية منذ ظهوره، وكان هدفه الرئيسي هو القضاء على الشعب الكوردي باستخدام كل الوسائل الحربية والإبادة والقمع. لم يتوانوا عن تنفيذ مجازر جماعية رهيبة، أدت إلى مقتل آلاف الأشخاص، إذ استخدم الجيش العراقي والأجهزة الأمنية أساليب التعذيب والقتل وحتى الشنق ضد المدنيين الكورد، والأجهزة الأمنية المتورطة في هذه الجرائم شملت الدرك والأمن والبوليس القضائي والمخابرات العامة، فضلاً عن عناصر الأقدام السوداء التابعة للنظام. كانت العنف الجسدي والتعذيب والقتل جزءاً من سياسة قمع الكورد وحرمانهم من حقوقهم الأساسية.

إن جرائم البعثيين لم تقتصر على الأراضي الكوردية فحسب، بل شملت أيضاً كل أنحاء العراق. الأراضي العراقية ككل شهدت هذه الجرائم المروعة، إذ تم قتل آلاف من أبناء المذهب الشيعي، واندلعت حروب واشتعل نيران الصراع مع إيران لمدة ثمان سنوات، وهو أطول حرب في المنطقة، أدت إلى مقتل عشرات الآلاف من العسكريين والمدنيين وتسببت في دمار للدولة والاقتصاد العراقي، ثم وبعد انتهاء تلك الحرب، هاجم العراق الكويت واحتلتها، مما أدى إلى اندلاع الحرب الخليجية، وشهدت تلك الفترة تصاعد جرائم البعث وانتهاكاته ضد مختلف الأطياف العراقية وجيرانه.

في هذا المبحث أرتكر على التحقيق في المجازر التي وقعت في عدد من المحافظات، بما في ذلك محافظة السليمانية، ومحافظة كركوك، ومحافظة دهوك، ومحافظة أربيل، وتعد هذه المحافظات منطقة ذات الأهمية في تاريخ العراق، إذ شهدت عدة أحداث مأساوية وجرائم بشعة، بما في ذلك المجازر التي تعرض لها الشعب الكوردي.

المطلب الأول: المجازر التي وقعت في محافظة السليمانية

السليمانية مدينة كوردستانية تقع في الشمال الشرقي للعراق على الحدود العراقية الإيرانية وتتبع لإقليم كوردستان وهي مركز محافظة السليمانية، تقع السليمانية على ارتفاع ٢٨٩٥ قدم عن سطح البحر، إذ تسود الطبيعة الجبلية في المحافظة، وتزداد كلما اتجهنا نحو الحدود الشرقية مع إيران وتبعد عن كركوك شرقاً ١٤٠ كيلو متر، وعلى مسافة ستين كيلومتراً من شمالي غربي مدينة السليمانية يقع سد دوكان على نهر الزاب الصغير،

ويقدر عدد سكان المدينة حالياً بحوالي ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة غالبيتهم من الكورد المسلمين السنة، كما توجد أقلية مسيحية في المدينة وتضم المدينة مطاراً دولياً يسمى مطار السليمانية الدولي، الذي يقع في القسم الغربي من المدينة، وتم افتتاحه بتاريخ ٢١ تموز ٢٠٠٦، تأسست مدينة السليمانية الحديثة يوم ١٤ نوفمبر ١٧٨٤م على يد الأمير الكوردي إبراهيم باشا بابان، الذي سمى المدينة بالسليمانية نسبة إلى اسم والده سليمان باشا، أحد أمراء سلالة بابان التي كانت لها إمارة خلال تلك الفترة في منطقة السليمانية أما مناخ المدينة فهو حار وجاف صيفاً بارد جداً شتاءً^(١). عانت محافظة السليمانية، خلال العقود الماضية من مجازر وأحداث مؤلمة. بالفعل، شهدت المحافظة أحداثاً دامية وجرائم مروعة أثرت بشكل كبير على سكان المنطقة. فيما يأتي وضمن فروع بعض المجازر التي وقعت في محافظة السليمانية:

الفرع الأول: مجزرة ٩ حزيران

قتل الزعيم صديق وهو أحد أكبر مجرمي النظام العراقي، ٢٨٢ مواطناً في السليمانية، في سنة ١٩٦٣ وكانت هذه المجزرة بداية الجرائم الوحشية لنظام البعث ضد الشعب الكوردي إلى أن وصل إلى القصف الكيماوي والأنفال.

وأزاح حزب البعث عبدالكريم قاسم من السلطة يوم ٨ شباط ١٩٦٣ إثر انقلاب عسكري وأعلنوا نجاح الانقلاب بشكل رسمي، وبوصول حزب البعث إلى السلطة قام بتسريح مئات الضباط ومسؤولي حكومة عبدالكريم قاسم.

أقام النظام البعثي في بداية الانقلاب العسكري علاقاته مع مسؤولي الثورة الكوردية ووعدهم بعود كبيرة، مثل النظام اللامركزي، لكنه ندم بعد وعوده هذه وحاول خلق الحرب في جنوب كوردستان بحجج مختلفة.

في ٨ حزيران ١٩٦٣ وبقيادة الزعيم صديق أرسل حزب البعث قواته إلى جبال أزمير وكويزه في السليمانية، حينها وقف البيشمركة ضدهم فاضطروا للانسحاب، لكن حزب البعث انتقم بشكل مختلف من مقاومة البيشمركة.

في تاريخ ٩ حزيران، أصدر الزعيم صديق أمراً بفرض حظر التجول في محافظة السليمانية، وذلك بحجة البحث عن الأسلحة والبيشمركة. خلال ذلك اليوم، تم اعتقال ٢٨٢ شخصاً من المعلمين والتجار والشباب على يد أفراد حزب البعث، وفي نفس اليوم، قام أفراد حزب البعث بالقرب من منطقة حديقة آزادي حالياً باعدامات جماعية وحشية لهؤلاء الأفراد الـ ٢٨٢ الكورد، حيث أطلقوا النار عليهم بلا رحمة ودفنهم في بارك آزادي.

(١) ينظر: مدينة السليمانية: البروفيسور عزالدين مصطفى رسول، طبع في سنة ١٩٧٨، ١/١٠-٢٠

شكلت هذه الحادثة بداية وحشية النظام البعثي ضد الشعب الكوردي، حيث أعلن البعث الحرب رسمياً ضد البيشمركة بعد تلك المجزرة، وحتى وصل بهم الأمر إلى أنفال الكورد وقصف عشرات الآلاف من الكورد كيماوياً، وشنق آلاف الكورد الآخرين أيضاً.

منذ تأسيس مدينة السليمانية وإلى الآن لم ترتكب في المدينة أكبر من مجزرة ٩ حزيران، حيث راح ضحيتها حينها قرابة ٢٨٢ شخصاً خلال عدة ساعات بأمر من قائد البعث الزعيم صديق من الموصل، وكانت مجزرة ٩ حزيران هي بداية لوحشية نظام البعث ضد الشعب الكوردي، وعدت حدثاً مؤملاً للغاية في تاريخ الكورد العراقي. ويُعد اليوم التالي، أي ١٠ حزيران، بداية حرب العراق ضد الكورد، حيث أعلنت الدولة العراقية الحرب ضد الحركة الكوردية في جنوب كردستان، وكانت مدينة السليمانية تشهد غالبية الحركة التحررية الكوردية في تلك الفترة^(١).

الفرع الثاني: مجزرة قه لادزي:

حينما قلب البعث في ١٧ / تموز / ١٩٦٨ نظام الحكم في العراق، خطط للبقاء طويلاً، ورأى في الثورة الكوردية في كردستان عثرة أمامه، ولذلك مد يد الخديعة لها، ودخل معها في مفاوضات انتهت بالتوقيع على اتفاقية آذار عام ١٩٧٠، ولكن عندما رسخ قدمه في مفاصل الحكم بدأ يتنكر لوعوده وأراد أن يسحب البساط من تحت أقدام مفاوضيه فاندلعت الثورة ثانية، وتوجهت مئات الآلاف من الكورد إلى المناطق المحررة ليشاركوا في الثورة كل من موقع عمله، واستقبلت مدن كردستان وقراها المحررة هؤلاء خير استقبال، وكانت قلعة دزة الجميلة إحدى هذه المدن التي احتضنت جامعة السليمانية أساتذة وطلبة و مستخدمين، فاصبحت المدينة مكتظة بالملتحقين بالثورة وسكانها الطبيعيين، فهاج حكام بغداد لهذا المنظر وشرعوا لضرب معنويات الثورة من خلال ضرب هذه المدينة، وكان سلاحهم سلاح الجبان الذي يغدر بنده طاعنا إياه من الخلف، فوقعت تلك الجريمة النكراء، حينما أغارت أربع طائرات من نوع (سوخوي) مع طائرتان من نوع (توبوليف) أو كما كانوا يطلقون اسم (باجر) على مثل هذه الطائرات، والكلمة روسية تعني القصاب باللغة العربية، ظهرت على سماء المدينة الآمنة في الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٤ / نيسان / ١٩٧٤، وأمطرت المدينة بمختلف أنواع الذخيرة الحربية من صواريخ وقنابل فوسفورية ورشقات من مدافعها الرشاشة، واختتمها ببضعة قنابل النابالم الحارقة المحظور استخدامها، كونها تدخل ضمن الأسلحة الفتاكة التي تؤدي إلى قتل أكبر عدد من الناس، لتترك المدينة بعد أقل من ساعة من القصف المكثف أشبه بمجزرة بشرية مروعة، فعدت شوارع المدينة وأزقتها، ودوائرها الرسمية والمباني المخصصة للجامعة وإحيائها السكنية بركة من دماء أكثر من (٣٥٠)

(١) ينظر: اليوم الاسود يجل على السليمانية: Roj News: مركز الأخبار، تأريخ الوضع: الثلاثاء، ٩ - Jun ٢٠٢٠

١٠:٥٩، تأريخ المراجعة: يوم الجمعة ٢٦/٨/٢٠٢٢

ضحية بريئة و (٧٥٠) جريحاً بإصابات مختلفة، الى جانب الأضرار المادية الجسيمة التي لحقت بالمباني والطرق والأسواق، ولعل المشهد التراجيدي الذي لا ينساه طالما ذكر من شهد هذه المجزرة، وأصعب ما واجهت القضية اخلاء الجرحى من تحت الأنقاض حيث إن الكثير من الدور تهدمت على ساكنيها ، فعائلة احمد علي صابر البالغ عددها عشرة أفراد ماتوا جميعاً، ولم ينج إلا رب الأسرة الذي كان خارج المنزل ساعة القصف، الجثث كانت تجمع وتنقل إلى الجامع الذي يسمونه جامع الكهرباء، وكان المنظر هناك مروعا جدا حيث لم تكن الأهالي تآلفوا مع مثل هذه المجازر البشرية الكبيرة، لأن المدينة شهد أولى المجازر من هذا النوع والحجم، لتلحقها مجازر رهيبة في طول البلد وعرضه على مدى حكم البعث للعراق^(١) .

الفرع الثالث: مجزرة منع التجوال في السليمانية عام ١٩٨٥

بعد فشل جو حوار للاتفاق مع بعض الحركة القومية الكوردية، شهدت المنطقة بداية حملة مخططة ومحاربة وضرب تمت هذه الحملة بعد قطع كل وسائل الاتصال بين الحركة القومية الكوردية والنظام، على الرغم من عدم صدور أي قرار رسمي بهذا الشأن. قامت لجنة التنسيق بالانسحاب من مدينة السليمانية، وعلى إثر ذلك، بدأ نظام العنف من قبل قوات الجيش والشرطة وجيش الشعبي والاستخبارات والجهاز الأمني وكل قوات المسلحة في كوردستان، وكثير من الرجالات العسكري والمدني عمن لديهم مصلحة من هذه المحاورات في اليوم الأول حاولوا إفسادها وخططوا لذلك بهدف استعادة السلطة وتحقيق أجندهم الشخصية على حساب مصلحة الكورد ووحدة موطن كوردستان، ولاسيما في مدينة السليمانية التي كانت معروفة بموقفها القوي والمقاوم تجاه الاستسلام للنظام الحاكم. وسمي رئيس الجمهورية صدام حسين المدينة بلقب "مدينة محالة وصعبة للاستسلام" وقد سُميت الدوائر الحكومية بأسماء مُسيئة مثل "رأس الأفعى" للإضرار بسمعة المدينة.

تعامل النظام مع الوضع بصرامة، حيث قام بمنع التجول في جميع أنحاء كوردستان وبدأ في تنفيذ عمليات بحث وتفتيش في بيوت الناس في مدن مثل كركوك وأربيل والسليمانية، وخاصة في السليمانية بشكل خاص. كان هدفه التضيق على المعارضين وقمع أي شكل من أشكال الاحتجاج أو المقاومة.

وقد وقعت حادثة أليمة في مدينة السليمانية يوم ١٧ أكتوبر ١٩٨٥. أدخلت طائرة حول المدينة مزودة بميكروفون وأصدرت إعلاناً يطلب من الناس عدم الخروج من منازلهم وعدم محاولة الهروب من الساعة ٧ صباحاً حتى المساء في ذلك اليوم. تم تصوير هذا الحادث كحدث مرعب وغامض.

(١) ينظر: قه لادزي نيشتماني خه مه كان بابكه ينه خه مه كاني نيشتمان: عبدالله رسول، جابخاننه ى مناره، ٢٠٠٤، هوليبر، ١٦-١٨/ينظر: ئينسايكلوبيدياي شه هيداني قه لا دزي ٢٤/٤/١٩٧٤: موفق ميرواده لي، وزاره تي شه هيدان نه نفالكروان له جابي داوه، ٢٠١٢، هوليبر، ٤٦/شوفينيزمي به عس و مه ركي زانكويه ك: سه لاح حسين، جابخاننه ى دلاوه ر، سليمان ٢٠٠٦، ١٥-١٦

وفقاً للمزيد من التفاصيل، ظلت الطائرة تدور في السماء وتصدر أصواتاً مزعجة. كما وصلت الجيوش والجيش الشعبي وقوات الأمن وفرق الإنقاذ إلى معسكر السلام، وتم نشرهم في مناطق مختلفة من المدينة، بما في ذلك سرجنار وبكرجو.

تم إصدار قائمة بأسماء الأشخاص المطلوبين إلا الاشكال كان في أنه، ولكن تم كتابة الأسماء الأولى فقط دون الأسماء الثلاثية، مما أدى إلى سجن العديد من الأشخاص الذين اشتركوا في الأسماء نفسها، وبعضهم قُتل غدرًا وعدوانًا.

تمت الإشارة إلى حادثة مأساوية أخرى تتعلق بشاب يُدعى به هرور سه ردار عبدالرحمان، والذي يُشتبه في أنه تعرض للضرب والعقوبة وتوفي نتيجة لذلك. كان عمره ١٦ سنة وكان طالبًا في المرحلة الثالثة من التعليم المتوسط.

منع التجوال وبدى بالتفتيش والمداهمة في العديد من المناطق، حيث بدأوا بالبحث في كل بيت ومكان، وكانت أجواؤها مشحونة بالحقد تجاه الكورد وعدم احترامهم، وتركزت تلك العملية بشكل خاص في المناطق العامة والسليمانية وكركوك وأربيل وبعقوبة وبغداد، واستمرت العملية من الساعة ٧ صباحًا وإلى الساعة ٤ مساءً، وقد ألقى القبض خلالها على العديد من الرجال والشباب، وذلك بسبب امتلاكهم كتباً مكتوبة باللغة الكوردية أو حملهم شعارات مرتبطة بهويتهم الكوردية، كما تم اعتقال من كانوا يعدون جنوداً أو مجازين.

وفي مساء ذلك اليوم، وتحت رعاية الأمن في السليمانية، شهدت المنطقة حدوث خراب وانحيار لعشرات البيوت دون أن يُسمح لأصحابها بأخذ ممتلكاتهم. وعلى الرغم من هذا الحدث المأساوي، فإن كثيراً من السكان الذين كانوا يسكنون تلك البيوت لم يكونوا مالكين لها، بل كانوا مجرد مستأجرين، وعندما انتهى منع التجول، بدأ المواطنون بالبحث عن الأقرباء والأصدقاء والأهل، محاولين التأكد من سلامتهم. وعقب ذلك، أصبحت الأضرار واضحة ومتراكمة، ولوحظت أضراراً جسيمة في المنطقة التي شهدت الحادثة.

في اليوم الثاني من تلك الأحداث المأساوية، قام النظام بإعدام مجموعة من الأفراد وكان عددهم ٢٣ شخصاً، وزُعم أنهم كانوا جنوداً مهربين في حامية السليمانية، بطريقة سرية وغير قانونية. وفي نفس اليوم ١٨ أكتوبر ١٩٨٥، قُتلت مجموعة أخرى في منطقة (فولكهى نالى) بتهمة الانتماء لجماعة تنظيم الاتحاد الوطني، وتمت عملية إعدام هؤلاء الأفراد بوحشية عن طريق إطلاق النار عليهم، وكانت تلك الضحايا هم اثنين من الأشقاء والدهم، فضلا عن أولادهم الصغار. بعد الاعتقال، تم نقل أهلهم إلى سجون مختلفة في بعقوبة وبادوش وديوانة وسماعة، حيث قضاوا فيها مدة تجاوزت سنة ونصف، ومن بين هؤلاء المعتقلين كان هناك طفل عمره ٣ أيام مات في ظل ظروف قاسية وغير إنسانية، وبعد إطلاق كل واحد منهم، تم أخذ بيانات وفاة منهم، ثم طلب منهم عدم الحديث عن أي تفاصيل بشأن ما حدث. وعلى الرغم من ذلك،

تعرض هؤلاء الأشخاص لموتٍ مأساوي، حيث توفي معظمهم جراء البرد والجوع والأمراض، وتوفي بعضهم بسبب الظروف القاسية التي مروا بها.

بعد عودة هذه العوائل، وجدوا أنفسهم يعيشون بالاعتماد على مساعدة الأقارب والأصدقاء والمؤسسات الخيرية، إذ لم يكونوا قادرين على معرفة مكان قتل أفراد أسرهم أو موقع دفنهم. وظلت هذه المعلومات غير معروفة إلى انتفاضة عام ١٩٩١، عندما تركت مؤسسات النظام المنطقة، وبدأت جهود البحث تحت رعاية مركز السليمانية وبعض المنظمات الخارجية المساعدة التي كانت حاضرة في إقليم كردستان، وبفضل تلك الجهود البحثية، تم العثور على جميع الجثث المفقودة بحضور كاميرات التصوير وتلفزيون (كغلى كردستان)^(١) ونقلت المنظمات وأهلهم هذه الرفات إلى مقبرة شهيدان وتعزز أهلهم لهم وسجلوا اسمهم في مؤسسة الشهيدان ويبقى اسمهم للأبد بالاحترام و التقدير^(٢).

الفرع الرابع: الأطفال الأربعة

تم العثور على صورة أربعين طفلاً، بعد انتفاضة ربيع عام ١٩٩١، بالتحديد في الفترة من ٧ إلى ٨ مارس ١٩٩١، في أرشيف نظام البعث في (ثمنه سوره كه). وتُظهر الصورة أربعين طفلاً، حيث كان معظم الضحايا تحت سن ١٨ عامًا، وتم اعتقالهم بشكل منفصل في شهر ديسمبر عام ١٩٨٨ وفي تاريخ ٢٧ أبريل ١٩٨٩، تم إطلاق سراح عشرة من هؤلاء الأطفال، ولكن باقي الأفراد تم إعدامهم بالرصاص في ٨ مايو ١٩٨٩. وقد تم العثور على رفاتهم في مقبرة الشهداء بعد فترة من الزمن. وتلك الصورة تُظهر بشكل واضح مأساة الأطفال الذين ضحوا بحياتهم في ظروف مروعة، وتعكس الوحشية التي مارسها نظام البعث. وتُعد الصورة دليلاً ذات أهمية يُوثق لجرائم ضد الإنسانية تعرضن لها هؤلاء الأطفال^(٣).

(١) ينظر: تلفزيون شعب كردستان بالكردي تلفزيون شعب كردستان، أول تلفزيون ناطق باللغة الكوردية تبث برامجها من إقليم كردستان بعد إنشاء الإقليم، تم افتتاحها سنة ١٩٩١، بدأ بث القناة في مدينة زاخو يوم ١٨/٦/١٩٩١ ثم أنتقلت في بداية تشرين الأول من نفس العام إلى مركز مدينة دهوك وهناك وصل القناة بثها بأجهزة بدائية، قناة شعب كردستان تابعة للاتحاد الوطني الكوردستاني الذي يتزعمه جلال طالباني/موقع: وكبيديا، تلفزيون شعب كردستان، تأريخ الوضع: فبراير ٢٠١٦، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٥/١

(٢) ينظر: كاره ساتي منعي ته جه ولي ١٩٨٥ ي شارى سليمانى: شاره وانى سليمانى، جابخانە ی شفان، ٢٠٠٢، ط١، ص١٧-

(٣) زانبارى له سه ر وينه ٤٠ منداله له روداو مه ژوييه كان، تأريخ الوضع: ٦ ئابار ٢٠٢٢ يوم الجمعة، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٩/٣٠

الفرع الخامس: تدمير سيد صادق

في ٢٤ آذار ١٩٨٨ قامت حكومة البعث بتدمير ناحية سيد صادق قبل أن تتحول إلى القضاء، بشكل كامل ولم يبق فيها أي أثر للحياة، تدمير الناحية خلال الحرب العراقية - الإيرانية لقرىها من الحدود فتعرضت للهجمات من الطرفين، لقد تم دمار ناحية سيد صادق في بداية الحرب الإيرانية العراقية، فكانت إيران تهاجم بالقذائف، والعراق يرد عليها، في ذلك الوقت قام صدام حسين بإخراج أهالي الناحية وبدأ بتدميرها بسبب الحرب العراقية الإيرانية، وقرر نظام البعث تدمير المدينة بأكملها عن طريق البلدوزرات ومادة TNT، في ٢٤ آذار ١٩٨٨، وتم تطبيق هذا القرار خلال عشرة أيام، ونقلت آثار المدينة إلى أماكن أخرى حتى لا يتصور أحد أن هذا المكان كانت فيه مدينة يوما ما، ودمرت مع سيد صادق مجموعة شانه يهري قرب سيد صادق^(١).

المطلب الثاني: المجازر التي وقعت في محافظة كركوك

كركوك، مدينة عراقية، ومركز محافظة كركوك الواقعة شمال العراق، تعد خامس أكبر مدن العراق من حيث عدد السكان البالغ حوالي ٩٠٠ ألف نسمة حسب إحصاء ٢٠١٤، وتعتبر إحدى أهم المدن النفطية في العراق، كانت كركوك عاصمة لولاية شهرزور أبان حكم الدولة العثمانية، وتعد حاليا في قلب الصراع في المناطق المتنازع عليها، وتعد محافظة كركوك منطقة شديدة التقلب حيث شهدت صراعات طائفية طويلة الأمد بين العرب، والكورد والتركمان والآشوريين، وهي أيضا متنازع عليها بين الحكومة العراقية وحكومة إقليم كردستان، ففي خلال القرن العشرين شهدت المنطقة تغييرات ديموغرافية واسعة، لاسيما بعد اكتشاف النفط فيها لتطلق الحكومة العراقية آنذاك عمليات التعريب سكانيًا وثقافيًا، حيث تحول السكان الكورد في المنطقة من أغلبية إلى أقلية، وكان يطلق على محافظة كركوك اسم «التأميم» إلى عام ٢٠٠٣، إلى أن أعلن رئيس مجلس المحافظة رزكار علي كوردي إعادة اسمها إلى كركوك^(٢). الدراسة في هذا المطلب تتناول المجازر التي وقعت في محافظة كركوك، بدءًا من مجزرة آب ١٩٦٣ وإلى انقلاب فبراير ١٩٦٣ الذي نُقِدَ بأمر من حزب البعث بعد سيطرته على السلطة. في هذه الفترة، اتخذ البعثيون والانقلابيون عددًا من الإجراءات القمعية والتمييزية ضد الكورد في محافظة كركوك وتتضمن الدراسة البحث عن المقابر الجماعية في كركوك ومحتوياتها.

الفرع الأول: مجزرة آب ١٩٦٣

(١) سهيد سادق بيش ٣١ سال بوجى و جون خاپور كرا ؟: مهمود عه بدولكهم، دييلوماتيك مه گه زين، تاريخ الوضع:

٢٠٢٢/٨/٣٠، تاريخ المراجعة ٢٠١٩، ٠٣، ٢٤

(٢) ينظر: كركوك في العصور القديمة: دكتور جمال رشيد احمد، دار نارس للطباعة والنشر - اربيل كردستان العراق، ٢٠٠٢، ٩-١٥

بعدهما أسقط حكم عبد الكريم قاسم على يد البعثيين، وجاء البعثيون إلى حكم العراق وحكموا الشعب الكوردي بالنار والحديد، وفي أول خطوة في محافظة كركوك هاجمت القوات المسلحة العراقية ناحية ليلان وقراها، و في هذه الحملة أحرق ليلان وجميع قراها، وقامت بالسلب والنهب لممتلكات المواطنين الكورد من المواشي والآلات الزراعية، واستشهد على يد البعثيين كثيرها من المدنيين الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، فقد قتل ١١ مدنيا في قرية فرقان في ١٧/٨/١٩٦٣^(١).

الفرع الثاني: اتخذ البعثيون وانقلابيو شباط عام ١٩٦٣ بعد سيطرتهم على السلطة عددا من الإجراءات ضد الكورد في كركوك، منها:

١- تدمير القرى الكوردية القريبة من مدينة كركوك، لاسيما تلك الواقعة بالقرب من الآبار النفطية، وتضم (١٣) قرية، هي قرى، (سونه كولى، ياروهلى، په نجا على، ولى باشا، قزلاقيه، چيمه نى گهوره، چيمه نى بچوك، جه وههل بور، ههنجيره، قوئان، قوشقايه، شوراو، باجوان).

٢- ترحيل جميع الكورد في القرى التابعة لناحية دوز، حاليا قضاء دبس، ومن ثم جلب بعض العشائر العربية والبدو برئاسة (عواص صديد) لتوطينهم في تلك القرى، التي كانت عددها حوالي ٤٠ قرية.
٣- تسريح أعداد كبيرة من العمال الكورد العاملين في منشآت شركة النفط، أو نقلهم إلى منشآت أخرى خارج المحافظة.

٤- استقدمت السلطة أعداداً من العرب واستخدمتهم كشرطة محليين أو كعمال في شركة النفط، على الرغم من عدم توفر أية خبرة سابقة لديهم، لأن معظمهم كانوا من أبناء العشائر.

٥- إنشاء عشرات الربايا فوق المرتفعات والتلال المحيطة بالمدينة وفي الأماكن القريبة من منشآت النفط، وجعل تلك الأماكن بمثابة مناطق أمنية لا يجوز الاقتراب منها، وزرعها بالألغام العسكرية.

٦- تسليح العشائر العربية التي جلبت لتوطينها في القرى الكوردية، وقد شكلت السلطات وحدات مسلحة غير نظامية ضد الكورد في كركوك.

٧- تبديل أسماء المدارس والشوارع في كركوك، واجبار أصحاب المحلات التجارية على اتخاذ أسماء عربية لمحلّاتهم، تنفيذاً لسياسة تعريب المدينة التي بدأت بصورة واضحة مكشوفة.

٨- وأخيراً شن هجوم عسكري واسع على معظم قرى المحافظة بهدف ردع وتخويف أهاليها لإجبارهم على تركها، ثم توطين العرب فيها^(٢).

الفرع الثالث: وجود المقابر الجماعية في كركوك:

(١) ينظر: كوفارى هاوارى كركوك: صلاح ده لو، ناوه ندى روشنبيري كركوك ده رى ده كات، زمارة، ٤، ١٩

(٢) ينظر: منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي: دكتور نوري طالباني، دار الحكمة، ط٢، ١٩٩٦، ٦٨-٦٩

وجود المقابر الجماعية في كركوك خير شاهد على ما قام بها البعثيون من المجازر والقتل، حيث أعلن الطبيب (صباح حسن زهنگه) المدير العام لدائرة صحة كركوك عام ٢٠٠٥، إن قوات الشرطة العراقية والفرق الطبية في المحافظة عثرت على مقبرة جماعية تضم رفاة مواطنين الكورد فقدوا منذ عام ١٩٩١ في كركوك إبان أحداث حرب الخليج. وقال زهنگه: إنه استناداً على معلومات قدمت إلينا من قوى الجيش والشرطة وعدد من العوائل الكوردية المرحلة والساكنة في محيط مدينة كركوك، عثرنا على مقبرة جماعية صغيرة، وأضاف أن المقبرة وجدت في منطقة رهيم ثاوا وتضم رفاة ٨١ شخصاً، بينهم خمسة أطفال حيث تمكنت ٣٦ عائلة من التعرف على مفقودها، بينما ظلت ٤٥ جثة مجهولة الهوية.

وأشار زهنگه إلى أن تقارير الطب العدلي في كركوك أثبتت من خلال عملية الكشف عن العظام، أن الجثث التي عثر عليها تعود لأشخاص تمت تصفية معظمهم بالرصاص، وبينهم ٨ نساء وشيوخ وأطفال، وهي تعود لحقبة مطلع التسعينات، عندما شهدت المدينة عمليات تهجير وإعدامات جماعية^(١).

وتوجد مجازر أخرى لكنني لم أجد مصدراً يشير ويجمع على ذكرها المجازر التي وقعت في كركوك ويستذكر أهالي مدينة كركوك وأهالي منطقة الشوريجه على وجه الخصوص، في اليوم الثاني عشر من آذار، الذكرى السنوية لاستشهاد كوكبة من الشباب الكورد على أيدي جلاوزة النظام البعثي المقبور في عام واحد وتسعين وتسعمئة والـف.

ففي الثاني عشر من آذار اقدم المجرم المقبور علي حسن المجيد على إعدام ثلاثة وثلاثين من الشباب الكورد رمياً بالرصاص في منطقة الشوريجه، في جريمة بشعة يندى لها جبين الإنسانية، وتظهر مدى إجرام النظام الدكتاتوري المقبور ووحشيته.

يجي أهالي كركوك كل سنة ذكرى استشهاد هذه النخبة من الشباب الكورد الذين أصبحوا رمزا للحرية والانعتاق من الدكتاتورية، وشاهداً آخر على جرائم البعث الصدامي بحق الشعب الكوردي، الذي ناضل من أجل التحرر والتخلص من الدكتاتورية المقيتة ونيل حقوقه المشروعة^(٢).

المطلب الثالث: المجازر التي وقعت في محافظة دهوك

تقع محافظة دهوك في أقصى شمال غرب العراق في منطقة كوردستان، وهي من المحافظات ذات الأهمية من الناحية التاريخية والجغرافية، حيث إن الآثار والمنحوتات المكتشفة في تلالها وكهوفها تدل على أهميتها

(١) ينظر: جريدة شرق الأوسط: العثور على مقبرة جماعية في كركوك، تأريخ الوضع: الخميس ٠٦ صفر ١٤٢٦ هـ ١٧ مارس ٢٠٠٥ العدد ٩٦٠٦، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/٣٠

(٢) ينظر: مؤسسة كركوك الاعلامية: الذكرى السنوية لاستشهاد كوكبة من الشباب الكورد على يد النظام البعثي المقبور، تأريخ الوضع: ٢٠٢١-٠٣-١٢، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/٣٠

التاريخية فضلا عن موقعها الجغرافي المتميز، وذلك لوقوعها على حدود دولتين، فضلا عن مرور خط مواصلات دولي استراتيجي فيها يربط العراق بتركيا والعالم الخارجي، وكذلك مرور خط أنبوب النفط المار من مدينة كركوك إلى تركيا في زاويتها الشمالية الغربية، وكذلك تتميز محافظة دهوك بتضاريسها المتنوعة من جبال شاهقة وبالغة الوعورة والتعقيد، وتشكل الحدود السياسية مع الجمهورية التركية فضلا عن السهول الفسيحة والغنية بمواردها الزراعية، والتي تشكل المنطقة الجنوبية للمحافظة^(١). الدراسة تناقش مجموعة من المجازر التي وقعت في محافظة دهوك، بما في ذلك مجزرة داكا وصوريا وحادثة كوريمي وحادثة منطقة دوسكي. هذه المجازر تمثل أحداثاً مأساوية في تاريخ المنطقة وتركت تأثيراً كبيراً على السكان المحليين والمجتمع بشكل عام.

الفرع الأول: مجزرة داكا و صوريا

قامت القوات البعثية بارتكاب الفضائع والمجازر، أشهرها مجزرتا (داكا) و (صوريا) في آب وأيلول سنة ١٩٦٩، حيث قامت بإحراق مجموعة من الأهالي الذين فروا من القتال ولجئوا إلى إحدى الكهوف، وذلك بعد أن قام بعض أفراد الجيش بجمع الحطب وتكديسها في فم الكهف وإشعال النار فيها، هذا في قرية (داكا) الواقعة في منطقة الشيخان شرقي مدينة الموصل، وفي قرية (صوريا) المسيحية الواقعة قرب مدينة زاخو، دخلت قوة من الجيش إلى القرية التي انفجر لغم قربها تحت سيارة عسكرية، ففتحت النار على الأهالي دون تمييز، وقتلت العشرات من النساء والأطفال والشيوخ^(٢).

الفرع الثاني: حادثة كوريمي

ما وقع في قرية كوريمي الواقعة في ناحية دوسكي، هو أنه حاول أهل القرية الهرب نحو الحدود التركية ولما وجدوا المنافذ مغلقة رجعوا إلى قريتهم في ١٩٨٨/٨/٢٨ ليجدوا الجيش وأفواجا من الحرس الوطني من الكورد المواليين للبعث في قريتهم، فرفعوا أيديهم مستسلمين غير أن ضابطا برتبة ملازم أول في العشرين من العمر أمر الجنود بفصل الرجال عن النساء والأطفال، فكان عدد الرجال (٣٣) فردا، فاتصل هذا الملازم بمرجعه بواسطة الجهاز اللاسلكي، ثم أمر الجنود بإطلاق النار على مجموعة الرجال فقتل منهم فوراً (٢٨) شخصا، ونجا البقية بسبب انحدار مكائهم، وكان أحد الناجين ممن أصيب في رجله وبقي مطروحا تحت الجثث حتى أدركه الليل فحاول الهرب ونجا^(٣).

الفرع الثالث: حادثة منطقة دوسكي

(١) ينظر: سكان محافظة دهوك ١٩٤٧-٢٠٠٦ إتجاهات النمو وطبيعة التوزيع: نشوان شكري هروري، ٢٠١٢، ٨-٢٥
(٢) ينظر: الحزب الديمقراطي الكوردستاني حركة التحرر القومي الكوردية في العراق ١٩٤٦-١٩٧٥: دكتور شيكو فتح الله عمر،

السليمانية، ٢٠٠٤، ٢١٦-٢١٧

(٣) ينظر: عمليات الأنفال في كوردستان العراق: المصدر السابق، ٢٠٥

قتل ٨٧ شاباً في منطقة الدوسكي بـدفنهم أحياء بواسطة البلدوزرات وإعدام ٢٨ شخصاً آخر في قرية مجلحه ختي بنفس المنطقة رمياً بالرصاص، كما تم قتل العديد مما ذكر أن عددهم ١٣ شخصاً بتعذيبهم بضربهم بالبلوكات في قلعة الدهوك، التي تقع عند مثلث الطرق المؤدية إلى مدن دهوك وزاخو والموصل^(١).

المطلب الرابع: المجازر التي وقعت في محافظة أربيل

محافظة أربيل (بالكوردية: پارێزگای ههولێر) هي إحدى المحافظات الواقعة في شمال العراق. كانت مدينة أربيل عاصمة لمنطقة الحكم الذاتي الذي منح للكورد حسب اتفاقية ١١ آذار الذي اعترفت الحكومة العراقية بموجبه بالحكم الذاتي للكورد عام ١٩٧٠م. وتعدُّ في الوقت الحالي عاصمة إقليم كردستان العراق الذي تشكل في أعقاب حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١.

تقع محافظة أربيل في كردستان العراق تحدها من الشمال تركيا ومن الشرق إيران وتبلغ مساحتها (١٣١٦٥) كم مربع، وتقع المحافظة ضمن السهول ذات مناخ انتقالي بين البحر المتوسط والمناخ الصحراوي، وتتميز بالبرودة الشديدة وانخفاض معدل الرطوبة، وقد عدت أربيل العاصمة الصيفية للعراق في زمن النظام السابق، وذلك لأهميتها التاريخية عبر العصور ولكونها مركزاً ثقافياً وحضارياً موشراً في شمال العراق^(٢). الدراسة تركز على مجموعة من المجازر التي وقعت في محافظة أربيل، كما تركز على العثور على المقابر الجماعية، حادثة اعتقال ٢٣ قروياً من شقلاوة، أثر محاولة اغتيال محافظ أربيل، وحوادث قتل الطلاب أمام أعين الناس.

الفرع الأول: العثور على المقابر الجماعية

عثر على مقبرة جماعية جديدة في أربيل شمالي العراق، تضم رفات عدد من الضحايا، ويعتقد أنها تعود إلى عهد نظام صدام حسين البائد.

وقال مصدر في الشرطة العراقية إن عمالاً، في إحدى الشركات التركية التي تقوم بحفر قنوات لمياه الشرب في مدينة أربيل عثروا على مقبرة جماعية في موقع العمل على شارع رئيس قرب سايلو أربيل وسط المدينة، مشيراً إلى أنها تضم رفات عدد من ضحايا النظام العراقي البائد^(٣).

وعثرت مديرية شؤون المقابر الجماعية على مقبرة جماعية على الطريق الرابط بين أربيل والموصل تضم رفات ٣٠ - ٤٠ كردياً، وذكرت المشرفة على شؤون المقابر الجماعية بهرى نوري عزيز في تصريح صحفي، ان المقبرة تضم رفات ٣٠ - ٤٠ كوردياً تم إعدامهم أبان انتفاضة آذار عام ١٩٩١، وأشارت إلى أن المقبرة

(١) ينظر: الحملة على بادنان واوضاع اللاجئين: رؤوف كامل عقراوي، دار نارس للنشر والطباعة-اربيل، ٢٠٠٢، ط١، ٢٣

(٢) ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: تأريخ الوضع: ٢٣/١١/٢٠١٦/تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/١/٢

(٣) ينظر: موقع القبس: مقبرة جماعية جديدة في اربيل، تأريخ وضع المقالة ٢٠ ابريل ٢٠٠٦، تأريخ المراجعة ٢٣/٩/٢٠٢٢

وسيلة لتحذير الكورد، وهكذا ذهبت مع الضباط والجثث إلى المقبرة، وحسب التقاليد فإننا نغسل الميت قبل الدفن وبعد ذلك نلفه بقماش أبيض، لكن الضباط لم يدعني أفعل ذلك، وأمرني أن أتم عملية الدفن على عجل، فقد دفنتهم جميعاً في ملابسهم"^(١).

الفرع الرابع: قتل الطلاب أمام أعين الناس

قتل ١٢ طالباً داخل مدينة أربيل في يوم ١٩٨٦/٣/٢٨، في هذا اليوم قتل منهم أربعة طلاب رمية بالرصاص في مفرق الزعيم قرب ساحة كرة القدم في أربيل، وفي يوم ١٩٨٦/٤/٢، قتل ٨ طلاب آخرين فهؤلاء الطلاب قتلوا غدرًا وظلمًا لأنهم اعتقلوا قبل حادثة اغتيال المحافظ وبلا محاكمة، قامت أجهزة الأمن بقتل هؤلاء الطلاب لاختفاء فشلهم إذ لم يستطيعوا اعتقال الذين سعوا اغتيال المحافظ، وكان عمر أكثرهم ما بين ١٣ و ١٦ أقل من السن القانوني"^(٢).

(١) المصدر السابق: محمد حمه صالح، ٢٢٧-٢٢٨

(٢) ينظر: موقع روداهم يزوييه كان: كل الحادثة موجودة على اليوتوب، تأريخ وضع الفيديو: PM ٦:٣٥ at April ١٦ تأريخ

المراجعة: ٢٠٢٢/٩/٣٠

الفصل الرابع: الموقف الدولي والإقليمي والإسلامي حول القضية الكوردية

المبحث الأول: الموقف الدولي والإقليمي حول القضية الكوردية

المبحث الثاني: الموقف الإسلامي حول القضية الكوردية

الفصل الرابع: الموقف الدولي والإقليمي والإسلامي حول القضية الكوردية

تمهيد

يتسم الموقف الدولي والإقليمي والإسلامي من الإبادة الجماعية ضد الكورد في العراق، مثل مأساة الأنفال والهجوم الكيماوي على حلبجة، بالاستنكار والإدانة والدعوة إلى تحقيق العدالة. هذه الأحداث تُعدّ مثالاً على الظلم والتطهير العرقي الذي ارتكبه حزب البعث العراقي بقيادة صدام حسين، وأحدثت مأساة إنسانية للكورد.

المبحث الأول: الموقف الدولي والإقليمي حول القضية الكوردية

فيما يتعلق بموقف الدول الغربية والمنظمات العالمية من الإبادة الجماعية للكورد في العراق، يتميز هذا الموقف بالتنديد الشديد والإدانة لهذه الجرائم البشعة. قد قدمت العديد من الدول الغربية دعماً للكورد ودعمت محاكمات الجرائم وأعربت عن رغبتها في تحقيق العدالة. منظمات عالمية مثل الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية نفسها اعتبرت هذه الجرائم جرائم ضد الإنسانية وعملت على جمع الأدلة وتقديم المساعدة. أما بالنسبة لموقف الدول العربية والدول المجاورة، فقد تباينت ردود الفعل. بعض الدول عبّرت عن تأييدها للكورد وشجبت الإبادة الجماعية، في حين اعتبرت دول أخرى هذه الأحداث قضية داخلية للعراق واعتمدت موقفاً أقلّ تدخلاً. تأثرت المواقف بعوامل سياسية واقتصادية وثقافية في المنطقة.

المطلب الأول: موقف الدول الغربية والمنظمات العالمية حول القضية الكوردية

العديد من الدول والمنظمات الدولية أبدت استنكاراً شديداً للإبادة الجماعية ضد الكورد في العراق، وتجذ هذه الأحداث إدانة دولية واسعة ودعوات لمحكمة المسؤولين عنها وتقديمهم للعدالة. قدّم عدد من الدول تقدم الدعم للكورد في جهودهم للحصول على حقوقهم وللحفاظ على سلامتهم واستقرارهم.

الفرع الأول: موقف الدول الغربية

أولاً: موقف المملكة المتحدة.

تقرير بعثة المملكة المتحدة لدى الأمم المتحدة إلى رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر، وفيه ذكرت البعثة ما

يأتي:

١- وصلت الهجمات الأخيرة على المدنيين الكورد في حلبجة إلى حد الإبادة الجماعية وأن أعداد القتلى في ازدياد مستمر والهجمات مستمرة وثمة حاجة إلى موقف أقوى من التعبير عن القلق بشأن الوضع في الخليج، فيجب إدانة الهجمات بوصفها وحشية تماماً.

٢- إن الجانبين كليهما يمتلكان منشآت لإنتاج الأسلحة الكيميائية، وهناك خطر جسيم من التصعيد إلى درجة تجعل المأساة في حلبة تبدو تافهة، وقد هدد العراق بالفعل باستخدام أسلحة كيميائية ضد المدن الإيرانية الكبرى، كما حذرت إيران من أنها سوف تبحث أيضا استخدام الأسلحة الكيميائية إذا لم يتم اتخاذ إجراء ضد العراق.

٣- أرسلت الأمم المتحدة فريق تحقيق إلى طهران، وليس إلى موقع الانفجار، لذلك ينبغي الضغط على الأمم المتحدة من أجل السماح لفريق التحقيق بالوصول إلى مناطق الهجمات ذاتها.

٤- إتاحة المعلومات من مؤسسة الدفاع الكيميائي في بورتون داون عن معرفتهم بشأن العلاج المحتمل للضحايا الذين ما زالوا على قيد الحياة، والإعلان عن المخاطر التي يتعرض لها الداخلون إلى المنطقة من الأطباء، والصحفيون، والخبراء والفنيون... إلخ في حين المواد الكيميائية لا تزال نشطة.

٥- ضمان عدم تورط أي شركات بريطانية في تزويد إيران أو العراق بالمواد السامة أو غيرها من المساعدات التي تزيد من احتمال استخدام الغازات السامة، ومن الضروري فرض حظر كامل على توريد المواد إلى كلا الجانبين إذا أريد منح قوة لتنفيذ قرار الأمم المتحدة ٥٩٨ الداعي إلى إنهاء الحرب في الخليج^(١).

ونتيجة لهذا الاستخدام المفرط للغازات السامة كتب بروس كينيت رئيس حملة نزع السلاح إلى الحكومة البريطانية يخبرها على الضغط على مجلس الأمن لإرسال فريق من الخبراء إلى العراق على الفور للتحقيق في الهجمات.^(٢)

ثانيا: موقف أستراليا

وتأكيدا على التنديد البريطاني لاستخدام الغازات السامة، كان موقف أستراليا - كإحدى دول الكومنولث البريطاني - مؤيدا لوجهة النظر البريطانية، فقد أدان وزير الخارجية والتجارة الأسترالي بيل هايدن هذا الاستخدام وقال: إن هذا هو أسوأ حادث منفرد لاستخدام الغازات السامة منذ الحرب العالمية الأولى ١٩١٤. وقال إن حجم الإصابات بين مدنيين غير محميين جعل هذا الهجوم صادما بشكل خاص، وقد شعر الأستراليون بالفرح بسبب هذا التوسع في استخدام الغازات السامة، وأعرب

(١) Fco ٨/٧٢٣٠: Iran/Iraq conflict: use of chemical weapons, campaign for nuclear disarmament, the prime minister, ٣٠ march ١٩٨٨.

(٢) Fco ٨/٧٢٣٠: Iran/Iraq conflict: use of chemical weapons, campaign for nuclear disarmament, CND to sir Geoffrey Howe, from Bruce Kent, ٢٣ march ١٩٨٨.

هايدن عن قلقه إزاء تهديدات إيران بالانتقام العيني، وحث القادة الإيرانيين على امتناع توقف عن استخدام المواد الكيميائية^(١).

وشدد هايدن على أن أستراليا تود أن ترى أن تطوير الأسلحة الكيميائية وحيازتها وتخزينها ونقلها واستخدامها محظور تماما، وأضاف بأن هناك ممثلين وخبراء أستراليين يشاركون بنشاط في مؤتمر نزع السلاح - المقرر عقده في يناير ١٩٨٩م في باريس - حيث يجري التفاوض بشأن هذا الحظر، وفي نفس الصدد ذكر هايدن بأن الحكومة الأسترالية قد تحركت في مايو ١٩٨٧م لمراقبة تصدير المواد السامة التي يمكن استخدامها كعامل في صنع الأسلحة الكيميائية، ومن أجل ضمان عدم تلويث الصناعة الأسترالية بالإنتاج الحربي الكيميائي أشاد هايدن بالموقف التعاوني الذي اعتمدهت الصناعة الكيميائية الأسترالية في تلك الممارسة، وأن الحكومة الأسترالية تتعاون مع العديد من البلدان الأخرى في الجهود المبذولة لمواجهة استخدام الغازات السامة^(٢).

ثالثا: موقف حكومة السويد.

أعلنت الحكومة السويدية في ٢٤ من مارس عن استيائها الشديد من استخدام الغازات السامة في الحرب بين العراق وإيران، ففي كلمة ألقاها السفير السويدي رولف إيكوس في مؤتمر نزع السلاح بجنيف أدان استخدام الغازات السامة على نطاق واسع ضد المدنيين العزل في حلبجة قائلا: إن استخدام الغازات السامة جلب الموت والمعاناة ليس فقط للنساء والأطفال فهو انتهاك لبروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥م وللقانون الدولي العرفي، ويجب إدانتها بشكل قاطع، ويجب أن تكون المأساة في حلبجة إشارة إلى المجتمع الدولي بأن الحظر الحالي لاستخدام المواد السامة يجب أن يصبح فعالا، لذلك من الضروري التفاوض دون تأخير على اتفاقية شاملة وعالمية لحظر الأسلحة السامة ودخولها حيز التنفيذ^(٣).

رابعا: موقف حكومة النرويج

أما بالنسبة لموقف النرويج، فبعد أن أدانت الحكومة النرويجية استخدام الغازات السامة في الحرب، أعلن الصليب الأحمر النرويجي بأنه سيتكفل بعلاج خمسة من ضحايا الغازات السامة على حلبجة، ففي مقال نشرته صحيفة أفتبوس المحافظة في ٢٩ من مارس ذكرت أن الحكومة النرويجية عرضت

Fco ٨/٧٢٣٠: Iran/Iraq conflict: use of chemical weapons, minister for foreign affairs and trade, Mr. bill Hayden, ٢٤ march ١٩٨٨.

Fco ٨/٧٢٣٠: Iran/Iraq conflict: use of chemical weapons, op. cit.

Fco ٨/٧٢٣٠: Iran/Iraq conflict: use of chemical weapons, Sweden condemns the use of chemical weapons, ٢٩ march ١٩٨٨.

لأسباب إنسانية توفير العلاج الطبي في النرويج لحمسة كورد العراقيين جرحوا في الهجوم الغاز على حلبجة، وسيتكفل الصليب الأحمر النرويجي بعلاج المصابين وسيقوم بالاتصال بالسفارة الإيرانية هنا حول الأمور العملية التي سيتم اتخاذها، إلا أنه لم يتضح بعد وصول الضحايا إلى النرويج، و أكدت وزارة الخارجية النرويجية أن التقرير الصحفي صحيح بشكل جوهري، ويتفق قبول الضحايا من حلبجة مع السياسة النرويجية الخاصة بإظهار الاستعداد لقبول ضحايا الصراعات الأخرى في أفغانستان وأمريكا الوسطى^(١).

ذكرت الحكومة النرويجية أن اثنين من أصل خمسة من الضحايا الذين تم قبولهم لتلقي العلاج ليسوا من الكورد العراقيين كما كان مفترضا، بل هم من المدنيين الإيرانيين، وهذا يبين زيف الادعاء الإيراني في أن الضحايا جميعهم من أهالي حلبجة، وقالت وزارة الخارجية النرويجية أنها على استعداد لدفع المال عبر الصليب الأحمر النرويجي لعلاج جميع الأشخاص الخمسة، وأنها تقبل بيان السفارة الإيرانية بأن الضحايا الإيرانيين ليسوا عسكريين على الرغم من أنها لم تدقق في هذا الأمر، وقد كان من المتوقع الانتهاء من علاج المصابين خلال أسبوعين أو ثلاثة، ولم تلتفت وزارة الخارجية النرويجية إلى وجود جوازات سفر يحملها المصابون موضحة أنها تغلب الموقف الإنساني على ذلك، وتبين للحكومة النرويجية بعد فحص الضحايا أنهم مصابون بإصابات خطيرة لكنها أعلنت أنه من المتوقع نجاتهم خلال أيام^(٢).

خامسا: موقف الولايات الأمريكية.

في ٢٣ من مارس ١٩٨٨م أدانت إدارة الرئيس ريجان استخدام العراق للغازات السامة الأسبوع الماضي في شمال العراق، وقال المتحدث باسم الخارجية الأمريكية تشارلز إيريدمان أن الهجوم الغازي الذي شنه العراق على مدينة حلبجة التي تحتلها إيران يبدو انتهاكا خطيرا بشكل خاص لبروتوكول جنيف، وقد سعت الإدارة الأمريكية إلى وقف استخدام الغازات السامة من خلال ضغوط دبلوماسية سرية على الحكومة العراقية، وقالت مصادر بوزارة الخارجية: إن الإدارة الأمريكية عقدت محادثات على مستوى عام أواخر عام ١٩٨٣م في محاولة غير مثمرة لثني العراق عن استخدام الغازات السامة في

Fco ٨/٧٢٣٠: Iran/Iraq conflict: use of chemical weapons, Norwegian treatment^(١)
for gulf war chemical weapons victims, ٣١ march ١٩٨٨.

Fco ٨/٧٢٣٠: Iran/Iraq conflict: use of chemical weapons, treatment of chemical^(٢)
weapons victims April ١٩٨٨.; Norwegian treatment for gulf war chemical
weapons victims, April ١٩٨٨.

الصراع القائم، وأقروا بأن هذه المسألة صعبة عليهم لأن الإدارة سعت إلى دعم العراق ضد احتمال فوز إيران بالحرب مع تداعيات بعيدة المدى في جميع أنحاء الخليج العربي^(١).

فضلا عن ذلك أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي يوم الثلاثاء ١٤ من أبريل قرارا أعلن فيه أن استخدام الغازات السامة في حلبجة يجب أن يكتف الجهود لفرض حظر عالمي على هذا الاستخدام، وقال عضو المجلس السيناتور جورج ميتشيل كبير مقدمي مشروع القرار أن تهديد الحرب الكيماوية واسعة الانتشار يزداد مع امتلاك دول أخرى قدرة كيماوية، وينبغي على الولايات المتحدة أن تبذل كل جهد ممكن لوقف انتشار التكنولوجيا الكيماوية، وأن تكثف جهودها للتفاوض على معاهدة دولية بشأن هذه الأسلحة^(٢).

الفرع الثاني: موقف المنظمات العالمية

موقف المنظمات العالمية تجاه إبادة الكورد في الماضي كان يُعد محوريًا في التحولات الإنسانية والدبلوماسية. خلال الفترات التي شهدت فيها الكورد تهديدًا لحياتهم وكرامتهم من جراء إجراءات الإبادة الجماعية، تعاملت منظمات دولية مع الموضوع بشكل متفاوت واستنادًا على الظروف السياسية والجيوستراتيجية. على مدى التاريخ، كانت هناك منظمات تعزز قيم حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والسلام العالمي، وقد قامت بنشر تقارير، وأثرت في سياسات الدول، ودعت إلى تحقيق العدالة للكورد ومحاسبة المسؤولين عن جرائم الإبادة. منظمات مثل الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان ومنظمات إنسانية دولية عملت على تسليط الضوء على معاناة الكورد ودعم مطالبهم بالعدالة.

أولاً: منظمة الأمم المتحدة

خصص الأمين العام للأمم المتحدة قسماً كبيراً من نشاطاته في عام ١٩٨٨ لمشكلة استخدام السلاح الكيماوي و بعث لهذا الغرض العديد من الوفود إلى جبهات القتال لتجتمع مع الدولتين المتحاربتين و عقد (٨) اجتماعات مع مجلس الأمن الدولي بهذا الشأن، وارسل الأمين العام و بناء على طلب الحكومة الإيرانية يومي ٢١ و ٢٤ آذار عام ١٩٨٨ وفداً لتقصي الحقائق حول استخدام العراق السلاح الكيماوي و زار الوفد كلا من إيران و العراق لأن البعثة الدولية كانت قد أكدت استخدامه، وتم إرسال هذا التقرير من قبل الأمين العام إلى مجلس الأمن الدولي الذي أصدر في جلسته يوم ٩ / ٤ لسنة ١٩٨٨ قراره المرقم (٦١٢) بهذا الشأن وكان القرار الثاني الذي أدان استخدام السلاح الكيماوي في الحرب بعد التحقيق في هذا الجانب.

(١) Ibid , p. ١٠٢ .

(٢) Dhiaa Kareem Ali: Discourses on Wars and Conflicts, op. Cit, p. ١٠٢.

وعادت الأمم المتحدة وأدانت العراق ثانية في جلستها مساء يوم ١ آب من تلك السنة بموجب التقرير الذي أعدته لجنة التحقيق التابعة للمنظمة الدولية لحرب الخليج و عبر الأمين العام في نيويورك، ثانية عن قلقه و امتعاضه إزاء نتائج زيارة الوفد الأممي بشأن استخدام السلاح الكيماوي في الحرب كما أدان استخدامه ضد كورد العراق مما تسبب في إبادة ٤٠ ألف شخص و أشارت فيه بصراحة إلى قصف مدينة حلبجة. إن صدام و الحكومة العراقية قد واصلوا سياستهم هذه حتى بعد صدور القرار و لم يضعوا أية أهمية لهذه التقارير و الأنباء، و كتبت صحيفة (اندييندينت) البريطانية عن ذلك: لو كانت الأكثرية في الأمم المتحدة متفقة على حركتها و نشاطها لإزالة السلاح الكيماوي، لكان من الواجب أن تفرض أشد العقوبات ضد الدولة التي استخدمته.

و بعد يوم من صدور قرار مجلس الأمن الذي تحدث عن استخدام الأسلحة الكيماوية و اتهم العراق باستخدام مكثف له فقد أعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية :
"إن قرار الأمم المتحدة يتفق مع معلوماتنا و ندين العراق باستخدام السلاح الكيماوي خلافا لإتفاقية جنيف لعام ١٩٢٥ و ليس هناك أية حجة أو مبرر يوافق على هذا التصرف"
و بسبب استمرار الحكومة العراقية و عدم استماعها للمجتمع الدولي فقد كتبت صحيفة (كارديان) البريطانية في مقالها الافتتاحي يوم ٣ آب ١٩٨٨: لقد تجاوز الرئيس العراقي ما ارتكبه هتلر الذي لم يستخدم سلاح الغاز السام في حروبه..

و كتبت صحيفة (نيويورك تايمز) في عددها ليوم ٨ آب: أن تقرير الأمم المتحدة يؤكد ثانية أن العراق قد استخدم في هذه الحرب غاز الخردل و السيانيد و حتى غازات الأعصاب ، مما يتطلب أن يكون للعالم رد فعله إزاء هذا الحدث إلا أنه قد تم فقط انتقاد العراق الذي كانت الدولة الأولى التي استخدمت هذا الغاز بعد الحرب العالمية الأولى و لو لم يتسبب تجاوزه هذا لاتفاقية جنيف لعام ١٩٢٥ في قلق كبير ، إلا أن التنصل عن هذا الموضوع على المستوى الدولي لن يستمر طويلا"^(١)

ثانيا: منظمة مراقبة حقوق الإنسان

إن منظمة مراقبة حقوق الإنسان هي منظمة أمريكية غير حكومية كانت قد ناصرت الادعاءات حول ما يسمى مجازر حلبجة والإبادة الجماعية للكورد في شمال العراق، وقد نشرت المنظمة في ١١ مارس ١٩٩١ تقريرها عن حلبجة. وذكرت المنظمة أن العراق قد استخدم الأسلحة الكيماوية في أربعين محاولة لشن هجمات على أهداف كردية خلال حملة وصفتها بأنها إبادة جماعية. وبعد أهم هجوم ذكر في تلك التقارير

^(١) ينظر: موقع كولان: كارثة القصف الكيماوي لمدينة حلبجة و انعكاساتها الدولية، تأريخ الوضع: ٢٠١٣, ١٥ March، تأريخ

الذي هو الهجوم بالأسلحة الكيميائية الفتاك الذي وقع في آذار/مارس ١٩٨٨ والذي راح ضحيته، وفقا لدراسة أعدتها المنظمة، أكثر من ٣,٢٠٠ شخص أو ربما يصل عدد الضحايا إلى ٥٠٠٠ شخص أو حتى إلى ٧٠٠٠ شخص كما يزعم جوست هلتمان كاتب التقرير الأصلي لمنظمة مراقبة حقوق الإنسان الخاص بجلبجه الذي نشرته المنظمة في ١١ آذار/مارس ١٩٩١^(١).

ثالثا: جمعية الهلال الأحمر في جمهورية إيران

في رسالة من الدكتور وحيد دوستجردي - رئيس جمعية الهلال الأحمر في جمهورية إيران - إلى الأمين العام أوضح عدة أمور منها:

- ١- إن العراق انتهك بشكل متزايد كل قاعدة من قواعد القانون الدولي الإنساني وقواعد السلوك المتحضر، وبذلك خلق سجلا إجراميا غير مسبوق.
- ٢- استهدف العراقيون باستمرار وبشكل كبير سكان بلدة حلبجة بغازات الخردل والأعصاب والسيانيد.

٣- إن جمعية الهلال الأحمر في إيران إلى جانب غيرها من الوسائط الإعلامية والمنظمات الصحية والإغاثية عليها التزام إنساني بوضع مرافقها وخبراتها تحت تصرف ضحايا هذه الجريمة.

- ٤- إن الكارثة - من وجهة نظر إيران - كبيرة وهائلة لدرجة أن جمعية الهلال الأحمر في إيران ليس لديها خيار سوى أن تطلب على وجه الاستعجال مساعدة جميع جمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر الدولية من أجل توفير الأدوية والمعدات الطبية، فضلا عن الخبرات الفنية ومساعدات الغوث^(٢).

رابعا: مجلس الأمن

ادان مجلس الأمن بقرار رقم ٦١٢ استخدام الأسلحة الكيميائية في نزاع إيران / العراق، في ابريل- نيسان ١٩٨٨ استخدم العراق المزيد، وحسب قرار مجلس الأمن رقم ٦٢٠ تمت الإدانة من قبل الأمم المتحدة واتخاذ إجراءات اذ تم استعمال الأسلحة الكيميائية مرة أخرى، من المعروف ان العراق استعمل الأسلحة الكيميائية على المدنيين الكورد مرة أخرى في آب / أغسطس بعد قرار وقف إطلاق النار، لقد أحبطت جهودنا للقيام بعمل دبلوماسي دولي بسبب مصلحة الآخرين، و اعترف وزير الخارجية العراقي ونائب الرئيس

(١) ينظر: موقع عراقيبيديا: الهجوم الكيميائي على حلبجة، تأريخ الوضع مجهول، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٤/٣

(٢) united nation: security council: permanent mission of the Islamic republic of Iran to united nation, No. ١٦٣, New york, ٢٣ march ١٩٨٨.

بأن العراق استخدم الأسلحة الكيماوية في حلبجة و قدم العراق بعد ذلك تأكيدات بأنه لن يفعل ذلك مرة أخرى^(١).

خامسا: منظمة العفو الدولي

التقرير الأخير لمنظمة العفو الدولية يشير الى عدد من التهم المتعلقة باحتجاز قاصرين عراقيين وإعدام وتعذيب واختفاء، والمزاعم مروعة، ولكنها ليست غير مسبقة على سبيل المثال في وثائق الثمانينيات اشارة الى التعذيب من الصعب للغاية التحقق من صحة التقارير، والعراقيون لم ولن يدعوا منظمة العفو أو جماعات حقوق الإنسان الأخرى لتفقد سجوتهم. سفارتنا في بغداد تفتقر أيضًا إلى الأدلة، لكن هذا لا ينتقص من مخاوفنا قسم الشرق الأوسط ١٦ اذار مارس ١٩٨٩^(٢).

المطلب الثاني: موقف الدول العربية والدول المجاورة حول القضية الكوردية

تمهيد

شهد العراق فترات مختلفة من التوترات السياسية والصراعات الداخلية، وكان هناك تاريخ مأساوي من العنف والاضطهاد تجاه الكورد والعديد من المكونات الأخرى في البلاد، وقد شهدت الكورد مأساة الأنفال في الثمانينات إذ تعرضوا لأعمال قمع واضطهاد جسيمة.

أما بالنسبة لموقف الدول العربية والدول المجاورة، فإنه متفاوت مع الأحداث في العراق على مر الزمن.

الفرع الأول: موقف الدول العربية

موقف الدول العربية فيما يتعلق بالظلم والإبادة الجماعية التي تعرض لها الكورد في العراق، بزعم القومية والدين، قد تسبب في مشاعر من الإحراج والخزي والعار. تلك الأحداث البشعة تعبر عن مستوى من الظلم وانتهاك حقوق الإنسان يثير تساؤلات حول التزام هذه الدول بقيم الإنسانية والعدالة.

يعكس التورط أو الصمت في وجه هذه الجرائم البشعة تجاه الكورد تقاعسًا في مواجهة الظلم والوقوف بجانب العدالة، ويجب على الدول العربية أن تعيد التفكير في موقفها وتبني نهج يستند على قيم حقوق الإنسان والتعايش المشترك، وأن تتخذ إجراءات فعالة لمنع مثل هذه الأحداث البشعة في المستقبل.

إن المبادرة العربية لحل القضية الكوردية وعدم استيعاب الانظمة العربية لهذه القضية كقضية قومية ديمقراطية لها مقوماتها التاريخية والعلمية وهي احدى أهم الاسباب في توجه الكورد إلى الغرب وأمريكا، ولاسيما في ظل الحروب والإبادة المباشرة وغير المباشرة والتي تشنها بعض الأنظمة العربية، وسياسة التجاهل الرسمي

(١) ينظر: قائمة بقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ٦٠١ إلى ٧٠٠ (١٩٨٧-١٩٩١)

(٢) ينظر: موقع كوردستان تي في: هذه الجريمة و صمة عار في جبين من يدعون بحقوق الانسان، شيركو حبيب، تأريخ الوضع:

٢٠٢٢/٤/٥، تاريخ المراجعة: ٢٠٢١/٣/٢٣

للحكومات العربية للقضية الكوردية التي من شأنها أن تزيد في حالة الشرخ بين العرب والكورد عبر تغيير أسماء مناطقهم الكوردية إلى العربية، وعدم السماح للكورد بممارسة ثقافتهم القومية بحجة خطورتهم على الأمن القومي العربي، ناسين بأن الكورد هم الذين حموا الأمن القومي العربي عبر صلاح الدين الأيوبي وسليمان الحلبي وغيرهم^(١).

عندما تليت مطالب الكورد في مؤتمر مباحثات الوحدة الثلاثية في القاهرة عام ١٩٦٣ والتي تضمنت بأنه إذا اندمج العراق في وحدة مع دولة عربية أخرى، يكون لشعب الكورد اقليم مرتبط بالدولة الموحدة، وينفي في الوقت نفسه الانفصال وضمن تطور العلاقات الوثيقة بين الشعبين الشقيقين نحو مستقبل أفضل، إلا أن هذه المفاوضات لم تنجح بسبب تعنت كل من الكورد والحكومة العراقية حول اسلوب تغيير الجنسية العربية إلى الجنسية الكوردستانية في حال نجاح الجمهورية العربية المتحدة التي تربط سوريا وعراق، وبعد ذلك أخذت الحكومة ترسل الجيش لاختماد الحركة الكوردية، وناصره في ذلك الجيش السوري بقيادة حزب البعث السوري، أما الرئيس المصري جمال عبد الناصر فقد أبدى أسفه لاستئناف القتال، وكانت مصر تريد حل القضية الكوردية على أساس الحكم الذاتي واللامركزية تحت دراسة ذلك خلال المباحثات بين جمال عبد الناصر وسيد جلال طالباني^(٢).

أما في فترة الثمانينيات من القرن الماضي في الحرب العراقية الإيرانية فقد انقسمت الحكومات والشعوب العربية بين مؤيدة للعراق ومؤيدة للإيران وكانت هناك دعاية واسعة تدعي بأن الكورد يوالون مساعدة إيران في الحرب ضد القوات العراقية، وأن هؤلاء يريدون تقسيم العراق وجعله لقمة سائغة للدول الاستعمارية ولإيران وتركيا، وشاركت أجهزة الاعلام في الدول العربية بتأكيد هذا المشهد الكاذب، مما جعل العرب يعتقدون بأن العراق يؤدب الكورد ويطهر المناطق من المتعاونين مع إيران، وكانت الشعوب العربية تعتقد بأن العراق يسعى إلى اقامة الوحدة العربية ويقف ضد اسرائيل بعكس مواقف الدول العربية الأخرى^(٣).

في الوقت نفسه الذي لم تكن القضية الكوردية واضحة أمام أعين الشعوب العربية، تسبب هذا الوضع في عدم التوازن في الترويج للقضية الكوردية أو عرضها بشكل صحيح، مما أثر سلباً على مصلحة الشعب الكوردي. وهذا الوضع أدى إلى عدم التجاوب الكبير من قبل الغالبية العربية، واقتصار تفاعلهم على الصمت تجاه هذه الحقيقة.

(١) ينظر: الكورد تأريخ شعب وقضية وطن: احمد تاج الدين، دار الثقافة، مصر، ٢٠٠١، ٥

(٢) ينظر: اشكالية العلاقة بين الكورد والعرب: ابراهيم ابراهيم، منشورات مركز عامودة للثقافة الكوردية، ٢٠٠٣، ٨

(٣) ينظر: المسألة الكوردية في ملف السياسة الدولية: عايدة العلي سر الدين، دار الآفاق، بيروت، ٢٠٠٠، ١٢٠

إن الغالبية العظمى من المثقفين العرب لا تبدي أي اهتمام يذكر بقضايا حقوق الإنسان وحقوق القوميات والأقليات القومية، وبالتالي لا تجد ما يبرر مطالبة الشعب الكوردي بحقوقه العادلة، وتعد نضاله تجاوزا على شرعية الدولة، فضلا عن أن بعضهم الآخر يعتقد أن ما يقال عن الأنفال مجرد دعاية غريبة استعمارية ضد نظام العراقي^(١).

أما موقف الرئيس الليبي القذافي التحررية تتناقض تماما وترد المواقف الشوفينية للاوساط الرجعية العربية، ولا سيما الحكومات العراقية المتعاقبة التي سارت على طريق صهر القومية الكوردية وتهجيرها وتشريدتها وتعريب كوردستان، في حين أن القذافي يدين دمج أمة في أمة ولاسيما في خلال مداخلته في ندوة بن غازي عام ١٩٧٩ عندما صرح " إن الأمة الكوردستانية يجب أن تستقل وأن تحترم وأن تقام معها علاقات صحيحة على أساس أنها أمة مستقلة"^(٢).

بادر القذافي في فترة الثمانينيات من القرن الماضي في ١٥/٣/١٩٨٦ إلى عقد مؤتمر دولي وهو المؤتمر العام الثاني في طرابلس، المؤتمر الوحيد الذي انعقد دفاعا عن الأمم الممزقة والشعوب الصغيرة المظلومة كالسود والهناد الحمر والكورد، وخصص القذافي جزءا من خطابه امام المؤتمر بالأمة الكوردية ومظلوميتها وحقوقها^(٣). في حين لزمّت الدول في العالم العربي والإسلامي الصمت المطبق، إذ أن مؤتمر القمة الإسلامية الذي دعا لحضور الاجتماع في الكويت عقد في آذار ١٩٨٨ أي بعد اربعة أيام فقط من قصف حلبجة، ناقش هذا المؤتمر جميع المواضيع المتعلقة بأفغانستان والقضية الفلسطينية والتواجد التركي في بلغاريا، إلا أن المذبحة الإرهابية ضد الكورد لم تكن على جدول المؤتمر، فضلا عن ذلك كانت تركيا تمتلك اثباتات جلية على ضحايا الغاز في مستشفياتها من الكورد العراقيين الفارين إلى تركيا، لاسباب سياسية ولغلا تخرج موقف الصدام^(٤).

كان هذا الصمت من قبل الدول العربية يعود إلى السياسة التي اتبعها صدام حسين وذلك بتوجيهه للموارد المالية لكسب الأنصار والمؤيدين له ولنظامه في الدول العربية ولاسيما منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط، و وصل به الأمر إلى حد تمويل حملات الانتخابات البرلمانية لبعض الدول، فضلا عن توفير السكن والسيارات المرفه لعدد من الصحفيين في عدد من الأقطار العربية ومنها الأردن ومصر والمغرب وتونس والجزائر وموريتانيا والسودان وغيرها بهدف التأثير فيهم وكسبهم إلى جانب النظام^(٥).

(١) ينظر: القضية الكوردية في العراق: حامد محمود عيسى، دار الآفاق بيروت، ٣٣٨

(٢) ينظر: حلبجة وشقاء الوعي الثقافي العربي: فالح عبد الجبار، المؤتمر العلمي الأكاديمي للأنفال، اربيل، ٢٠٠٢، ٦

(٣) ينظر: القذافي والقضية الكوردية: صابر علي احمد، دار الملتقى ليبيا، ١٩٩٢، ٧٥

(٤) المصدر نفسه: ٨١

(٥) الإبادة الجماعية للشعب الكوردي: سمير مصطفى العقراوي، اربيل، ٢٠٠٨، ٩٥

الفرع الثاني: موقف الدول المجاورة

تعاملت الدول المجاورة مع الأوضاع في العراق والكورد خلال فترة اضطهاد نظام البعث له طرق مختلفة:

١-موقف إيران

أهم ما يميز الدور الإيراني من القضية الكوردية أنه يقوم باستخدام كورد العراق لأجل تحقيق المطامع على الأرض، وكذلك خلق المتاعب للحكومات العراقية بغية تحقيق منافع سياسية إيرانية أو خدمة لمصالح دول أخرى، وتعد إيران الدولة الإقليمية الأكثر تورطاً في قضية كورد العراق^(١)، إن كورد إيران يشكلون أقلية مهمة في المجتمع الإيراني المتعدد القوميات، غير إن القومية الفارسية التي تشكل النسبة الأكبر من المجتمع الإيراني، ترى في الكورد أنهم ينحدرون من ذات العنصر الآري الذي ينحدر منه الفرس أيضاً، ومن هذه الزاوية فان حكام طهران لا يرون في الكورد سوى أنهم إيرانيون الكورد. لذا فإنها عندما تقف إلى جانب الكورد لترضي تلك الأقلية الكوردية التي تعيش على أرضها^(٢)، وعلى الرغم من أن الكورد هم من ذات الأصول الآرية فان ذلك لم يمنع الفرس من ممارسة سياسات عنيفة ضدهم لأجل إخضاعهم وبالتالي كانوا دوماً مع استخدام القسوة لأجل قمع الثورات الكوردية كلما وقعت^(٣).

في عام ١٩٧٩ رحل نظام الشاه وحل نظام الدولة الإسلامية وتوقع الكورد أنهم وبعد تأييدهم للثورة سيحصلون على امتيازات جديدة، واعتراف بحقوقهم مثل منحهم الحكم الذاتي. مثل هذه التطلعات لم يستجب إليها قادة الثورة الجدد تحت ذريعة أن الطابع الديني للجمهورية الإسلامية يعد كفيلاً بتحقيق ما تتطلع إليه كل القوميات التي تتشكل منها الدولة. وبينما اعتمدت الدولة الإسلامية الإيرانية المذهب الجعفري الاثني عشري بوصفه مذهباً رسمياً للدولة وكذلك اعتمدت صيغة ولاية الفقيه في تحديد مسؤولية الرجل الأول في البلاد الذي أسس له الإمام الخميني فان كورد إيران ومثلما أشقائهم في دول الجوار هم في غالبيتهم العظمى مسلمون أحناف وشافعية معتدلين، وهم متمسكون بديانتهم وتكثر في مجتمعاتهم العديد من المدارس والطرق الصوفية. ونظرا لعدم إشراك كورد إيران بطريقة فاعلة عند إعداد الدستور الجديد للدولة الإسلامية، وإصرار النظام الجديد على تطبيق مفاهيم الدين الإسلامي

(١) الحركة القومية الكوردية: ادموند غريب، دار النهار بيروت، ١٩٧٣، ١٠١

(٢) الحوار المتمدن: محسن يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩، ٣٢

(٣) القضية الكوردية: محمود الدر، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦، ٤٠٧

استناداً للمذهب الجعفري فإنه كان متوقعاً أن يكون للكورد مواقفهم وهذا ما حصل عام ١٩٨٠ إذ ثار الكورد على حكاهم الجدد ولكن تم قمع الثورة بوحشية وبسرعة^(١).

إن الحكومات الإيرانية في الوقت الذي لم تلتفت إلى مطالب كوردها فإنها في ذات الوقت استمرت تقدم كل أنواع الدعم إلى كورد العراق في كل ثورة يقومون بها. وقد اختلف الدعم الإيراني واتخذ أوجه عديدة منها الدعم العسكري والسياسي ومنح اللجوء واستخدام الأراضي الإيرانية للسفر خارج العراق كذلك اتصال الكورد بسفارات الدول الغربية في طهران^(٢)، لقد حقق الإيرانيون جانباً من مطالبهم عندما اجبروا العراق للتوصل إلى تفاهم معهم بصد شط العرب لقاء سحب دعمهم للكورد وهذا ما حصل فعلاً عندما تم توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥. لقد أنهت الاتفاقية أكبر الثورة الكوردية في العراق غير إن إيران لم تلتزم بما تعهدت به من جديد. صحيح إن لجوء البارزاني وعدد من أتباعه إلى إيران قد تم بموجب توافق بين طهران وبغداد غير إن إيران سمحت للبارزاني التنقل بحرية خارجها وقد حقق أكثر من زيارة إلى تل أبيب وواشنطن^(٣).

مع رحيل نظام الشاه وتدهور العلاقات بين بغداد ونظام الجمهورية الإيرانية فقد عاد الإيرانيون إلى استخدام الورقة الكوردية من جديد. الصراع المبكر الذي تم بين حكومة طهران وكورد إيران والذي امتد للمدة ١٩٧٩-١٩٨٢ والذي قاده الحزب الديمقراطي الكوردستاني بقيادة زعيمه عبد الرحمن قاسملي قد نجمت عنه عمليات عسكرية للجيش الإيراني المدعوم من حرس الثورة أو الباسيج وهي ميليشيات أسسها النظام لدعمه. خلال الصراع واستخدمت طهران القسوة المفرطة بحق أكرادها الثائرين وتمكنت عام ١٩٨٣ من وضع نهاية لتلك الثورة وفرار قادتها إلى خارج البلاد واستقر بعضهم في الجانب العراقي. مع اندلاع الحرب بين العراق وإيران عام ١٩٨٠ عاد الإيرانيون إلى استخدام كورد العراق لصالحهم عسكرياً وقدموا لهم كل الدعم وقد شارك أتباع البارزاني والطالباني القوات الإيرانية في قتالها ضد القوات العراقية. كما أسس الإيرانيون قوات أخرى جسدها الرئيس من العرب العراقيين إتباع حزب الدعوة وغيرهم من الفارين لأسباب كثيرة وشكلوا منهم وحدات عسكرية للقتال في قواطع الحرب في الجنوب. العراقيون من طرفهم حاولوا استخدام العرب من سكان مناطق عربستان وكذلك مجاهدي خلق وهي منظمة إيرانية معارضة استقر أتباعها في العراق بعد عام ١٩٨٢ كما وتم دعم جهود

(١) الكورد شعباً وقضية: صلاح بدرالدين، المكتبة التقدمية الكوردية، لبنان، ١٩٨٧، ط١، ٥٧

(٢) أبعاد انتخابات المجلس التشريعي لمنطقة كوردستان العراق، السياسة الدولية، محمد علي المداح، ١٩٩٠، ١٩٤

(٣) تعقيدات الجيوسياسية الكوردية: نزار المزني، شؤون الأوسط، ١٩٩٦، ٩٦

قاسموا في معارضته لطهران. ومع نهاية الحرب عام ١٩٨٨ كان معظم القادة الكورد العراقيون لا يزالون يتخذون من الأراضي الإيرانية مستقراً لهم^(١).

٢- موقف تركيا

الموقف التركي: يسكن كورد تركيا في مناطق جنوب شرق البلاد ويشكلون نسبة كبيرة من السكان ويحتل تعدادهم المرتبة الأولى مقارنة واعداد الكورد في الدول الأخرى. فيما مضى كان الكورد جزء من النسيج العرقي المتنوع لمجتمعات الدولة العثمانية. ولقد حافظ الكورد على ولائهم للسلطان العثماني خليفة المسلمين خلال سنوات الحرب العالمية الأولى وقاتلت عشائهم ببسالة ضد القوات الروسية التي حاولت التقدم وعلى أكثر من محور داخل أراضي الدولة العثمانية. كما حاربت القبائل الكوردية الطوائف والعرقيات التي خانت عهودها مع السلطان وتعاونت مع القوات الروسية. ولاء الكورد هذا استمر قائماً إلى ما بعد قيام الدولة التركية الحديثة ولكن ليس إلى الأبد. الأتراك يرون في مواطنيهم من الكورد إنما هم أتراك كورد لا أكثر ولا أقل وبالتالي لم يمنحهم الكثير من الفرص للمشاركة السياسية مثلما يمنحونهم حقوق أخرى تتصل وقضايا ثقافتهم إن العلاقات العراقية التركية احتاجت وقتاً طويلاً قبل أن تتحسن. خلال سنوات الحرب العالمية الأولى خاض العثمانيون الحرب إلى جانب ألمانيا ولذلك سرعان ما كان على قواتهم مواجهة الحملة البريطانية التي انطلقت لاحتلال بلاد ما بين النهرين. ولسنا هنا بحاجة لأن نستعرض ما حصل ولكن ما حصل هو تمكن البريطانيين من احتلال الولايات العثمانية الموصل وبغداد والبصرة ١٩١٤-١٩١٨ مما نجم عنه خسارة الأتراك لهذه المناطق التي سيتمكن البريطانيين من إعادة تشكيلها سياسياً لتتكون منها الدولة العراقية المعاصرة^(٢). في عام ١٩١٨ وقعت تركيا المعاهدة التي بموجبها خرجت من الحرب. في تلك اللحظات التاريخية كانت القوات البريطانية تقف على أبواب مدينة الموصل بينما القوات التركية كانت قد انسحبت شمالاً. وبعد أيام معدودة من توقيع الاتفاق دخلت القوات البريطانية الموصل الأمر الذي عده الأتراك عملاً يخالف نص المعاهدة وهو اعتراض لم يستمع له البريطانيون أبداً. من هنا برزت ما عرف في حينه باسم مشكلة الموصل التي استمر الأتراك يطالبون فيها. القوات البريطانية وعلى الرغم من توقيع المعاهدة مع الأتراك احتاجت إلى وقت إضافي لإخضاع المناطق الكوردية في حدود ولاية الموصل وسكانها ممن استمروا في قتال القادم

(١) الشيعة والسنة والكورد في العالم: محمد الهادي ابو زيد، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، ٢٠٠٧، ١٨٩-١٩١

(٢) الكورد والتركمان في العراق: جلال عبدالله معوض، مركز البحوث والدراسات السياسية كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٤،

الجديد مثلما استمروا في ولائهم للسلطان العثماني واحتلت قضية مستقبل ولاية الموصل حيزاً مهماً لدى الحكومات العراقية في مرحلة تأسيس المملكة العراقية عام ١٩٢١ وقد عرض موضوعها على عصبة الأمم التي أرسلت لجنة دولية للتحقيق وانتهت أعمالها بالتوصية بأن سكان المنطقة وهم في جلهم من العرب والكورد قد أعربوا في إن يكونوا جزءاً من المملكة العراقية. وتمكن البريطانيون من إقناع الأتراك بالتخلي عن ولاية الموصل عبر ترصيتهم بحصة من نفط الموصل لزمان محدد وقد أغلق هذا الملف عام ١٩٢٦^(١) على الرغم من التسوية التي تم التوصل لها بصدد قضية الموصل غير إن الأتراك استمروا بين وقت وآخر يؤكدون تطلّعهم لاستعادة هذه الولاية. من جانب الحكومات العراقية والتي معظم قادتها كانوا ممن تخرج من المعاهد العثمانية أو كان يخدم في الجيش العثماني فقد سعوا جميعاً لتأسيس علاقات وثيقة مع تركيا وقد تحقق لهم ذلك. لهذا لم تشهد مناطق شمال العراق نشاطات تركية داعمة للتمردات التي قادها كورد العراق ضد حكوماتهم. ولقد تواصلت العلاقات الطيبة عندما أصبح العراق وتركيا طرفاً في مشاريع الدفاع عن الشرق التي عمل على الغرب لمواجهة الاتحاد السوفيتي. لقد عقد العراق أكثر من معاهدة للأمن المتبادل أو للتعاون الأمني مع تركيا أهمها حلف بغداد الذي تأسس عام ١٩٥٦ ومع انهيار النظام الملكي في تموز عام ١٩٥٨ أظهرت تركيا رغبتها بالتدخل العسكري في العراق لأجل الإطاحة بالنظام الجمهوري الجديد الذي أسسه الزعيم عبد الكريم قاسم.

عارضت الولايات المتحدة التوجهات التركية لأسباب عديدة أولها المخاوف الحقيقية من إن يتدخل السوفيت لصالح بغداد وثانياً إدراك واشنطن أن القوات التركية ستتكبّد خسائر كبيرة إن تورطت بأي عمل من هذا النوع ولهذا لم يكن على جميع الأطراف الدولية سوى تقبل النظام الجديد في بغداد ١٩٨٩ لقد اظهر العراقيون أنهم دوماً حريصين على أن تكون علاقاتهم طيبة مع جارهم الشمالي فهو منفذهم البري إلى أوروبا، وهنالك خط تاريخي للسكك الحديدية يربط التجارة بين البلدين كما وإن العراق يعتمد في حياته على نهري دجلة والفرات التي تنبع من الأراضي التركية. كما إن المجتمع العراقي المتعدد القوميات فيه إعداد مهمة من التركمان الذين يرون أنهم تاريخياً أتراك الجذور ولهذا فهم دوماً يتطلعون إلى تركيا في أن تكون الحامي لهم كلما ساءت أحوالهم في العراق وهؤلاء نسبة كبيرة منهم تقطن كركوك الغنية بالنفط. الأتراك من جانبهم كانوا دوماً وأبداً يؤكدون استعدادهم لخدمة هذه الأقلية وتقديم الدعم السياسي والثقافي والحماية لهم. والأتراك كانوا من طرفهم أيضاً حريصون قدر المستطاع إن تكون

(١) العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب: نجده فتحي صفوة، صيد المكتبة العصرية، ١٩٦٩،

علاقاتهم طيبة مع بغداد لأسباب تاريخية لاسيما وإن العراق الغني بنفطه ذات أهمية لاحتياجات تركيا منه وان العراق منفذ تركيا إلى الخليج العربي والذي لتركيا فيه الكثير من المصالح الاقتصادية. و ما كان يقلق تركيا سياسياً هو العلاقات السياسية والعسكرية التي كان العراق يرتبط بها مع الاتحاد السوفيتي ومع ذلك لم تؤثر هذه العلاقات على حسن العلاقات العراقية التركية. و الثورات التي كان يقودها كورد العراق ضد حكومات بغداد كانت دوماً تقلق الأتراك الذين كانوا هم أيضاً يعيشون مشاكلهم مع كوردهم الذين هم بدورهم كانوا أيضاً لهم مطالبهم السياسية والثقافية. لهذا عملت تركيا دوماً نحو تنسيق مواقفها مع بغداد بصدد هذه القضية. وطبيعة الحدود الجبلية بين البلدين يمكن إن تساعد على تحرك الكورد بين البلدين بحرية وان يسند بعضهم البعض الآخر. من جانب العراق وليضمن تعاون تركيا معه في موضوع كورد العراق فقد نفذ العراق في منتصف السبعينيات من القرن الماضي وبعد تردد طويل مشروعاً نفطياً ذات أهمية مع تركيا إذ تم تنفيذ مشروع لنقل النفط العراقي عبر خط أنابيب يوصل النفط إلى مواني التصدير التركية على البحر الأبيض المتوسط وهو مشروع تستفيد تركيا منه في تأمين جانب ذات أهمية من احتياجاتها النفطية فضلاً عن عوائد مالية ذات أهمية تصل إلى مليار دولار سنوياً كرسوم تحصل عليها تركيا^(١). واصل الأتراك في أكثر من مناسبة الرغبة في التعاون مع العراق في مواجهة ثورات كورد العراق على الرغم من إن مثل هكذا تعاون لم يكن مطلقاً تماماً لأسباب سياسية. إن حزب العمال الكوردستاني الكوردي التركي قد تمكن من تعزيز مكانته بين كورد تركيا وانتقل للعمل المسلح وأصبح له تنسيقه مع كورد العراق. ولقد أثرت الأعمال المسلحة التي تورط فيها هذا الحزب مع القوات التركية سبباً في إن تطالب منظومة السوق الأوروبية المشتركة ولاحقاً الاتحاد الأوروبي الذي ترغب تركيا في إن تكون طرفاً فيه على أن تنفذ تركيا إصلاحات سياسية تتصل بحقوق كوردها. ومع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية ولأجل إن يضمن العراق تعاون تركيا معه لضبط مناطق الحدود المشتركة فقد توصل الطرفان عام ١٩٧٨ إلى اتفاقية أمنية سمح العراق بموجبها للقوات التركية التوغل داخل الأراضي العراقية لبضعة أميال لأجل مطاردة المسلحين الكورد الذين يستخدمون المناطق الجبلية للاختباء أو شن هجماتهم المسلحة منها. ولقد استخدم الأتراك ولا يزالون إلى يومنا هذا هذه الاتفاقية في مطاردة عناصر حزب العمال الكوردستاني الذي يتزعمه أوجلان. أن الموقف التركي مع العراق شهد تحولان كبير بعد احتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠ وقد وافقت تركيا إن تكون طرفاً في التحالف الدولي الذي شن الحرب

(١) أكراد العراق الواقع والمستقبل: أحمد ناجي قمحة، السياسة الدولية، ١٩٩٦، ١١١

على العراق كما منح الأتراك تسهيلات عسكرية كبيرة للقوات الجوية الأمريكية والسماح باستخدام قواعدها لتنفيذ هجمات جوية ضد العراق. واستخدم سلاح الجو الأمريكي قاعدة (انجريك) التركية استخداماً واسعاً لشن هجمات على العراق حتى بعد خروج العراق من الكويت عام ١٩٩١ وهو استخدام استمر لاحقاً لسنوات طويلة خلافاً لقواعد القانون الدولي. كما وافق الأتراك على تنفيذ عملية منطقة الحظر الجوي في مناطق شمال العراق طوال المدة -١٩٩٢، ٢٠٠٣ ولكن في الوقت ذاته استفادوا من العراق وحاجاته الاقتصادية فقد استمر تدفق البضائع التركية إلى العراق بطرق مختلفة ومكافئة للموقف التركي المتعاون أصر الغرب وبعد توقيع مذكرة التفاهم المعروفة باسم النفط مقابل الغذاء والدواء بين بغداد والأمم المتحدة أصر الغرب على أن الخط النفطي العراقي المار عبر تركيا هو المنفذ الوحيد للصادرات النفطية العراقية.^(١) لقد كان الزعيم أوجلان ومنذ البداية في حالة من الصراع مع القادة الكورد في العراق كونه كان يرى فيهم عملاء لواشنطن وتل أيب وقد صرح بهذا الاتجاه في ١٢ نيسان ١٩٨٩ كان أوجلان يعتقد إن تأسيس كيان كوردي في كوردستان العراق سيكون على الضد من تطلعات كورد تركيا^(٢). وبعد صراعات سياسية وعسكرية مع زعماء الجماعات الكوردية في العراق تمكن حزب اوجلان بعد أن اعتقلته انقرة من خلق علاقات وثيقة مع حزب الاتحاد الوطني الكوردستاني بزعامة جلال الطالباني الذي منح مقاتليه ملجأ في مناطق نفوذ الطالباني. كان أوجلان في مرحلة من مراحل نشاطه ضد انقرة ومع توطيد علاقاته مع دمشق، ولكنها سرعان ما تخلت عنه. بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٨٩، وبعدها سحقت الفرصة لتركيا للتوغل داخل الأراضي العراقية بحجة مطاردة المقاتلين من أنصار أوجلان وان تضغط على البارزاني والطالباني في الاستماع إليها والتعاون معها. وبينما كانت واشنطن تعد لعملية غزو العراق فقد احتاجت المساعدة العسكرية التركية من جديد غير إن الأتراك هذه المرة عبروا عن موقف مختلف عن ذلك في عام ١٩٩٠ فقد عارضت الحكومة التركية مطالب واشنطن في أن تنزل بعض قطع الهجوم على العراق في تركيا وتستخدم أراضيها للانطلاق إلى العراق، ولكن في النهاية وافق الأتراك فقط على تقديم تسهيلات تقوم على استخدام قواعدها الجوية. كما كان الأتراك ومنذ وقت طويل قد وافقوا أن تكون أراضيهم ممرات عبور للعديد من جماعات المعارضة العراقية وقادة من كورد العراق، وأخيراً لعناصر المخابرات الأمريكية التي أسست لها محطات

(١) تعقيدات الجيوسياسية الكوردية: نزار المنزي، شؤون الأوسط، ١٩٩٦، ١١٤

(٢) وثائق مؤتمر القاهرة: عدنان المفتي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ١٩٨

على الأرض في مناطق الحظر الجوي أهمها في مدينة اربيل^(١). بعد احتلال العراق اظهرت انقرة معارضتها لبعض ما كان يجري في بغداد وفي مناطق شمال العراق. وأن الأتراك لم يكن بوسعهم منع الأمريكان من منح الكورد الكثير من النفوذ في القرارات التي أخذت تصدرها إدارة الحاكم بريمر منها: حق الكورد بإقليم فدرالي خاص بهم إلا أن تركيا اظهرت مواقف متشددة إزاء مساعي الكورد في ضم كركوك لهم والتي يعدها الأتراك مدينة تركمانية، وان واجبها الأخلاقي إن تحمي الأقلية التركمانية في العراق من أي تهديد يطالها. في المقابل لم يعترض لا الأمريكان ولا الحكومة العراقية من استمرار عمليات القصف التركي لمناطق في شمال العراق كان يستغلها مقاتلي حزب العمال أو في توغل قواتهم داخل الأراضي العراقية وهي تطارد هذه العناصر. من جانب حكومة إقليم كردستان العراق، لقد كان من الواضح لها إنه من المهم التقرب إلى انقرة بدلاً من إغضبها وان تفتح منطقتهم أمام الاستثمارات والشركات التركية، لعل ذلك يفتح صفحة جديدة مع تركيا والأتراك ولطالما خضع العراق للضغوط الدولية في ظل الاحتلال الأمريكي وحقق كورده الهدف في ان يكون لهم إقليمهم الكوردي، الذي هو اليوم قد استكمل شكل الدولة القائمة، وما ينقصها سوى الإعلان عنها والاعتراف بها، فان تركيا لا تزال تعتقد إن بوسعها إن تستمر بالتعامل مع مشكلتها الكوردية عبر استخدام سياسية الجزرة والعصا.

٣- موقف سوريا

تتراوح التقديرات الخاصة بأعداد الكورد داخل سوريا ما بين ١,٨٥ و١,٨٥ مليوني نسمة، أي ما يعادل قرابة ١٠٪ من السكان^(٢) يتركزون بصورة رئيسة على امتداد الحدود مع العراق وتركيا، فضلاً عن وجود أعداد كبيرة بدمشق، وقد جرى ممارسة تمييز رسمي ضد الكورد منذ ثلاثينيات القرن الماضي، ووصل التمييز إلى ذروته خلال فترة ذروة القومية العربية في الخمسينيات والستينيات، واستمرت الحكومة السورية في قمع الأنشطة السياسية والثقافية الكوردية، لذلك ينتمي الكورد إلى أكثر فئات السوريين فقراً، وما تزال الأحزاب الكوردية غير قانونية. ونظراً للتطورات التي شهدتها كل من العراق وتركيا ما اوجدت تأثيراً هائلاً على الكورد داخل سوريا وهم أقل مجموعات الكورد ميلاً للثورة والتمرد، بيد أن ذلك لم يحجم شعورهم بعدم الرضا على أوضاعهم، ومع استمرار تجاهل قضاياهم ومنعهم من تحقيق المكاسب الخاصة بهم، لم تتمكن سوريا إلى الآن من التكيف مع حقيقة وجود عدد كبير من الكورد غير العرب داخل حدودها، ونظراً لأيديولوجية القومية العربية التي تنتهجها الدولة والشعور بعدم الأمن فيما

(١) العالم العربي الحديث: جلال يحيى، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٧، ١٢٥

(٢) قضايا دولية: تركه قرن مضى وحموله قرن آت: محمد عوض الهزاعية، دار المكتبة الوطنية، عمان، ٢٠٠٥، ٩٤

يخص الهوية "العربية السورية" للبلاد، مارست الدولة التمييز ضد الكورد على أساس العرق، ويعد الكورد السوريون مجهولين تقريبًا على الساحة الدولية مقارنة بجيرانهم، نظرًا لتضائل مستوى العنف في علاقتهم بالدولة السورية، ويرجع السبب الأكبر وراء ذلك إلى انخفاض أعدادهم وتشتتهم على مساحة جغرافية واسعة أما بالنسبة للعلاقات والروابط العائلية والقبلية بين الكورد في غرب كردستان وشماله فهي علاقات وروابط متينة، وأما بالنسبة للعلاقة الكوردية والحكومة الرسمية السورية فنتابها أحياناً علاقة سلبية ومن بين العوامل التي أثرت بالسلب على أوضاع الكورد السوريين توجهات الكورد بالدول المجاورة، إذ انتهجت دمشق سياسات تقوم على خدمة مصالحها الذاتية وتتسم أحياناً بالتضارب إزاء الكورد في المنطقة عامة، مما جعلها تدعم الحركات الكوردية في تركيا والعراق أثناء فترات عدائها الممتدة مع كل من أنقرة وبغداد، وقد استغل حزب العمال الكردستاني، والحزب الديمقراطي الكردستاني، والاتحاد الوطني بكوردستان هذه الفرصة وألوهها اهتماماً أكبر من اهتمامهم بمعاونة إخوانهم الكورد السوريين. فشكلت المصالح الذاتية "وليسست القومية الكوردية" دوماً المحرك الرئيسي وراء الأحزاب الكوردية الكبرى، لدرجة أن حزب العمال الكردستاني عمد إلى تضييق الحراك الكوردي السوري وشكك في شرعية الحقوق الكوردية داخل سوريا، إلا إن التحولات التي شهدتها السياسة الخارجية السورية مؤخرًا ربما تؤثر على العلاقات بين الكورد، إذ من شأن التقارب السوري-التركي تخلي دمشق عن دعم حزب العمال الكردستاني، بينما أصاب الفتور العلاقات بين سوريا والكورد العراقيين بسبب معارضة الأولى لمكاسب الحكومة الإقليمية بكوردستان، هذا وعلى الرغم من أنها غير مؤكدة فيها إذا كان الكورد الأتراك والعراقيون سيدعمون الكورد في سوريا، فإن هذا التحول الأخير يزيل إحدى العقبات في طريق هذا الدعم وإذا ما استعرضنا تاريخ العلاقات العراقية السورية وانعكاساتها على الأقلية الكوردية سيكتشف المتتبع لتاريخ العلاقات العراقية السورية أن البلدين كانا دوماً متقاطعين في سياساتهما وبالتالي فإن سنوات انقطاع العلاقات أو برودتها بين الطرفين هي الأطول في تاريخ هذه العلاقات. وبعد حصول تركيا على استقلالها لم يخف العراق رغبته بأن يجلس الأمير عبد الإله بن الملك على عرش سوريا لتكون سوريا ثالث عاصمة تحت حكم الهاشميين. القادة السوريون كان لهم مواقفهم ولتجنب مشاريع العراق بهذا الاتجاه فقد تقرب السوريون إلى مصر وهو تقارب نجم عنه قيام الوحدة الاندماجية بين البلدين عام ١٩٥٨. بنظام الجمهورية العربية المتحدة الذي لم يستمر طويلاً فقد انهارت هذه الوحدة عام ١٩٦٢ مثلما انهار النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨. وقد حصل تطور ذات أهمية عام ١٩٦٣ عندما تمكن حزب البعث من السيطرة على الحكم في بغداد ودمشق وبالتالي حصل تقارب

كبير بين البلدين وتم توقيع اتفاقيات سياسية وعسكرية خطط لان تكون سبيلاً لتحقيق الوحدة بينهما. منها التعاون العسكري العراقي السوري مما نجم عنه قيام سوريا بإرسال بعض وحداتها للوقوف إلى جانب الجيش العراقي في قتاله ضد الكورد. في المدة بين -١٩٦٨ ١٩٩١ وكانت العلاقات بين البلدين في أسوأ حالتها لعدم قدرة البعثيين في كلا البلدين تسوية خلافاتهم الحزبية. وخلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية وقف السوريون إلى جانب الإيرانيين سياسياً وأحياناً عسكرياً. في هذه المرحلة كانت لدمشق علاقاتها الخاصة مع بعض القيادات الكوردية وعلى وجه الخصوص جلال الطالباني والذي منحته سوريا -وكما ذكرنا سابقاً- جواز سفر سوري لأغراض الحماية والإقامة والتنقل وهو جواز سفر لم يتخلى عنه إلا بعد أن أصبح رئيس جمهورية العراق بعد عام ٢٠٠٣ ليس الكورد وحدهم من حصل على هكذا تسهيلات بل أطراف عديدة أخرى من المعارضة العراقية منها تلك التي هي قريبة من إيران. في عام ١٩٩١ شاركت القوات السورية مع التحالف الدولي لإخراج العراق من الكويت غير أنها لم تسمح أن تكون أراضيها منطلقاً لهجمات على العراق. وطوال عقد التسعينيات شاركت سوريا في جميع الاجتماعات التي عقدها وزراء خارجية وداخلية دول الجوار العراقي وكانت دوماً مع موضوع الحفاظ على وحدة أراضيها. وفي سنوات قليلة قبل ٢٠٠٣^(١) لقد شهدت العلاقات الاقتصادية تحسناً، كما وأعلنت سوريا معارضتها الشديدة عملية غزو العراق وقد سمحت بانتقال المتطوعين العرب للعبور من خلال أراضيها والدخول إلى العراق. واستمر الموقف السوري إلى يومنا هذا معارضا للتواجد الأمريكي في العراق، وهذا له أسبابه منها بل وأهمها، إن الولايات المتحدة أصبحت مجاورة لسوريا، وهذا يعني أن الخطر الأمريكي أخذ يقترب من النظام السوري الذي يبدو بالظاهر مخالفاً للخط السياسي الأمريكي لقرها من ايران، وأن أمريكا لن تلق أي صعوبة كتلك التي صادفتها في العراق، لكون العراق اليوم تحت الهيمنة الأمريكية ونقطة انطلاق لأي عملية عسكرية مستقبلية لسوريا أو لغيرها من بلاد الجوار.

المبحث الثاني: الموقف الإسلامي حول القضية الكوردية

تُظهر المبادئ الإسلامية أهمية حياة الإنسان واحترام حقوق الإنسان وتعاليم الإنسانية والعدالة. بالنسبة للإبادة الجماعية المرتكبة ضد الكورد، يمكن أن يكون موقف المؤسسات والأحزاب الإسلامية متنوعاً ويعتمد

(١) أزمة نظام الحكم في العراق: عباس فاروق، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٩٩٥، ١٠.

على الزمان والمكان والتيار الإسلامي الخاص على قضية الكورد. بعض المؤسسات والأحزاب الإسلامية تدين بشدة مثل هذه الأعمال الوحشية وتنظر إليها على أنها تتعارض مع قيم الإسلام وتعاليمه. بالنسبة للشخصيات الإسلامية، يمكن أن تختلف آراؤهم بناءً على اعتبارات شخصية ودينية. بعض الشخصيات الإسلامية قد تتحدث علناً ضد الإبادة الجماعية وتدعو إلى التحقيق وتحقيق العدالة في قضية الكورد. في الوقت نفسه، قد تكون هناك شخصيات أخرى تتجنب التعليق على هذه القضية أو تعبر عن تحفظاتها بناءً على اعتبارات سياسية أو دينية.

المطلب الأول: المبادئ الإسلامية والإبادة الجماعية المرتكبة بحق الكورد

تمهيد

من خلال استعراض الإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الكوردي المسلم في العراق، والتي تشمل استخدام الأسلحة الكيميائية والأسلحة المتطورة الحديثة والأنفال والمجازر والتهجير القسري والتعريب والتدمير والترحيل، تنشأ تساؤلات حول الموقف الإسلامي من هذه الجرائم.

ينبغي استنباط حكم جريمة الإبادة الجماعية على ضوء المبادئ العامة التي حواها القرآن والسنة.

إن القرآن لم ينص على كافة الأحكام الجزئية بتفاصيلها التي ترتبط بوقائع لا متناهية في تعدادها، وترتبط بمركز الزمان والمكان، وبذلك يترك للمجتهدين في كل زمان ومكان استنباط هذه التفاصيل بناءً على الضوابط الشرعية واتساقاً مع الأحكام الكلية ومقاصد الشرع الحنيف.

نظر إلى جريمة الإبادة الجماعية من منظور إسلامي يستند على ثوابت معينة في سنة الله في خلقه ومكانة الإنسان بين المخلوقات، والتي كرمه ربه بالكرامة والحقوق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] وحقيقة كون الإنسان خليفة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] والاستخلاف في الأرض جعل له الله تعالى وظيفة أناطها بالإنسان وهو عمارة الأرض قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]

وعمارة الإنسان للكون يعني بناء الحضارة ولا تتحقق - من وجهة النظر الإسلامي - إلا إذا تم الالتزام بالقيم والمبادئ التي تضمنها الشرع الحنيف في العلاقة الإنسانية، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعات، والإسلام زيادة على بنائه حقوق الإنسان على وحدة النشأة ووحدة العقيدة ونظرية الاستخلاف، فإنه دعم هذا التأسيس من خلال دعوته الناس إلى الارتياض بالفضائل، لإبلاغ النفس الإنسانية إلى مرتبة

تسمو بها على الهمج الحيوانية ولذلك ذم الله سبحانه وتعالى الذين لم يتخلقوا بخلق الإنسان^(١) فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِتْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] والإسلام في تنظيمه للعلاقات الإنسانية أرسى مجموعة من المبادئ العامة التي يتحقق بها مقاصد الشرع، تمثل الإطار العام لهذه العلاقات، كما أرسى مجموعة من القواعد المنبثقة عن هذه القواعد ألزم المسلم الانصياع لها، وقرر المشرع على مخالفة هذه وتلك جزاء دينياً ودينيوياً، ولو التزم الناس بهذه المبادئ العامة التي تمثل الإطار في العلاقات الإنسانية لما حصلت جريمة على جانب كبير من الخطورة مثل جريمة الإبادة الجماعية قد وجدت طريقها إلى الحدوث .

ولنتأمل المبادئ التي أرساها الإسلام لحكم العلاقات بين البشر، والتي لو تم الالتزام بها لصلحت حال الإنسان فرداً كان أو جماعة، ولكانت العلاقات الإنسانية صحية وسليمة.

في هذا المطلب من المبحث سيتناول "الإبادة الجماعية في ضوء المبادئ العامة الإسلامية ومبدأ العدل والإحسان وتحريم الظلم ومبدأ عدم الاعتداء ومبدأ الرحمة في الإسلام ومبدأ الأمان ومبدأ عمارة الأرض". وسيتم في هذا المبحث التركيز على المبادئ والقيم الإسلامية التي تحت على العدل والإحسان والرحمة ومنع الظلم والاعتداء وتحقيق الأمان وعمارة الأرض.

الفرع الأول: مبدأ العدل والإحسان وتحريم الظلم

أمر الله تعالى بانتهاج العدل والإحسان في تعامل البشر بعضهم مع بعض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ النساء: ٥٨ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَيَّ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ المائدة: ٨

والملاحظ في الآيتين الكريمتين أن الأولى تعمم الخطاب بالأمر بالعدل والإحسان، فهو خطاب موجه إلى كافة البشر باعتباره منهجاً يؤمن للجماعة البشرية، أما الآية الثانية فهي تتوجه إلى المجتمع الإسلامي،

(١) ينظر: جريمة الإبادة الجماعية من المنظورين الدولي والإسلامي: الدكتور باسل مولود يوسف، ٢١

فلا يؤمنون حتى يقيموا العدل حتى مع الخصوم والأعداء، فالعدل حق للكافة والتزام على الكافة أيا كان موقعهم في المجتمع، وسواء كان حاكماً أو محكوماً.

وكما حرم الله الظلم على نفسه وحرمة فيما بين عباده، وأنذر بأشد أنواع العذاب على من يظلم، وهو لم يفرق في استحقاق العذاب على الظالم بين أن يقع الظلم على مؤمن أو على كافر، فالظلم الذي يقع على أي إنسان ييؤ فاعله بغضب من الله، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ٢٩ ﴾ [الفرقان: ١٩] وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٩ ﴾ [الكهف: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٢ ﴾ [غافر: ٥٢] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبِ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ١١٢ ﴾ [النساء: ١١٢] ولما كانت جريمة الإبادة الجماعية المتمثلة في ارتكاب أحد الأفعال الداخلة في تعريفها تتناول الإيذاء الجسيم لضحاياها بغير تمييز بين مذنب وبريء ، وهي بذلك تعد أبعد ما تكون عن العدل والإحسان والقسط الذي أمر بهم المشرع الحكيم، وهي تعميم للظلم بين أفراد جماعة معينة بغير ذنب جنوه، بل لعله بسبب لا دخل لإرادتهم فيه، وهو ما يعد ظلماً نهي عنه الشارع الحكيم وأنذر بتوقيع أقسى أنواع العذاب، سواء وقع على مسلم أو ذمي بل وعلى الكافر، فالجريمة بذلك تمثل خروجاً على مقتضيات العدل والإحسان والقسط وتعريض لدعائم المجتمع البشري، ناهيك عن دعائم المجتمع الإسلامي^(١).

الفرع الثاني: مبدأ عدم الاعتداء

نهی الإسلام بنصوص قاطعة عن الاعتداء حتى ولو تعلق الأمر بالخصوم والأعداء إلا أن يكون رداً لعدوانهم على المسلمين ، وإذا كان ذلك المبدأ ثابتاً في حالة الحرب، فهو أولى بالتطبيق في وقت السلم، ويكون ذلك منهجاً يسلكه الناس في علاقاتهم، فلم يكن الاختلاف أياً كان سببه عرقياً كان أو دينياً مبرراً للاعتداء على المخالفين باختلاف العرق لا يمكن أن يكون سبباً للاعتداء، ذلك أن البشر في نهاية الأمر من أصل واحد، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١ ﴾ [النساء: ١]

(١) المصدر نفسه: ٢٢

وفي الحديث يقول الرسول -ﷺ- : ((إن أباكم واحد، وإن دينكم واحد، وأبوكم آدم، وآدم خلق من تراب))^(١).

والملاحظ في الخطاب القرآني وفي الحديث الشريف أنهما موجهان إلى الناس كافة لا يفرق في الخطاب بين مسلم وغير المسلم، فهو للبشر جميعاً تذكيراً لهم بأنهم من أصل واحد، فلا يمكن تبرير الاعتداء باختلاف الأعراق أو الأثنية، كذلك لا يمكن تبرير الاعتداء لاختلاف الدين، بل ولو تعلق الأمر بمشرك، فالدعوة إلى سبيل الله يجب أن تكون بالحسنى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥] فهذا منهج ينبغي اتباعه مع كل من يختلف معنا في الدين، ثم تأتي نصوص تتعلق بكيفية إدارة الخلاف مع أهل الكتاب، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

وقال -صلى الله عليه وسلم-: ((من آذى ذمياً فأنأ خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة))^(٢). وفي شأن المعاهدين يقول الرسول -ﷺ-: ((ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو انتقص أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة))^(٣)، بل إن الأمر لو تعلق بأحد المشركين فلا عدوان عليه، بل إن على المسلم أن يجيره إن أستجاره، ويمنحه الأمان، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦]، فإذا كان ذلك الحكم متعلقاً بمشرك يطلب الأمان وقت الحرب فيلزم القرآن المسلم بأن يؤمنه حتى يسمع كلام الله، فإن إعطاء الأمان في غير وقت القتال أولى .

ولقد سار الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على هذا النهج فيما أورده في عهده إلى أهل بيت المقدس والمعروفة باسم العهدة العمرية، والتي جاء فيها ((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أهل إيليا من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقمها وبريئتها وسائر ملتها ... أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم...))^(٤)

(١) أخرجه الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار، كتاب الأدب، باب التفاخر، رقم (٢٠٤٤) وقال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي سعيد إلا من هذا الوجه.

(٢) التخريج في صفحة: ٢٥٥

(٣) التخريج في صفحة: ٢٥٥

(٤) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: الطبري، ج، ٦٠٩.

وإذا كانت هذه المبادئ هي الواجبة الاتباع في أوقات السلم أو أوقات الحرب، فإنه إبان ظروف القتال التي قد تغري المقاتلين بالعدوان على من يقاتلونهم نجد أن الإسلام قد حظر تماماً الاعتداء إلا على من اعتدى، بل أوجب التناسب بين الاعتداء وما يقابله فلا جور ولا تمادي في العدوان، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [البقرة: ١٩٠]

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٩٣﴾ [البقرة: ١٩٣] ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦]

فإذا أردنا أن نعرف حكم جريمة الإبادة الجماعية على ضوء مبدأ عدم الاعتداء، لعلنا أنها أفعال يدينها الإسلام، لما فيها من تعميم للعقاب وعدوان ينال الناس بغير تمييز وإلحاق الأذى بغير جدية، بل إنه حتى ولو وقع اعتداء من بعض أفراد الجماعة المستهدفة بالجريمة، فإن ذلك لا يبرر مد العدوان على بقية أعضائها، إعمالاً للمبدأ الإسلامي الراسخ، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ﴿١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦] وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ [الزمر: ٧]

الفرع الثالث: مبدأ الرحمة في الإسلام

للرحمة في الإسلام موضع متميز في أحكام الشرع الإسلامي، ذلك أن كثيراً من هذه الأحكام كانت الرحمة علتها ومقصدها، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وإذا كنا نرى للرحمة ظلاً في الكثير من الأحكام إلا أن ما يهمنا على وجه الخصوص في هذا الموضع هو مكانة الرحمة في تعامل البشر بعضهم مع بعض، فلقد حث القرآن الكريم على التراحم بين الناس وعد ذلك سمة من سمات المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]

وعن الرسول-صلي الله عليه وسلم- حينما طلب منه أن يدعو على المشركين أجاب ((إنني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة))^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم (٢٥٩٩)

هذا المبدأ أمر الإسلام بالتزامه حتى مع الأعداء الذين قاتلوا المسلمين فأظهرهم الله على أعدائهم، فأمرهم بالرحمة مع الأسرى والجرحى، بل ومع القتلى.

فأما الرحمة بالأسرى فهناك من النصوص القرآنية والسنة الفعلية والقولية ما يشير إلى ضرورة التزام الرحمة في التعامل مع الأسير، قال تعالى ممتدحاً فريقاً من المؤمنين لأنهم يفضلون غيرهم على أنفسهم بإطعامهم الطعام حتى ولو كانوا في حاجة إليه بقوله: ﴿وُطِعْمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَصَلَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَسِيرًا ۚ﴾ [الإنسان: ۸]

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَوْثَاقَهُمْ فِيمَا بَعَدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۙ﴾ [محمد: ٤]

وتعني هذه الآية الكريمة أن الله حث المقاتلين المسلمين على قتال من قاتلهم، فإذا اتخذوا منهم أسرى فإنهم عندئذ بالخيار بين المن عليهم بإطلاقهم أو أن يأخذوا منهم الفدية، دون أن يأمرهم بقتل الأسرى. أما السنة فإنها تشير إلى إحسان الرسول عليه السلام للأسرى في موقعة بدر، التي أسر فيها سبعين أسيراً منهم ساموا المسلمين سوء العذاب بمن فيهم رسول الله نفسه ومن حاول قتله، ومع ذلك فحينما وقعوا تحت يده أسرى أحسن إليهم وأوصى بهم أصحابه بالإحسان إليهم، إلى الحد الذي دفع الصحابة إلى إيثارهم بطيب الطعام^(١).

أما عن الرحمة في التعامل مع الجرحى، فعلته أنه أصبحوا غير قادرين على القتال فيأخذون حكم من نهي الرسول -ﷺ- بقتالهم في الحرب، فلقد كان الرسول يوصي قادة جيوشه إذ خرجوا للقتال بقوله: ((أغزوا باسم الله وفي سبيل الله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا))^(٢).

وقد روى أبو عبيد القاسم بن سلام^(٣) في كتابه (الأموال) أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر مناديه يوم فتح مكة أن ينادي في الناس ((أن لا يجهز على جريح ، ولا يتبعن مدبر، ولا يقتلن أسير، ومن أغلق بابه فهو آمن))^(٤)، " وهذا ليس خاصاً بأهل مكة، فإن اللفظ عام ويتمسك به على عمومته"^(٥).

(١) جريمة الإبادة الجماعية من المنظورين الدولي والإسلامي: الدكتور باسل مولود يوسف، ٢٥

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأُمراء على البعث ووصيته بأداب الغزو، رقم (١٧٣١)

(٣) القاسم بن سلام بتشديد اللام أبو عبيد كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة اشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع قال إبراهيم الحزبي كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يحسن كل شيء وولي القضاء بمدينتي طرسوس ثمان عشرة سنة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين/ الوافي بالوفيات: الصفدي، ٩١/٢٤

(٤) الأموال: أبو عبيد القاسم، باب: فتح الأرض عنوة، رقم (١٥٩)، ٨٢

(٥) مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام: أ.د. زيد بن عبد الكرم الزيد، مطبوعات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ٢٠٠٤

بل إن الرحمة واجبة في التعامل مع القتلى، بعدم التمثيل بجثثهم، فلقد نهى الرسول عن المثلة بل حتى ولو مثلوا بجثث المسلمين، فلقد كفر الرسول - ﷺ - عن يمين أقسم به أن يمثلن بسبعين من المشركين، حينما رأى ما فعلوه يوم أحد بعمة حمزة رضي الله عنه، بعدما أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّادِقِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦]

ما موضع جريمة الإبادة الجماعية من مبدأ الرحمة الذي يميز الشرع الإسلامي؟ إن الأفعال المكونة لهذه الجريمة وفعاليتها أبعد ما تكون من الرحمة ومقتضياتها، وبذلك فإن هذه الجريمة تصبح خارجة تماماً عن المبادئ التي أرساها الإسلام لحكم العلاقات فيما بين البشر كافة، أيا كان جنسهم أو عرقهم أو دينهم أو ثقافتهم .

الفرع الرابع: مبدأ الأمان

تمهيد

فمن الثابت أن الإسلام قد كفل للإنسان الحق في الأمان، " إن الإسلام زيادة على المحافظة على الحياة حرص على ترقية الحياة الإنسانية، ولا يكون ذلك إلا بالأمن بكل صوره، سواء كان في أمن الفرد في نفسه وذلك ما يتحقق بالاعتقاد الصحيح، أو مع الجماعة ويكون بالسلوك المرتكز على العقيدة "(١).

والضرر الجسدي أو العقلي يدخل في باب الإيذاء الذي نهى عنه الله سبحانه ، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]

ويقول الإمام الغزالي^(٢) " إن جلب المنفعة ودفع المضار مقاصد الحق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم وما لهم، كل ما تضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة "(٣).

(١) حقوق الإنسان في الإسلام: عبد اللطيف بن سعيد الغامدي، محاضرات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٠، ٨٧
(٢) محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام ، الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م): فيلسوف متصوف ، له نحو مئتي مصنف . مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس ، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلده . نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزاة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف . من كتبه (إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) و(الإقتصاد في الاعتقاد) و(محك النظر) و(معارج القدس في أحوال النفس) و(الفرق بين الصالح وغير الصالح) و(مقاصد الفلاسفة) و(المضنون به على غير أهله) / الوافي بالوفيات: الصفدي، ١/

أما عن أهمية مبدأ الأمن فنذكر ما جاء في تفسير الرازي^(١) حيث قال: "وسئل بعض العلماء الأمن أفضل أم الصحة؟ فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان، ثم إنها تقبل على الرعي والأكل، ولو أنها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فإنها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أن تموت، وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد".^(٢)

فمبدء الأمن يُعَدُّ مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية. فلقد جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وأنى لنا أن نحفظ هذه المقاصد دون مجتمع يسوده الأمن والطمأنينة والاستقرار؟ إن آيات الذكر الحكيم لم تترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الجانب إلا تحدثت عنها، وأرست دعائمها وفصلتها تفصيلاً وذلك، ليقوم الله تعالى الحجة على عباده، وليكون هناك المناخ المناسب لقيام الاستخلاف في الأرض. لا بد من أن يكون البلد آمناً لتتحقق فيه باقي صفات الخير، وأن أفضل دعوة يدعوها الإنسان لبلده أن يحقق الله تعالى له الأمن والأمان^(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦]

جعل الله تعالى أفضل الجزاء على الإيمان والعمل الصالح والصبر على تكاليف الدين هو مبدء الأمن قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ فِيئْتَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]

(١) أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، فخر الدين، التميمي البكري الرازي المعروف بالفخر الرازي الإمام المفسر، الفقيه الشافعي، ولد في الري سنة ٥٤٤ هـ، ونسبته إليها، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، من مؤلفاته: التفسير الكبير، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، ومعالم أصول الدين، والمحصول في علم أصول الفقه، ولباب الإشارات. توفي في هراة/الأعلام: الزركلي، ٢١٧/١

(٢) ينظر: التفسير الكبير: المصدر السابق، ١٩/١٠٤

(٣) جريمة الإبادة الجماعية من المنظورين الدولي والإسلامي: الدكتور باسل مولود يوسف، ٢٧

حذر الله تعالى عباده من أن يأمنوا مكر ربه وعذابه لهم ليظلوا ملازمين بابه ومتعلقين بجماله قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقَامَنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُجَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٨]

مبدأ الأمان في السنة النبوية المطهرة: لقد بدأ مبدأ الأمان في حياة النبي - ﷺ - في مرحلة مبكرة، إذ بدأ قبل النبوة والرسالة، حين اشترك النبي - ﷺ - في حلف الفضول، الذي شهد له النبي - ﷺ - وأثنى عليه بعد البعثة.

عن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال: ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وأن لا يعد ظالم مظلوماً))^(١).

ولقد شهدت حياة النبي - ﷺ - العديد من المواقف والأحداث التي كان من أهم مقاصدها نشر السلام وتحقيق الأمان للصحابة الكرام وللمجتمع الإسلامي بصفة عامة، ليكون هناك المناخ المناسب والتربة الخصبة لإرساء دعائم الدين الجديد وأسس الدولة الجديدة. ومن بين هذه المواقف والأحداث الهجرة إلى الحبشة - دستور المدينة - صلح الحديبية - فتح مكة - خطبة حجة الوداع..... الخ^(٢).

الأحاديث التي وردت عن النبي - ﷺ - لإرساء أسس الأمان في المجتمع في شتى المجالات وعلى كل المستويات كثيرة فنذكر منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه قالوا يا رسول الله وما بوائقه؟ قال: شره))^(٣).
وعنه أيضاً قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما هي الله عنه))^(٤).

عن عبدالرحمن بن أبي ليلي أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يحلُّ لمسلمٍ أن يروِّع مسلماً))^(٥).

(١) أخرجه البيهقي في سنن الكبرى (١٣٠٨٠)، والذهبي في المذهب (١٠٤٦٧)، والضياء في الجامع الكامل (٢٢)، هذا الحديث صحيح/ البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملحق سراج الدين أبو حفص عمر، ت: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، ٢٠٠٤، ط ١، ٣٢٥/٧

(٢) جريمة الإبادة الجماعية من المنظورين الدولي والإسلامي: الدكتور باسل مولود يوسف، ٣٠

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب اثم من لا يؤمن جاره، رقم (٦٠١٦)، والمسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم اذاء الجار، رقم (٤٦)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من سلم المسلمون، رقم (١٠)

(٥) التخريج في صفحة: ٨٥

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:.... كنا مع رسول الله - ﷺ - يوم الفتح. فجعل خالد بن الوليد على المجنبية اليمنى. وجعل الزبير على المجنبية اليسرى. وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي. فقال ((يا أبا هريرة! ادع لي الأنصار)) فدعوتهم. فجاءوا يُهرولون. فقال ((يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟)) قالوا: نعم. قال ((انظروا. إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصداً)) وأخفى بيده. ووضع يمينه على شماله. وقال ((موعدكم الصفا)) قال: فما أشرف يومئذٍ لهم أحدٌ إلا أناموه. قال: وصعد رسول الله - ﷺ - الصفا. وجاءت الأنصارُ. فأطافوا بالصفا. فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله! أُبيدت خضراء قريش. لا قريش بعد اليوم. قال أبو سفيان: قال رسول الله - ﷺ - ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ. ومن ألقى السلاح فهو آمنٌ. ومن أغلق بابَه فهو آمنٌ)) فقالت الأنصارُ: أما الرجلُ فقد أخذته رافةٌ بعشيرته. ورغبةٌ في قريته. ونزل الوحيُّ على رسول الله - ﷺ -. قال: ((قلتم: أما الرجلُ فقد أخذته رافةٌ بعشيرته ورغبةٌ في قريته. ألا فما اسمي إذا!)) (ثلاثُ مراتٍ) أنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُهُ. هاجرتُ إلى الله وإليكم. فالحيا محياكم والمماتُ مماتكم)). قالوا: والله! ما قلنا إلا ظناً بالله ورسوله. قال ((فإنَّ الله ورسوله يُصدِّقانكم ويعذرانكم))^(١).

وجاء في تاريخ الطبري: فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة الرسول ﷺ وقف في جيش أسامة خطيباً فقال: "أيها الناس، أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبجوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم شيئاً بعد الشيء فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاحفقوهم بالسيف خففاً.. اندفعوا باسم الله^(٢)..

الفرع الخامس: مبدأ عمارة الأرض

تمهيد

عني الإسلام بعمارة الأرض ورعاية الكون عناية خاصة وأولها اهتماماً مشهوداً، فالله سبحانه وتعالى خلق الكون وهياً فيه الظروف المثلى للحياة السعيدة المستقرة، ثم استخلف الإنسان في الأرض ليقوم بإعمارها على الوجه الأكمل، الذي يحقق به مرضاة ربه وخدمة بني جنسه وخدمة الكون من حوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم (١٧٨٠)

(٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: الطبري، ٣/٢٢٧

وتقدير حكم جريمة الإبادة الجماعية في ضوء هذه المبادئ السابقة، يجعل منها فساد في الأرض منهي عنه ومقدر له عقوبات دنيوية وأخروية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣]

إن المبادئ العامة الإسلامية التي ذكرتها تؤكد على أن الإسلام يرفض ويستنكر بشدة الإبادة الجماعية. فبدءًا من مبدأ العدل والإحسان وتحريم الظلم، يسعى الإسلام إلى تحقيق العدل والمساواة بين الناس، ويبحث على العطاء والإحسان للآخرين. كما ينصح بالابتعاد عن أي أعمال ظالمة أو جائرة. أما مبدأ عدم الاعتداء، فهو يؤكد على أن الإسلام ينصح بعدم التعدي على حقوق الآخرين أو الإضرار بهم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. ويؤكد الإسلام على احترام الحياة والممتلكات والكرامة الإنسانية للجميع.

أمَّا بالنسبة لمبدأ الرحمة، فيؤكد الإسلام على ضرورة التعاطف والرحمة مع الآخرين، وعدم التسبب في معاناة أو آلام لهم. ومن ثم، مبدأ الأمان يكرس حق الإنسان في الأمان والحماية، ويدعو لحماية حقوق الأفراد والمجتمعات.

وأخيرًا، مبدأ عمارة الأرض يبحث على بناء المجتمع والأرض وتحسينها، وعلى تطوير العلاقات الإنسانية والاجتماعية بشكل إيجابي. هذه المبادئ الإسلامية ترسخ قيم السلام والتعايش السلمي بين الناس، وتعمل جميعًا ضد الإبادة الجماعية والعنف الذي يمس الحقوق والكرامة الإنسانية^(١).

المطلب الثاني: موقف المؤسسات والأحزاب الإسلامية حول القضية الكوردية

الفرع الأول: موقف المؤسسات

موقف المؤسسات الإسلامية تجاه معاناة الشعب الكوردي المسلم، الذي تعرّض للاضطهاد من قبل النظام البعثي العراقي، قد اختلف بناءً على الزمان والمكان، إلا أنه في العموم، عبرت بعض المؤسسات

(١) جريمة الإبادة الجماعية من المنظورين الدولي والإسلامي: الدكتور باسل مولود يوسف، ٣٢

أما بالنسبة لموقف الحزب الإسلامي العراقي فقد أعلن الحزب في بداية تأسيسه بأنه ينظر إلى جميع القوميات الموجودة في العراق نظرة احترام لحقوقها ولا يفرق بين قومية وأخرى^(١) في جانب آخر تميل معظم الآراء إلى أن موقف الحزب كان غامضاً طوال سنوات الحرب والهدنة التي كانت قد وقعت بين الحكومة العراقية والقيادة الكوردية ويعتقد الحزب الإسلامي بان ما حدث للكورد إنما هو أمر طارئ اصيب به كل العراقيين خلال مراحل من تاريخ العراق^(٢)، وخلال أحداث عام ١٩٩١ التي أعقبت حرب الخليج الثانية لم يسجل للحزب أي موقف ولكن يمكن الوقوف على ملاحظات الحزب من خلال بعض المقالات التي كانت تعبر عن وجهة نظره حيال تلك القضية ومنها مجلة دار السلام التي كانت تصدر في لندن، ففي أحد المقالات الذي جاء بعنوان (مخطط تغيير ام مخطط فتنة) تقول المجلة : "لقد تصاعد الحديث في الآونة الأخيرة عن تقسيم العراق وعن اقامة دول طوائف فيه وتمزيقه إلى كيانات صغيرة وعلى الرغم من أن أصحاب النوايا الخبيثة يتبرأون من هذه المشاريع السوداء إلا أن كل الدلائل تشير إلى كذب دعواهم وإلى أن ما هو معلن من أهداف ونوايا التغيير يخفي ورائه أهدافاً مبطنة من أجل تدمير العراق ووضعه على طريق مجهول تحف به المخاطر وتكتنفه الاهوال"^(٣) وخلال الحرب التي شنتها الولايات المتحدة وبريطانيا واحتلالهما العراق عام ٢٠٠٣ ذكر أحد أبرز اعضاء الحزب وهو محمد احمد الراشد وهو يتحدث عن دواعي تلك الحرب بقوله: "تقسيم العراق فوراً بلا مقدمات أو على مرحلتين بعد تكوين الفيدراليات التي يتطور امرها بعد سنوات إلى استقلال وينصرف الكورد حينئذ إلى ترسيخ قواعد دولتهم الوليدة وتوسيعها"^(٤) وعودة إلى موضوع الفيدرالية فقد أصدر الحزب بياناً في تشرين الاول / أكتوبر عام ١٩٩٢ وضح فيه موقفه من الفيدرالية وجاء ذلك البيان بعنوان موقف الحزب الإسلامي حول مشروع الفيدرالية الكوردية جاء فيه: "أيها الشعب العراقي الابي يجد الحزب الإسلامي العراقي نفسه ملزماً بأن يتحدث بصراحة حول الفيدرالية التي يطالب بها الكورد في العراق وعلى الرغم من ثقل الكلام الصريح على النفوس في وقت نزاحم فيه العواطف الرؤية العقلانية المراعية لمصالح الأمة الإسلامية....الفيدرالية تعني مجرد تميز الكورد في اقليمهم مع بقاء عراق موحد له سياسية واحدة وروح مشتركة مندجة وأمن مشترك فان الحزب الاسلامي العراقي يقرها استثناء ونزولاً عند الضرورة

(١) ينظر: الحزب الاسلامي مرحلة التأسيس ١٩٦٠: عبد الحميد، دار النور بغداد، ٩

(٢) ينظر: الجماعات الاسلامية والقضية الكوردية: عبد الرحمن اسبينداري، ٢٢٤

(٣) ينظر: الاخوان المسلمون: عبد الرحمان اسبينداري، ٢٧

(٤) ينظر: الجماعات الاسلامية: عبد الرحمان اسبينداري، ٢٧

المتولدة للفرقة الكوردية في ذلك والعواطف الضاغطة وينزلها منزلة نظام الولايات في دول صدر الإسلام وإلا فإن الاصل إنما تعميم روح الانتماء إلى أمة إسلامية واحدة جامعة تتعالى على القوميات لكننا نتخوف أن يكون هذا الشعار الفدرالي الحاضر مجرد مرحلة من مراحل الانفصال والاستقلال في مخطط الاحزاب الكوردية وليس هو المنتهى"^(١) ، ويبرهن الحزب الإسلامي أن من نقاط القوة في الانتماء الإسلامي العراقي في اعتبار الطرح هو خير خطاب موجه لدعاة القومية فان الجامع المشترك الوحيد والصحيح الذي يجمع بين العرب والكورد والتركماني هو الإسلام فسيشعر الكوردي والتركماني بهذه الرابطة العظيمة إذن أن طرحنا الإسلامي سيتفرغ عنه حل لمشكلة العراق الدائمة التي لم يحلها القتال والتضييف لأن المعادلة العربية الكوردية السنية الشيعية وماتفترضه من تعايش سلمي في . جو الحرية ليس لها حل إلا بالاسلام^(٢).

٥- موقف منظمة العمل الاسلامي

وبخصوص موقف منظمة العمل الإسلامي من القضية الكوردية فهو واضح من خلال ابقاء المنظمة حيزاً واسعاً من المرونة لما نستطيع ان نسميه المسائل العقدية في القضية العراقية بصورة عامة وهذا ماعكسه موقفها تجاه ما سمي بالمؤتمر العراقي الموحد الذي ضم مجموعة من الأحزاب المعارضة للنظام السياسي قبل عام ٢٠٠٣ إذ أنه في ظل الإصرار الكوردي على الفيدرالية عبرت المنظمة عن مساندتها لمطلب الأخوة الكورد، وتذهب في ذلك إلى القول: "يجب الإقرار بالحقوق السياسية والإدارية والثقافية للشعب الكوردي المسلم في إطار العراق الواحد والشعب الموحد ولا يحق لأحد التفريق بأي حق من هذه الحقوق أو التي تجاوز عليها وسحقها تحت أي ذريعة كذلك يلزم احترام ارادة الشعب الكوردي واختياره في اطار وحدة الشعب العراقي والاقرار للشعب الكوردي بحق تقرير المصير في اطار وحدة العراق"^(٣).

٦-موقف المجلس الأعلى للثورة الإسلامية

في حين يذهب المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق إلى أبعد من ذلك فقد عبر عن موقفه تجاه تلك القضية في البيان التأسيسي الذي أعلن عن قيامه خلال المؤتمر الأول الذي عقد في السابع

(١) ينظر: مجلة المسار، بغداد، العدد ٢٤، ١٥ آب، ٢٠٠٤، ٩٢

(٢) ينظر: مجلة المسار: المصدر السابق: العدد ١٥، تموز، ٢٠٠٤، ٥٦

(٣) ينظر: العمل الاسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية، قراءة نقدية لمسيرة نصف قرن ١٩٥٠-٢٠٠٠: عادل رؤوف، المركز

العراقي للدراسات والاعلام، دمشق، ط٣، ٢٠٠٠، ٢٨١

عشر من تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٨٢ في طهران ليصف حاله الضعف والحرمان التي يعانيها الكورد بحسب وصفه، كما بين المجلس إن الإسلام بمبادئه يكفل تحقيق ما سماه بالكرامة والاستقلال للكورد^(١) وفي عام ١٩٩٢ صرح زعيم المجلس السيد محمد باقر الحكيم بأن العراق بلد عربي وإسلامي وجزء من الأمة العربية ودعا إلى وحدة العراق شعباً وتراباً^(٢) وفي معرض حديثه عن الفيدرالية في نيسان ١٩٩٣ يقول الحكيم: "بالنسبة للفيدرالية نحن نعتقد أن طرحها في هذه الفترة كان سابقاً لأوانه، اصل فكرة الفيدرالية لاتعني التجزئة بل قد تكون حلاً لبعض المشكلات لهذا البلد أو ذاك"^(٣) حرص المجلس الأعلى في سياق سياسته العامة أن يركز على تقوية العلاقة مع الكورد ومن يمثلهم سياسياً انطلاقاً من ثابت يحكم المعارضة العراقية وهي أنها معارضة ذات ثقل إسلامي كردي^(٤) كما دخل المجلس وفي سياق ذلك في ائتلاف ضم العديد من الاحزاب الكوردية وذلك من اجل تنسيق المواقف ضمن ذلك الاطار الاسلامي الكوردي^(٥).

المطلب الثالث: موقف الشخصيات الإسلامية حول القضية الكوردية

تمهيد

لقد أرتكبت جرائم وانتهاكات صارخة بحق المسلمين الكورد لاسيما في حلبجة، وهذه الجرائم شملت القتل والاعتداء على المدنيين الأبرياء، بما في ذلك الأطفال والنساء والشيوخ كان من الواجب أن يكون هذا الأمر موضع اهتمام واستنكار من قبل الرؤساء والملوك والشخصيات العربية والإسلامية، فهم مسؤولون عن حماية حقوق الإنسان والعدل والسلام في المجتمعات التي يمثلونها، شهداء حلبجة أرواح بريئة ضحوا بحياتهم وعانوا من الاضطهاد والاعتداءات.

هل لديك علم بأن الهجوم أتى بالتدمير الكبير للمساجد وتسبب في إحداث أضرار هائلة في المراكز الدينية؟ هل تعرفون أن أول كتاب تعرض للحرق كان القرآن الكريم؟ وأن من ضمن الضحايا كانوا خطباء المساجد؟ وعلى الرغم من ذلك، كان الصمت سيد الموقف، ولم يظهر معظم العلماء أي رد فعل واستنكار

(١) ينظر: سنوات الجمر مسيرة الحركة الاسلامية في العراق ١٩٥٧-١٩٦٨: علي المؤمن، ٥٩٢

(٢) ينظر: المستضعفون الكورد واخوانهم المسلمون: نبز جمال، ٥٢

(٣) ينظر: العمل الاسلامي في العراق: عادل رؤوف، ٣٢٧

(٤) المصدر نفسه، ٥٢٨

(٥) ينظر: " الكورد "، في الملل والنحل والاعراف التقرير السنوي الخامس: سليمان شفيق، مركز ابن خلدون للدراسات

الانمائية، القاهرة، ١٩٩٨، ١٦٣

الخاتمة

بعد الحمد لله تعالى وأتم الصلاة والسلام على نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-، أن هذه الدراسة وصلت إلى النهاية وتمامه وهي باسم ((الإبادة الجماعية للكلورد في العراق في ضوء الشريعة الإسلامية "دراسة تحليلية")) وأود أن أختتم هذه الأطروحة بذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:
أولاً: النتائج

١- الدراسة يبين مفهوم الإبادة الجماعية وجذورها التاريخية في المجتمعات القديمة والحديثة بشكل تفصيلي.

٢- إن الإبادة الجماعية بمفهومها الواسع قد مورست ضد الشعب الكوردي في الواقع منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة تتفاوت فيما بينها وقد بلغت ذلك أوجها في ظل نظام البعث منذ عام ١٩٦٨ ملحد ١٩٩١ والتي تكملت فيما سميت بعمليات الأنفال الصيت والضرب بالأسلحة الكيميائية وترحيل المواطنين من مناطق الحدودية وهدم قراهم.

٣- إن الكورد شعب عريق وأصيل في المنطقة سكن جبال زاكروس قبل مئات السنين، ولهم لغة خاصة ووطن مستقل وآداب وتراث خاص بهم. وهو الشعب الوحيد الذي دخل في الإسلام طواعية في سنة ١٨ الهجرية و مابعدھا.

٤- الكورد ناضلوا بشدة من أجل تحقيق حقوقهم المشروعة داخل الدول التي استوطنوها بالقوة. هذا النضال كان مدنيًا في معظم الأحوال، ولكنهم اضطروا في بعض الأوقات إلى اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية للدفاع عن أنفسهم وأراضيهم. وقدموا تضحيات جسيمة من خلال مشاركة آلاف من أبنائهم الوفيين في سبيل تحقيق الحرية والاستقلال.

٥- إن الشريعة الإسلامية ترفض تماما جريمة الإبادة الجماعية بنصوص قطعية من القرآن والسنة وأقوال العلماء الذين لهم فهم عميق للنصوص.

٦- الإسلام هو نظام عقائدي وشريعي شامل، والشريعة الإسلامية الكريمة تحتوي على نظام شامل من الأحكام والتوجيهات المتعلقة بالأمور الحربية والسلم. وتتضمن هذه الأحكام الحربية حقوق الإنسان بأقصى درجة من العناية والاهتمام.

٧- مصطلح الأنفال في الإسلام لا يجوز استعمالها بحق المسلمين البتة، فهي تتعلق بالحرب مع المقاتلين المحاربين من الكفار.

٨- في الشريعة الإسلامية، يتوجب احترام الأسير وعدم قتله، بل يجب توفير الحماية له وضمان حياته

حتى يتم استجلاء قضية الأسر والفداء أمام القاضي. على الرغم من وجود مصادر تاريخية تروي مجزرة بني قريظة، إلا أنه يُعتبر أن تلك المصادر مشبوهة ومرتبطة بمصالح أو آراء تحمل تحيزاً ضد اليهود والفئة الباغية. إذا تم تطبيق الأحكام المستنبطة من تلك المصادر على هذه القضية، سيتم رفضها من قبل علماء الفقه. على الرغم من وجود تلك المصادر، إلا أن العلماء قبلوها بشكل محدود بسبب تصنيفهم لها كأحداث تاريخية تتعلق بالسيرة النبوية والمغازي، وقد اتفقوا على التساهل في تناول رواياتها.

٩- إن أحكام الحرب في الإسلام، وتشريعه للجهاد ليس للانتقام، بل وسيلة للدفاع الذي يستخدمه المسلمون تجاه من هاجمهم، وتحرر الإنسان من أنواع العبودية لغير الله.

١٠- الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم لا الحرب، فما دام غير المسلمين لم يخرقوا الأمان ولم ينقضوا العهد، فلا يجوز التعرض لهم، لاسيما في ظل المجتمع الدولي الحديث الذي يفرض الاستقلال التام لكل دولة تجاه الدول الأخرى.

١١- من حقوق الإنسان الحفاظ على حياته ودينه وعرضه ونسله وماله، وهذا موجود ومقصد واضح وضروري في المقاصد الشرعية الإسلامية، وذلك من خلال عشرات الآيات من القرآن والأحاديث الصحيحة التي أثبتت الضروريات الخمسة من غير تمييز.

١٢- حرم الشريعة الإسلامية مقاتلة المدنيين وقتلهم، وحرم قتال المدنيين العزل بل أعدها اعتداءً وظلماً، وهو ما حرمه الله تعالى.

١٣- لقد شمل الفعل الخاص بالتدمير جل الكورد من أقصى شمال إقليم كوردستان إلى أقصى جنوبه، لكن الحكومة لم تكتف بحصوله على مدى السنين السابقة، فعاودت مع إصرار على ارتكابه مستهدفة هذه المرة منطقة محددة بعمليات عسكرية متتالية "الأنفال" هي الأكثر العملية شناعة أدت إلى التدمير والإبادة الجماعية، بعد حلبجة التي ضربت بالأسلحة الكيميائية.

١٤- إن جريمة الأنفال بحق الشعب الكوردي لم ترتبط بالإسلام، بل تربط بإقامة النموذج الوحدوي العربي في العراق على وفق منهج الحزب الحاكم (حزب البعث العربي الاشتراكي)، دفعت قيادته المتمثلة بصدام حسين والقيادة القطرية إلى العمل على صهر الأقوام غير العربية في هذه الدولة، بإصرار منقطع النظير، وبطرق شتى بينها التعريب، وبينها أيضاً فتح فروع وشُعَب وفرق للحزب في عموم العراق ولاسيما مدن كوردستان وأقصيته ونواحيه، أخذت على عاتقها تنظيم الكورد في صفوفه حزباً قومياً عربياً، بشعارات وأهداف عربية، وهذا عمل فيه القصد المسبق لمحو الوجود المادي والمعنوي للكورد كجماعة مهَّد إلى ارتكاب جرائم إبادة جماعية لعموم الكورد الذين وقفوا بالضد من مشاريع الصهر، سواء بالنسبة إلى من حمل السلاح (البيشمه رگه) للحيلولة دون وقوعه أو لمن رفع صوته منادياً بعدم وقوعه أو لمن تواجد على الأرض التي وضعت هدفاً لعمليات الصهر

المخطط لها مسبقاً.

١٥- إن عملية الأنفال واستئصال اليزيديين والكلورد الفيليين والبارزانيين وقصف حلبجة بالأسلحة الكميائي كلها تعد جريمة الإبادة الجماعية.

١٦- موقف دول العرب فيما يتعلق بالظلم والإبادة الجماعية التي تعرض لها الكلورد في العراق الصمت.

١٧- تعاملت الدول المجاورة مع الأوضاع في العراق والكلورد خلال فترة اضطهاد نظام البعث بطرق مختلفة تجاه قضية الكلوردية يقومون باستخدام كورد العراق لأجل تحقيق مطامع على الأرض، وكذلك خلق المتاعب للحكومات العراقية بغية تحقيق منافع سياسية أو خدمة لمصالح دول أخرى.

١٨- إن الإسلام هو دين الرحمة والعدل والإحسان وحرمة الاعتداء، وأقر مبدأ الإنسانية وأولاه من الاحترام والحفظ ما لم يوجد في أي شرائع أخرى.

١٩- هناك بعض الشخصيات المعروفة في العالم أبدوا موقفاً إيجابياً ووقفوا مع الشعب الكلوردي واستنكروا بشدة الأعمال الوحشية والإجرامية ضد الكلورد.

ثانياً: المقترحات والتوصيات

١- توثيق الجرائم الإبادة الجماعية في كوردستان العراق، مع تشكيل لجنة دولية من القضاة المختصين لمتابعة مرتكبي جرائم الإبادة الجماعية في العراق وخاصة في كوردستان أمام المحاكم الوطنية أو المحاكم الدولية.

٢- من الضروري على المسلمين بصفة عامة وعلى علماء المسلمين بصفة خاصة أن يسهموا في نشر الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام بشأن التصدي لجرائم إبادة الجماعية التي تُرتكب ضد الكلورد أو أي جماعة أخرى باسم الإسلام.

٣- إن موضوع جريمة الإبادة الجماعية ومكافحتها في العراق بسبب أثرها البالغ في الشعوب التي تعيش فيها يعتبر مصلحة محلية ودولية تتطلب حماية حقوق الإنسان بغض النظر عن جنسية المضحى أو دينه أو عرقه أو طائفته.

٤- ضرورة إدراج إبادة الكلورد في العراق ضمن قوائم الجينوساد العالمي.

٥- ضرورة نشر مذبح حلبجة في كل الدول وبكل لغات العالم كي تشتهر مثل هيروشيما.

٦- التحقيق من بعض الروايات بميزان القرآن والأحاديث الصحيحة وتأريخ الرسول والعقل، حتى لا تختلط الروايات غير الصحيحة لا عقلاً ولا شرعاً بدين الإسلام.

٧- من واجب الحكومة ومنظمات المجتمع المدني، وكل فرد يعيش في العراق نشر التسامح والتعايش بين القوميات والمذاهب والديانات التي لها وجود في العرق.

٨- ضرورة مراعاة قوانين ومبادئ الإسلام في الرفض للتعصب بكل أشكاله حتى لا تقع الكارثة أو

الإبادة الجماعية مرة أخرى.

٩- يجب على العراقيين نبذ ومحو الأفكار التي ورثها من النظام البعثي من التعصب القومي والمذهبي.

١٠- ضرورة إدراج الإبادات الجماعية ضمن المواد الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات حتى لا

تخفى هذه الجرائم على الأجيال القادمة.

وختاماً أسأل الله سبحانه أن يتقبل مني هذا الجهد ويثقل به ميزان حسناتي يوم القيامة، ويعفو عن كل

زلة أو خطأ وقع في هذا البحث من دون قصد، والحمد لله أولاً وأخيراً، وصلى الله على أشرف المخلوقات

نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

- ١- الإبادة الجماعية ضد الأقليات الإثنية في جمهورية أوغندا: دوزي وليد، مجلة الساوره للدراسات الانسانية والاجتماعية، ٢٠٢٢.
- ٢- الإبادة الجماعية في كوردستان العراق: دكتور محمد إحسان، دارا المدى، بيروت، ٢٠١٥.
- ٣- الإبادة الجماعية للشعب الكوردي: سمير مصطفى العقراوي، اربيل، ٢٠٠٨.
- ٤- الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان: بوجدره مخلوف، رسالة الماجستير - كلية الحقوق،
- ٥- الإبادة في القانون الدولي لحقوق الإنسان: بوجدره مخلوف، رسالة الماجستير - كلية الحقوق، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ٢٠١٣.
- ٦- الإبادة في اللغة العربية: سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري، ت: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صافية، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط، سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩.
- ٧- أبعاد انتخابات المجلس التشريعي لمنطقة كوردستان العراق، السياسة الدولية، محمد علي المداح، ١٩٩٠.
- ٨- اتفاقية الأمم المتحدة لمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها والصادرة بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٤٨.
- ٩- اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها: الأمم المتحدة، عام: ١٩٤٨، المادة: الثانية
- ١٠- آثار الحرب في الإسلام: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر - سوريا - دمشق.
- ١١- الاحزاب السياسية العراقية والقضية الكوردية ١٩٤٦ - ١٩٧٠ دراسة تاريخية: ميفان عارف عبد الرحمن، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٧.
- ١٢- أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي: علي أحمد جواد، دار المعرفة - بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٥.
- ١٣- أحكام الذميين والمستأمنين في دار السلام: عبد الكريم زيدان، جامعة بغداد ١٩٧٣، ط١.
- ١٤- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير الماوردي المتوفى ٤٥٠ هـ، دار الحديث - القاهرة.
- ١٥- أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (ت

- ٥٤٣)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، ٢٠٠٣ .
- ١٦- أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤ .
- ١٧- أحكام المسؤولية الجنائية الدولية: محمد نصر محمد، دار الراجحة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٣ .
- ١٨- الأحكام الوسطى: عبد الحق بن عبد الرحمن، المعروف بابن الخراط الاشبيلي، (ت ٥٨١ هـ) ت: حمدي السلفي، صبحي السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ .
- ١٩- الإحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
- ٢٠- إخبار العلماء بأخبار الحكماء: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي (ت ٦٤٦ هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥ .
- ٢١- الاخوان المسلمون والقضية الكوردية: عبد الرحمن اسبينداري .
- ٢٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت ٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٢٣- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، (ت ١١٨٢)، ت: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية - الكويت، ط١، ١٤٠٥ .
- ٢٤- أزمة نظام الحكم في العراق: عباس فاروق، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٩٩٥ .
- ٢٥- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ .
- ٢٦- استخدام أسلحة الدمار الشامل في الفقه الإسلامي: دكتور أحمد محمد لطفي أحمد، كلية الشريعة والقانون جامعة الدقهلية .
- ٢٧- الإسلام في قفص الاتهام: دكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر - دمشق، ط٦، ٢٠١٤ .
- ٢٨- أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والنووية: دكتور منيب ساكت، وآخرون، دار هيران للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٠ .
- ٢٩- أسلحة الدمار الشامل في القانون الدولي العام: دكتور خليل حسن، ط١، ٢٠٠٩ .
- ٣٠- أسنى المطالب في شرح روض الطالب: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، (ت ٩٢٦ هـ)، دار

الكتاب الإسلامي.

٣١- إسهامات العلماء الكورد في بناء الحضارة الإسلامية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين: تريفية البرزنجي، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠.

٣٢- الأشباه والنظائر: زين الدين بن إبراهيم ابن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٩.

٣٣- اشكالية العلاقة بين الكورد والعرب: ابراهيم ابراهيم، منشورات مركز عامودة للثقافة الكوردية، ٢٠٠٣.

٣٤- الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ) دار هجر- مركز هجر للبحوث .

٣٥- اضطهاد الشعب الكوردي المسلم بإسم الأنفال، عادل عبدالله الشربواني، مطبعة سروشت- اربيل - كوردستان، ط ١، ٢٠٢١.

٣٦- اضطهاد مستمر لأقليات العراق: تقرير مجموعة الدولية لحقوق الأقليات، ٢٠١٠.

٣٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكين الشنقيطي، (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و للنشر و التوزيع بيروت - لبنان - عام النشر: ١٩٩٥ .

٣٨- الإعلام الحربي ودوره في التجربة الألمانية: مقاتل من الصحراء ، تأريخ الوضع: ٠٥ يوليو ٢٠١٧، تأريخ المراجعة: ٢٣/٢٢/٨٢٠٢٢

٣٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٩٦٨.

٤٠- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢.

٤١- الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن (هَبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، (ت ٥٠٦هـ) ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧.

٤٢- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي، (ت ٩٦٨هـ)، ت: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت-لبنان.

٤٣- أكراد العراق الواقع والمستقبل: أحمد ناجي قمحة، السياسة الدولية، ١٩٩٦.

٤٤- الأم: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٩٩٠.

- ٤٥- الإمام الحكيم دراسة تحليلية ١٩٥٠-١٩٧٠: محمد الأسدي، دار العلم-بغداد، ط١، ١٠٠٩.
- ٤٦- الأمم المتحدة، مجلس الأمن: القرار ٨٢٧، السنة ١٩٩٣، الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته ٣٢١٧، المعقودة في ٢٥ آيار/مايو ١٩٩٣
- ٤٧- الأموال: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن زنجويه (ت ٢٥١هـ)، ت: شاعر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط١، ١٩٨٦.
- ٤٨- الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، ت: خليل محمد هراس، دار الفكر. - بيروت.
- ٤٩- إنباه الرواة على إنباه النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط١، ١٩٨٢.
- ٥٠- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحيى بن أبي الخير العمراني، (ت ٥٥٨) ت: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض - السعودية، ط١، ١٩٩٩.
- ٥١- الإنجاد في أبواب الجهاد: محمد بن عيسى بن محمد الأزدي القرطبي، ت: مشهور بن حسن، دار .
- ٥٢- إنسان العيون في سرية الأمين المأمون، برهان الدين الحلبي، (ت ١٠٤٤)، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤٢٧.
- ٥٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي (ت ٨٨٥ هـ)، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن الرتكي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية ط١، ١٩٩٥.
- ٥٤- أنظمة الحكم المعاصرة: أحمد عبد الحكيم، دار النشر العربي- القاهرة الجمهورية العربية المصرية ط٣، ١٩٨٢.
- ٥٥- الأنظمة السياسية: علي سفيان عبد الله، جامعة التكريت، كلية الحقوق، ٢٠١٥.
- ٥٦- أنفال الكورد وحكومة العراق، شورش حاجي رسول، مطبعة شفان-السليمانية-كوردستان، ط٣، باللغة الكوردية.
- ٥٧- الأنفال المساسة النتائج والأبعاد: يوسف معروف الدزبي، مطبعة الوزارة التربية- أربيل-كوردستان، ط١، ٢٠٠١.
- ٥٨- الأنفال حكايات من زمن مستقطع: خالد سليمان، دار سرمد-السليمانية-كوردستان، ط١،

- ٧٢- البهجة في شرح التحفة، علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسين التُّسولي (ت ١٢٥٨هـ)، ت: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- ٧٣- البوسنة والهرسك الحرب الصليبية الجديدة ضد المسلمين ومعه ملحق البوسنة والهرسك أمة تذبح وشعب يباد: دار الدعوة، المكتبة المكية، ط١، ٢٠٠٨.
- ٧٤- تاج العروس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ٢٠٠١.
- ٧٥- التاج المذهب لأحكام المذهب شرح متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار: القاضي العلامة أحمد بن قاسم العنسي اليميني الصنعاني، (ت ١٣٩٠هـ)، دار الحكمة اليمانية-الصنعاء-١٩٩٣.
- ٧٦- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائمَاز الذهبي (٧٤٨هـ)، ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣.
- ٧٧- تأريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١.
- ٧٨- تأريخ السليمانية: محمد امين زكي بك، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، ٢٠١٨.
- ٧٩- تأريخ الشعوب الإسلامية مادة كورد: دكتور حسان حلاق، دار المعرفة: ط٣، ٢٠١٧.
- ٨٠- تاريخ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري المتوفى: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٧.
- ٨١- تأريخ الكورد في الحضارة الإسلامية: أحمد خليل، لبنان-بيروت ٢٠٠٧، ط١.
- ٨٢- التاريخ المحرم دراسة تحليلية في الفكر السياسي المعاصر: نبيل ياسين، دار نون للنشر-بغداد، ط٢، ٢٠٠٨.
- ٨٣- تأريخ الوزارات العراقية: عبد الرزاق الحسيني، بغداد عام ١٩٨٨.
- ٨٤- تاريخ علماء الأندلس: عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرصي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨.
- ٨٥- التبصرة في أصول الفقه، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (٤٧٦هـ)، ت: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر - دمشق، ط١، ١٤٠٣.
- ٨٦- التبصرة: علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، المعروف بالرخمي (ت ٤٧٨ هـ)، ت: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠١١.
- ٨٧- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشُّلبي: عثمان بن علي، فخر الدين الزيلعي (ت ٧٤٣ هـ)

- ١٠١- التعريفات: علي بن محمد بن علي السيد الشريف الجرجاني، (ت ٨١٦هـ) ت: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٩٨٣، ط ١.
- ١٠٢- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي: دكتور خالد كبير علال، دار المحتسب - جزائر، ٢٠٠٨.
- ١٠٣- تعقيب: د. نظام الدين عبد الحميد، أسرى الحرب في الإسلام.
- ١٠٤- تعقيدات الجيوسياسية الكوردية: نزار المزني، شؤون الأوسط، ١٩٩٦.
- ١٠٥- التعويض عن الضرر الأدبي: باسل محمد يوسف قبا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩.
- ١٠٦- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ) ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ - ٢٠٠١
- ١٠٧- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الحديث - القاهرة، ط ١.
- ١٠٨- تفسير السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، (ت ٣٧٣هـ) ت: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت - لبنان.
- ١٠٩- تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٠، ١.
- ١١٠- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ت: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩.
- ١١١- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، ت: لأسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤١٨ - ١٩٩٧.
- ١١٢- تفسير القرآن: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، ت: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦.
- ١١٣- التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠.
- ١١٤- تفسير الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (ت ٣٣٣هـ) ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ط ١.
- ١١٥- تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٠.

- ١١٦- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، (ت ١٤٤١هـ) دار طوق النجاة-بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ .
- ١١٧- تفسير سفيان الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله، (ت ١٦١هـ) دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ بيروت-لبنان .
- ١١٨- تفسير سفيان الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، دارالكتب العلمية، ١٤٠٣ بيروت-لبنان.
- ١١٩- تفسير عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٩ .
- ١٢٠- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، (ت ١٠٤هـ) ت: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٩٨٩، ط١ .
- ١٢١- تقرير لجنة القانون الدولي: الأمم المتحدة، سنة ١٩٩٦ - دورتها-٤٨ .
- ١٢٢- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ. ١٩٨٩ .
- ١٢٣- التمهيد -دراسة نظرية نقدية: الدكتور خالد بن مساعد بن محمد الرويع، دار التدمرية الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣ .
- ١٢٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، (ت ٤٦٣هـ) ت: مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامي المغرب-سنة النشر ١٣٨٧ .
- ١٢٥- تنبيه القارئ لتقوية ما ضعفه الألباني: عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش (ت ١٤٠٩هـ)، ت: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار العليان للنشر والنسخ والتصوير والتجليد، بريدة، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ .
- ١٢٦- تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى: ٨٥٢هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦ .
- ١٢٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (ت ٧٤٢هـ)، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .
- ١٢٨- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠١ .

- ١٢٩- التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، ت: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات، ط١، ٢٠٠٨.
- ١٣٠- تيسير التحرير: محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (ت ٩٧٢ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .
- ١٣١- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
- ١٣٢- الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه: أبو أحمد محمد عبد الله الأعظمي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١٦، ٢٠١٦ .
- ١٣٣- جامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ .
- ١٣٤- جدل الهويات صراع الانتماءات في العراق وشرق الأوسط: سليم مطر، مؤسسة ره نكي سماء.
- ١٣٥- جرائم الإبادة الجماعية: أ.م. د. زياد ربيع، دراسات الدولية - العدد التاسع والخمسون.
- ١٣٦- جرائم الإبادة الجماعية، دلير محمد علي كولندر، دار سردم للطباعة والنشر- كردستان، ط١، ٢٠١٢.
- ١٣٧- جرائم الحرب في الفقه الإسلامي والقانون الدولي: خالد رمزي سامل كري، كلية دراسات العليا- جامعة الأردنية، ٢٠٠٥.
- ١٣٨- جريمة الإبادة الجماعية أمام المحكمة الجنائية الدولية إقليم دارفور أنموذجا: صلاح سعود الرقاد، مجلة المنارة للبحوث و الدراسات، المجلد ٢١، العدد ٤، ٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٥.
- ١٣٩- جريمة الإبادة الجماعية أمام المحكمة الجنائية الدولية إقليم دارفور أنموذجا: صلاح صعود الرقاد، سودان-خرطوم، ٢٠١٥.
- ١٤٠- جريمة الإبادة الجماعية من المنظورين الدولي والإسلامي: الدكتور باسل مولود يوسف.
- ١٤١- جريمة العراق في الإبادة الجماعية حملة الأنفال ضد الكورد: اعداد منظمة حقوق الانسان، شرق الأوسط، ت: عزيز جمال ميرزا، ط ١، وزارة الثقافة، حكومة إقليم كردستان — ٢٠٠٣.
- ١٤٢- الجماعات الاسلامية والقضية الكوردية: عبد الرحمن اسبينداري، مطبعة زانا، دهوك، ٢٠٠٤.
- ١٤٣- الجماعات الاسلامية والقضية الكوردية: عبد الرحمن اسبينداري، مطبعة زانا دهوك، ٢٠٠٤.
- ١٤٤- الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٦٨ (في قرارها رقم ٢٣٩١).
- ١٤٥- جنكيز خان وصناعة العالم الحديث: جاك ويدرفورد، شركة جليس للنشر والتوزيع، ط٢٢، ٢٠٢٢، ١.

- ١٤٦- جوامع السيرة النبوية: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٤٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت ٨٧٥) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، لبنان .
- ١٤٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، لبنان.
- ١٤٩- جينوسايدى كه لى كورد له به ر روشناي ياساى تازى نيوده وله تان: مارف عمر كول، سه نته رى ليكولينه وهى سرتاتيغى كوردستان، سليمان، ط ٢، ٢٠٠٣ .
- ١٥٠- حاشية البجيرمي على الخطيب: سليمان بن محمد بن عمر البجيري (ت ١٢٢١)، دار الفكر بيروت- ١٩٩٥ .
- ١٥١- حاشيتان. قليوي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين: شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سالمه القليوي (١٠٦٩)، وشهاب الدين أحمد البرلسي عميرة، (ت ٩٥٧هـ) ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر- لبنان بيروت- سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ .
- ١٥٢- الحاوي الكبير: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، ت: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٩ .
- ١٥٣- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: محمد بن عمر الحضرمي الشافعي (ت ٩٣٠هـ)، ت: محمد غسان نصوص عزقول، دار الحاوي- بيروت، ١٩٩٨ .
- ١٥٤- الحرب الباردة دراسة تاريخية للعلاقات الأمريكية السوفيتية، الدكتورة ايناس سعدي عبدالله، العراق- بغداد، : اشور باهبال للكتاب، ط ١، ٢٠١٥ الرياض.
- ١٥٥- الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ قراءة تحليلية مقارنة: عبد الوهاب عبد الستار القصاب، المركز العربي لأبحاث والدراسات العسكرية-بيروت لبنان، ط ١، ٢٠١٤ .
- ١٥٦- الحركة القومية الكوردية: ادموند غريب، دار النهار بيروت، ١٩٧٣ .
- ١٥٧- الحزب الاسلامي مرحلة التأسيس ١٩٦٠: عبد الحميد، دار النور بغداد.
- ١٥٨- حزب الدعوة الاسلامية حقائق ووثائق: صلاح الخрсان، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق، ط ١، ١٩٩٩ .
- ١٥٩- الحزب الديمقراطي الكوردستاني حركة التحرر القومي الكوردية في العراق ١٩٤٦-١٩٧٥:

- دكتور شيكو فتح الله عمر، السليمانية، ٢٠٠٤.
- ١٦٠- حصانة النفس البشرية بين الشريعة الإسلامية والوثيقة الدولية لحقوق الإنسان: عب الأمير قبلان، أبحاث ووقائع العام الثاني والعشرين، مقاصد الشريعة وقضايا العصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة-مصر، ٢٢ فبراير ٢٠١٠.
- ١٦١- حقوق الإنسان في الإسلام: عبد اللطيف بن سعيد الغامدي، محاضرات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٠.
- ١٦٢- حقوق الإنسان في الإسلام: محمد الزحيلي، دار ابن كثير، بيروت ٢٠٠٥، ط ٤.
- حلبجة في مواجهة سموم الموت: بكر حمه صديق عارف، ٢٠١٤.
- ١٦٣- حلبجة وشقاء الوعي الثقافي العربي: فالح عبد الجبار، المؤتمر العلمي الأكاديمي للأطفال، اربيل، ٢٠٠٢.
- ١٦٤- حلية الفقهاء: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت، ط ١، ١٩٨٣.
- ١٦٥- الحماية الدولية للبيئة من أسلحة الدمار الشامل حالة العراق نموذجاً: سيروان طه أحمد، مركز كوردستان للدراسات الإستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٦.
- ١٦٦- حماية حقوق الأقليات في القانون الدولي العام والمعاصر: صلاح سعيد ابراهيم الديب، جامعة القاهرة- كلية الحقوق، رسالة دكتوراه في القانون ١٩٩٦.
- ١٦٧- الحملة على بادنان وأوضاع اللاجئين: رؤوف كامل عقراوي، دار ثاراس للنشر والطباعة- اربيل، ٢٠٠٢، ط ١.
- ١٦٨- الحوار المتمدن: محسن يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩.
- ١٦٩- حولية الأمم المتحدة لنزع السلاح: الصادرة عن إدارة الشؤون السياسية وشؤون مجلس الأمن، مركز الأمم المتحدة لنزع السلاح ، ٣/٣٣٤ ، طبعة ١٩٨٠ .
- ١٧٠- حياة نابليون: حسن جلال، سلسلة المعارف العامة، ط ١، ٢٠١٦.
- ١٧١- الخراج لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري، (ت ١٨٢) المطبعة الأميرية بولاق، مصر ١٣٠٢هـ، ط ١.
- ١٧٢- خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان: محمد أمين زكي، مطبة السعادة، ١٩٣١.
- ١٧٣- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار: محمد بن علي بن محمد الحِصْنِي المعروف بعلاء الدين الحِصْكَفِي الحنفي (ت ١٠٨٨هـ)، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط ١،

٢٠٠٢.

- ١٧٤-دراسة في السيرة: عماد الدين خليل، دار النفائس - بيروت، ط٢، ١٤٢٥ .
- ١٧٥ - دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: علي الورد، بيروت، ١٩٦٥ .
- ١٧٦- الدرر في اختصار المغازي والسير: النمري، الحافظ يوسف بن عبد البر، (ت ٤٦٣هـ) ت:
الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٤٠٣ .
- ١٧٧- دروس وعبر من سنوات الحرب واعادة السلم في البوسنة والهيرسك: سامان نوح، مطبعة
هاولاتي، السلیمانية، ط١، ٢٠١٨ .
- ١٧٨- دستور العراق عام ٢٠٠٥، المادة: الرابعة، الفقرة: الأولى.
- ١٧٩- الدكتاتورية المفهوم والمظاهر: قاسم محمد، دار الجامعات المصرية- الإسكندرية جمهورية مصر
العربية، ط٢، ١٩٨٨ .
- ١٨٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسرو
جردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٥ .
- ١٨١- الدور التاريخي لحزب البعث العربي الاشتراكي من ثورة تموز ١٩٥٨ إلى ردة تشرين ١٩٦٣
:دكتور ابراهيم خليل احمد-دكتور جعفر عباس الحميدي، منشورات الطليعة العربية في تونس ١٩٨٥ .
- ١٨٢- دور المحاكم الجنائية في تجديد الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها: زياد أحمد محمد العبادي، رسالة
الماجستير في كلية الحقوق، جامعة شرق الأوسط ٢٠١٦ .
- ١٨٣- الديانة اليزيدية في أوروبا أجيال مختلفة تتكلم عن ديانتهم: فيليب كراينبروك و خليل جندي،
مطبعة الثقافة- اربيل، ٢٠١٦، ط١ .
- ١٨٤- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن
بن محمد بن محمد، ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨ .
- ١٨٥- الذخيرة: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القراني (ت ٦٨٤هـ)، ت:
محمد حجي- سعيد أعراب- محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٩٩٩ .
- ١٨٦- ذكريات حلبجة: بكر محه صديق، ترجمة حني عبد الكريم، وزارة الثقافة السلیمانية، ط١
٢٠٠٤ .
- ١٨٧- الذهب المسكوك في تحقيق روايات غزوة تبوك: أبو محمد عبد القادر بن حبيب الله بن كورو
عبد القادر بن حبيب الله بن كورو، بن سجن، بن سير السندی (ت ١٤١٨هـ)، مطابع الرشيد، المدينة
المنورة - المملكة العربية السعودية.

١٨٨- الرحمة والتسامح مع مدنيي الدول المحاربة، د. عبدالله بن فهد الشريف، وقفية الأمين غازي للفكر القرآني، ٢٠٠٧.

١٨٩- رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الابصار: محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٦.

١٩٠- الرسالة القبرصية: بن تيمية تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحلیم الحراني، (ت ٧٢٦ هـ) ت: قصي محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية ومكتبتها، ط١، ١٩٧٤.

١٩١- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١ هـ)، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠.

١٩٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط٣، ١٩٩١.

١٩٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- ١٩٨٣.

١٩٤- رؤوس المسائل الخلفية: أبي المواهب الحسين بن محمد العكبري الحنبلي، ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، ١٤٢٨.

١٩٥- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤.

١٩٦- زيارة للماضي القريب: جرجيس فتح الله، دار الشمس للطباعة والنشر، ١٩٩٨.

١٩٧- سبل السلام: محمد بن إسماعيل بن صالح (ت ١١٨٢ هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٩٦٠.

١٩٨- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ)، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣.

١٩٩- سكان محافظة دهوك ١٩٤٧-٢٠٠٦ اتجاهات النمو وطبيعة التوزيع: نشوان شكري هروري، ط١، ديسمبر ٢٠١٢، ص ٨-٢٥.

٢٠٠- السلوك الانساني: ابراهيم العمري، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٩.

٢٠١- سماحة الإسلام: د. عمر بن عبد العزيز القرشي، مكتبة الديق الذهبية الرياض السعودية

- ٧٤- موقع صوت العراق: دكتور فهمي الشناوي، تأريخ الوضع: ٢٠٠٨/٨/١٠، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٤/٣
- ٧٥- موقع صوت العراق: لا تقدّم العصرية والحضارة درعا واقياً ضد الإبادة الجماعية في المستقبل: ألون بن مئير، تأريخ الوضع: ٢٠١٩-٠٦-٠٥، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٨/١٢
- ٧٦- موقع عربي بوست: كيف عانى الجنود وأطفالهم نفسياً فترات طويلة رغم توقف المعارك، تأريخ الوضع: ٢٠١٩/٠٦/١٤/تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١/٩
- ٧٧- موقع عربي لايت: إبراهيم السنوسي.. من مؤيدي الترابي والتوافق في السودان، أمين حسن عمر، تأريخ الوضع: ٢٠٢١/١٠/١، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٦/٨
- ٧٨- موقع عنى بلدي: مصابو الحرب في سوريا.. ضحايا على قيد الحياة: نور عبد النور، تأريخ الوضع: ٢٠١٧، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/٦
- ٧٩- موقع عيراقيبيديا: الهجوم الكيماوي على حلبجة، تأريخ الوضع مجهول، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٤/٣
- ٨٠- موقع فائدة نيت: من هو برهان الدين رباني؟، تأريخ الوضع: ١٨ أغسطس، ٢٠٢١، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٥/١٠
- ٨١- موقع قناة مؤسسة الحوار المتمدن على اليوتيوب: مصطلح اقليم كردستان في تاريخ الشرق: رستم محمد حسن تأريخ الوضع: ٢٠٢٠ / ٢ / ١٣ ، تأريخ المراجعة : ٢٠٢١/٨/٧
- ٨٢- موقع كردستان تي بي: هذه الجريمة و صمة عار في جبين من يدعون بحقوق الانسان، شيركو حبيب، تأريخ الوضع: ٢٠٢١/٠٣/٢٣، تاريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٤/٥
- ٨٤- موقع كولان: كارثة القصف الكيماوي لمدينة حلبجة و انعكاساتها الدولية، تأريخ الوضع: March ١٥, ٢٠١٣، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٦/٥
- ٨٥- موقع كوليلك: مواقف علماء الدين من القضية الكوردية، تأريخ الوضع: ٢٠٠٧/٠٤/١٤، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٣/٢
- ٨٦- موقع كوليلك، مواقف علماء الدين من القضية الكوردية، تأريخ الوضع: ٢٠٠٧/٠٤/١٤، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٣/٣/٧
- ٨٧- موقع مجلة الحوار: القضية الكوردية في فكر الإخوان المسلمين وبعض المفكرين الإسلاميين (تعقيب)، تأريخ الوضع: ٢٠١٤/٠٥/٠٦، تأريخ المراجعة: ٢٠٢٢/٥/١٠
- ٨٨- موقع مركز الأخبار: اليوم الاسود يحل على السليمانية: تأريخ الوضع: الثلاثاء، ٩ Jun ٢٠٢٠

- ١٠٢- موقع: الميثرائية: تعريف، Al-Hussain Al-Tahir، تأريخ الوضع: ١٠ / June
٢٠١٥/تأريخ المراجعة: ٥/٨/٢٠٢٢
- ١٠٣- موقع BBC: نبذة عن محمد سعيد رمضان البوطي، تأريخ الوضع: ٢١ مارس / آذار
٢٠١٣، تأريخ المراجعة: ١٨/٨/٢٠٢٢
- ١٠٤- موقع PUK: تنفيذ حكم الشعب بمحافظة اربيل عام ١٩٨٦، تأريخ الوضع: ٢٠٢٢-١٩/٠٣
١٠٥ موقع المسلم: حماية المدنيين في الفقه الإسلامي، عماد بن صالح الغامدي، تأريخ الوضع: ٢٣
محرم ١٤٣٠، تأريخ المراجعة: ٧/٨/٢٠٢٢.

الملخص

تعد الإبادة الجماعية من أكبر الجرائم الدولية التي يعاني منها المجتمعات المظلومة منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، وتستمر هذه الجريمة بشكل غير متوقع في عصرنا الحاضر بسبب تقدم التكنولوجيا العسكرية والأسلحة المصنوعة المتطورة وذات قدرة الدمار الشامل للأماكن والإبادة لجميع البشرية والحفاظ على حياة الإنسان من الحقوق الأساسية في الشريعة الإسلامية ومقاصد الشريعة الإسلامية، وهذا مبدء موجود ومقصد مهم واضح وضروري في المقاصد الشريعة الإسلامية، وذلك من خلال عشرات الآيات من القرآن والأحاديث الصحيحة التي أثبتت الضروريات الخمسة من غير تمييز، وقد حرم الفقه الإسلامي الجنائي مقاتلة المدنيين و قتلهم، وحرم قتال المدنيين العزل والاعتداء عليهم وظلمهم، وهو ما حرمه الله تعالى، ولهذا تعد الإبادة الجماعية جريمة بشعة، وقد نهي عنها عشرات الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والعلماء.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة خاصة بموضوع الإبادة الجماعية في الشريعة الإسلامية ولا شك أن لهذا الموضوع أهمية كبيرة، لأن شعب الكورد المسلم مهددة على مر الزمان بالإبادة الجماعية باسم الدين والإرهاب والقومية وهذه الجريمة تبقى مستمرة تحت سلطة الظالمين إلى يوم القيامة، ولهذا إن هذه الدراسة ذات أهمية للرد على من قام بإبادة الناس بإسم الدين.

وقد قسمنا الموضوع على أربعة فصول كالآتي:

تعرضنا في الفصل الأول لبيان مفاهيم وتعريفات توضح عنوان الأطروحة، أما الفصل الثاني فقد خصصناه لمعرفة ماهية القتال وحقوق الانسان أثناء الحرب وجرائم الحرب والإبادة الجماعية وطبيعة المسؤولية الجنائية في الفقه الإسلامي

وقد ذكرنا بالتفصيل في الفصل الثالث أنواع الإبادة الجماعية التي وقعت ضد كورد العراق، أما الفصل الرابع فقد بينا الموقف الدولي والإقليمي والإسلامي حول القضية الكوردية. وعرضنا في الخاتمة أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، فضلا عن تقديم بعض التوصيات والمقترحات بهدف منع وقوع هذه الجريمة مرة أخرى ضد شعب الكورد المسلم.

پوخته

پاكتاوى ره گهزى و كۆمهل كوژى تاوانىكى هه ره گه رهى نيو دهوله تيه كه به دريژاي ميژوو روو بهرووى نه ته وهو گهله سته م ليكراوه كه مان بۆ ته وه له ئاينده شدا دووباره ده بيته وه چونكه بهرده وام دووژمنانى كورد زۆرن و بهرده وامن له به ده ست هينانى چه كى كۆمهل كوژو وه رۆژ به رۆژ چه كى پيشكه وت و تر به ره هم ديت.

له فقهي ئيسلامى و بنه ماكانى ئيسلامى پيرۆزدا پاراستنى خودى مرۆڤ و هيشتنه وهى له ژياندا يه كيكه له مبه ست و ئامانجه بالاو پيرۆزه كانى ئيسلام ئه وهش به ده يان به لگه ي ئايه ت و فه رمووده چه سپيوه، له گه ل ئه وهى ئاينى ئيسلام ياسا و ريساى گرنگى هه يه بۆ بوارى ئاشتى وجهنگ به هه موو شيويه كه كۆمهل كوژى و پاكتاوى ره گهزى و كوشتارى ژن و منال و پيرو كه سانى بى چه ك و سفيل له جهنگدا قه دهغه كرده وه به تاوانى هه ژمار كرده وه و سزاي بۆ بكه رانى داناوه.

ئه م توپيئنه وه يه گرنگى زۆرى هه يه چونكه تيشك ئه خاته سه ر هه مو ئه و تاوانه نيو دهوله تيانه ي وهك و ره شه كوژى كۆمهل كوژى پاكتاوى ره گهزى و روون ده كاته وه كه به رامبه ر نه ته وهى كورد كراوه له ولاتى عيراق له گهله ئه وهى گهلى كورد گه ليكى ئاشتى خواز موسلمانى راسته قينه ن و خزمه تى زۆريان كرده وه به ئيسلام و موسلمانان.